مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول
الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء





تأليف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

باب

احتجاج صاحبِ الكلب بالأشعارِ المعروفةِ والأمثالِ السَّائرة ، والأخبار الصحيحة والأحاديثِ المأثورة ، وما أوجد العِيانُ فيها ، وما استخرَجَت التجاربُ منها من أصناف المنافع والمرافق ، وعن مواضع أخلاقها المحمودة وأفعالها المرادة . ٢

ونبدأ بقول العرب : إنَّ دماءَ الملوك شِفاءٌ من داء الكلَب ، ثُمَّ نذكر الأبوابَ لِمَا قدَّمنا فى صدرِ كلامنا هذا . قال بعض المُرِّيِّين[1] :

أَرَى الخلاَّنَ بعد أبى عُمَيرٍ[2] ... بِحُجْرٍ فى لقاءِهمُ جَفاءُ
مِنَ البِيضِ الوُجوهِ بنى سنانٍ ... لوَ أنّك تَستضىء بهم أضاءوا
لهم شمسُ النَّهارِ إذا استقلَّتْ ... ونُورٌ ما يغيِّبُه العَماءُ[3]
بُناةُ مَكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ[4] ... دِماؤهمُ مِنَ الكلَبِ الشفاءُ

---

(١) هو أبو البرج القاسم بن حنبـل المرى ، والشعر يقوله فى زفر بن أبى هاشم ابن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة. (الحماسة ٢ : ٣٠٤) و (المؤتلف والمختلف ٦٢) و (معجم المرزبانى ٣٠٣) . وأبو البرج قال فيه صاحب القاموس : إنه شاعر إسلامى . والبيت الأخير مروى فى عدة أبيات منسوبة إلى أمية بن أبى الصلت فى ديوانه ص ١٧ . و « المريين » هى فى الأصل : « المزنيين » محرفة ، إذ أن « أبو البرج » من بنى سهم بن مرة .

(٢) فى ديوان الحماسة ، والمؤتلف ، والمعجم : « أبى حبيب » ، وهى كنية زفر كما فى المؤتلف.

(٣) استقلت الشمس : ارتفعت ، وهى مثل استقل الطائر إذا ذهب عالياً فى الجو .
العماء : السحاب المرتفع ، وقيل الكثيف . وقال أبو زيد : هو شبه الدخان يركب رءوس الجبال .

(٤) فى الأصل : « حلم » وإنما هو « الكلم » بمعنى الجرح ، كما فى الحماسة والمؤتلف والمعجم . والأساة : جمع آس ، والآسى : الذى يداوى الجرح ، أو هو الطبيب .

وقال الفرزدق :

مِنَ الدارميِّين الذين دِماؤهم شِفاءٌ من الدَّاء المجنَّة والخبْلِ [١]

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات [٢] :

عاوَدَنى النُّكسُ فاشتفَيت كما تَشفى دِماء الملُوكِ من كَلَبِ [٣]

وقال ابن عَيَّاش [٤] الكندىُّ لبنى أسَد فى قتلهم حُجْرَ بنَ عمرو :

---

(١) فى اللسان : ويقال به جنة وجنون ومجنة . وأنشد البيت ولم ينسبه . والبيت فى عيون الأخبار ٢ : ٧٩ منسوب إلى الفرزدق ، وهو فى الأغانى ١٤ : ٧٢ منسوب إلى المتلمس . وفى مروج الذهب ٢ : ٩٥ منسوب إلى البعيث .

(٢) كان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد فى « الكامل » : هوعبد الله ، وقال المرزبانى فى « معجمه » : هو عبيد الله بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول : الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس ، وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى ، وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير . وكتب له ترجمة مسهبة فى الأغانى ٤ : ١٥٤ — ١٦٦ وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقا مسهبا فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب اللقب . وانظر الخزانة ٣ : ٢٦٦ — ٢٦٩ وانظر كذلك ابن قتيبة فى الشعراء ٥٢٣ — ٥٢٥ .

(٣) كذا جاء البيت ، ولم أجده فى ديوان ابن قيس الرقيات ، ورأيت بيتا آخر شبيها به ص ٨١ من الديوان :

فدها الحب فاشتفيت كما تشفى دماء الملوك من كلبه

قال السكرى : « الهاء للكلب — يريد بكسر اللام — وإن لم يذكره » أى تشفى دماء الملوك المكلوب من كلبه .

(٤) كذا فى م . وفى ط و س : « ابن عباس » ولعله « حكيم بن عياش » الذى ترجم له ياقوت فى معجمه ١٠ : ٢٤٧ وذكر أنه كان بينه وبين الكميت ابن زيد الأسدى مفاخرة .

عبَيد العصا جئتمْ بقتلِ رئيسكُمْ   تُريقون تاموراً شفاءً من الكلَبْ (١)

وقال الفرزدق :   ٣

ولو تَشرَبُ الكَلْبى المِرَاضُ دماءَنا   شَفَتْها وذو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ (٢)

وذاك أنَّهُمْ يزعمون أنَّ دماءَ الأشرافِ والملوكِ تَشفى من عَضَّةِ الكلْبِ الكلَبِ ، وتَشفى من الجنون أيضاً ، كما قال الفرزدق :

ولو تشربُ الكَلْبَى المِرَاضُ دماءنا   شفتها . . . .

ثم قال : « وذو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ (٢) » .

وقد قال ذلك عاصم بن القِرِّيَّةِ (٣) ، وهو جاهلىّ :

وداويتُهُ مما بِهِ من مَجَنَّةٍ   دمَ ابنِ كُهالٍ والنِّطاسىُّ واقفُ (٤)

وقَلَّدْتُه دهراً تَميمةَ جَـدِّه   وليس لِشىءٍ كادَهُ اللهُ صارفُ (٥)

وكان أصحابنا يزْعمون أنَّ قولهم دماء الملوك شفاءٌ من الكلب ، على

---

(١) عبيد العصا : لقب لزم بنى أسد ، قال ابن قتيبة : « ولما ملك حجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئا معلوما ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى » . كذا فى خزانة البغدادى ١ : ٣٠٠ سلفية . والميدانى فى الأمثال ١ : ٤٢٦ يروى لهذا المثل سببا طويلا ويقول : « هذا المثل يضرب للذليل الذى نفعه فى ضره ، وعزه فى إهانته » . أما الثعالبى (فى الثمار ٥٠٤) فيرى أن هذا مثل يضرب للقوم إذا استذلوا . . والتامور : دم القلب أو هو كل دم .

(٢) الكلبى : جمع كليب ، وهو المصاب بداء الكلب . وأما الكلب بكسر اللام فجمعه كلبون . والأدنف : من الدنف ، وهو المرض . وفى الأصل : « أدلف » ولم أجد له وجها . وأثبت رواية الديوان ٢ : ٥٦٣ .

(٣) كذا فى س ، م – وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء . . ولم أقف له على خبر .

(٤) المجنة : الجنون . وفى س : « دم ابن الكهال » .

(٥) كاده الله : أراده . ومثله قول الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمـدة   وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

معنى أنَّ الدَّمَ الكريم هو الثأرُ المُنِيم ، وأنَّ داء الكلب[1] على معنى قول الشاعر[2] :

كَلِبٌ مِن حِسٍّ ماقد مسَّهُ   وأفانين فُؤَّاد مُخْتَبِلْ[3]

وعلى معنى قوله[4] :

* كلِبٌ بِضرْبِ جَماجمٍ ورِقابِ[5] *

فإذا كلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلَب ، وليس أنَّ هناك دمًا فى الحقيقة يُشرَبُ .

ولولا قول عاصم بن القِرِّيَّة[6] : « والنِّطاسىُّ واقفُ » . لكان ذلك التأويلُ جائزاً . وقول عوف بن الأحوص[7] :

---

(١) فى ط : « الكلاب » ، وصوابه فى س ، م .

(٢) هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان (حمل) والمعانى الكبير ١٢٣٣ .

(٣) أفانين فؤاد : أى ضروب نشاطه . ورواية اللسان : « محتمل » قال ابن منظور : « احتمل الرجل – بالبناء للمجهول – : غضب » .

(٤) فى الأصل : « قولهم » . والآتى عجز بيت لحصين بن القعقاع يرثى عتيبة بن الحارث ابن شهاب . كما مر فى الجزء الأول ص ٣١٦ ، وصدر البيت :

* يوم الحليس بذى الفقار كأنه *

(٥) فى ط : « كلب يضرب » ، وصوابه فى س .

(٦) كذا فى س ، م – وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء .

(٧) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد سماه لبيد بن ربيعة « صاحب ملحوب » فى قوله :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته   وعند الرداع بيت آخر كوثر

انظر السيرة ٢٦١ جوتنجن ، ومعجم البلدان برسم (ملحوب) . ولعوف هذا خبر فى يوم شعب جبلة ، الأغانى ١٠ : ٣٣ . ويوم شعب جبلة كان قبل الإسلام بأربعين سنة ؛ وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم (العقده : ١٤١ لجنة التأليف) . وصواب إنشاد البيت الآتى « أو العنقاء » لأن قبله كما فى المفضليات ١٧٥ :

فهل لك فى بنى حجر بن عمرو   فتعلمه وأجهله ولاء

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو   دِماءُ القَومِ للـكَلْبَى شِفاءُ

وفى الـكلَب يقول الأعشى :

أُرانِي وعَمْرًا بيننَا دُقَّ مَنْشِمٍ[١]   فلم يبق إلاَّ أنْ يُجَنَّ وأَكلَبا[٢]

ألا ترى أنَّه فرَّق بينهما ، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة :

يَسْعَى خُزيمةُ فى قومٍ ليهلِـكهمْ   على الحمالة هل بالمرء مِن كلَبِ[٣]

لـكان ذلك على تأويل ماذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر :

وأمْرَ أميرى قد أَطَعتمْ فإِنَّما   كَواه بَنارٍ بين عَينيه مُكلبُ[٤]

وهذا عندى لايدخل فى الباب الأوَّل ، وقد جعلوه منه .   ٤

(من طباع الـكلب العجيبة)

قال صاحبُ الـكلب : وزعمتم أنّه يبلغُ من فضل قوَّة طباع الدِّيك فى الإلقاح ، أنّه متى سَفِد دجاجةً وقد احتشت بَيضاً صِغاراً من نِتاج الرِّيح

(١) ط : « رق منسم » ، وصوابه فى س ، م والديوان ٩٠ . مثل قول زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

الثعالبى فى الثمار ٢٤٦ « الأقاويل فيه كثيرة . قال ابن قتيبة : أحسن ماسمعت فيه أن منشم امرأة كانت تبيع العطر والحنوط فقيل للقوم إذا تحاربوا وتفانوا : دقوا بينهم عطر منشم » . انظر الميدانى فى الأمثال ١ : ٨٣ ، ٣٤٨ وشرح القصائد السبع الطوال ٢٦١ .

(٢) كذا فى م ، س وفى ط : « وأكلب » وهو تحريف . والبيت من قصيدة فى ديوان الأعشى ٨٨ — ٩١ مطلعها :

كفى بالذى تولينه لو تجنبا   شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا

(٣) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . وفى ط : « الجهالة » وصوابه فى س ، م .

(٤) إنما يكوى بين عينى الـكلب إذا أصابه الكلب ، وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه قىء وإسهال ، فإذا كوى ذهب عنه ذلك . انظر اللسان (كذا) وهذا الجزء من الحيوان ص ٤٩ .

والتراب ، قلبها كلَّها حيواناً ولو لم يكنْ سفِدها إلاَّ مرَّةً واحدة ، وجعلتموه فى ذلك بغاية الفِحْلة ، فطباعُ الكلب أعجبُ إلقاحاً وأثقَبُ ، وأقوى وأبعد ؛ لأنَّ الكلبَ إذا عضَّ إنساناً ، فأوَّل ذلك أنْ يُحيله نَبَّاحا مثلَه ، وينقلَه إلى طباعه ، فصار ينبح ، ثم يُحبِله ويُلقحه بأجراءٍ صغار يَبولُها عَلَقاً فى صُوَر الكلاب ، على بُعد مابين العُنصرينِ والطَّبعين والجنسين . والذى يتولَّد فى أرحام الدجاج ، أقرب مشاكلة إلى طباع الدِّيك . فالكلب هو[1] العجبُ العجيب ، لأنّه أحبَلَ ذكراً من خِلاف جنسه ، ولأنّه مع الإحبال والإلقاح ، أحاله نبَّاحا مثلَه . فتلك الأَدراص[2] وتلك الكلاب الصغار ، أولادٌ ونتِاج ، وإن كان لايبقى .

وقد تعلمون أنَّ أولادَ البغْلات من البغال لاتبقى ، وأن اللِّقاح قد يقع ، وإنَّما مُنع البغل من البغلة بهذه العلَّة .

(أسرة تتوارث دواء الكلب)

قال أبو اليقظان[3] وغيره : كان الأَسود بن أوس بن الحُمَّرة ، أتى النَّجاشىَّ ومعه امرأته ، وهى بنت الحارث أحد بنى عاصم بن عبيد بن

---

(١) فى الأصل : « والكلب وهو » وذلك تحريف .

(٢) الأدراص : جمع درص بفتح الدال وكسرها ، وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها .

(٣) هو عامر بن حفص ، ولقبه سحيم ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ فى البيان فى مواضع كثيرة . والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفى سنة ١٩٠ .

ثعلبة ، فقال النَّجاشيُّ : لأُعطينَّك شيئاً يَشفى من داءِ الكلب(١) . فأقبَلَ حتَّى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت ، فأوصى امرأتَه أن تتزوَّج ابنَه قُدامةَ ابنَ الأسود ، وأن تعلِّمه دواءَ الكلَب ؛ ولا يَخرُجَ ذلك منهم إلى أحد ، فتزوّجته نِكاح مَقْت(٢) ، وعلّمته دواءَ الكلَبِ ، فهو إلى اليوم فيهم .

فوَلدَ الأَسود قُدَامةَ ، وولد قُدامةُ المُحِلَّ ـ وأُمُّه بنت الحارث ـ فكان المحِلُّ يُداوِى من الكلَب. فولد المحلّ عُقبةَ وعَمراً ؛ فداوى ابنُ المحلّ(٣) عُتَيبة(٤) بن مِردَاس ؛ وهو ابن فَسوة الشاعر(٥) فبال مثلَ أجراءِ الكلب عَلَقا ، ومِثلَ صوُر النَّمْل والأَدرَاص(٦) فقال ابن فسوْة حين برِئَ :

ولولا دواءُ ابنِ المُحِلِّ وعلمُه هَرَرتُ إذا ماالنَّاس هَرَّ كلابُها

---

(١) مثل هذا الكلام عند ابن قتيبة فى العيون ٢ : ٨٠ والشعراء ٣٣٢ .

(٢) نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، وقد نص القرآن الكريم على تحريمه فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، وقد سرد ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠ أسماء طائفة من الرجال الذين خلفوا على زوجات آبائهم، منهم كنانة بن خزيمة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعمرو بن نفيل .

(٣) فى عيون الأخبار أنه (المحل) ، وفى الشعراء وفق ما هنا .

(٤) فى الأصل : « عيينة» ، وتصحيحه من العيون والشعراء .

(٥) قال أبو الفرج : هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر مقل غير معدود فى الفحول ، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام، هجاء خبيث اللسان بذىء . وكان لايزال يأتى أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . وقد روى أبو الفرج حديثاً طويلا له مع ابن عباس وهو عامل على البصرة لعلى ابن أبي طالب . وكان حليفا لجميل بن معمر ، وفيه يقول :

فلو كنت من زهران لم ينس حاجتى ولكننى مولى جميل بن معمر

وترجمته مسهبة فى الأغانى (١٩ : ١٤٢ ـ ١٤٦) .

(٦) فى الأصل : « الأضراس » ، وإنما هى « الأدراص » كما سبق فى ص ١٠ .

وأخْرَج عبدُ الله أولادَ زارعٍ[١] مُوَلَّعَةً أكتافها وجنُوبُها[٢]

وأولاد زارع : الكلاب .

وأمّا قوله :

ولولا دواء ابن المُحِلِّ وعلمه هررتُ . . . .

٥ فإنّما ذهبَ إلى أنَّ الذى يَعَضُّهُ الكلْبُ الكلِبُ ، ينبَح نُباح الكلاب ويَهِرُّ هريرها .

(أعراض الكلب)

وقال محمَّد بن حفص ، وهو أبو عبيد الله بن محمد ؛ ابن عائشة[٣] : عضَّ رجلاً [من بَلْعَنْبرِ][٤] كلبٌ كلب فأصابه داءُ الكلب ، فبال عَلَقا فى صورةِ الكلاب ؛ فقالت بنت المستَنْشر[٥] :

---

(١) فى الأصل : « وأجزع » وليس له وجه ، وصوابه فى العيون والشعراء . وفيهما كذلك : « بعد الله » موضع : « عبد الله » .

(٢) المولعة : التى بها سواد وبياض مستطيلان .

(٣) فى الأصل : « وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة » وهو تحريف وخطأ ، صوابه فى البيان (١ : ١٠٢ ، ٢٣٩) وفى المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ . وابن عائشة : كنية متنازعة بين الوالد وابنه ، يقال لكل منهما « ابن عائشة » . وللوالد خبر طريف فى البيان . أما ابنه فقد عده ابن قتيبة فى المحدثين أى رجال الحديث ، وقال : « توفى بالبصرة سنة ثمان وعشرين ومائتين » . ويقول فيه الجاحظ (١ : ١٠٢) « وكان كثير العلم والسماع . متصرفا فى الخبر والأثر . وكان من أجود قريش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو فى ذلك كثير الفوائد » . يريد أنه من الفصحاء الأبيناء الذين فى كثرة كلامهم فائدة وخير .

(٤) الزيادة من س ، م وعيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٥) فى العيون : « فقالت امرأته » .

أبا لكَ أدراصاً وأولادَ زارعٍ وتلكَ لعمْرى نُهيَة المتَعجِّبِ (١)

وحدَّثنى أبو الصَّهباءِ عن رجالٍ من بنى سعد ، منهم عبد الرحمن ابن شَبيب ، قالوا :

عضّ سنجيرَ الكلبُ الكلِب، فكان يعطَشُ ويطلُبُ الماءَ بأشدِّ الطلب، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا ، لا أريد !

وهكذا يصيب صاحبَ تلك العضَّة. وذلك أنَّه يعطش عنها أشدَّ العطش ويطلب الماءَ أشدَّ الطلب ، فإذا أتوه به هرَب منه أشدَّ الهرب ، فقال دَلَم (٢) وهو عبدٌ لبنى سعد :

لقد جئت ياسنجير أجلو ملقة إباؤك للشىءِ الذى أنت طالب (٣)

وهى أبياتٌ لم أحفظ منها إلاّ هذا البيت .

(نشرة طبِّيَّة لزياد)

وذكر مَسْلَمَة بن محارب ، وعلىُّ بن محمّد عن رجاله ، أنَّ زياداً كَتب دواءَ الكلب ، وعلَّقه على باب المسجد الأعظم (٤) ، ليعرفه جميع الناس .

---

(١) ط : « نهبة المتنجب » ، وفى م : « نهية المتنجب »، وصوابه من س وعيون الأخبار . والنهية بالضم : غاية الشىء وآخره كالنهاية .

(٢) اشتقاق هذا العلم من « الدلم » بالتحريك ، وهو شىء شبه الحية يكون فى الحجاز ومنه المثل ، وهو « أشد من الدلم » .

(٣) فى م : « احلو فلقة » وفى س : « احلوملقة »، وفى البيت تحريف .

(٤) هو مسجد البصرة . وكان فى أول أمره مبنيا بالقصب ، ولما ولى البصرة أبو موسى الأشعرى بناه باللبن . ولما استعمل معاوية زيادا على البصرة بنى زياد المسجد بالجص وسقفه بالساج ، وجعل له سوارى اجتلبها من الأهواز . وكانت أرض المسجد تربة فكانوا إذا فرغوا من الصلاة نفضوا أيديهم من التراب ، فلما رأى زياد ذلك قال لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض اليد فى الصلاة سنة . فأمر بجمع الحصى وإلقائه فى المسجد .

(ردٌّ على مازعموا من أعراض الكلب)

وأنا، حفظك الله تعالى ، رأيتُ كلباً مرّةً فى الحَىِّ ونحنُ فى الكتّاب ، فعرَض له صبىٌّ يسمَّى مهديًّا من أولاد القصَّابين ، وهو قائم يمحو لوحَهُ فعضّ وجهه فنقع ثَنِيَّته دونَ موضع الجفن من عينه اليسرى ، فخرق اللحمَ الذى دون العظم إلى شطر خدّه ، فرمى به ملقيًّا على وجهِه وجانبِ شِدقه ؟ وترك مُقلتَه صحيحة ؛ وخرَجَ منه مِن الدَّم ما ظننتُ أنَّه لايعيش معه ، وبقى الغلامُ مبهوتاً قائما[1] لاينبِس ، وأسكته الفزَع وبقى طائِرَ القلْب ، ثمَّ خِيط ذلك الموضعُ ؛ ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكُتّاب ، وليس فى وجهه من الشَّتْر[2] إلاّ موضعُ الخيط الذى خِيط ؛ فلم ينبَحْ إلى أنْ برئَ ، ولا هرَّ ، ولا دعا بماءٍ ، حتَّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال جرواً ولا عَلَقا ، ولا أصابه ممَّا يقولون قليل ولا كثير . ولم أجدْ أحداً من تلك المشايخ ؛ يشكّ أنَّهم لم يَروا كلباً قطُّ أكْلَبَ ولا أفْسَدَ طبعاً منه . ٦ فهذا الذى عاينت .

وأما الذى بلغنى عن هؤلاء الثقات فهو الذى قد كتبتُه لك .

---

(١) كذا . ولعلها « غائبا » .
(٢) الشتر : القطع .

(مما قيل فى الـكلب الـكَلِب)

وفى الـكلب الـكلب أنشد الأعرابى :

حيًّا كُمُ اللهُ فإنِّى منقلبْ   وإنَّما الشاعرُ مجنون كلبْ

* أكثرُ ما يأتى على فِيه الـكَذِبْ *

إمّا أن يكون الشعر لِهمْيان[1] وإما أن يكون للزَّفيان[2]. وأنشدنى :

فإن كنتُم كَلْبَى فعندى شِفاؤكم   وفى الجنِّ إن كانَ اعتراك جُنُونُ[3]

وأنشدنى :

وما أدرى إذا لاقَيتُ عَمْرًا   أكَلْبَى آلُ عمرٍو أمْ صِحاحُ

قال : فأمّا المُـكْلب الذى يصيب كلابَه داءٌ فى رُءُوسها يسمَّى الجُحَام[4] فتُـكْوى بينَ أعينها .

(مسألة كلامية)

وسنذكر مسألة كلاميَّة ، وإنَّما نذكرها لـكثْرةِ من يعترض فى هذا ممَّن ليس له علم بالـكلام .

ولو كان أعلمُ الناس باللغة ، لم ينفعْك فى باب الدين حتَّى يكون عالماً بالـكلام .

وقد اعترض معترضون فى قوله عزّ وجلَّ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى

---

(١) هو هميان بن قحافة ، راجز محسن إسلامى ، وكان فى الدولة الأموية . المؤتلف والمختلف للآمدى ١٩٧ .

(٢) ط : «للرقيات » وهو تصحيف ، صوابه فى س . والزفيان شاعر إسلامى ، واسمه عطاء ابن أسيد، وله ترجمة فى المؤتلف والمختلف ١٣٣ وفى معجم المرزبانى ٢٩٨ .

(٣) البيت لجرير فى ديوانه ٥٨٩ والخزانة ٢ : ٣٩٥ بولاق.

(٤) الجحام كغراب : داء يصيب الإنسان فى عينه فترم ، وقيل داء يصيب الـكلب ، وقيل يصيب الـكلب فى رأسه . وفى الأصل : « الحجام » بتقديم الحاء . وهو تصحيف .

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ فزَعموا أنَّ هذا المثَلَ لايجوزُ أن يُضرَب لهذا المذكور فى صدر هذا الكلام ، لأنه قال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ . فما يُشبَّه حالُ من أُعطِىَ شيئاً فلم يقبله ــ ولم يذكر غير ذلك[١] ــ بالكلب الذى إن حملتَ عليه نَبَح وولّى ذاهباً ، وإن تركته شدَّ عليك ونبح . مع أنَّ قوله : يلهث ، لم يقع فى موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عَطشٍ شديد وحرٍّ شديد ، ومن تعب ؛ وأما النُّباح والصِّياح فمن شىء آخر .

قلنا له : إن قال ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ فقد يستقيم أن يكون الرادّ[٢] لايسمَّى مكذِّبا ، ولا يقال لهم كذَّبوا إلاّ وقد كان ذلك منهم مِراراً ، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبَّه الذى أوتِىَ الآياتِ والأعاجيبَ والبرهاناتِ والكرامات ، فى بدء حرصه عليها وطلبه لها ، بالكلب فى حرصه وطلبه ؛ فإنَّ الكلبَ يُعطى الجِدَّ والجُهْد من نفسه فى كلِّ حالةٍ من الحالات . وشبَّه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردَّه لها ، بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد ٧

---

(١) م : « ولم نذكر غير ذلك » وليس بشىء ، والمعنى أنه لم يذكر من حال المشبه فى الآية غير صورة عرض الآيات عليهم وعدم قبولهم إياها .

(٢) فى ط : « المراد » ، وصوابه فى س ، م .

إطْرادك له . وواجبٌ أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة فى وزن طلبها والحرصِ عليها .

والكلبُ إذا أتعب نفسه فى شدّة النُّباح مقبلاً إليك ومدبراً عنك ، لهِث واعتراه ما يعتريه عند التَّعب والعطش .

وعلى أنَّنا ما نرى بأبصارنا إلى كلابنا وهى رابضةٌ وادعة ؛ إلّا وهى تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلّا حرارةُ أجوافها ، والذى طُبعت عليه من شأنها ، إلّا أنّ لَهْثَ الكلبِ يختلف بالشدَّة واللِّين !

(كرم الكلاب)

وقال صاحب الكلب : ليس الدِّيكُ من الكلب فى شيء ، فمن الكلاب ذواتُ الأسماءِ المعروفةِ والألقابِ المشهورةِ . ولكرامها وجوارِحِها وكواسبِها ، وأحرارِها وعِتاقِها ، أنسابٌ قائمةٌ ، ودواوينُ مخلّدة ، وأعراقٌ محفوظة ، ومواليد مُحْصاة ، مثل كلب جذعان[1] ، وهو السَّلْهبُ بن البراق ابن يحيى بن وثّاب بن مظفَّر بن مُحارِش .

(شعر فيه ذكرٌ لبعض أسماء الكلاب)

وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها .

قال مزرِّد بن ضرار :

---

(١) لعله : « جدعان » .

فعَدِّ قَرِيضَ الشِّعر إن كنت مُغْزِراً فإن غزير الشعر ما شاء قائل[١]

لنعت صُبَاحىٍّ طويلٍ شقاؤه له رَقَمِيَّاتٌ وصَفــراءُ ذابل[٢]

بَقِينَ لَه مما يبرِّى وأكلبٍ تَقَلْقَلُ فى أعناقهنَّ السَّلاسلُ[٣]

سُخَامٌ، ومِقلاء القَنِيصِ، وسلْهبٌ وجدْلاءُ، والسِّرْحان، والمتناولُ[٤]

بنات سلُوقِيَّينِ كانا حياتَه فماتا فأودى شخصُه فهو خاملُ[٥]

وأيقن إذْ ماتا بجُوع وخَلَّــةٍ وقال لَهُ الشَّيطانُ : إنَّك عائلُ[٦]

فطوّفَ فى أصحابه يستثيبهمْ فآب وقد أكْدَتْ عليه المسائلُ[٧]

إلى صبيةٍ مثل المغَالى وخِرملٍ رَوَادٍ، ومن شرِّ النساءِ الخراملُ[٨]

فقال لها : هَلْ من طعامٍ فإنَّنى أَذمُّ إليكِ الناسَ ، أُمُّكِ هابلُ[٩]

---

(١) أغزر الشيء : جعله غزيرا . وفى ط : « معذرا » .

(٢) الصباحى : رجل من بنى صباح كان ضيفاً له . وفى ط ، م : « ضباحى » . والرقميات : سهام منسوبة إلى « الرقم » بالتحريك : موضع بالمدينة. « وصفراء ذابل » : قوس قطع عودها وطرحت فى الشمس حتىّ ذهب ماؤها .

(٣) تقلقل : تتقلقل . وأراد بالسلاسل القلائد . « بقين » هى فى الأصل : « يقين » وتصحيحها من المفضليات بشرح ابن الأنبارى ١٨٠ .

(٤) ط : « ومقلا والقنيص » وتصحيحه من القاموس و س ، م - وفى ط : « وجذلان » وصوابه من س والقاموس .

(٥) فى الأصــل : « فات فأودى » . الخ ، والوجــه ماأثبت من المفضليات بشرح ابن الأنبارى . قال : كانا حياته : أى كانا يصيدان له فى حياته . وأرى أنه عنى أنهما سبب حياته ومصدر رزقه .

(٦) الخلة : الفقر والحاجة . والعائل : الفقير .

(٧) يستثيبهم : يطلب ثوابهم ومعروفهم . وأكدى : طلب فلم يجد .

(٨) قال ابن الأنبارى : المغالى : سهام يغلى بها فى الهواء لانصال لها . يريد أن صبيانه فى ضعفهم وسوء حالهم ونحولهم مثل هذه السهام . أما الخرمل فهى العجوز المتهدمة . والرواد : الحمقاء الهوجاء، من قولهم : ريح رواد : هوجاء تجئ وتذهب .

(٩) هبلته أمه : ثكلته وفقدته .

فقالتْ : نَعمْ ، هذا الطَّوِىُّ وماؤه ومُحْتَرقٌ من حائل الجلد قاحِلُ[(١)] ٨

فلما تناهَتْ نفسُه مِن طعامِه وأمسى طَليحاً ما يُعانيه باطِلُ[(٢)]

تَغشَّى ، يريدُ النَّوْم ، فضْل ردائِهِ فأعيا على العينِ الرُّقاد البلابلُ[(٣)]

ففكَّرْ فى هذا الشعر ، وقِفْ[(٤)] على فصوله ، حتّى تعرِف غَناء الكلاب عندهم[(٥)] ، وكسبَها عليهم ، وموقعها منهم .

وقال لبيدٌ فى ذِكرها وذِكر أسماءَها :

لتذودهنَّ وأيقَنَتْ إن لم تَذُدْ أَنْ قد أَحمَّ مِنَ الحتوفِ حِمامُها[(٦)]

فتقصَّدتْ منها كَسابِ وضُرِّجتْ بدمٍ وغُودِرَ فى المَكَرِّ سخامها[(٧)]

---

(١) الطوى : البئر . ومحترق : بال عتيق ، يعنى السقاء . والحائل : المتغير ، أو الذى أتى عليه الحول . وفى ط : « خائل » وليس بشىء .

(٢) تناهت نفسه من طعامه : قطع أمله منه ، إذ لم يجد إلا الماء . والطليح : المهزول المجهد . مايعانيه باطل : يقول كأن سعيه عبث عابث .

(٣) تغشى رداءه : تغطى به .

(٤) فى الأصل : « ووقف » .

(٥) ط : « عنهم » وهو تحريف صوابه فى س ، م .

(٦) لتذودهن : لتدفعهن . وفى ط : « لتزودهن » وصوابه فى س، م ، وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٢ ، قال التبريزى : حان حمامها وحتفها من بين الحتوف .

(٧) تقصدته : قصدته أو قتلته . من قولهم : رماه فأقصده أى قتله مكانه . وكساب : اسم كلبة ، وهذا الاسم يصح فيه البناء على الكسر ، والإعراب مع منع الصرف ، وهو مذهب سيبويه كما نقل التبريزى . وأما سخام فاسم كلب ، والهاء فى سخامها راجعة إلى الكلاب فى بيت قبل السابق ، وهو :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفا دواجن قافلا أعصمها

وسخامها هى فى ط ، م : « سجامها » وفى س : « سحامها » وصوابهما فى القاموس وشرح القصائد .

(عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر فى الشعر)

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعرُ مَرثِيَةً أو موعظةً ، أن تكون الكلابُ التى تقتلُ بقرَ الوحش . وإذا كان الشعرُ مديحاً ، وقال كأنّ[1] ناقتى بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلابُ هى المقتولة ، ليس على أنّ ذلك حكايةٌ عن قصَّةٍ بعينها ، ولكنّ الثِّيرانَ ربّما جرحت الكلاب وربّما قتلتْها ، وأمّا فى أكثر ذلك فإنّها تكون هى المصابةَ ، والكلاب هى السالمةَ والظافرة ، وصاحبها الغانم .

(شعر آخر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقال لبيدٌ فى هذا القول الثانى غير القولِ الأوّل ، وذلك على معنى ما فسَّرتُ لك ، فقال فى ذلك وذكر أسماءها :

فأصبحَ وانشقَّ الضِّبابُ وَهَاجه أخُو قَفرةٍ يُشْلِى رِكاحاً وسائلا[2]

---

(١) فى ط : « كانت » ، وصوابه فى س ، م .

(٢) ينعت لبيد فى هذا الشعر ثوراً . انشق الضباب : تبدد . وأخو القفرة : عنى به الصائد ، وأشلى الكلب : دعاه ، قالوا : ومما يغلط فيه الناس تأويل أشلى بمعنى أغرى ، نص على ذلك ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٣٦ ، واستشهد بقول الراجز :

* أشليت عنزى ومسحت قعبى *

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، تقول : آسدته وأوسدته : إذا أغريته ، لكن فى اللسان بحثاً طويلا فى تصحيح هذه الكلمة ، يجيز أن يكون أشلى بمعنى أغرى الكلب بالصيد ، مع تخريج واستشهاد ، فانظر . وهى فى الأصل : « يسلى » وتصحيحه من الديوان ص ٢٠ . و « ركاح » بوزن كتاب ، وهى فى الأصل : « وكاحا » وصوابه فى الديوان والقاموس .

عوابس كالنُّشَّاب تَدمَى نحورُها(١) يرَيْنَ دِمَاءَ الهاديات نوافلا(٢)

ومن أسمائها قولهم : « على أهلها جنَتْ بَرَاقش » .

ومن أسمائها قول الآخر(٣) : ضَبَّار :

سفَرتْ فقلت لهـا هَجٍ فتبرقَعَتْ فذ كَرْتُ حينَ تبرقَعتْ ضَبَّارا(٤)

وقال الكُميت الأسدىّ :

فباتَ وباتتْ عليه السَّما ءُ من كلِّ حَابيَةٍ تَهْطُلُ(٥)

مُكِبًّا كما اجتنح الهالكىّ على النَّصْل إذ طُبع المُنْصُلُ(٦)

ثم ذكر أسماءَ الكلاب فقال :

وفى ضِبْن حِقفٍ يرى حِقْفَه(٧) خَطَافِ وسَرْحَةُ والأحْدلُ(٨)

---

(١) شبهها بالنشاب ، وهى السهام ، لصدق إصابتها وسرعتها . وفى الأصل : « عرائس كالنشاب ترى نحورها » ، وهو تحريف ظاهر ، صوابه فى الديوان .

(٢) الهاديات : أوائل الوحش . والنوافل : الغنائم . و « يرين » هى فى ط ، س « برى » وصوابها فى الديوان ، م .

(٣) هو الحارث بن الخزرج الخفاجى ، كما فى تاج العروس . وانظر الجزء الأول ص ٢٥٩ .

(٤) هج : زجر للكلب ، يقال : هج هج بتسكين الجيم ، وبكسرها مع التنوين ، وهجاهجا بترك التنوين . وبعد هذا البيت :

وتزينت لتروعنى بجمالها فكأنما كسى الحمار خمارا

فخرجت أعثر فى قوادم جبتى لولا الحياء أطرتها إحضارا

(٥) الحبو : امتلاء السحاب بالماء . حبا يحبو : امتلأ . ويقال حبا يحبو : إذا دنا وقرب. وفى ط ، س : « جانبة » ، وفى م : « جانية » والصواب ماأثبت .

(٦) الهالكى : الحداد ، قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٥٤ : « لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، ولذلك قيل لبنى أسد القيون » .

(٧) الضبن ، بالكسر : الناحية . وفى الأصل : « ضين حقف تراجعنه » ، صوابه فى ٧ : ٢٠١ .

(٨) فى الأصل : « والأجذل » وتصحيحه من القاموس .

٩ وأربعــةٌ كقِداح السَّرا ءِ لا عانياتٌ ولا عُبَّلُ(١)

وقال الآخر :

بِتْنا وباتَ جليدُ اللَّيلِ يَضرِبُنا بينَ البُيوتِ قِرَانا نَبْح دِرواسِ(٢)

إذا مَــلاَ بطنَه ألبانُها حَلَباً باتَتْ تغنِّيه وضْرَى ذاتُ إجراسِ(٣)

ودِرواس : اسم كلب . والوضرى : استه . وغناؤها : الضُّراط .

وقال ضابئُ بنُ الحارث فى ذلك :

فترمَّلَتْ بدمٍ قَدَامِ وَقدْ أوفَى اللَّحاقُ وحانَ مصرَعه(٤)

وقال الآخر(٥) :

ولو هيَّا له اللهُ مِن التوفيقِ أسبابَا

لسمَّى نفسَــه عَمراً وسمَّى الكلبَ وثَّابا

ومثل هذا كثير .

---

(١) القدح بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . والسراء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى والسهام . قال زهير :

ثلاث كأقواس السراء ومسحل قد اخضر من لس الغمير جحافله

و « السراء » هى فى الأصل « السواء » بالواو ، محرفة .

(٢) فى اللسان (ندل) : « عند الندول » ، وهى المرأة الوسخة .

(٣) الإجراس : التصويت . وفى ط ، م : « ملا بطنها » وتصحيحه من س .

(٤) ترملت : تلطخت . و « قدام » : اسم كلبة ، وهى فى الأصل « فراح » محرفة وتصحيحها من اللسان (قدم) . والكلام هنا فى تعداد أسماء الكلاب .

(٥) هو أبو محجن كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٥) قاله فى رجل يسمى وثابا ويسمى كلبه عمراً . والشعر سيعيده الجاحظ فى ص ١٩٤ من هذا الجزء . وقد ذكر الراغب الشعر أيضاً فى ٢ : ١٥٣ منسوبا إلى ابن أبى عتيق ، فهما روايتان فى النسبة .

(أحرص الكلاب)

والكلبُ أشدُّ ما يكونُ حِرصاً إذا كان خطْمُه يمَسُّ عجْبَ ذَنب الظَّبى والأرنب والثَّور وغير ذلك ، ممــا هو من صيده . ولذلك قال الشاعر [(١)] :

رُبَّمَــا أغدُو مَعى كلبى طالباً للصَّيدِ فى صحبى [(٢)]
فسمَونا للقَنيص معاً فدفَعناه إلى أظْبِ [(٣)]
فاستــدرَّتْه فدرّ لهــا يَلْطُمُ الرُّفْغين بالتُّربِ [(٤)]
فادَّرَاها وهى لاهيــةٌ فى جميم الحاجِ والغَرْبِ [(٥)]
ففرَى جُمَّاعهنَّ كما قُدَّ مخلولان من عَصْبِ [(٦)]

---

(١) هو أبو نواس . والقصيدة فى ديوانه (ص ٢١٢) .

(٢) فى الأصل : « صحب » ، والأشبه ماأثبت من الديوان .

(٣) السامى : هو الصائد ، أو الصائد الذى يلبس جوربى شعر ، ويعدو خلف الصيد نصف النهار ، ليقيه الجوربان حر الرمضاء ، فذلك معنى « سمونا » . وفى ط : « شمرنا » وفى س ، م : « سمرنا » والوجه ماأثبت من الديوان ، والرواية فيه « فسمونا للحزيز به » . والحزيز : ماغلظ من الأرض . . والأظبى : جمع ظبى .

(٤) « فاستدرته فدر لها » أى استدرت جريه هو بشدة عدوها فهو يتبعها شدا ليلحق بها ، وهو يضرب رفغيه ، أى إبطيه، بالأرض ، يريد كأنه يسبح فى الأرض من شدة عدوه .

(٥) ادراها : ختلها ومكر بها . والجميم : الكثير المتكاثف . والحاج : شجر . انظر اللسان (حيج) وتأويل مختلف الحديث ١٧٣ . والغرب : شجرة حجازية ضخمة شاكة ، قيل : ومنه « لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » وقد جاء البيت مصحفاً كما يأتى — وأثبت صوابه من الديوان — :

فادرا وهى لاهيــة فى حمير الحاج والقرب

(٦) فرى جماعهن : شق جمعهن وفرقه وجعلهن كثوبين يمنيين مشقوقين قطعهما قاطع .

ثم قال[١] :

غـير يَعفورٍ أُهِلّ به جاف دَفَّيهِ عن القَلْبِ[٢]
ضمّ لْحَيَيـهِ بمَـخْطِمِهِ ضَمَّك الـكَسرَيْنِ بالشعْبِ[٣]
وانتحى للباقياتِ كما كَسرَتْ شَغْوَاءُ من لِهْبِ[٤]
فتعايا التَّيسُ حين كباَ ودنا فُوهُ من العَجْبِ[٥]
ظـلّ بالوعساء ينفُضـه آرِماً منـه على الصُّلْبِ[٦]
تلكَ لَذّاتِي وكنتُ فتًى لم أقُلْ من لذّةٍ حسْبِي

(الإهلال والاستهلال)

وأما قوله : « غير يعفور أُهِلَّ به » ، فالإهلال الذى ذكر هو شىءٌ
١٠ يعتريه فى ذلك ، يخرُج من جوفه صوتٌ شبيه بالعُواءِ [الخفيف][٧] ، وهو

---

(١) الشعر متصل فى الديوان ، فالبيت الآتى لايفصل بينه وبين السابق شعر .
(٢) اليعفور : الظبى ، أو ولده . والدفان : الجنبان . وجاف : بلغ بالطعنة الجوف . وفى الديوان : « جاب » ، وهى رواية اللسان (مادة هلل) .
(٣) الشعب : إصلاح المكسور ونحوه .
(٤) الشغواء : العقاب ، وفى الديوان : « فتخاء » وهما بمعنى . وفى ط : « شفواء » وهو تصحيف « شغواء ». وكسرت : ضمت جناحيها للهبوط . واللهب : مهواة مابين كل جبلين .
(٥) التيس : عنى به هنا الذكر من الظباء . وكبا : سقط لوجهه . والعجب : أصل الذنب .
(٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . ينفضه : يحركه ، وفى الديوان « ينغضه » . و « آرما » من أرم عليه : عض . وفى الديوان : « آزما » وهما بمعنى .
(٧) الزيادة من اللسان .

ما بين العُواء والأنين ، وذلك من حاقِّ الحرصِ [1] ، وشدَّة الطلب ، وخَوف الفوات . ويقال : أهلّت السماءُ ، إذا صبَّت ، واستهلت : إذا ارتفع صوت وقْعِها ؛ ومنه الإهلالُ بالحج. وقال ابن أحمر [2] :

يُهِلُّ بالفرقد رُكبانُها كما يُهِلُّ الراكبُ المعتمِرْ [3]

ومنه استهلال الصبي . ولذلك قال الأعرابيُّ : أرأيتَ من لا شربَ ولا أكَلَ [4] ولا صاح واستهل ، أليس ذلك يُطَلّ [5] ؟ !

---

(١) فى الأصل : « من خلق الحرص » ، وما أثبت هو الوجه وهو الأشبه بلغة الجاحظ ، ولهذه العبارة شبيه فى نهاية ص ٥٥ . وحاق الحرص : شدته وقوته . ثم وجدت صاحب اللسان قد نقل تفسير الجاحظ للإهلال من أوله إلى كلمة « الفوات » ولم يصرح بنسبة القول إلى الجاحظ . وفى اللسان : « حاق الحرص » كما أثبت .

(٢) فى اللسان (مادة هلل) : « وقال الراجز » ؟ ! وليس الكلام رجزاً وإنما هو شعر ، فما هنا صوابه ، وقد جاء البيت فى (مادة عمر) منسوبا إلى ابن أحمر .

(٣) قال ابن منظور : « فيه قولان : قال الأصمعى : إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد أهلوا أى رفعوا أصواتهم بالتكبير كما يهل الراكب الذى يريد عمرة الحج ؛ لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد . وقال غيره : يريد أنهم فى مفازة بعيدة من المياه فإذا رأوا فرقداً – وهو ولد البقرة الوحشية – أهلوا أى كبروا لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » اهـ . وانظر اللسان (ركب) . والفرقد فى القول الأول هو الفرقدان : نجمان فى السماء لايغربان ، وقيل كوكبان قريبان من القطب ، وقيل كوكبان فى بنات نعش الصغرى . قال ابن منظور : « وقد قالوا فيهما الفراقد . . . وربما قالت لهما العرب الفرقد » .

(٤) فى الأصل : « من لا أكل ولا شرب » وبذلك يفوت السجع . وكلام الأعرابى هذا سجع ، وقد ذكره الجاحظ فى باب السجع من البيان ١ : ٢٨٧ . والأعرابى قال هذا القول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى فى الجنين إذا سقط ميتا بغرة – الغرة : عبد ، أو أمة – وقد قال له الرسول الكريم بعد أن سمع كلامه : « أسجعا كسجع الجاهلية » .

(٥) فى الأصل : « بطل » . وإنما هو « يطل » أى يذهب دمه هدراً ، كما فى البيان ١ : ٢٨٧ واللسان ونهاية ابن الأثير .

(تخريق الكلب أذنيه)

وإذا ضَبَع الكلبُ ، وهو أن يمدَّ ضَبْعَه كلَّه ، ولايكون كالحمار الضيِّق الإبطيْنِ — والكلبُ فى افتراش ذراعيه وبَسْط رجليه حتَّى يصيب قَصُّه الأرضَ ، أكثر من الفرس — وعند ذلك ما يَنْشِط أذنيه حتَّى يُدمِيَهما . ولذلك قال الحسنُ بن هانئ ، وقد طال سانعتَ بهما[1] :

فانصاعَ كالكوكَب فى انحداره   لَفْتَ المشير مُوهِناً بناره[2]
شَدًّا إذا أَحْصَفَ فى إحضاره[3]   خرّقَ أذنيه شَبَا أظفارِه

وأوّل هذه الأرجوزة :

لما غَدَا الثَّعلبُ من وِجارِه   يَلتَمِس الكَسْب على صغارِه

---

(١) كذا .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . قال الزبيدى فى تاج العروس « والموهن كمحسن » وقد ضبط بفتح الميم ضبطا بالقلم لا بالنص فى نسخ القاموس واللسان وأساس البلاغة . و « بناره » هى فى الأصل : « بشاره » وصوابه فى الديوان ٢١٢ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٣ والصناعتين ٧٩ ، وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ .
ولأبى نواس من طردية أخرى فى صفة حمام يعفور البصرى (الديوان ٢٣٣) :
* أو لفت نار بيد المشير *

(٣) الإحضار : شدة العدو . وأحصف : اشتد وأسرع . وهى فى ط : « أخصف » وهما بمعنى عند الليث ، وأبو منصور الأزهرى يرى « أخصف » بالخاء من تصحيف الليث . وهى بالحاء فى س ، م ، وبالخاء فى نهاية الأرب والديوان . والرواية فيه : « حتى إذا أخضف » .

(معرفة أبى نواس بالكلاب ، وجودة شعره)

وأنا كتبتُ لك رجَزَه فى هذا الباب ، لأنَّه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زماناً ، وعرَفَ منها ما لا تعرفه الأعراب . وذلك موجود فى شعره ، وصفاتُ الكلاب مُستَقصاة فى أراجيزه. هذا مع جودة الطبع وجودة السباك ، والحذق بالصنعة . وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ ، إلاَّ أن تعترِض عليك فيه العصبيّة ، أو ترى أَنّ أهلَ البدْو أبداً أشعرُ ، وأنّ المولَّدين لا يقاربونهم فى شىء . فإن اعتَرض هذا البابُ عليك فإنّك لا تُبصِر الحقَّ من الباطل ، ما دمتَ مغلوباً .

(طرديَّة لأبى نواس)

قال الحسن بن هانئ :

لما غدا الثعلبُ من وِجارِه ... يلتَمِس الكسبَ على صغاره

عارضَهُ فى سَنَن امتياره[1] ... مضمَّرٌ يَمُوجُ فى صِداره[2]

---

(١) امتياره : طلبه للميرة ، أى الطعام . والسنن بالتحريك : الطريق. وفى ط : « شتن » وفى س : « ستن » .

(٢) فى الأصل : « سداره » وإنما هى « صداره » ، ويعنى بالصدار هنا : جلده الواسع . وسعة الجلد محمودة فى الكلاب كما فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . ورواية « شواره » كما فى الديوان ، صحيحة جيدة . والشوار : اللباس ، عنى به أيضاً الجلد . و « يموج » هى فى الأصل : « يملح » وفى الديوان : « يمرح » . وقال أبو نواس فى طردية أخرى (الديوان ٢١٧) :

* بأغضف يموج فى شواره *

فى حَلَقِ الصُّفْر وفى أسيارِه　　منضمَّةٌ قُصْرَاهُ من إضماره[١]

١١　قد نَحَتَ التسهيمُ من أقطاره[٢]　　من بعد ما كان إلى أَصْبَاره[٣]

غَضًّا غذَتهُ الخُورُ من عِشارَه[٤]　　أيَّام لا يُحجَب عن أظآره

وهو طَلاً لم يَدْنُ من إشغاره[٥]　　فى مَنْزِلٍ يُحجَبُ عن زُوَّاره

يُساسُ فيـه طَرَفَىْ نهارِه　　حتَّى إذا أحْمَدَ فى اختِبَاره[٦]

وآضَ مثل القُلْب من نُضاره[٧]　　كأنَّ خلفَ ملتقى أشْفارِه[٨]

جَمْـرَ غضًى يدمِنُ فى استعاره　　كأنَّ لحَيَيه لدى افتراره

---

(١) القصرى : أسفل الأضلاع ، كما القصيرى أعلى الأضلاع .

(٢) التسهيم : الضمور . وفى الديوان : « التلويح »، وهما بمعنى . وأقطاره : نواحيه.

(٣) كان إلى أصباره : كان ممتلئا بدينا . هو من قولهم : ملأ الكأس إلى أصبارها : أى رأسها .

(٤) الخور : النوق الغزيرات اللبن ، مفردها خوارة . وهذا المثبت هو رواية الديوان وفى ط ، م :

* نحتا كسته الحور من عشاره *

وفى س : نحتا كسنه . . . الخ .

و « غذته » هى فى الديوان « كسته » والصواب ما أثبت . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى من طردية أخرى :

* غذته أظآر من اللقاح *

(٥) طلا : صغير . وفى الأصل « طلى » وهو خطأ كتابى إذ الكلمة واوية . والإشغار فسره الجاحظ فى ص ٣٢ . وفى الأصل : « أشفاره » وفى الديوان : « شفاره » وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أحمد : استحق الحمد . و « اختباره » هى فى الأصل « اختياره » ، وفى الديوان : « ابتياره » . والابتيار والاختبار بمعنى . وأما الاختيار فلا وجه له .

(٧) القلب بالضم : السوار . والنضار : الذهب . فى س : « فى نضاره » .

(٨) الأشفار : حافات الجفون . وفى الأصل : « أشعاره » وهى على الصواب الذى أثبت فى الديوان . وفى ط : « خلق » موضع : « خلف » وتصحيحه من س ، م والديوان . وقد شبه عينى الكلب فى البيت التالى بجمر الغضى حمرة وبصيصاً .

شَكَّ مَساميرَ على طَواره[1] يضمُّ قُطرَيه من اضطباره[2]

وإن تمطّى تمّ فى أشباره[3] عَشْرٌ إذا قَدَّر فى اقتداره[4]

سِمْعٌ إذا استَرْوَحَ لم تُماره[5] إلا بأن يُطْلَقَ من عِذاره

فانصاعَ كالكوكب فى انحداره لَفْتَ المُشيرِ مُوهِناً بناره[6]

شَدًّا إذا أحْصَفَ فى إحضاره[7] خرَّق أذنيـه شبا أظفاره[8]

حتّى إذا ما انسابَ فى غُباره[9] عافَرَهُ أَخْرَقُ فى عِفاره[10]

---

(١) الشك بمعنى النظم . وفى الأصل : « سلك » ، وتصحيحه من الديوان ونهاية الأرب (٩ : ٢٦٢) . وطواره : أراد بها حده .

(٢) اضطباره : من الضبر ، وهو أن يجمع قوائمه ويثبت . والكلمة بهذا الرسم فى م فقط ، وفى الديوان : « انضباره » . وفى س ، ط : « اضطراره » . وهذا تحريف . وفى الوساطة ٣٠٠ : « انضباره » . وقطريه : طرفيه . ويرى صاحب الوساطة أن المتنبى أخذ هذا المعنى فقال :

يكاد فى العدو من التفتل يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل

(٣) م : « نم فى أشياره » .

(٤) كذا فى الديوان ، وفى الأصل :

عشرا إذا أقدر فى اقتداره

يقول : إذا تمطى تم له من الطول عشر أشبار ، وذلك إذا ضيق فى قدرته على التمطى ، فما بالك به إذا ترك لنفسه العنان فى ذلك ؟ !

(٥) السمع : ولد الذئب من الضبع . والاسترواح : أن يتشمم الهواء بحثاً عن الفريسة . والماراة : التكذيب . يقول : هو كالذئب فى قوة شمه — زعموا أنه يدرك المشموم من فرسخ — وأنه فى ذلك صادق لا تخطىء فراسته .

(٦) فى الأصل : « بثاره » ، قد تقدم التنبيه على تصحيحه ص ٢٧ .

(٧) سبق شرح هذا البيت وتصحيحه ص ٢٧ .

(٨) فى الأصل : « عينيه » وهو تحريف . وقد سبق البيت صحيحاً ص ٢٧ .

(٩) فى الديوان : « انشام » ، بمعنى دخل .

(١٠) عافره : غالبه ليجعله فى العفر أى التراب ، وما أثبت هو رواية الديوان . وفى التيمورية : « عافره أخرق فى غضاره » . وفى ط ، س ، م : « عافره ما خرق فى عفاره » .

فَتَلتَلَ المفْصِلَ من فَقَارِه[١] وشقَّ عنه جانِبَيْ صِدارِه

* ما خِيرَ للثَّعلب فى ابتـكاره[٢] *

(طرديَّة ثانية لأبى نواس)

وقال فى كلب سُليمان بن داودَ الهاشمىّ ـ وكان الكلبُ يسمى زُنبوراً :ـ

إذا الشياطِينُ رأتْ زُنبورَا قدْ قُلِّدَ الحلْقَةَ والسُّيورا

دَعَتْ بِخزَّانِ الفلا ثُبُورا[٣] أدَفَى ترى فى شِدقِه تأخيرا[٤]

تَرَى إذا عارضْتَه مفرورا[٥] خَناجِراً قد نبتتْ سُطورا[٦]

---

(١) تلتل هنا : فى معنى شد ونزع .

(٢) يقول : لم يوفق الثعلب فى خروجه مبكراً، لأنه سيكون غنيمة لهذا الـكلب .

(٣) الثبور : الهلاك ، ودعا الثبور قال : واثبوراه ! . وهذه العبارة قرآنية قال تعالى : « لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيرا » . . والخزان جمع خزز بضم ففتح ، وهو الذكر من الأرانب . و « الفلا »: جمع فلاة . وهى فى ط :« الغلا » وصـــوابها فى س ، م والتيمورية والديوان . و « دعت » هى فى جميع الأصول « بكت » وأثبت رواية الديوان الصحيحة ، وإنما تدعو الشياطين الثبور لفقد الأرانب التى صرعها الـكلب شماتة بها . وذلك أن الأرانب فيما تزعم الأعراب – ليست من مطايا الجن ، وأن الجن تهرب منها (الحيوان ٦ : ٤٦ ، ٢٣٨) والدميرى (١ : ٣٠) .

(٤) الأدفى : الذى أقبلت إحدى أذنيه على الأخرى حتى تـكاد أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجبهة . أو الأدفى الذى يمشى إلى جانب، وذلك أسرع له . وفى الأصل. « أدمى » وأثبت ما بالديوان . و « فى شدقيه تأخيرا » يقول هو واسع الفم .

(٥) مفرورا : من فر الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وفى ط : « مضروراً » وفى الديوان « مغروراً » وهما تحريف ما أثبت من س ، م .

(٦) إنما اختار « نبتت » ليدل على أصالتها وشدة تمـــكنها ، وأما « ثبتت » بأى وضع من أوضاعها كان، فلا تنال قوة « نبتت » .

مُشتبكاتٍ تَنْظِمُ السُّحُورا[١] أُحْسِنَ فى تأديبــه صغيرا

حتَّى توَفَّى السَّبْعةَ الشهورا[٢] من سِنِّهِ وبَلَغَ الشُّغُورا[٣]

وعَرَف الإيحاءَ والصَّفـــيرا والــكفَّ أنْ تومئَ أو تُشيرا

يُعطيك أقصى حُضْرِه المذْخورا[٤] شَدًّا تَرَى من هَمْزِهِ الأُظفُورا[٥]

مُنْتَشِطا من أُذنه سيُورَا[٦] فما يزالُ والغًا تامــورا[٧] ١٢

مِن ثعلب غادَرَه مجزُورا أو أَرنب كوَّرَها تـكويرا[٨]

أو ظبيةٍ تقرو رَشاً غريرا[٩] غادَرَها دون الطَّلاَ عَقيرا[١٠]

فأمتَعَ اللهُ به الأميرَا رَبِّى ، ولا زالَ به مسرورا[١١]

وقد قال كما ترى :

شدًّا ترى من هَمْزه الأظفورا مُنتشِطاً من أُذنه سيُورا

---

(١) السحور : جمع سحر بالفتح أو التحريك أو الضم ، وهو الرئة ، وأراد سحور الصيد .
(٢) توفى الأشهر : أكملها وأتمها .
(٣) كذا فى الديوان ، وفى الأصل : « من سنة » . و « الشغور » سيفسره الجاحظ قريبا .
(٤) الحضر بالضم : شدة الجرى ، وفى ط : « حصره » محرفة ، و « المذخورا » هى فى الديوان : « الموفورا » . ومثله قول ذى الرمة فى ديوانه ٣٣ وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى بينها الأهب

(٥) الهمز : الضغط والغمز .
(٦) يقول : هو ينتزع بأظفاره سيورا من أذنه .
(٧) والغا تامورا : شاربا للدم بطرف لسانه . وفى ط : « والفا » وهو على الصواب فى س ، م والديوان .
(٨) كورها : صرعها . وفى الديوان : « وجورها » ، وهما بمعنى واحد وزنة واحدة .
(٩) تقروه : تقصد إليه . وفى ط : « تغرو » وهو تصحيف ما فى س ، م . والرشأ الغرير : الظبى الصغير .
(١٠) الطلا : ولد الظبية . عقيراً : صريعاً . وفى الديوان : « عفيراً » .
(١١) فى الديوان : « ولايزال فرحا مسروراً » .

بإثر قوله[١] :

حتَّى توفَّى السبعةَ الشهورا[٢]   من سِنِّهِ وبلغ الشغورا[٣]

فإنّ الكلب إذا شَغَر برجله وبالَ ، فذلك دليلٌ على تمام بلوغه للإلقاح ، وهو من الحيوان الذى لايحتلم[٤] .

(أمارات البلوغ فى الغلمان والجوارى)

وأما احتلام الغلام فيعرف بأمور : منها انفراقُ طَرَف الأرنبة ، ومنها تغيُّر ريح إبطيه ، ومنها الأنياب[٥] ، ومنها غلظ الصوت .

ومن الغلمان من لا يحتلم ، وفى الجوارى جَوارٍ لا يَحِضْن ، وذلك فى النساء عيب ، وليس مثله من الرجال عيبا . وقد رأيت رجالاً يوصَفون بالقوّة على النساء ، وبعضهم لم يحتلم إلاَّ مرةً أو مرتين ، وبعضهم لم يحتلمْ ألبتّة .

(طردية ثالثة لأبى نواس)

وقد قال الحسنَ بنُ هانئٍ مثلَ ذلك ، فى أرجوزة أخرى :

يَمْـرِى إذا كان الجرَاءُ عَبْطا[٦]   براثِنا سُحْمَ الأثافى مُلْطَا[٧]

---

(١) فى الأصل : « يأبى قوله » .
(٢) فى الأصل : « حتى يوفى » .
(٣) فى الأصل : « من سنة ».وقد سبق التنبيه عليه ص ٣١ .
(٤) فى الأصل : « لم » .
(٥) كذا .
(٦) مرى الشيء : استخرجه وأظهره ، وفى الديوان : « يفرى » . والجراء مصدر كالجرى . وهذه رواية الديوان . وفى الأصل : « الجزاء » . والعبط : أن يجرى الرجل الدابة حتى تعرق .
(٧) الأثافى : عنى بها الهنات الناتئة فى كف الكلب . والسحم : السود ، جمع أسحم . والملط : الخالية من الشعر ، جمع أملط .

* يَنْشِط أُذنيه بهنّ نَشْطا *

وهذه الأرجوزة أوّلها :

عَدّدْت كلبًا للطَّرادِ سَلْطَا(١)	مقلَّداً قلائداً ومَقْطا(٢)
فهو الجميلُ والحسيب رهْطاَ(٣)	ترى له شِدقين خُطّا خَطّا(٤)
يَمرى إذا كان الجِرَاء عَبْطا(٥)	براثناً سُحْمَ الأثافِي مُلْطَا
ينشِط أُذْنَيه بهنّ نشطًا	تخالُ ما دَمِينَ منها شرطاَ(٦)
ما إنْ يقَعنَ الأرض إلا فَرْطا(٧)	كأنّما يُعجلِنَ شيئاً لقْطاَ
أعجَلَ من قولِ قَطاةٍ قَطًّا(٨)	فاجتاحَ خِزّانَ الصحارى الرُّقْطاَ(٩)

(١) عددته ، بالتشديد : جعلته عدة . وفى الديوان : « أعددت » ، بمعنى هيأت . والسلط : الشديد .

(٢) المقط : الحبل .

(٣) عنى بالرهط هنا العشيرة . وفى الديوان : « فهو النجيب » الخ .

(٤) فى الديوان : « ترى له خطين خطا خطا » .

(٥) سبق القول فيه ص ٣٢ ، وكذلك فى البيتين التاليين .

(٦) رواية الديوان : « تخال مأزمين منه شرطاً » ، وما هنا صـوابه . ودمى : ظهر منه الدم .

(٧) إلا فرطاً : إلا فى النادر ، فهو كأنه سابح فى الهواء . وقد أخذ المعنى من قول أبى النجم :

* فما يمس الأرض منه حافره *

(٨) « قطا » هى حكاية صوت القطاة . وفى الموشح ٢٧٣ : « أخذ على بن المبارك على أبى نواس فى شعره حرفين : قوله :

* أسرع من قول قطـاة قطا *

كان ينبغى أن يقول : « قطا » بالتخفيف . وقوله :

كمن الشنآن فيه لنـا ككمون النار فى حجره

وإنما كان ينبغى أن يقول : فى حجرها اهـ . وفى الأصل : « من قول قطاء » وليس بشىء .

(٩) اجتاحها : أهلكها واستأصلها . وفى الأصل : « احتاج » وليس يتجه . وفى الديوان : « يكتال » . والخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرانب . والرقط : جمع أرقط ، وهو الأسود يخالط لونه نقط بيض .

يَلْقَين مِنه حَـكماً مشْتَطًّا[١] للعظْم حطاً والأَدِيم عَطّا[٢]»

(شعر فى نعت سرعة القوائم)

١٣ والشعراء إذا أرادوا سرعةَ القوائم قالوا كما قال[٣] :

يخفِى التُّرابَ بأظْلاف ثمانية ومَسُّهن إذا أقْبَلن تَحَلِيلُ[٤]

وقال الآخر[٥] :

---

(١) مشتطا : جائراً . وفى الديوان : « يلقين منه حاكما »، والحـكم والحاكم بمعنى .

(٢) الأديم : الجلـد . والعط : الشق بلا بينونة . وفى الديوان : « عبطا » موضع « عطا »، وهما سيان .

(٣) القائـل هو عبـدة بن الطبيب يذكر ثوراً يحفر كناسا ويستخرج ترابه فيظهـره (المفضليات ١٤٠ والأضداد ٨٠ والصناعتين ٧٨ ونوادر أبى زيد ٩) .

(٤) يخفى : حرف من الأضداد يكون بمعنى الستر والتغطية ، ويكون بمعى الإظهار ، والإبداء كما فى هذا البيت ، وكما فى قول امرئ القيس بن عابس الـكندى :

فإن تـكتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

وأخفى الشيء يخفيه هو كذلك حرف من الأضـداد . وقرئ قوله تعـالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بفتح الهمزة وضمها ، مع تأويل الفعل فى كل من القراءتين بمعنى الإظهار مرة ، وبمعنى الإخفاء أخرى . والتحليل من تحلة اليمين أى الاستثناء فى الحلف ، وهى أن يقول الحـالف إثر حلفه : إن شاء الله . قال العسكرى : يقول إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف بالتحلة يمينة من غير تراخ . وقال ابن منظور فى شرح هذا البيت : إن « تحليل » بمعنى قليل هين يسير . . والرواية المشهورة فى عجز البيت :

* فى أربع مسهن الأرض تحليل *

يريد بثمانية أظلاف فى أربع قوائم .

(٥) هو خلف الأحمر كما فى الصناعتين ٧٩ ، وديوان المعانى ٢ : ١٣٤ . والبيت الآتى فى وصف ثور .

وكأنَّما جَهَدَتْ أليَّتُهُ أن لاتَمَسَّ الأرضَ أربَعُهُ(١)

فأفرط المولَّدون(٢) فى صفة السرعة — وليس ذلك بأجود — فقال شاعرٌ منهم يصف كَلْبَةً بسرعة العَدْو :

* كأنَّما تَرفَعُ مَا لم يُوضَعِ(٣) *

وقال الحسن [بن هانئ(٤)] :

* ما إنْ يقَعْنَ الأرض إلاّ فرْطا *

(طردية رابعة لأبى نواس)

وقال الحسن بن هانئ فى نعت كلب(٥) :

أنعَتُ كلباً أهلُه فى كَدِّه(٦) قد سَعِدتْ جدودُهم بِجَدِّه(٧)

---

(١) جهد ، من باب قطع : جد وبالغ . والألية : اليمين والقسم . و « أربعه » أى قوائمه الأربع . وهى فى الأصل : « أربعة » ، وهو تحريف . وقبل البيت :

كالكوكب الدرى منصلتا شدا يفوت الطرف أسرعه

(٢) فى ط : « الولد » ، وصوابه فى س ، م .

(٣) هذا مافى مب . وفى سائر النسخ : «يرفع مالايضع » ، تحريف . و الرواية فى الصناعتين ٧٩ وكذا فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٥ .

* كأنما يرفعن ما لم يوضع *

وقد جعله الراغب فى نعوت الخيل لاالكلاب .

(٤) التكملة من مب .

(٥) فى نعت كلب ، ساقط من مب .

(٦) « فى كده » : من كده . وفى ط : « فى وده » ، وصوابه فى س ، م ، مب . وفى الديوان : « من كده » ورواية الدميرى ٢ : ٤٠٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٦ « فى كده » .

(٧) الجدود : جمع جد ، بفتح الجيم ، وهو الحظ والرزق ، والجد بالكسر : الاجتهاد .

فـكلُّ خيرٍ عندهمْ من عِنده　　يظـلُّ مولاه له كعَبْدِه

يبيتُ أدنَى صاحب من مَهْدِه[١]　　وإن عرَى جلَّله ببُرْدِه[٢]

ذو غُـرَّةٍ محجّلٌ بزَنْدِه[٣]　　تَلَذُّ منه العَيْنُ حُسنَ قدِّه[٤]

ياحُسْنَ شِدقيه وطولَ خدِّه　　تَلقَى الظِّباءُ عنتاً من طَرْده[٥]

يشربُ كأساً شدُّها فى شدّه　　يالَكَ مِنْ كلب نسيجِ وَحْدِه[٦]

(طردية خامسة لأبى نواس)

وقال فى صفاتها [وأسمائها][٧] وسِماتها، وأنسابها، وألقابها ، وتفدية[٨] أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك — :

قد أغْتدِى والطَّيرُ فى مَثْواتِها[٩]　　لم تُعْرِب الأفواهُ عن لُغاتِها[١٠]

---

(١) يقول : يبيت صاحبه شديد الدنو من موضع نومه .

(٢) جلله : غطاه . وفى « عرى » ضرورة تسكين الياء ، أو هو بفتح الراء على لغة طيىء فى فتح عين الفعل المعتل اللام . وهى رواية الديوان . وفى مب : « عدا » وفى سائر النسخ : « غدا » . وقد جاء مثل هذا المعنى فى طردية أخرى لأبى نواس ، يقول فيها (الديوان ٢١٧) :

* وإن عرى جلل فى ردائه *

(٣) مب : « ذا غرة محجلا » .

(٤) ماعدا مب : « يلذ » .

(٥) عنتا : شدة وهلاكا . وفى الديوان : « عبثا » . والطرد : الصيد والقنص .

(٦) نسيج وحده ، يضرب مثلا لـكل من بولغ فى مدحه ، كقولك لا نظير له ، قال ابن منظور مبينا أصل المثل : « ومعناه أن الثوب إذا كان كريما لم ينسج على منواله غيره لدقته ، وإذا لم يكن نفيسا دقيقا عمل على منواله سدى عدة أثواب » .

(٧) التكملة من مب .

(٨) ط : « تغذية » والصواب فى س ، م ، ومب .

(٩) أراد بالمثواة الموضع التى تسكن فيه وتقيم .

(١٠) يقول : هى نائمة فلا يبين صوت أحدها .

بأكلب تمرحُ فى قِدّاتِها[١] تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أَقواتِها[٢]

قد نَحَتَ التقريح وارِياتِها[٣] من شِدَّة التسهيم واقتياتِها[٤]

وأشفَقَ القانصُ من حُفاتِها[٥] وقلتُ قد أحكمتَهَا فهاتِها

وأدْنِ للصَّيدِ مُعَلَّمَاتِهَا وارفعْ لنا نسبةَ أمَّهاتِها[٦]

فجاء يُزجِيها على شِياتِها[٧] شُمَّ العَراقِيبِ مؤنَّفاتِها[٨]

غُرَّ الوجـــوه ومحجَّلاتِها مُشرِفَةَ الأكنافِ مُوفِياتِها[٩]

---

(١) القدة ، بكسر الأول وتشديد الثانى : سير يقد من جلد غير مدبوغ ، جمعه قدات . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى الأصل فهى فى ط : « فراتها » وفى س : « قراتها » وفى م : « قذاتها » . والصواب فى مب والديوان .

(٢) العين : جمع أعين ، وهو الواسع العين . وعنى به هنا البقر . وفى الموشح ٢٨٢ كلام فى هذا البيت .

(٣) التقريح : أثر انهماكها فى الصيد . والواريات : السمينات . ورواية الديوان :

قد لوح التقديح وارياتها

(٤) التسهيم : الضمور . و « اقتياتها » طلبها القوت . ورواية الديوان :

من شدة التلويح و « افتياتها »

(٥) الحافى : الذى رق قدمه من كثرة السير والعدو . جمعه حفاة . وفى الديوان : « من حقاتها »، وهو تصحيف . وهذا البيت فى الديوان متقدم على سابقه .

(٦) يقول : اذكر لنا نسبها .

(٧) كذا فى مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « فجاء يزجيها » بمعنى « يسوقها » . وفى سائر النسخ : « يزهيها » . والشيات : جمع شية ، وهى الأثر والعلامة .

(٨) العرقوب من الدابة فى رجلهـــا بمنزلة الركبة فى يدها . شم : مرتفعات . والمؤنف : المحدد أو المسوى . وهذه رواية مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . وفى سائر النسخ : « موثقاتها» .

(٩) مشرفة الأكناف : عالية النواحى . و « مشرفة »رواية مب ، والديوان وديوان المعانى . وفى سائر النسخ : « مشرقة » تحريف . وفى الديوان وديوان المعانى : « الأكتاف » تحريف . والموفيات : المشرفات .

قُود الخراطيمِ مُخْرَطَماتِها[١] سوداً وصُفْراً وخَلَنْجيَّاتِها[٢]

مُسَمَّياتٍ ومُلَقَّباتِها[٣] حُمْرًا وبِيضاً ومطوَّقاتها

١٤ مختَبَراتٍ من سَلُوقيَّاتِها كأنَّ أقماراً على لَبَّاتِها[٤]

تَرَى على أفخاذِها سِمَاتِها مُفَـدَّياتٍ ومُحمَّيَاتِها[٥]

مفروشة الأيدِى شَرَنْبَثَاتِها[٦] شُمَّ العَرَاقِيب مؤلفاتها[٧]

حِيدَ الأظافيرِ مُكَعْبَرَاتِها[٨] زُلَّ المآخير عَمَلَّساتِها[٩]

* تَسْمَعُ فى الآثارِ مِنْ وَحَاتِها[١٠] *

---

(١) قود : جمع أقود : أى طويل . هى فى ط ، م : « فوذ » محرفة ، وعلى الصواب فى س ومب والديوان . والمخرطم ، قال أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : خرطوم مخرطم مثل ليل أليل اهـ . يعنى الشدة . وانظر نظائر (ليل أليل) فى فقه اللغة ٢٥٦ . والأشطار بعده إلى « مكعبراتها » ساقط من مب .

(٢) الخلنجى : أصفر خفيف تعلوه غبرة . مبادئ اللغة ١٤٢ .

(٣) فى ط ، س والديوان : « مقلباتها » ، وفى م : « ملقياتها » ؛ والصواب من مب . وانظر مثل هذا البيت فى ص ٢٠٢ .

(٤) وصفها ببياض النحور .

(٥) المفدى : الذى يفديه صاحبه . وفى الديوان : « منديات » ، وهو تحريف . والمحميات من الحماية والحفظ .

(٦) مفروشة الأيدى : مبسوطتها . والشرنبث : الغليظ .

(٧) هذا البيت مكرر معاد ، وفيه تحريف . وانظر الحاشية رقم ٨ من ص ٣٧ .

(٨) الأحيد : المائل أو المقوس ، جمعه « حيد » . وفى الأصل : «حده» ، والصواب ما أثبت. والبيت ليس فى ديوان أبي نواس . والمكعبرات : الشديدة .

(٩) المآخير : جمع مؤخر ، وهى فى الأصل : « المواخير » ولا وجه له ، والصواب فى الديوان وديوان المعانى . وزل : جمع أزل ، بمعنى الخفيف اللحم . وفى الديوان : « ذل » وماهنا صوابه . العملس : القوى السريع . وقد وقع بعد هذا البيت فى الأصل هذا البيت الآتى ، ولأنه مكرر حذفته . وهو :

* تعد عين الوحش من أقواتها *

(١٠) يقول : إن صوتها يسمع بعد مرورها وجريها كما يسمع وقت جريها ، وذلك لظهوره . والوحاة : الصوت ، مثل الوحى بإسكان الحاء ، والوحى بالقصر . وفى الأصل : « راحاتها » ، وأثبت رواية الديوان .

مِنْ نَهَمِ الحرص ومن خَوَاتِها[١] لتَفْثَأ الأرنبَ عَنْ حياتِها[٢]
إنَّ حياةَ الكلبِ فى وفاتها حتَّى تَرَى القِدرَ على مَثْفَاتِها[٣]
كثيرةَ الضِّيفانِ من عُفَاتِها[٤] تقذِفُ جَالَاها بجَوْزَىْ شاتِها[٥]

فقد قال كما ترى :

تسمعُ فى الآثار مِنْ وَحَاتِها[٦] من نَهَم الحِرص ومن خَوَاتِها[٧]

وهذا هو معناها الأوّل . وأما قوله :

* تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أقواتِها *

فعلى قول أبى النَّجم :

* تَعُدُّ عاناتِ اللِّوى من مَالِها[٨] *

وزعموا أنَّ قوله :

[كطلعة الأشمط من جلبابه

---

(١) هذا مافى مب والديوان . وفى سائر النسخ : « من نهم الصيد » . والخوات ، بالفتح : الدوى والصوت .

(٢) الأرنب : اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وقد عنى به هنا الأنثى . والجاحظ يرى أن « أرنب » لاتطلق إلا على الأنثى ، كما أن « العقاب » لايكون إلا للأنثى (الدميرى ٢ : ٣٠) . وتفثأ الأرنب عن حياتها : تكفها وتمنعها ، أى تقتلها . وفى الأصل : « تقشأ » ، وصوابه فى الديوان ، وديوان المعانى .

(٣) عنى بالمثفاة موضع الأثافى ، وهى الحجارة تنصب عليها القدر . وفى الديوان : « على شفاتها» محرفة .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الضيف وطالب الرزق .

(٥) الجال : الجانب . والجوز : وسط الشىء أو معظمه . وقد نطق بالمثنى وأراد الجمع عنى أجوازها. انظر همع الهوامع ١ : ٥٠. وفى الديوان : « بجوز شاتها » ، على الإفراد .

(٦) سبق الكلام فى هذا الشطر قريبا ، وكذلك فيما بعده .

(٧) ماعدا مب : « نهم الصيد » .

(٨) العانات : جماعات حمر الوحش ، وقد ذكر البيت السابق أبو عبيد الله المرزبانى فى الموشح ٢٨٢ وقال : أخذه من قول أبى النجم . ولم يذكر بيت أبى النجم ، فلعل ماهنا ساد لسقط هناك .

هو قول الأول[1]] :

* كطَلْعَةِ الأشمَطِ من كسائه *

وهو كما قال الآخر :

* كطَلْعة الأشمَطِ من بُرْد سَمَلْ[2] *

(طردية سادسة لأبى نواس)

وقال الحسن بن هانئ :

لَمَّا تَبدَّى الصُّبحُ من حِجابِه كطَلْعَةِ الأَشمَطِ من جلبابه

وانعدلَ اللَّيلُ إلى مآبِه هِجْناَ بكلبٍ طالما هِجْنا به[3]

خَرّطَهُ القانِصُ واغْتدَى به[4] يَعزُّه طوراً على استصعابه[5]

[وتارةً ينصَبُّ لانصبابِه][6] فانصاع للصَّوتِ الذى يعنى به[7]

كلَمَعَان البرقِ من سحابه

---

(١) التكملة من مب ، ونحوها فى الموشح ٢٨٢ وما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ٧٤ مع التصريح بأن الشطر التالى لأبى النجم .

(٢) السمل : الخلق البالى .

(٣) فى الأصل : « هجناه كلب » ، وله وجه لو كان فى سوى هذا الشعر . وأثبت رواية مب والديوان والراغب الأصفهانى فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٢ . ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٧) وهو :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

(٤) خرطه : أرسله ، ولم يرو هذا البيت وكذا السبعة التالية حمزة بن الحسن الأصبهانى جامع ديوان أبى نواس .

(٥) عزه يعزه : غلبه . واستصعب : صار صعب المقادة .

(٦) ينصب : ينحدر ، يقول : هو حينا يغلب كلبه ويستطيع قوده إلى حيث يريد ، وحينا يهزمه الكلب ويجذبه إلى حيث يريده هو . وقد زدت هذا البيت من الحيوان ص ٦٦ ليكمل المعنى .

(٧) ماعدا مب : « عنى به » .

كأنَّ عينيه لدى ارتيابِه فَصًّا عَقيقٍ قد تقابَلَا به
حتَّى إذا عفَّرَه هاَها به[١] بأَباَ به يابعـــد ما بأَباَ بِه[٢]
يَنْتَسِفُ الْمِقْوَد من جِذابه[٣] مِنْ مَرَحٍ يَغْلُو إذا اغلَوْلَى به[٤]
ومَيْعَةٍ تُعرَف من شَبابِه[٥] كأنَّ متْنَيهِ لدى انسلابِه[٦]
مَتْنَا شُجاعٍ لَجَّ فى انسيابِه[٧] كأنَّما الأُظفور فى قِنابه[٨] ١٥

---

(١) عفره : جذبه ، وهاها به : مخفف هأهأ به : زجره .

(٢) بأبأ به : فداه تفدية وقال : بأبى أنت . وهذا الشطر والشطر قبله ساقط من مب .

(٣) ينتسف : ينتزع . وفى س : « ينتفس » وفى ط : « ينتسس » ، وفى المحاضرات : « ينشف » ، وأثبت مافى م والديوان ، وهو صواب هذه المحرفات . و « من جذابه » : بسبب مجاذبته ، فالباء سببية . وهذه هى رواية الديوان والنويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢٦٢)) ومحاضرات الراغب . وفى س : « جزابه » ، وفى ط : « جرابه » ، وفى م : « جدابه » » وكل ذلك تحريف ما أثبت من مب .

(٤) يغلو المرح : يزداد ويرتفع ، ومنه قول ذى الرمة :

فما زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد مانزيدها

وفى جمهور النسخ : « يعلو » وهما بمعنى ، وأثبت رواية مب والديوان ، لتساوقها مع بقية البيت . واغلولى : ارتفع . ماعدا مب : « غلا به » ، من غلا بالسهم يغلو ، إذا رفع يده به يريد به أقصى الغاية . والضمير فى « غلا » عائد إلى القانص . وأثبت رواية مب والديوان .

(٥) ميعة الشباب : أوله .

(٦) متنا الظهر : مكتنفا الصلب ، س : « انسرابه » . وفى ط : و م : « اسرابه » وفى المحاضرات : « أسلابه » ، وهذه تحريف ما أثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب. وانسلابه ، بمعنى إسراعه فى السير .

(٧) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات ، وقد شبه أحمد بن زياد بن أبى كريمة متون الكلاب بالخيزران فقال (الحيوان ٢ : ٣٧١) :

كأن غصون الخيزران متونها إذا هى جالت فى طراد الثعالب

(٨) القناب : غطاء الظفر . وفى الأصل : « قرابه » والوجه ماأثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب ومحاضرات الراغب والموشح ٢٧٣ وديوان المعانى (٢ : ١٣٣) .

مُوسى صناعٍ رُدَّ فى نِصابِه (١) يثْرُدُ وَجْهَ الأرض فى ذَهابه (٢)
كَأَنَّ نَسْراً ماتوَكَّلْنا بِه (٣) يَعفُو على ما جرَّ من ثيابه
إلَّا الذى أَثَّرَ من هُدَّابِه (٤) تَرَىسَوَام الْوَحْشِ يُحْتَوَى بِه (٥)
* يَرُحْنَ أَسْرَى ظُفْرِهِ ونَابِه (٦) *

---

(١) قال المظفر بن يحيى : غلط أبو نواس فى قوله يصف الكلب :
* كأنمـا الأظفور فى قنابه *
* موسى صناع رد فى نصابه *
لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذى ينستر إذا أرادا حتى لايتبينا ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حجنا محددة يفترسان بها . والكلب مبسوط اليد أبداً غير منقبض . انظر الموشح .

(٢) يثرد وجه الأرض : يشقه ويمزقه ، وهى فى جمهور النسخ : « يثرط » وفى مبوالديوان : « يترك » . وفى الديوان : « إلهابه » موضع « ذهابه » والإلهاب : شدة العدو . . ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٨) :
* يقشر جلد الأرض من بلاطه *
والبلاط بالكسر : الفرار أو الاجتهاد فى السباحة .

(٣) يقول : كأن هذا الكلب الذى اعتمدنا عليه فى صيدنا نسر من النسور . والنسر أشد الطيور طيرانا وأقواها جناحا . وفى الأصل : «كأن نسرانا» وفى مب ، والديوان : « نشوانا » ، والأول تحريف ، والثانى لايصح إلا بتكلف شديد ، تكلفه شارح ديوان أبى نواس . وأبو نواس يشبه الكلب كذلك بالصقر ، قال :
* ومر كالصقر على الصيد اشتمل *
وقال :
* كالصقر ينقض على غطاطه *

(٤) يقول : هو يعفو أثر سيره بجسمه على الأرض فلا يبقى إلا أثر يسير كأثر هداب الثوب ، فإن الهواء المندفع خلفه يسوى الأرض التى مزقها ولا يعجز إلا عن القليل . و « أثر » هو مافى مب، م ، وفى ط : « أشر » وهو تصحيف ، وفى س والديوان : « آثر » ، ولم أجد له وجها .

(٥) سوامُ الوحش : مايرعى فى الفلوات . وتحتوى به : تجمـع وتحرز . وما أثبت هو رواية الديوان . وفى الأصل : « يرى سوام الوحش . . » الخ . ورواية النويرى فى نهاية الأرب :
* ترى سوام الوحش إذ تحوى به *

(٦) هذا الشطر ليس فى الديوان ، وهو والذى قبله ساقطان من مب . وهو فى الأصل محرف هكذا :
* وعين أسد ظفره ونابه *
والصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(صفة أبي نواس لثعلبٍ أفلت منه مراراً)

وقال فى ثعلب [كان قد[١]] أَفْلَتَ منهُ مِرَارًا :

قد طالَمَا أفلتَّ يا ثعالا[٢] وطالمـا وطالمـا وطالا

جُلتَ بكلبي يومَكَ الأجوالا[٣] ما طَلْتَ مَنْ لَا يسأمُ المِطالا[٤]

[حتَّى إذا اليومُ حَدَا الآصالا[٥] أتاكَ حَيْنٌ يقدمُ الآجَالا[٦]]

(طردية سابعة لأبي نواس)

وقال أبو نواسٍ أيضاً :

ياربَّ بيتٍ بفضاءٍ سَبْسَبِ[٧] بَعيدِ بَيْنَ السَّمْكِ والمطنَّبِ[٨]

لِفِتْيةٍ قد بَكَّرُوا بأكلُبِ[٩] قد أدَّبوها أحسنَ التأدُّبِ

---

(١) التكملة من مب .

(٢) ثعالا : ترخيم ثعالة ، والألف للإطلاق . وثعالة : علم جنس للثعلب ، كما أن أسامة علم للأسد . وهى فى ط ، م : « ثعلالا » وصوابه فى س ، مب والديوان ٢١٤ .

(٣) كذا فى مب والديوان ، وفى سائر النسخ : « المجالا » . وفى مب : « خلفك » .

(٤) المطال هنا : بمعنى المراوغة .

(٥) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وحدا اليوم الآصال كناية عن حلول وقت الأصيل ، فيما أرى .

(٦) الحين : الهلاك ، والأجل : العمر . يقول : إن الكلب قد قضى على حياة الثعلب الذى سبق هلاكه أجله . وهذا البيت وماقبله ليسا بالأصل ، وقد كتبتهما من الديوان .

(٧) السبسب : الأرض المستوية البعيدة . وفى جمهور النسخ : « لفضاء سبسب » ، والوجه ماأثبت من مب ، والديوان .

(٨) السمك ، بالفتح : السقف . والمطنب : موضع الطنب ، والطنب بضمتين : حبل يشد به سرادق البيت ، أو الوتد .

(٩) فى ط ، م : « لقيته » ، وصوابه فى س ، ومب والديوان .

مِنْ كلِّ أدفى مَيَسَانِ المنْكِبِ (١) يشبُّ فى القَوْدِ شِبَابَ المُقرَبِ (٢)
ينشِطُ أذْنيه بجذِ المِخْلَبِ (٣) فَمَا تَنِي وشيقَةٌ مِنْ أرنَبِ (٤)

---

(١) الأدفى : هو مثل عقاب دفواء : معوجة المنقار، فالمراد به أنه معوج الخطم، وهو مقدم الأنف والفم . واعوجاج الخطم من صفة الكلاب الجياد ، ومنه قول الراجز (أنشده أبو زيد فى النوادر ٥١) :

قد أغتدى قبل طلوع الشمس للصيد فى يوم قليل النحس
بأحجن الخطم كى النفس

النحس : الغبار . والأحجن : المعقف . و « أدفى » هى فى جمهور النسخ « أوفى » محرفة ، وهى على الصواب الذى أثبت فى مب والديوان . ولأبى نواس من طردية أخرى سبقت قريباً :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

ورواية العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « أخـدى » ، وهى تصحيف « أخـذى » بمعنى المسترخى الأذن . والميسان : المتبختر . قال العسكرى : أى من سعة جلده يميس منكبه . والبيت فى الأصل هكذا :

* من كل أوفى مستبان المنكب *

واعتمدت فى إصلاحه على مب ، والديوان وديوان المعانى .

(٢) يشب : يرفع يديه . والمصدر الشباب بالكسر والشبوب بالضم ، وجاءت الرواية بالأخير فى الديوان وديوان المعانى . والقود : نقيض السوق . وهى فى جمهور النسخ : « الغور » وليس له وجه ، والوجه فى مب ، والديوان وديوان المعانى. والمقرب : الكريم من الخيل، يشد لكرمه بقرب البيوت . وهو فيما عدا مب : « المعرب » ، وهو تحريف ما أثبت من مب ، والمرجعين السابقين.

(٣) ينشط : يجذب . وفى ديوان المعانى والديوان : « يلحق » .

(٤) يقال : لاينى يفعل كذا وكذا ، بمعنى لايزال ، كما فى قول الشاعر :

فما ينون إذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستارا

ماعدا مب : « فما ثنى » ، والوجه ما أثبت من مب ، و الديوان . والوشيقة : لحم يقدد حتى ييبس ، أو يغلى إغلاءة ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبقى قديد . وفى ط : « وثيقة » ، وصوابه فى سائر النسخ والديوان .

وجلدةَ مسلوبةٌ من ثعلبِ[١] مَقلوبةُ الفَرْوَة أوْ لمْ تُقْلَبِ[٢]
وعِيْرُ عاناتٍ وأُمُّ التَّوْلَبِ[٣] ومِرجَلٌ يهدِر هَدْر المُصْعَبِ[٤]
[يَقذف جالاهُ بجوز القَرهَب[٥]]

(صفة مايستدَلُّ به على فرَاهِيَة الـكلابِ وشِياتها وسياستها)

قال بعضُ مَنْ خبَر ذلك[٦] : إنَّ طولَ ما بينَ يدَى الكلبِ ورجلَيه — بعدَ أن يكونَ قصيرَ الظهر — مِنْ علامة السُّرعة .

---

(١) البيت ساقط من مب ، كما سقط من الطبعة الأولى ، وهو فى سائر النسخ .

(٢) فى الديوان :

وفروة مسلوبة من ثعلب مقلوبة الجلدة أو لم تقلب

ولا تنافر بين الروايتين ، وهما يؤديان مؤدى واحداً . وأنا أستحسن رواية الجاحظ .

(٣) العير : الحمار الوحشى. والعانات: جماعات الحمر الوحشية . وفى الأصل : « وجحش عانات »، والجحش : الصغير من الحمر . والعرب لا تقول جحش عانة ، وإنما تقول عير عانة ، يعنون بذلك أنه رئيسها « الذى يوردها ويصدرها وتنهض بنهوضه ويقعن بوقوعه » . الحيوان ٥ : ٤٢٢ حيث تكلم الجاحظ فى رؤساء الحيوان . وقد جاءت الرواية على الصواب الذى أثبته فى ديوان أبى نواس . و « أم التولب » هى الأتان : أنثى الحمار الوحشى ، والتولب ولدها . وفى الأصل: « لأم التولب »، والوجه ما كتبت من الديوان .

(٤) المرجل : القدر يطبخ فيها . يهدر : يظهر له صوت من شدة غليان ما فيه . والمصعب : الفحل من الإبل .

(٥) التكملة من مب ، وليست فى الديوان . وجالا المرجل : جانباه . والجوز : الوسط . والقرهب من الثيران : الكبير الضخم .

(٦) مب: « غير » ، وفى سائر النسخ : « يجيد » ، ولعل الصواب ما أثبت .

قال : ويصفونه بأنْ يكونَ صَغيرَ الرأس ، طويلَ العُنُق غليظَها[١] ، وأن يُشبه بعضُ خَلْقِه بعضاً ، وأن يكونَ أغضَفَ [الأذنين][٢] مُفْرِطَ الغضَف ، ويكونَ بعيدَ ما بينهما[٣] ، ويكونَ أزرقَ العينَين ، طويلَ المُقْلتين[٤] ، ناتِئ الحدَقة[٥] ، طَوِيل الخطم[٦] ، واسعَ الشِّدقين ، ناتئَ الجَبْهة عريضَها ، وأن يكونَ الشَّعْرُ الذى تحتَ حَنَكه كَأَنَّهُ طاقة[٧] ويكون غليظا ، وكذلك شعرُ خدَّيه ، ويكونَ قصيرَ اليدين ، طويلَ الرجلين ؛ لأنَّه إذا كان كذلك كان أسرَع فى الصعود بمنزلة الأرنب . ١٦

قالوا : ولا يكاد يلحَق الأرنبَ فِى الصَّعود ، إلاَّ كلُّ كلبٍ قصيرِ اليدين ، طَويلِ الرِّجلين .

وينبغى أن يكونَ طويلَ الصدر غليظا ، ويكونَ ما يلى الأَرضَ من صدره عريضا ، وأنْ يكونَ غليظ العضُدين ، مستقيمَ اليدين ، مضمومَ الأصابع بعضِها إلى بعض ، إذا[٨] مشى أو عدا ، وهو أجْدَرُ ألاَّ يصيرَ بينها من الطِّين وغيرِ ذلك ما يفسُدها[٩] ، ويكون ذَكىَّ الفؤادِ نشيطا ؛ ويكونَ عريضَ الظَّهْر ، عريضَ ما بين مفاصل عظامه ، عريضَ ما بينَ

---

(١) فى الأصل : « غليظهما » وصوابه من عيون الأخبار (٢ : ٨٠) .
(٢) كلمة يحتاج إليها الكلام . والأغضف : المسترخى الأذن .
(٣) وذلك بأن يكون عريض الجبهة . وانظر نهاية الأرب (٩ : ٢٦٠) .
(٤) المقلة : شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .
(٥) الحدقة : سواد العين .
(٦) الخطم : مقدم الفم والأنف .
(٧) الطاقة : الحزمة من الريحان ونحوه . وفى عيون الأخبار : « وأن يكون الشعر الذى تحت حنكه طاقة طاقة » .
(٨) فى الأصل : « وإذا » .
(٩) فى ط : « أو هوى جدرانا لا يصير » الخ ، والصواب فى س ، م .

عَظمَيْ أصلِ الفَخِذين اللذين يصيبان أصل الذنب ، وطويلَ الفخذين غليظَهما شـديدَ لحمِهما ، ويكونَ رزينَ المَحْزِمِ[١] ، رقيقَ الوسط طَويلَ الجلدَةِ التى بين أصل الفخذين والصـدر ، ومستقيم الرجلين ، ويَكونَ فى ركبته انحناء[٢] ويصير قصير الساقين دقيقَهما ، كأنَّهما خشَبة من صَلابتهما .

وليس يُكرَه أن تكونَ الإناثُ طوالَ الأذناب . ويكره ذلك للذكور . ولِينُ شعرهما يدلُّ على القوّة .

وقد يرغب ذلك فى جميع الجوارح من الطير وذوات الأربع ، من لِين الرِّيش لذوات الريش .

ولينُ الشَّعْر لذوات الشعرِ من عِتاق الخيل علامةٌ صالحة .

قال : وينبغى أن يكونَ الكلبُ شديدَ المنازَعة للمِقْوَدِ والسِّلسِلة ، وأن يكونَ العظمُ الذى يلى الجَنبَيْنِ من عظام الجنبين صغيراً فى قدر ثلاثِ أصابع .

وزعم أنَّهم يقولون : إنّ السُّودَ منها أقلُّها صبراً على البرد والحر ، وإنّ البيضَ أفرَهُ إذا كنَّ سُودَ العيون .

قال : ومن علامة الفرَه التى ليس بعدها شىء ، أن يكونَ على ساقيه

---

(١) المحزم : موضع الحزام من الدابة . وهى فى الأصل : « المحمل » وليس لها وجه . والرزين : الثقيل .

وعنترة بن شداد قد جعل هذه الصفة أيضا من نعت الفرس الجيد ، قال فى معلقته :

وحشيتى سرج على عبل الشوى نهـد مراكله نبيل المحزم

(٢) فى ط ، م : « ولا يكون فى ركبته إغناء » ، وفى س : « ولا يكون فى ركبته انحناء » ، وأصلحت العبارة بما ترى من عيون الأخبار (٢ : ٨١) .

أو على إحداهُما[١] أو على رأس الذنب مخلب ، وينبغى أن يُقطَع من السَّاقين ، لئلا يمنعَه[٢] من العدْو .

(خير غذاء للكلب)

وذكرَ أنَّ خير الأشياءِ التى تُطْعمُها الكلبَ[٣] الخبزُ الذى قد يَبِس ، ويكُونَ الماءُ الذى يُسْقَاه يُصَبُّ عليه شيءٌ من زيت ، فإنَّ ذلك كالقَتِّ[٤] المحض للخيل ، ويشتدُّ عليه عدوُه .

(خير طعام لإسمان الكلاب)

وقال : خير الطعام فى إسمان الكلاب رأسٌ مطبوخٌ ، وأكارعُ بشعرها ، من غير أن تُطْعَمَ من عظامها شيئاً . والسَّمنُ إذا طَعِمَ منه قدرَ ثلاثِ سُكُرَّجات[٥] مرَّتَين أو ثلاثَ مَرَّاتٍ فإنَّ ذلك مما يسمِّنه ، ويقال إنَّهُ

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار : « أحدهما » . والساق مؤنثة .

(٢) فى ط : « ما يمنعه » وفى س، م : « لا يمنعه » ، وصوابهما ما أثبت . والذى يقطع من الساقين هو المخلب .

(٣) فى الأصل : « تطعمه الكلاب » .

(٤) فى اللسان والقاموس : « القت الفصفصة » . وقد رجعت فى تفسير « الفصفصة » إلى تذكرة داود الطبيب فوجدته يقول : إنها تعرف فى مصر بالبرسيم اهـ . وفى ط : « كاللفت » وهو تحريف صوابه فى س .

(٥) قال الخفاجى فى شفاء الغليل : « سكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء المشددة ، ومنهم من ضمها والصواب الفتح ، معرب . ومعناه مقرب الخل » وفى اللسان : « إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهى فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ » . وقد ذكر لها الإسكافى (فى مبادىء اللغة ٥٧) اسما عربيا هو « المصبغة » التى يجعل فيها الصبغ بالكسر ، أى الإدام .

يُعِيد الهَرِم شابًّا ، حتَّى يكونُ ذلك فِى الصَّيدِ وفِى المنظرِ . والعظمُ والثَّرِيدُ من أردإ ما تأكله للعَدْو .

(من علاج الكلب)

ومِمَّا يكونُ غذاءً ومِنْ خيرِ شيءٍ يُدَاوى به الكلبُ من وَجع البطن والديدان ، أن يُطْعَمَ قِطعةَ أَلْيةٍ وصوفَ شاةٍ معجوناً بسمن البقر ، فإِنَّهُ يُلقِى كلَّ دُودٍ وقَذَرٍ فِى بطنه . ١٧

وخير ما يعالج به الحَفاَ[1] أن يُدْهَنَ اَسْتُه ثلاثَةَ أَيَّام ، ويُجَمَّ فيها ولا يستعمَل ؛ أو يمسَحَ على يديه ورجليه القَطِرانُ .

وذُكِرَ عن خزيمة بن طَرْخَان الأسدىّ ، من أهل هَمَذَان[2] ، أنَّه قال : ليس من علاج الكلب خير من أن يُحْقَن .

(كَدِى ، وأَكدى ، والكُدْيَة)

وقال : يقال كَدِىَ الجروُ يكدَى كَدًى[3] وهو داءٌ يأخذ الجِراء خاصَّةً ، يصيبُها منه قىءٌ وسعال ، حتَّى تكوَى بينَ عينيها[4] . ويقال أكدَى

(١) فى الأصل : « للحفا » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ٨١) : « وإذا حفى دهنت استه » والحفا : رقة القدم .

(٢) فى الأصل : « همدان » ، وهمدان : قبيلة يمنية . وإنما هو « همذان » بلد بديع الزمان.

(٣) ط : « كداء » وتصحيحه من س والمخصص ٨ : ٨٢ .

(٤) مب : « يكوى بين عينيه » .

الرجلُ إكداء : إذا لم يظفَر بحاجته . والكُدْيَة من الأرض : ارتفاعٌ فِي صلابة . ويقال فى الماء : حفرَ فأكدى .

(علاج الكلاب لأنفسها)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ إذا كان فى أجوافها دُود ، أكلت سنبلَ القمح فتبرأ .

وزعم أنَّ الكلابَ تمرض فتأتى حشيشةً [١] تعرفُهَا بعينها ، فتأكل منها فتبرَأ .

(عداوة بعض الحيوان لبعض)

وزعم صاحب المنطق أَنَّ العُقابَ تأكلُ الحيَّاتِ ، وأَنَّ بينَهما عداوةً ؛ لأنَّ الحيَّةَ أيضاً تَطلبُ بيضَها وفراخها .

قال : والغُداف يقاتل البُومة ، لأنَّ الغُدافَ يَخْطِف بيضَ البومة [٢] نهاراً . وتشدُّ البومةُ على بيض الغُداف ليلاً فتأكله ؛ لأنَّ البومةَ ذليلةٌ بالنهار رديَّةُ النظر [٣] ، وإذا كانَ اللَّيلُ لم يَقْوَ عليها شيءٌ من الطير . والطير كلُّها تعرِف البومةَ بذلك وصنيعَها [بالليل [٤]] ، فهى تطير حولَ البومةِ [٥] وتضربُها وتَنْتِف ريشها . ومن أجْلِ ذلك صارَ الصيَّادُون ينصِبونها للطير [٦] .

والغداف يقاتل ٱبنَ عِرْسٍ ؛ لأنه يأكل بيضَه وفراخَه [٧] .

(١) هذا ما فى مب . وفى سائر النسخ : « أن الكلاب تأتى حشيشة » .
(٢) مب : « والغداف يخطف بيض البومة » فقط .
(٣) فى مب : « البصر » .
(٤) ط : « وضيعها فإذا رأيتها » وتصحيحه من س ، ومب .
(٥) ط : « حولها البومة » وصوابه فى س ، ومب .
(٦) مب : « ولحرصها ذلك صار الصياد ينصب للطير بالبومة » .
(٧) هذا الصواب من مب . وفى سائر النسخ : « ليأكل بيضه وفراخه » .

قال : وبين الحِدَأة والغُداف قتالٌ ؛ لأنَّ الحِدأة تخطَف بيضَ الغُداف ؛ لأنَّها أشدُّ مخالبَ وأسرَعُ طيراناً .

وبين الأُطْرُغُلَّة(١) والشَّقْرَاق(٢) قتال ؛ لأنَّه يقتل الأُطْرُغُلَّة(١) ويُطالبها(٣) .

وبين العنكبوت والعَظَاية(٤) عداوة ، والعَظاية تأكل العنكبوت .

وعصفور الشَّوك يعبَثُ بالحمار ، وعبَثه ذلك قتَّال له ؛ لأنَّ الحمارَ إذا مَرَّ بالشَّوك وكانت به دَبَرَة(٥) أو جَرَبٌ تحكَّكَ بِهِ ، ولذلك متَى نَهِق الحمار سقطَ بيضُ عصفور الشوك ، [وجعلتْ(٦)] فراخُه تخرج من عشّها . ولهذه العِلَّة يطيرُ العصفورُ وراءَ الحِمْار وينقُر رأسه .

والذئب مخالفٌ للثَّور والحمارِ والثعلبِ جميعاً ، لأنَّه يأكل اللحم النِّيءَ(٧) ولذلك يقع على البقر والحمير والثعالِب .

---

(١) الأطرغلة : اسم يقع على الدبسية، والقمرية ، والفاختة المطوقة . انظر القاموس (الأطرغلات) و (صلل) .

(٢) الشقراق بفتح الشين وكسرها : طائر صغير يسمى الأخيل ، وهو أخضر مليح بقدر الحمامة ، وخضرته حسنة مشبعة ، وفى أجنحته سواد ، والعرب تتشاءم به . وقال الجاحظ : إنه نوع من الغربان ، وفى طبعه العفة عن السفاد ، وهو كثير الاستغاثة ، إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب . الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ويطالبه » .

(٤) قال الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا ، تشبه سام أبرص، إلا أنها أحسن منه ولاتؤذى ، وتسمى شحمة الأرض . الدميرى .

(٥) الدبرة بالتحريك : قرحة الدابة والبعير ، والجمع دبر وأدبار ، مثل شجرة وشجر وأشجار . وهى فى ط : « بدرة » ، وصوابها فى س . وانظر نهاية الأرب ١٠ : ١٧ .

(٦) أحسب هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٧) فى الأصل : « النيء » ، وإنما هو « النيء » .

وبين الثعالبِ والزُّرَّق[١] خـلافٌ لهذه العلّة ؛ لأنّهما جميعاً يأكلان ٱللحم .

١٨ والغراب يُخالف الثَّورَ ؛ ويُخالف الحمار جميعاً ، ويطير حولَها ، وربّما نَقَرَ عيونَهما . وقال الشاعر :

عَادَيْتَنَا لا زلت فى تبَابِ عَـدَاوَةَ الحِمْارِ للغُرابِ

ولا أعرف هذا من قول صاحب المنْطِق ؛ لأنَّ الثعلبَ لا يجوزُ أن يُعَادِىَ مِنْ بينِ أحرار الطَير وجَوارِحها الزُّرَّقَ وحدَه ، وغيرُ الزُّرَّق آكِلُ اللَّحم . وإن كان سببُ عداوته له اجتماعَهُما على أَكْلِ اللَّحم ، فليُبْغِض العقابَ من الطير ، وٱلذِّئْبَ من ذوات الأربَع ؛ فإنّها آكَلُ لِلّحم . والثَّعلَبُ إلى أَنْ يحسُدَ ما هو [كذلك] أقربُ ، وأولَى فى القياس[٢] ، فلو زعم أنّه يَعُمُّ أكَلَةَ اللّحمِ بالعداوة ، حتّى يُعْطى الزُّرَّق من ذلك نصيبَه ، كان ذلك أجْوَزَ[٣] . ولعلَّ المترجِم قد أساء فى الإخبار عنه .

قال : والحيَّة تقاتل الخنزيرَ ، وتقاتِل ٱبنَ عِرْس ، وإنّما تقاتلُ ٱبنَ عِرْسٍ إذْ كان مأواهما فى بيتٍ واحد ، [وتقاتِلُ الخنزير][٤] لأنّ الخنزير يأكلُ الحيَّات . ويزعمون أنّ ٱلذى يأكلُ الحيَّاتِ القنافذُ ، والأوعالُ ، والخنازيرُ ، والعِقْبان .

قال : فالحيَّة تعرف هذا من الخنزير ، فهى تُطَالبه .

---

(١) الزرق ، كسكر : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق .

(٢) فى الأصل : « والثعلب إلى أن يحسد ماهو أقرب وذلك أولى فى القياس » ، وقد عدلت القول وأكملته بما ترى .

(٣) ط ، م : « أجور » ، والصواب فى س .

(٤) زدت هذه الجملة ليتزن الكلام .

قال : والغراب مصادقٌ للثَّعلب ، والثَّعلبُ مصادقٌ للحيَّة[١] ، والأسد والنمر مختلفان .

قال : وبين الفِيَلةِ اختلافٌ شديد ، وكذلك ذكورها وإناثها ، وهى تَستعمِل الأنيابَ إذا قاتَل بعضُها بعضاً ، وتعتمد بِهاَ على الحيطان فتهدِمُها ، وتزحُمُ النَّخلةَ بجنبها فتَصْرَعُهاَ .

(تذليل الفيل والبعير)

وإذا صعُب من ذكورتها شيء احتالوا له حتَّى يكُومَه[٢] [ذكرٌ] آخر ، فإذا كامَهُ خضَع أبداً . وإذا اشتَدَّ خُلُقُه وصعُب عصَبُوا رِجلَيه فسكن .

ويقال إنّ البعيرَ إذا صعُب وخافَه القوم ، استعانوا عليه فَأَبرَكُوه[٣] وعَقلوه حتَّى يكومَه فحل آخر ، فإذا فُعلَ ذلك به ذَلَّ !

(الفيل والسنّور)

وأمّا أصحابنا فحكَوا وجوهَ العداوةِ الَّتى بين الفيل والسِّنَّور — وهذا أعجب — وذهبوا إلى فزع الفيل من السِّنَّور ، ولمْ يرَوه يفزَع ممَّا هو أشدُّ وأضخم . وهذا البابُ على خلاف الأوّل ؛ كأنَّ أكثرَ ذلك الباب بُنِىَ على عداوة الأكْفاء .

---

(١) ماعدا مب : « الثعلب . . . الحية » .

(٢) يكومه : يعتليه اعتلاء ذكورة الحيوان لإناثها . والتكملة بعده من مب .

(٣) فى الأصل : « فبركوه » .

(الشاة والذئب)

والشاةُ من الذئب أشدُّ فَرَقا منها من الأسد ، وإن كانت تعلم أنْ الأسدَ يأكلها .

(الحمام والشاهين)

وكذلك الحمام يَعتريه من الشَّاهينِ ما لا يعتريه من العُقاب والبازى والصقر .

(أعداءُ الفأرة)

وكذلك الفأرة من السِّنّور ، وقد يأكلها ابْنُ عِرْس . وأكثر ذلك [أن [1]] يقتلها ولا يأكلها . وهى من السِّنَّورِ أشدُّ فرَقاً .

(الثعلب والدجاج)

١٩ والدَّجاجةُ تأكلها أصناف من السباع ، والثعلبُ يطالبها مُطالبةً شديدة ، ولو أنَّ دجاجاً على رفٍّ مرتفع ، أو كُنَّ على أغصان شجرةٍ شاهقة ، ثمّ مرَّ تحتَها كلُّ صِنفٍ ممَّا يأكلها ، فإنَّها تَـكونُ مستمسكةً بها معتصمةً بالأغصان التى [هى] عليها . فإذا مرَّ تحتها ابنُ آوى وهُنَّ ألْفٌ ، لم تَبْقَ واحدةٌ منهنَّ إلاّ رمَتْ بنفسها إليه [2] .

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .

(٢) انظر ماسيأتى فى ٦ : ٣٧٦ .

(مايأباه بعض الحيوان من الطعام)

والسبع لايأكل الحارَّ ، والسِّنَّور لايذوقُ الحموضة ، ويَجْزَع من الطَّعام الحارِّ . والله تعالى أعلم .

(ما أشبه فيه الكلب الأسود والإنسان)

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى مفاخر الكلب ، ونبدأ بكلٍّ ماأشبه فيه الكلبُ الأُسُودَ والإنسان ؛ وبشيءٍ من صفات العظَال[١] .

قال صاحب المنطق (فى كتابه الذى يقال له الحيوان ، فى موضعٍ ذكَرَ فيه الأسد) قال : إذا ضربَ الأَسَدُ بمخالبه ، رأيتَ موضعَ آثار مخالبهِ فى أقدار شرط الحجَّام أو أزْيدَ قليلا ، إلاّ أنَّه من داخلٍ أوسعُ خرْزاً ، كأنَّ الجِلدَ ينضمُّ على سم مخالبه[٢] ، فيأكل ماهنالك . فأمَّا عضَّته فإنَّ دواءَها دواءُ عضَّةِ الكلب .

قال : وممَّا أشبه فيه الكلبُ الأسدَ انطباقُ أسنانه . وممَّا أشبَهَ فيه الكلب الأسدَ النَّهَمُ ، فإنَّ الأسدَ يأكل أكلاً شديداً ، ويَمْضَغُ مَضْغاً متدارِكاً ، ويبتلع البَضْع الكبار[٣] ، من حاقِّ الرغبة[٤] ومن الحرص ،

---

(١) العظال : الملازمة فى السفاد من الكلاب والجراد وغيره مما ينشب .

(٢) كذا .

(٣) البضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات : جمع بضعة بالفتح وقد تكسر ، وهى القطعة من اللحم .

(٤) حاق الرغبة : شدتها وصدقها . وفى ط : « خاق » ، وصوابها فى س .

وكالذى يخاف الفوت . ولَمَّا نازعَ السِّنَّورَ من شَبَهِهِ[١] صار إذا ألقيت له قِطعة لحم فإمَّا أنْ يحملها أو يأكلها حيثُ لاتراه ؛ وإمَّا أن يأكلها وهو يكثر التلفُّت ، وإنْ لم يكنْ بحضْرته سِنَّور ينازعُه . والكلبُ يعَضُّ على العَظمِ ليُرضَّه ، فإنْ مانَعَه شيءٌ وكان مما يُسيغه ، ابتلَعَه وهو واثق بأنّه يستَمريه ويُسيغه .

والنَّهم يعرِض للحيَّات ، والحيَّة لاتمضَغُ ، وإنما تبتلعُ ذواتُ الرَّاسات[٢] ، وهى غير ذوات الأنياب ، فإنّها تمضَغ المضْغة والمضغتين . وإن ابتلعت شيئاً فيه عظم أتَتْ عُودًا شاخصاً فالتوت عليه ، فحطَمت العظم . والحيَّةَ قويّةٌ جدًّا .

قال : والأسد وإن كان ممَّا لايفارق الغِياض [و][٣] لايفارق الماء فإنّه قليلُ الشرب للماء ، وليس يُلقى رَجْعَه إلاّ مرةً فى اليوم ، وربَّما كان فى اليومين والثلاثة . ورجعُه يابس شديد اليُبْس متعلِّق ، شبيه برجيع الكلب . ويشبهه أيضاً من جهة أخرى وذلك أنّهما جميعاً إذا بَالاَ شَغَرا[٤] .

والكلب من أسماء الأسد ، لقرابةِ مابينه وبينَ الكلب .

والكلبُ يُشبه الخنزير ، فإنَّ الخنزير يسمَن فى أسبوع ، وإن جاع أيّاماً ثم شبِع شَبعةً تبيَّنذلك تبيُّناً ظاهراً . ألا تراهُ ينزع إلى محاسن الحيوان ، ويُشبه أشراف السباع وكرائم البهائم ؟!

---

(١) ط : « شبه » ، وأثبت مافى س . والمعنى يصح بكل منهما .

(٢) لم أر هذا الجمع إلا للجاحظ . والرأس يجمع على رءوس وأرؤس .

(٣) زدتها ليستقيم الكلام .

(٤) شغر : رفع إحدى رجليه .

(عظال الكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فحلٌ من جميع أجناسِ الحيوان لِذَكَرِه حجمٌ ظاهر إلاَّ الإنسان والكلب . وليس فى الأرض شيئان يتشابكانِ من فَرْط إرادةِ كلٍّ واحدٍ منهما لطباع صاحبه ، حتى يلتحم عضوُ الذكر بعضو الأنثى حتَّى يصير التحامُهما التحامَ الخلقة والبِنْية ، لاَ كالتِحامِ الملامَسَة والملازمة[1] ، إلاّ كما يُوجَد [من[2]] التحام قضيبِ الكلب بثَفْر[3] الكلبة . ٢٠

وقد يلزَق القُراد ، ويَغْمِس العَلَس[4] مقاديمه فى جوف اللحم ، حتَّى يُرَى صاحبُ القُراد كأنَّه [صاحِبُ] ثُؤلُول[5] . وما القُراد المضروبُ به المثلُ فى الالتحام إلاّ دونَ التحامِ الكلبين . ولذلك إذا ضربوا المثل للمتباضِعين بالسُّيوف ، والملْتَقِيَين للصِّراع ، فالتفّ بعضُهم ببعض ، قالوا :

---

(١) فى الأصل : « كالالتحام الملامسة والملازمة » ، وهو تحريف .

(٢) حرف يتطلبه الكلام .

(٣) فى الأصل : « لثفر » .

(٤) العلس ، بالتحريك : القراد الضخم ، وهى فى الأصل : « العلق » . والعلق : دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم ، وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية . كذا قال الدميرى . قلت : ولايزال كثير من العامة بمصر فى زمننا هذا يعالجون أنفسهم به . وليس مراداً هنا .

(٥) الثؤلول : بثر صغير صلب مستدير على صور شتى . وفى الأصل : « حتى يرى صاحب القراد أنه ثؤلول » . والقراد لايصيب الناس ، وهو موكل بالإبل . وانظر القول فى ولوعها بالإبل فى الحيوان ٦ : ٤٣٨ و ٧ : ١٥ .

كأنهم الكِلاب المتعاظِلة[١] . وليس هذا النَّوعُ من السِّفادِ إلاَّ للكلاب .
وزعم[٢] صاحبُ المنطق وغيرُه ، أنَّ الذُّبابَ فى ذلك كالكلب .

(إسماعيل بن غزوان وجارية مويس بن عمران)

وكان إسماعيل بن غَزْوان[٣] قد تعشَّقَ جاريةً كانت لمُوَيْس بن عمران[٤] ، وكانت إذا وقَعَتْ وقعةً إليه لم تمكثْ عندَهُ إلاَّ بقدرِ مايقعُ عليها ، فإذا فَرَغ لبِستْ خفُّها وطارت ، وكان إسماعيلُ يشتهى المعاوَدَةَ

(١) من أيام العرب المعروفة يوم العظالى ، وهو يوم بين بكر وتميم ، سمى بذلك لركوب الناس فيه بعضهم بعضاً . وقال الأصمعى : ركب فيه الثلاثة والاثنان الدابة الواحدة . وقيل : سمى بذلك لأنه تعاظل فيه على الرياسة بسطام بن قيس ، وهانئ بن قبيصة ، ومفروق بن عمرو ، والحوفزان .

(٢) فى الأصل : « فزعم » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم فى كتابه « البخلاء » ، وكثيرا مايقرنه بسهل بن هارون ، وكان ممسكا شديد البخل ، يحتج للبخل بكلام عجيب ، فمن ذلك قوله للأسخياء : « تنعمتم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بعز الثروة ، وبصواب النظر فى العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز عن مصلحة العيال ، فتلك لذتكم وهذه لذتنا» . (البخلاء ١٣٠) . ومن كلامه : « لاتنفق درهما حتى تراه » (البيان ٣ : ٢١٢) . وكان إسماعيل يوصف بحسن الفهم وجودة الاستماع. (البيان ٣ : ١٦٣) .

(٤) مويس بن عمران ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج للبخل ، وهو من معاصرى الجاحظ ، « سئل عنه أبو شعيب القلال ، فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لايريد أن يمس . . وكيف يجترئ الضرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقض ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف . . فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعا ، واستدعاءه إليه نهيا » . البخلاء ٥٨ . وفى الأصل : « موسى بن عمران » وإنما هو « مويس » كما فى ستة مواضع من البخلاء ، وكما فى القاموس . وكان مويس من المتكلمين .

وأنْ يُطيلَ الحديث ، ويُرِيدُ القَرْص والشمَّ والتقبيلَ والتجريد ، ويعلم[١] أنّه فى الكَوْم الثانى والثالث أجدَرُ أن يُنْظَرَ[٢] ، وأجدر أن يَشْتَفِى . فكان ربَّما ضَجِرَ ويذكرُها بقلبه وهو فى المجلس ، فيقول : يارَبِّ امسَخْنِي وإيّاها كلبَين ساعةً من الليل أو النَّهار[٣] ، حتى يشغَلَها الالتحامُ عن التفكيرِ فى غضَب مولاتِها إن احتبَسَتْ !!

(من أعاجيب الكلاب)

وفى الكلبة أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنّه يسفَدُها كلبٌ أبقعُ وكلب أسودُ وكلب أبيضُ وكلب أصفَرُ ، فتؤدِّى إلى كلِّ سافدٍ شِكْلَهُ وشِبْهه ، فى أكثر مايكُونُ ذلك .

(تأويل الظالع فى شعر الحطيئة)

وأمّا تأويل (الظالع) فى قول الحطيئة :

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ مانامَ ظالِعُ الْـ ... ـكلابِ وأخْبَى نارَهُ كلُّ مُوقِدِ[٤]

(١) فى ط ، س : « وليعلم » ، والوجه ماأثبت من م .

(٢) هو بالبناء للمجهول ، من أنظره بمعنى أمهله . وهو يعنى بذلك المطاولة .

(٣) فى الأصل : « والنهار » ، والوجه ما أثبت .

(٤) تسداها : علاها. ولم أجد هذا البيت فى ديوان الحطيئة برواية السكرى ، وهو فى أمثال الميدانى ١ : ٢٤ برواية : « ألا طرقتنا بعد . . . » . وقال الميدانى : « يضرب مثلا فى تأخير قضاء الحاجة » . والرواية فى اللسان (ظلع) : « تسديتنا » بتاء المخاطب ، وقال : « يخاطب خيال امرأة طرقه » .

قال الأصمعيّ : يظلَع الكلبُ لِبعضِ مايعرض للكلاب ، فلا يمنعه ذلك مِنْ أن يهيجَ فى زمن هَيْج الكلاب ، فإذا رأى الكلبة المستحرِمة[١] لم يطمَع فى معاظلتها والكلابُ منتبهةٌ تنبَح ، فَلاَ يَزَال ينتَظِرُ[٢] وقتَ فَتْرةِ الكلاب ونومها ، وذلك مِن آخر الليل .

وقال أُحَيْحَة بن الجُلاَح[٣] :

[ياليتَنى ليلةً إذا هَجع الـــــنَّاسُ ونام الكلابُ صاحِبُها][٤]

(طردية ثامنة لأبى نواس)

وممّا قِيل فى الكلاب من الرَّجز [قول أبى نواس[٥]] :

---

(١) استحرمت الكلبة : اشتهت .

(٢) فى الأصل : « فلا تزال تنتظر » ! وصوابه ماأثبت .

(٣) كان أحيحة سيد الأوس فى الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وهى كانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشىء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحا عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئرا . هذا موجز مما فى الخزانة ٣ : ٣٢٧ سلفية والأغانى ١٣ : ١١٤ - ١٢٢ .

(٤) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبته اعتمادا على مافى الحيوان (١ : ٣٦٨) والخزانة (٣ : ٣٢١ سلفية) والأغانى (١٣ : ١١٥) . والعبارة فى الأصل : « وقال أحيحة بن الجلاح مما قيل فى الكلاب من الرجز » ! !

(٥) زيادة يقتضيها الكلام ، وسيتبع الجاحظ هذه الأرجوزة بعبارة « وقال أيضاً » ثم يروى أرجوزتين أخريين لأبى نواس مرويتين فى ديوانه . أما هذه الأرجوزة الأولى فليست مما اختار حمزة بن حسن الأصبهانى .

وفِتية من آلِ ذُهلٍ فى الذرى … مِن الرَّقاشِيِّينَ فى أعْلى العُلا[(١)] … ٢١

بِيضٍ بهالِيلَ كرامِ الْمُنْتَمَى … باتُوا يَسِيرون إلىصُوحِ اللوى[(٢)]

ينفُونعنأعيُنهِمْ طِيبَ الكَرَى … إلاّ غِشاشاً بعد ماطال السُّرى[(٣)]

يعدين إبلاء الفتى على الفتى[(٤)] … حتى إذا ماكوكبُ الصُّبح بدَا

مَاجُوابغُضْفٍ كاليَعاسيب خَساً[(٥)] … ثلاثَةٍ يقطعن حُزَّان الصُّوَى[(٦)]

(١) قال أبو الفرج فى الأغانى ٢٠ : ٧٣ : « بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش . وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل » . ويدور فى الكتب ذكر الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، وهو شاعر أديب ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغانى ١٥ : ٣٤ . وقد لج الهجاء بينه وبين أبى نواس ، انظر الديوان ص ١٧٦ – ١٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والبخلاء ١٩١ . وفى هجو أبى نواس للرقاشيين نعت قدورهم بالنظافة والبياض والصغر حتى ضرب بها المثل فقيل « قدر الرقاشى» . انظر ثمار القلوب ٤٩١ ، والوساطة ٣١٧ . ولا مناقضة بين رفع أبى نواس من شأن الرقاشيين فى هذا الرجز ، وهجوه إياهم أقذع الهجاء ؛ فأبو نواس لايكاد أحد من أصحابه يسلم من هجائه ، والفضل الرقاشى هذا كان من خلطائه وندماه ، كما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ١٢٨ – ١٣٣.

(٢) الصوح : جمع صاحة ، وهى الأرض لاتنبت شيئاً . واللوى : ماالتوى من الرمل . وفى س ، م :

* باتوا بعيران إلى صوح اللوى *

(٣) الغشاش : النوم القليل ، والسرى : سير عامة الليل . (٤) كذا .

(٥) ماجوابها : جعلوا يعدون بها بين ارتفاع وانخفاض ، فيكون لذلك شبه الموج ، أو لعل صوابها « هاجوا » بمعنى ثاروا . وأبو نواس يستعمل هذه الكلمة فى مثل هذا الموضع : قال فى طردية له سبقت فى هذا الجزء من الحيوان ص ٤٠

* هجنا بكلب طالما هجنا به *

وقال فى طردية أخرى بالديوان ٢٠٧ :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

وقال فى غيرها بالديوان ٢٢٢ :

* هجنا به فهاج للنزال *

واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو أمير النحل . وشبههن باليعاسيب فى دقة خصورهن . وخسا : أى فردا ، أراد عددا فرديا ، فسره بالثلاثة فى البيت بعده . وفى اللسان : وتخاسى الرجلان : تلاعبا بالزوج والفرد ، يقال خسا أو زكا : أى فرد أو زوج ؛ وروى شواهد للكميت ورؤبة .

(٦) الحزان بضم الحاء وكسرها : جمع حزيز ، وهو الأرض الصلبة الغليظة المرتفعة قليلا =

رحيبةِ الأشداقِ غُضْفٍ فى دَفاَ(١) تَلوى بأذناب قليلات اللِّحا(٢)

سَمَعْمَعاتِ الضُّمْرِ من طُولِ الطَّوَى(٣) من كلِّ مَضْبُورِ القَرَاعارى النَّسا(٤)

مُحَمْلَجِ المَتْنَينِ مَنْحُوضِ الشَّوى(٥) شَرَنبَثِ البُرْثُنِ خَفّاقِ الحشا(٦)

= وقال أبو نواس من طردية سبقت له ص ٢٣ :

فسمونا للحزيز به فدفعناه على أظب

والصوى : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وفى ط : « تقلص حزان الصوى » . وقلص فى جميع صوره واشتقاقاته فعل لا يتعدى ، فصوابه ماأثبت من س ، ومب .

(١) رحيبة : واسعة ، وفى ط ، م : « وحيبة » وفى س : « رجيبة » تحريف ماأثبت من مب . والغضف : جمع الأغضف ، وهو المسترخى الأذن . وهى فى الأصل : « عصف » ، صوابه فى مب . والدفا : إقبال إحدى الأذنين على الأخرى حتى تكاد أطرافهما تتماس فى انحدار قبل الجبهة . وهى فى الأصل : « رقا » ، وفى مب : « رفا » ولا وجه له . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى قوله (ص ٣٠ من هذا الجزء) :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

(٢) ألوت الكلاب بأذنابها : حركتها . واللحا : مقصور اللحاء . وعنى به هنا مايحيط بعظم الذنب من اللحم . وانظر الحيوان ٢ : ١٦٨ .

(٣) السمعمع : الخفيف اللحم . و « الضمر » أى بسبب الضمر . والطوى : الجوع . وكان العرب يجوعون كلاب الصيد ليكون ذلك أضرى لها . قال امرؤ القيس :

مغرثــة زرقا كأن عيونهـــا من الذمر والإيحـــاء نوار عضرس

مغرثة : مجوعة . وقال عبدة بن الطبيب كما فى المفضليات ١٣٩ :

يشلى ضوارى أشباها مجوعة فليس منها إذا أمكن تهليل

(٤) المضبور : المكتنز اللحم . والقرا : الظهر من مركب العنق إلى علوة الذنب . والنسا ، قال ابن قتيبة : عرق يستبطن الفخذين حتى يصير إلى حافر الدابة ، فإذا هزلت الدابة ماجت فخذاها فخفى ، وإذا سمنت انفلقت فخذاها فجرى بينهما واستبان كأنه حية . ومثل ذلك فى اللسان عن الأصمعى .

(٥) يقول : هو مكتنز اللحم الذى يكتنف صلبه ، كما أنه قليل لحم اليدين والرجلين .

(٦) الشرنبث : الغليظ . والبرثن : الكف مع أصابعها . وخفاق الحشا : ضامر البطن .

تخالُ منه القصّ من غير جَناً(١) مَسَنَّتا صَفواء فى حَيَدىْ صَفا(٢)
يلتهب الغائِطُ مِنْهُ إن عدا(٣) يُقادح المرْوَ وشَذّان الحَصاَ(٤)
حتَّى إذااستسحَرَ فىرَأْد الضُّحى(٥) بمربَإٍ أوْفى به على الرُّبا(٦)
أرانباً من دونها سِربًا ظِبا(٧) نواشزاً من أنَسٍ إلى خَلاَ(٨)

---

(١) القص والقصص : الصدر أو عظمه . والجنأ : انكباب الصدر إلى الظهر .

(٢) المسنة : اسم مكان من السن بمعنى الصب . مب : « مشبتا » ، وفى سائر النسخ : « مسنة » والوجه ماأثبت من الجمع بينهما . الصفواء : الملساء . وهى فيما عدا مب : « صفراء » ، تحريف . وأبو نواس حين شبه صدر الكلب فى صلابته وملاسته بالمسنة الصفواء ، نظر إلى امرئ القيس فى تشبيهه متن فرسه بالصفواء ، إذ يقول فى معلقته :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

ماعدا مب : « جيد صفا » تحريف . والحيد ، بوزن سهم : ماشخص من الجبل . والصفا : الحجارة الملساء .

(٣) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض . و « منه » هى فى ط ، م : « من غد » ، وهو تحريف . وفى س موضع هذه الكلمة بياض ، وإثباته من مب .

(٤) المرو : حجارة بيض براقة تورى النار ، والكلب يقادح المرو : أى يجعل بعضه يحك بعضاً فتظهر لذلك نار . وشذان الحصى ، بالفتح وتشديد الذال : ماتطاير منه . ولأحمد بن زياد بن أبى كريمة فى مثل هذا المعنى :

إذا افترشت خبتا أثارت بمتنه عجاجا وبالكذان نار الحباحب

وقول أبى نواس أشرف وأقوى .

(٥) ماعدا مب : « استحس » وهو تحريف لا وجه له . ورأد الضحى : الوقت بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار .

(٦) المربأ : المرقب . والربوة : ما ارتفع من الأرض ، جمعها « ربا » . وأوفى به على الربا : أشرف عليها . والبيت فى الأصل محرف ، فهو فى ط :

* مر بأوفى علم به الربا *

وفى س ، م : « بمربأ أوفى به على الربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) « أرانبا » هو مفعول « استسحر » .

(٨) نشز من المكان : خرج منه . وفى ط ، م : « نواشطا » . والوجه فيه ما كتبت . وفى مب : « نواشرا » ، وهو تحريف . والأنس بالتحريك : الجماعة الكثيرة ، أو الحى المقيمون . والخلا : مقصور الخلاء . يقول : لما أحس الصيد بقرب الأنس منه ، عن له أن يخلص بنفسه إلى الخلاء ، فنشط إلى ماحسبه مأمنا له .

فوضَى يُدَعْثِرنَ أفاحيصَ القطا[1] لَعلَعنَ واستلْهثْن من غيْرِ ظما[2]

مبالغاتٍ فى نَهيمٍ وصأَى[3] كأَنّما أعينُها جمر الغَضى[4]

ثمَّ تطَلّعنَ معًا كالبرقِ لا فى الأرض يَهوِينَ ولا لوح الهوا[5]

كأَنّها فى شَرطها لمـا انبرى[6] كواكبٌ يُرمَى الشّياطِينُ بها

---

(١) فوضى : متفرقات أو مختلط بعضها ببعض . يدعثرن : يهدمن ويفسدن . وأفاحيص القطا : جمع أفحوصة ، وهى مجثم القطاة تضع فيه بيضها ، يكون فى التّراب ، سمى بذلك ، لأنها تفحصه أى تبحثه وتحفره . والأفحوص خاص بالقطاة ، قال ابن سيده : وقد يكون الأفحوص للنعام .

(٢) يقول : قد أدلعت هذه الكلاب ألسنتها وأخرجتها ، فعل الظمآن ، وما بها من ظمأ ، وإنما هو فرط رغبتها فى الصيد .

(٣) النهيم : الصوت . وفى اللسان : « صأى الطائر ، والفرخ ، والفأر ، والخنزير ، والسنور ، والكلب ، والفيل ، بوزن صعى ؛ يصأى صئيا وصئيا — أى بفتح الصاد وكسرها مع تشديد الياء — وتصاءى أى صاح » وزاد فى القاموس صئيا بضم الصاد ، إذ جعله مثلث الصاد . ولم أجد فيهما « الصأى » .

(٤) الغضى : شجر دائم الخضرة ينبت بالرمل . وجمره — أى ناره — بطيئة الانطفاء . ومن نعت الكلب الجيد أن يكون أزرق العين ، والزرقة : الخضرة فى سواد العين . أما نعتها بالحمرة ، كما فى هذا البيت ، وكما فى قول امرئ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيساد نوار عضرس

ونوار العضرس أحمر قانئ . وكما فى قول أحمد بن زياد بن أبى كريمة :

تدير عيونا ركبت فى براطل كجمر الغضى خزرا ذراب الأنايب

وقول أبى نواس أيضاً :

كأنما يطرف من بين الهدب بجمرتى نار بكف مختضب

فليس يتنافى مع وصفها بالزرقة ، فإنما تلك الحمرة فى بياض العين لافى سوادها وتزداد الحمرة وتشتد حينما يهاج الكلب ويغرى بالصيد .

(٥) فى ط : « فى أرض يهوف » وصوابه فى س ، م ، مب . وفى اللسان : « اللوح بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحيانى : هو اللوح ، واللوح لم يحك فيه الفتح غيره » . جعلها فى عدوها كأنما تسبح فوق سطح الأرض ، فلا هى تمس أديم الأرض ، ولا هى تعلو فى الجو ، يخيل ذلك للناظر من شدة سرعتها وهذا تصوير دقيق عجيب .

(٦) فى ط ، م : « من شرطها » ، صوابه فى ش ، ومب .

يذْمَرْنَ بالإيسادِ ذَمْرًا وَأَيَاَ(١) حتى إذا ماكنَّ منهنَّ كها(٢)
دارتْ عليهنّ من الموت رَحَى تجذبهنَّ بحديداتِ الشَّبا(٣)
شَوَامِذٌ يلعَطْن مَعْبُوط الدِّما(٤) بين خليع الزَّورِ مرضُوض الصَّلاَ(٥)
وبينَ مفْرِيٍّ النِّياطِ قد شَصَا(٦) كأنّه مبتهـلٌ إذا دَعا

---

(١) ذمر الكلب : حضه على الصيد . ماعدا مب : « يدمرن » ، وهو تحريف. والإيساد : إغراء الكلب بالصيد ، وفى ط : « بالإيسار » وهى على الصواب فى س ، م ، مب . و « ذمرا » هى فى الأصل : « زمرا » وصوابه ماأثبت . و « أيا » كلمة يزجر بها . وفى مب : « من مرباوبا » .

(٢) « كها » بمعنى مثلها . ودخول الكاف على مثل هذا الضمير ضرورة شعرية . انظر سيبويه ١ : ٢٧٤ والخزانة ٤ : ٢٧٤ بولاق .

(٣) الشبا : جمع شباة ، وهو الحد . ماعدا مب : « مخربين ومحدين » .

(٤) شوامذ : رافعات أذنابها من شدة المرح والنشاط . وقد جاءت هذه الكلمة فى ط برسم « نوامذ » ؛ وفى مب : « شوامدا » . وهو تحريف صوابه فى س ، م . و « يلعطن » من اللعط وهو اللحس ؛ ولم أجد نصا صريحا لمعنى هذه الكلمة ؛ إلا مايفهم من عبارة القاموس فى مادة (لعط) قال : « وكقعد : كل مكان يلعط نباته أى يلحس » . وأما « اللطع » بتقديم الطاء فقد صرح ابن منظور والفيروزبادى بأنه اللحس . وهى فى ط ، م : « يطلعن » وفى مب : « ينطقن » ولا وجه له ؛ والوجه ماأثبت من س . والدم العبيط والمعبوط : الطرى اللين .

(٥) الزور : وسط الصدر ؛ أو ماارتفع منه إلى الكتفين ؛ أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت . وفى جمهور النسخ : « الروض » ولا وجه له ، وفى مب : « حريق الروق » . وأبو نواس فى طردية أخرى يقرن بين الزور والعجب — والعجب أصل الذنب . والصلا المذكور فى البيت : مكتنفا الذنب — قال أبو نواس :

حتى انثنى مختضبا وما اختضب من مغرز الزور إلى عجب الذنب

(٦) مفرى : مشقوق . ماعدا مب « مغرى » محرفة . والنياط : القلب ؛ أو العرق من العروق الرئيسة . وشصا : قطعت رجله فارتفعت مفاصله . وفى ط ، م : « فلسطا » ، وفى س : « سطا » ، وكلاهما تحريف ماأثبت من مب .

وماثلِ الفَوْدَيْنِ مجلوز القَفا[١]   يُقْفِينَ بالأكبادِ منها والكُلَى[٢]

٢٢ * وبالقلوبِ وكَرَادِيس الطُّلى[٣] *

(طردية تاسعة لأبي نواس)

وقال أيضاً :

لمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ من حِجَابِه   وانعدلَ الليلُ إلى مآبِه

خرَّطه القانصُ واغتدَى به[٤]   فى مِقودٍ يَردَعُ من جذَابه[٥]

يَعُزُّهُ طورًا على استصعابِه[٦]   وتارةً ينصبُّ لانصِبابه

كأنَّما يفترُّ من أنيابِه   عن مُرهَفات السِّنِّ من حِرابِه[٧]

يَرْثُم أنفَ الأرضِ فى ذَهابِه[٨]   حتَّى إذا أشْرَفَ مِنْ حِدَابِه[٩]

---

(١) الفودان : جانبا الرأس . والجلز : الطى ، أو اللى ، أو المد ، أو النزع .
و « القفا » هى فيما عدا مب : « القنا » تحريف ؛ وفى مب : « محلوق القفا » .

(٢) يقفين ، من قولهم : أقفاه بطعام : آثره به . ش ، م : « يقعر » ، وفى ط : « يعقر » ؛ صوابهما فى مب .

(٣) الكردوس ، بضم الكاف والدال : كل عظمين التقيا فى مفصل . وفى س ، م : « كواديس » محرفة صوابها فى ط ، مب . والطلى : جمع طلية بالضم ، [وهى العنق أو أصلها .

(٤) خرطه : أرسله .

(٥) جذابه : جذبه . وفى الأصل : « جدابه » ؛ والوجه ماأثبت .

(٦) سبق شرح هذا البيت ومابعده فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٧) عنى بالمرهف السيف القاطع . ماعدا مب : « عن مرهف ألس » تحريف . ط ، م : « من جرابه » صوابه فى ش ، ومب .

(٨) رثم أنفه : كسره ؛ وعنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه .

(٩) أشرف : علا شرفا ، أى مكانا مرتفعا . والحداب بالكسر ، والأحداب كذلك : جمع حدب بالتحريك ؛ وهو الأكمة ، أو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

بعد انحدار الطَّرْف وانقلابِه بروضةِ القاعِ إلى أعجابِه [١]
أرسَلَهُ كالسَّهْمِ إذْ غالَى بِه [٢] يكادُ أن ينسَلّ من إهابه [٣]
كلَمَعانِ البرقِ فى سَحابِه حتَّى إذا ما كادَ أو حَدَا بِه [٤]
وانصاتَ للصَّوتِ الذى يُدْعَى به [٥] كأنَّما أُدْمِجَ فى خِضابِه [٦]
مابين لَحْيَيْـه إلى أَقْرَابِه [٧] مشَهَّر الغُدُوِّ فى إيابه [٨]

---

(١) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وروضة القاع : الموضع الذى يجتمع إليه المـــاء فيكثر نبته . وأعجاب القاع : أطرافه ونهاياته ، مفرده عجب بالفتح . و « بروضة » هى فى ط : م : « بروضته » ، والصواب فى س ، ومب .

(٢) الرواية فى الصناعتين ص ٨٠ :

* أرسله كالسهم إذ غلا به *

يقال غلا بالسهم ، وغالاه ، وغالى به : رمى به أبعد ما يقدر عليـــه . فالروايتان صحيحتان .

(٣) ينسل من إهابه : يخرج من جلده . قال العسكرى فى الصناعتين : مأخوذ من قول ذى الرمة :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

وقول كثير :

إذا جرى معتمداً لأمـه يكاد يفرى جلده عن لحمـه

(٤) فى ط : « حارابه » وفى س ، م : « حادى به » ، صوابهما فى مب .

(٥) انصات للصوت : أجابه . ماعدا مب : « فانصاع » .

(٦) ماعدا مب : « إحصابه » ، وإنما المراد خضابه من دماء الصيد .

(٧) الأقراب : جمع قرب بالضم وبضمتين ، وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن .

(٨) المشهر : المعروف المتعالم . ماعدا مب : «مستهتر الغدوة » تحريف .

(طردية عاشرة لأبى نواس)

وقال أيضاً[١] :

مااليرقُ فى ذِى عارضٍ لَمّاحِ[٢] ولاانقضاضُ الكوكبِ المُنْصَاحِ[٣]
ولا انبتاتَ الدَّلو بالمتَّاحِ[٤] ولا انسيابُ الحُوتِ بالمُنْدَاحِ[٥]

(١) هذه الطردية مثبتة فى ديوان أبى نواس ٢١٦ . وقبلها سبعة أشطار منها لم يروها الجاحظ ، وهى :

قد أغتدى فى فَلَق الإصباحِ
بمطعَم يوجر فى سراحِ
مؤيَّدٍ بالنَّصْرِ والنَّجاحِ
غذته أظآرٌ من اللِّقاحِ
فهو كميشٌ ذَرِبُ السِّلاحِ
لا يسأمُ الدَّهْرَ من الضُّباحِ
منجَّــذٌ يأشَرُ للصِّياحِ

الكميش : السريع . والذرب : الحاد . والضباح : الصياح ، وهو فى الأصل للثعلب . والمنجد والمنجذ أيضاً : المجرب ، بتشديد الراء المفتوحة . يأشر للصياح : ينشط عند صياح الصائد به .

(٢) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٣) المنصاح : المستنير .

(٤) انبتات الدلو : انقطاع حبلها . والمتاح : الذى ينتزع الدلو .

(٥) المنداح : عنى به البحر الواسع . وبدل هذا الشطر مع سابقه فى مب :

* إلا انثناء الحوت بالمنداح *

حِينَ دناَ من راحةِ السَّبَّاحِ[١] أَجدَّ فى السُّرعةِ من سِرياحِ[٢]
يَـكادُ عِنْدَ ثَمَـلِ المِرَاحِ[٣] إذا سَمَا الخاتلُ للأَشْباحِ[٤]
يَطيرُ فى الجوِّ بلا جَنَاحِ[٥] يفترُّ عن مِثلِ شَبَا الرِّماحِ[٦]
فـكَمْ وكَمْ ذِى جُدَّة لَيَاحِ[٧] ونازِبٍ أعْفَرَ ذى طِماحِ[٨]

---

(١) أى حين قرب من كف السابح . و « حين » هى فيما عدا مب : « حتى » ، وقوة المعنى تستدعى « حين » ، إذ المراد سرعة الحوت حين يشتد فى فراره من يد السابح . و « السباح » هى كذلك فى س ، م والتيمورية . وفى ط : « السياح » وفى مب : « الممتاح » محرفة ، وهذا الشطر والشطر قبله هما فى الديوان اثنان فحسب ، والرواية فيه هكذا :

ولا انبتاتُ الحَوْأبِ المنداحِ
حين دنا من راحة المتَّاحِ

والحوأب المنداح : الدلو الواسع .

(٢) سرياح بالـكسر : اسم كلب ، وهى فى الأصول : « سرباح » بالباء ، وتصحيحه من الديوان والقاموس مادة (سرح) .

(٣) « يكاد » فيما عـدا مب « فكاد » ، والوجه ما أثبت مطابقاً للديوان . والثمل ، بالتحريك : السكر ونشوته. ماعدا مب : « نمل » محرفة . والمراح بالـكسر : النشاط والأشر ، وهى فى الأصل : « المزاح » ، ولا وجه له ، والصواب ماأثبت من مب ، والديوان .

(٤) سما للصيد : خرج طالباً له يتعين شخوصه . والخاتل : الخادع . ماعدا مب : «أرى الخاتل» وفى مب : « سنا الحايل » ، وفى الديوان: « سما الخايل » ولعل الوجه ماأثبت . والأشباح : الشخوص ، يعنى شخوص الصيد .

(٥) الجو : الهواء. مب : « جو » ماعدا مب : « الجد » والصواب من الديوان .

(٦) شبا الرماح: حدودها، جمع شباة .

(٧) الجدة: الخطة السوداء فى متن الحمار . واللياح ،كسحاب وكتاب : الأبيض .

(٨) النازب : عنى به الظبى ، والنزيب : صوته . والأعفر من الظباء : مايعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .والطماح بالكسر: الجماح .

* غادَرَهُ مضرَّجَ الصِّفاحِ[1] *

بابـ آخر فى الـكلب وشأنه ٢٣

(تفسير بعض ما قيل من الشعر فى الـكلاب)

قال طُفيلُ الغَنَوىّ :

أناس إذا ما أنـكر الـكلبُ أهْلَهُ حَمَوْا جارَهُمْ مِن كلِّ شنْعاءَ مُظْلِـع[2]

يقول : إذا تـكفَّروا فى السِّلاح لمْ تَعْرِفْهُم كلابُهُـم .

ولم يَدَّعِ جميعُ أصحابِ المعارفِ إلَّا أنَّ الـكلبَ أشدُّ ثِباتاً[3] ، وأصدقُ حِسًّا . وفى ذلك يقول الآخر :

فلا تَرفَعى صوتاً وكُونى قَصِيَّةً إذا ثَوَّبَ الدَّاعِى وأنكرَنِى كَلْبى[4]

يقول : إيّاكِ والصُّراخَ[5] إذا عايَنْتِ الجيش .

---

(١) يقول : تركه مضرج الجوانب بالدم .

(٢) هذا البيت رواه أبو على فى الأمالى (١ : ٥٥) بهذه الرواية : مطابقا لديوانه ٢٨ :

أناس إذا ما أنـكر الـكلب أهله حموا جارهم من كل شنعاء مضلع

قال أبو على : « ويروى مفظع » قال : ومضلع : شديدة ، يقال أضلعنى الأمر : إذا اشتد على وغلبنى اه . وقال فى اللسان ، ولم يرو البيت : « وداهية مضلعة تثقل الأضلاع وتكسرها » . فيظهر أن ماهنا عن س ، م رواية ثالثة فى البيت ، وفى ط : « تطلع » وهى ظاهرة التحريف . و « مظلع » : تجعل صاحبها يظلع : أى يعرج . وجاء فى الحديث : « الحمل المضلع ، والشر الذى لاينقطع ، إظهار البدع » فقال ابن الأثير : « ولو روى بالظاء من الظلع : العرج والغمز ، لـكان وجها » . و « الشنعاء » قال أبو على : هى الداهية المشهورة .

(٣) مب : « ولم يدع ذكر جميع ». وحسبت أن « ثباتا » محرفةعن « إثباتا » — والإثبات بمعنى المعرفة — ثم وجدت فى القاموس واللسان : « وثابته وأثبته : عرفه حق المعرفة» . فـكلمة « ثباتا » مصدر « ثابته » كما أن « إثباتا » مصدر « أثبته » .

(٤) القصية : البعيدة . والداعى : الذى يدعو الناس إلى القتال . ثوب : دعا مرة بعدأخرى . ماعدا مب : « صوت » .

(٥) ماعدا مب : « الصياح » .

وقوله : « أنكرنى كلبى » ، يخبر أنَّ سلَاحَهُ تامٌّ من الدِّرع والمِغْفَر والبَيضَة[1] . فإذا تكفّر بسلاحه أنكره كلبُه فنبحَه[2] .

وأمَّا قوله :

إذا خَرِس الفَحل وسطَ الُحجورِ[3]   وصاحَ الكلابُ وعُقَّ الْوَلد

فأمَّا قوله : إذا خرِسَ الفحل ، فإنَّ الفحلَ إذا عايَن الجيشَ وبوارِقَ السيوف ، لم يلتفت لِفْتَ الُحجورِ[3] .

وأمَّا قوله : وصاح الكلاب ، فإنَّ الكلابَ فى تلك الحالة تنبَح أربابَها كما تنبح سَرَعَانَا الخيل إليهم[4] ؛ لأنّها لا تعرفهم من عدُوِّهم .

وأمَّا قوله : وعُقَّ الولد، فإنّ المرأةَ إذا صبَّحتهم الخيل، ونادى الرجال يا صباحاه ! ذُهِلت عن ولدها ، وشغَلها الرُّعبُ عن كلِّ شيء . فجعَلَ تَركها احتمالَ ولدها والعطفَ عليه فى تلك الحالة ، عقوقاً منها ، وهو قولهم : نَزلتْ بهم أمور لا يُنادَى وليدُها[5] ، وإنَّما استعاروا هذه الكلمة فصيَّروها فى هذا الموضع من هذا المكان .

وقد ذكر ذلك مزرِّد بن ضِرَارٍ وغيرُه ، فقال :

---

(١) المغفر، كمنبر وسحاب وكتابة : زرد يلبس تحت البيضة ويغطى العنق ، وقيل حلق يتقنع به المتسلح . والبيضة : غطاء حديدى للرأس .

(٢) تكفر بسلاحه : دخل فيه فاستترت هيئته، ماعدا مب : « فينبحه » .

(٣) ماعدا مب : « الحجون » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . والحجور كالحجورة والأحجار : جمع حجر بالكسر ، وهى الأنثى من الخيل .

(٤) سرعان الخيل بالتحريك : أوائلها ، وقد يسكن .

(٥) وقال أبو عبيد : معناه أمر عظيم لاينادى فيه الصغار ، وإنما يدعى فيه الكهول والكبار . وقال الكلابى : هذا مثل يقوله القوم إذا أخصبوا وكثرت أموالهم ، فإذا أهوى الصبى إلى شىء ليأخذه لم ينه عن أخذه ، ولم يصح به ، لكثرته عندهم . الميدانى (٢ : ٣١٢) . وقال أبو العميثل : الصبيان إذا رأوا شيئاً عجيبا تحشدوا له ، مثل القراد والحاوى ، فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون . أدب الكاتب ٤٨ — ٤٩ .

تَبَرَّأْتُ مِن شَتْمِ الرجالِ بتوبةٍ   إلى اللهِ مِنى لا يُنادَى وَلِيدُها[1]

وقال الآخر :

ظَهَرتُم على الأحرار من بَعْدِ ذِلَّةٍ   وشِقْوَةِ عَيشٍ لا يُنادَى وَلِيدُها[2]

٢٤ والذى يُخرِسه إفراطُ البَرد ، وإلحاحُ المطر ، كما قال الهذلىُّ[3] :

وليلةٍ يَصْطَلى بالفَرْثِ جَازِرُها   يَختَصُّ بِالنَّقَرَى المُثرِينَ دَاعِيها[4]

لا يَنبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ   من الصَّقيعِ ، ولا تَسْرِى أفاعيها

وقال ابن هَرْمة :

واسألِ الجارَ والمعصِّبَ والأضيا   فَ وَهْناً إذا تَحيَّوْا لديَّا[5]

كيف يَلقَونَنى إذا نبحَ الكلـ   بُ وراءَ الكُسورِ نَبحاً خَفيًّا

وقال آخر :

إذا عمِىَ الكلبُ فى دِيمةٍ   وأخرسهُ اللهَ مِن غيرِ صِرّْ[6]

يقول : الكلبُ وإن أخرسَه البردُ الذى يكون مع المطر والرِّيح التى تمرُّ[7] بالصَّحارى المطيرة فتبرُدُ ، فإنَّ الكلب وإن ناله ذلك فإنَّ ذلك من خِصبٍ ؛ وليس ذلك من صِرّ[8] .

---

(١) مثل هذه الرواية فى اللسان (ولد) مع النسبة إلى ضرار . والبيت فى الميدانى (٢ : ٣١٣) غير منسوب ، والرواية فيه هكذا :

فأقصرت عن ذكر الغوانى بتوبة   إلى الله منى لاينادى وليدها

(٢) ومن هذا المعنى ماأنشده الميدانى (٢ : ٣١٣) من قول الآخر :

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد   شرائع جود لاينادى وليدها

(٣) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب. ديوان الهذليين (٣ : ١٢٦) . وقد سبق فى ١ : ٣٨٨ .

(٤) يقال دعا النقرى : إذا خص بدعوته ، والجفلى : إذا عم فى دعوته .

(٥) سبق الكلام فى هذا الشعر بالجزء الأول ص ٣٨٨ .

(٦) الديمة : المطر الدائم . والصر : البرد الشديد . وهذا البيت فى الأصل مقحم ظلماً بين بيتى « تبرأت من شتم الرجال » و « ظهرتم على الأحرار » فى أول هذه الصفحة . فرددته إلى موضعه الطبيعى ، والكلام الآتى خاص بمعنى هذا البيت .

(٧) ط : « تمطر » والوجه ماأثبت من س .

(٨) قد يرى القارئ تناقضا فى هـذا القول ، وليس به ، وبخاصة إذا عرف أن الصر أقوى من البرد .

(نبح الكلاب السحاب)

والكلب إذا ألَحّت عليه السحائب بالأمطار فى أيام الشتاء لقىَ جِنّة[1] فمتى أبصَرَ غيماً نبحه ؛ لأنَّه قد عرَف ما يُلَقَّى من مِثله . وفى المثل : « لَا يَضُرُّ السَّحَابَ نُبَاحُ الكلاب[2] » ، فقال الشاعر :

ومالىَ لا أغْزو وللدَّهر كَرَّة ‌ ‌ ‌ وقد نَبحتْ نحوَ السماءِ كلابُها

يقول : قد كنت أدَعُ الغَزْو مخافةَ العطش على الخيل والأنفس ، فما عُذرِى اليوم والغُدرانَ كثيرة ، ومَناقع المياه موفورة[3] .

والكلابُ لاتنبَح السحاب إلّا من إلحاح المطر وترادُفه .

وقال الأفوه الأودِىّ ، فى نبح الكلاب السحاب ، وذلك من وصف الغيم :

له هَيْدَبٌ دانٍ ورعْد ولَجّةٌ ‌ ‌ ‌ وبرق تراهُ ساطعاً يتبلّجُ[4]
فباتَت كلاب الحىِّ ينبَحْنَ مُزْنَهُ ‌ ‌ ‌ وأضْحَتْ بَنَاتُ الماءِ فيها تعمَّجُ[5]

---

(١) الجنة : الجنون . وواضح أن هذا القول غير القول الأول ، فلعل وجه الكلام « وقيل : الكلب إذا ألحت عليه السحائب . . . » الخ .

(٢) المثل عند الميدانى (٢ : ١٤٨) وقال : « يضرب لمن ينال من إنسان بما لايضره » .

(٣) فى الأصل : « موجودة » ، وما كتبت أشبه بالكلام .

(٤) الهيدب : السحاب المتدلى ، أو ذيله . واللجة ، بالفتح : الجلبة .

(٥) تعمج : تسبح فى الماء أو تتثنى . وهذا مافى س . وفى ط : « تمعج » أى تلتوى وتتثنى . وبنات الماء عنى بها السمك . وهناك ضرب من السمك يسمى « بنات الماء » وهو عجيب الخلقة — زعموا — وليس يريده الشاعر . انظر الدميرى .

(قول أبى حيَّة النميرىّ فى الكلب)

وقال أبو خالد النميرىّ : وذكروا[١] فرعون ذا الأوتاد عند أبى حيَّة النميرىّ ، فقال أبو حيَّة : الكلبُ خير منه وأحزم ! قال : فقيل له كيف خَصَصْتَ الكلبَ بذلك ؟ قال : لأنَّ الشاعر يقول :

ومالىَ لا أغْزُو وللدَّهرِ كَرَّة   وقد نبحت نَحوَ السماءِ كلابُها

وقال الفرزدق :

فإنّك إن تهجو حنيفةَ سادرًا   وقبلك قد فاتوا يَدَ المتناوِل[٢]

كفِرعَوْنَ إذ يرمى السَّماءَ بسهمِهِ   فرُدَّ عليه السهم أفوقَ ناصِلِى[٣]

٢٥ فهذا يرمى السماءَ بجهله ، وهذا ينبَح السحابَ من جَودَة فِطنته .

(تعصّب فهد الأحزم للكلب)

وزعم فهدُ الأحزم[٤] أنّ الكلبَ إنَّما عَرَف مخرَج ذلك الشىء المؤذى له حتَّى نبحه بالقياس ، لأنّه إنما نبَحه بعد أن توالى عليه الأذى من تلك الجهة . وكان فهد[٥] يتعصَّب للكلب ، فقلت له : وكذلك الحمار

(١) فى الأصل : « وذكر » ، والوجه ماأثبت .

(٢) لم أجد البيتين فى ديوان الفرزدق . وفيهما إقواء .

(٣) س : « ناصل » . ط ، م : « ناضل » صوابهما من التنبيه على الحماسة لابن جنى (مصورة معهد المخطوطات) عند قول الحماسى : * كساق الجرادة أو أحمشى * والسهم الأفوق : المكسور الفوق بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . والناصل : الذى خرج سهمه . قال ابن جنى : «أى أفوق ناصليا » .

(٤) هـذا مافى س . وفى م : « الأخرم » موضع « الأحزم » وفى ط : « فهذا جزم » وهو تحريف ظاهر .

(٥) ط : « وكان فهذا » ، وهو تحريف مافى س و م .

إذا رفعت عليه السّوط مرّ من تحتك مَرًّا حثيثاً . فالقياس عَلَّمَهُ[١] أنّ السّوط متى رُفِع حُطّ ، ومتى حُطّ أصابَه ، ومتى أصابه ألَمَ . فما فضْلُ الكلب فى هذا الموضوع على الحمار ، والحمارُ هو الموصوف بالجهل ؟ !

(مما قيل فى نباح الكلاب)

قال الفرزدق :

وقد نَبَحَ الكلبُ السحابَ ودُونَها مَهامِهُ تعْشِى نَظْرَةَ المتأمِّلِ

وقال الآخر :

مالَكَ لاتَنبحُ يا كَلْبَ الدَّوْمْ قد كنتَ نَبَّاحًا فما بالُ اليَوْمْ

قال : كان هذا رجلٌ ينتظر عِيرًا له تَقدَمْ ، فكان إذا جاءت العِيرُ نبح ، فاحتبست عليه العيرُ ، فقال كالمتمنِّى وكالمنتظر المستبطئ : مالك لاتنبح ؟ أى ماللعِيرِ لاتأتى .

(فراسة إياس بن معاوية فى الكلاب)

وقال : خرج[٢] إياس بن معاوية ، فسمع نُباح كلب فقال : هذا كلبٌ مشدود . ثم سمع نباحَه فقال : قد أُرسِل . فَانتهوْا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال . فقال له غيلان أبو مروان[٣] : كيفَ علمتَ أنَّه موثَق وأنَّه أُطلق؟ قال :

---

(١) فى الأصل : « علم »
(٢) فى الأصل : « حج » .
(٣) قال ابن النديم فى شأنه : « وقد استقصيت خبره فى مقالة المتكلمين فى أخبار المرجئة. ولرسائله مجموع نحو ألفى ورقة » . والظاهر أن ابن النديم لم يف بوعده أو لعل كلامه ضاع فيما سقط من الكتاب ، وقد عده فى الكتاب المترسلين بعد عبد الحميد الكاتب . وقد قرنه الجاحظ فى البيان بابن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد (البيان ٣ : ٢٩) . وهو القائل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب » البيان ٢ : ١٦٤ . وقد أثبت له ابن قتيبة نموذجا من رائع كلامه فى عيون الأخبار ٢ : ٣٥٤ . وانظر ترجمته فى المعارف ٢١٢ وآراءه فى « الفرق بين الفرق » .

كان نباحُه وهو موثَق يُسمَع من مكانٍ واحد ، فلما أُطلِق سمعتُه يقرُب مرّةً ويبعُد مرّةً ، ويتصرّفُ فى ذلك .

وقالوا : مرَّ إياس بنُ معاويةَ ذاتَ ليلةٍ بماء ، فقال : أسمَعُ صوتَ كلبٍ غريب . قيل له : كيفَ عرفتَ ذلك ؟ قال : بخُضوع صوتِه وشِدَّة نُباح الآخر . فسألوا فإذا هو غريب مربوطٌ والكلابُ تنبَحه .

(استطراد لغوىّ)

وقال بعض العلماء : كلب أبقَع ، وفرس أبلَق ، وكبش أملح[1] ، وتيسٌ أبرق ، وثور أشْيَه[2] .

ويقال كلب وكلاب وكَليب ، ومَعْز وماعِز ومَعيز . وقال لبيد :

٢٦ فبِتْنَا حيثُ أمسَيْنَا قَرِيباً على جَسَدَاءَ تَنْبَحنَا الكليبُ[3]

---

(١) الأملح : الأبيض يخالط لونه سواد . وفى س: « أخرج » وهما بمعنى ، وجاء فى فقه اللغة ص ٥٧ مايأتى : « فصل فى تقسيم السواد والبياض على مايجتمعان فيه : فرس أبلق ، تيس أخرج ، كبش أملح ، ثور أشيه ، جبل أبرق ، آبنوس ملمع ، سحاب أنمر ، أفعوان أرقش ، دجاجة رقطاء» .

(٢) لا تجد هذه الكلمة فى مادة « شيه » أو « شوه » وإنما هى من مادة « وشى » . قال فى اللسان : » والشية سواد فى بياض أو بياض فى سواد ، الجوهرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوشى ، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ، كالزنة والوزن ، والجمع شيات . ويقال ثور أشيه ، كما يقال : فرس أبلق ، وتيس أذرأ » .

(٣) « جسداء » قال ياقوت : بالتحريك والمد ، ويروى بضم الجيم . وفى القاموس: « جسداء » وضبطت بالقلم فقط بفتح الأول . وهو موضع ببطن جلذان ، وجلذان : موضع قرب الطائف . وفى الأصل : « جسدين » وهو تحريف صوابه فى الديوان ص ٤٩ ومعجم البلدان . و « تنبحنا » هى فى الأصل : « تتبعنا » وصوابها فى المصدرين السابقين . وروايته فى معجم البلدان و اللسان (ثأد ، فرم) « الكلاب » ، صوابه ماهنا وهو مافى الديوان ٢٤٩ و نوادر أبى زيد ص ٦٨ . وبعده فى النوادر والديوان :

نقلنا سبيهم صرما فصرما إلى صرم كما نقل النصيب

وقال عَلْقَمَة بن عَبَدة[١] :

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأَنَّها مُوَلَّعَةٌ تخشى القَنِيص شَبُوبُ[٢]

تَعَفَّقَ بالأَرْطى لَهَا وأرادَها رجالٌ فبَذَّتْ نَبْلَهمْ وكَلِيب[٣]

وقال عُبادة بن مُحَبَّرٍ السعدى[٤] :

فَمَنْ للخَيلِ بَعْدَ أبى سِرَاجٍ إذا ما أشنج الصِّرُّ الكَلِيبا[٥]

وهؤلاء كلهم جاهليّون .

---

(١) من قصيدته المشهورة التى اختارها المفضل الضبى فى المفضليات ٣٩١ – ٣٩٦ . وهى فى الديوان ص ١٣١ من خمسة دواوين العرب . وهذه القصيدة مدح بها علقمة الحارث الوهاب ، سيد بنى غسان وملك الشام ؛ وهى وقصيدة أخرى عرضهما علقمة على قريش فى عامين متتاليين فقالوا : هاتان سمطا الدهر . ومطلعها :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(٢) يقول : هذه الناقة فى نشاطها بعد سراها الليل ؛ كأنها بقرة وحشية تتوثب نشاطا .

(٣) أبو حنيفة : « الأرطى : هو شبيه بالغضى ، ينبت عصيا من أصل واحد يطول قدر قامة » اهـ . يقول : قد لاذ هؤلاء الرجال بالأرطى من المطر والبرد . كذا فى اللسان . وعندى أنهم لاذوا بالأرطى لتحين الفرصة لصيدها . وبذت نبلهم : سبقت سهامهم .

(٤) فى ط : « عباد بن مجبر » وفى م : « عباد بن بجير » وفى س : « عباد بن مجير » وصوابها ما أثبت من نوادر أبى زيد ٦٩ . وهو فيما روى أبو زيد : « عياذ ابن محبر » ؛ وصححه أبو حاتم فى روايته مما كتبت . وعبادة هذا : شاعر جاهلى كما فى النوادر .

(٥) « الصر » بمعنى البرد الشديد كما فى النوادر ؛ وهى فى الأصل : « الضر » . و « أشنج » هى فى النوادر « أجأ » ؛ وفى س : « أشجا » ؛ وهذه تحريف ما فى النوادر .

(رأى لحمّوية الحربى فى بقع الكلاب وسودها)

وقال حمُّويَة الْحَرَبْى[١] وأنشَدُوه[٢] :

كَأَنَّكَ بالمُبَارَكِ بَعْدَ حينٍ ... تَخُوض غِماره بُقْع الكِلَابِ[٣]

وأنشدوه :

أرسلت أُسْدًا على سُودِ الكلاب فقدْ ... أَمْسَى شريدُهُمُ فى الْأَرْضِ فُلّالا[٤]

فقال : لاخير فى بُقْع الكلابِ ألبتة، وسُود الكلاب أكثرها عَقُورًا.

(خير الكلاب والسنانير)

وخيرُ الكِلاب ما كان لونُه يذهب إلى ألوان الأسد من الصُّفْرةِ والُحمرَة . والتبقيع هُجْنة .

وخيرُ السنانير الخَلَنْجِيَّة ، وخير كلاب الصَّيد البِيض .

قَالوا: إنّ الأَسَدَّ لِلهراشِ الُحمر والصُّفر، والسُّودُ لِلذِّئَاب، وهى شرُّها،

---

(١) الحريبى : نسبة إلى الحريبة : موضع بالبصرة . وفى ط : الخرسى » وفى س : « الحربى » ، وصوابهما ماأثبت من م .

(٢) فى الأصل : «وأنشدنى »، وسياق الكلام يطلب ما أثبت .

(٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفره خالد القسرى لهشام بن عبد الملك . والغمار : جمع غمر بالفتح ، وهو الماء الكثير ، وفى ط ، م : « عمارة » ، وهو تصحيف صوابه فى س ، ومعجم البلدان . وقد سبق هـذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٦١. وبقع الكلاب : جمع أبقع ، وهو ماخالط بياضه سواد .

(٤) سبق الكلام فى هذا البيت بالجزء الأول ص ٢٦٢ .

وقال النبي صلى ٱلله عليه وسلم : « لولَا أنّ الـكلابَ أُمَّةٌ من الأممِ لأَمَرْتُ بقتلها . ولـكن اقتلوا مِنها كلَّ أسودَ بَهيم » .

(القوّة فى السُّود من الحيوان)

وكلُّ شيءٍ من الحيوان إذا اسودَّ شعرُه أو جلدُهُ ، أو صوفه ، كان أقوَى لبَدَنه ولم تـكن[1] معرفته بالمحمودة .

(خير الحمـام)

وزعم[2] أنّ الحمام الهُدَّاءَ[3] إنما هو فى الخُضرِ والنمر[4] ، فإذا اسودَّ الحمام حتَّى يدخل فى الاحتراقِ صارَ مثلَ الزِّنجيِّ الشديدِ البطش ، القليل المعرفة . والأسوَدُ لايجيء من البعد ؛ لسوء هدايته . والأبيض وما ضرَبَ فيه البياض لايجيء من الغاية ، لضَعْف قواه . وعلى قدر ما يعتريه من البَياض يعتريه من الضّعف .

---

(١) فى الأصل : « ولا تكن » . وانظر ١ : ٢٦٢ .

(٢) لعله : « وزعم مثنى بن زهير » ، وقد كان أخبر الناس بالحمام ، والجاحظ يروى عنه كثيرا فيما يختص بالحمام .

(٣) كذا فى المخصص ٨ : ١٧٠وقال : « الواحد الهادى »: ويقال هـداه فاهتدى وهدى أيضاً : أى صار مهتديا . وهذه الـكلمة فى الأصل رسمت هكذا « الهدا » . وقد سبقت فى الجزء الأول ص ٩٧ برسم « الهـدى » كما سيأتى فى الجزء الثالث ص ٢١٣ ، ٢١٧ . ويظهـر أن القصر والمد لغتان جائزتان فيها . وهى من الجمع الشاذ ، فإن فاعلا معتل الياء لايجمع على « فعل » بضم الفاء وتشديد العين ، ولا « فعال » بالضم وتشديد العين ؛ وإنما قياسه أن يجمع على « فعلة » بضم الفاء وفتح العين كقضاة ورماة ، فى قاض ورام . التوضيح ٢ : ٢٢٤ — ٢٢٥ . قال ابن سيده : « وهن اللاتى يدربن ويرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئْن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك ، من مواضع كثيرة مسماة » . وأقول : هو حمام الزجل أو الزاجل . وانظر له الحيوان ٣ : ٢١٢ — ٢٢٧ .

(٤) النمر : أجمع أنمر ، وهو مافيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

فالكلب هو الأصفر والأحمر ، والحمام هو الأخضر والأنمر ، والسِّنَّور هو الخَلَنْجِيُّ العسَّال ، وسائر الألوان عيب .

وقد يكون فيها ومنها الخارجيُّ(١) كما يكون من الخيل ، ولكنّه لايكادُ ينجب ، ولا تعدُو الأمورُ المحمودةُ منه رأسَه ، وقد يكون ربّما أشْبَهَ وقرب من النَّجابة ؛ فإذا كان كذلك [كان](٢) كهذه الأمهات والآباء المُنجبة(٣) ، إلّا أنّ ذلكَ لايتمُّ منها إلّا بَعْدَ بطون عِدَّةٍ . ٢٧

(استطراد لغوى)

وقال أبوزيد: قال ردَّاد(٤) : أقول للرجُلِ الّذي إذا ركب الإبلَ فَعَقَرَ ظُهُورَها من إتعابه ، هذا رجل مِعْقَرٌ ، وكذلِك السَّرْج والقَتَب ، ولا يقال للكلب إلّا عقُور . ويقال هو ضِرْوٌ لِلكلب الضارى على الصيد ؛ وضِروة للكلبة(٥) ، وهذا ضرَاءٌ كثيرة ، وكلب ضارٍ ، وكلاب ضَوَارٍ . وقد ضريتْ أشدَّ الضراوة . وقال ذو الرُّمَّة :

مقزَّع أطلس الأطمارِ ليس له   إلّا الضِّراءَ وإلا صَيْدَها نَشَبُ(٦)

وقال طفيل الغنوى :

---

(١) الخارجى : المجهول النسب .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : « المسنجبة » .

(٤) هو رداد الكلابى . من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، ذكره ابن النديم فى الفهرس ٤٧ ليبسك ، ٧٠ مصر .

(٥) فى الأصل : « وضروة الكلبة » .

(٦) المقزع : السريع الخفيف . وأطلس الأطمار : خلق الثياب . والنشب : المال ناطقه وصامته . وقد عنى ذو الرمة بقوله صفة صائد يصيد بالكلاب . والبيت أنشده صاحب اللسان فى ثلاثة مواضع (قزع ، طلس ، ضرو) .

تُبارى مَرَاخيها الزِّجاجَ كأَنَّها ضِرَاءٌ أحسَّتْ نَبأةً من مكلِّبٍ [١]

ومنه قيل : إناء ضار [٢]

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : « إيَّاكُمْ وهذِهِ المجازِرَ فإنَّ لها ضرَاوَة كضرَاوَةِ الخمر [٣] » .

وقال الأصمعىّ : كلب أبقَعُ وكلبةٌ بقعاء، وفرس أبلقُ وفرس بَلقاء، وتَيس أبْرَقُ وعَنْزٌ بَرْقاء ، وكذلك جَبَل أبرقُ وكساءٌ أبرق وكلب أبرق .

---

(١) سبق الكلام على هـذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٦ . وفى ط : « الدجاج » مكان « الزجاج » وتصحيحه من س وما سبق فى الجزء الأول . ونحوه قول المثلم البلوى فى المؤتلف والمختلف ١٨٢ :

تبارى مراخيها الرياح كأنها ضراء دوان من جداية حلب

(٢) جاء فى اللسان : « وفى حديث على كرم الله وجهه : أنه نهى عن الشرب فى الإناء الضارى ، هو الذى ضرى بالخمر وعود بها ، فإذا جعل فيه النبيذ صار مسكراً ، وأصله من الضراوة وهى الدربة والعادة » . و « إناء » هى فى الأصل : « أتاء » وهو تصحيف كما رأيت . . . وكما يقال « إناء ضار » يقال « سقاء ضار باللبن » أى باق فيه أثر اللبن ، فإذا وضع فيه لبن حديث اكتسب منه طعماً ورائحة خاصة . ويقال « جرة ضارية بالخل والنبيذ » كذلك .

(٣) المجازر : مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحمانها . قال فى اللسان : « وإنما نهاهم عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم . وجعل لهـا ضراوة كضراوة الخمر : أى عادة كعادتها ؛ لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة ، فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر ، لما فى الدوام عليها من سرف النفقة والفساد » . وقال الجوهرى فى الصحاح : « قال الأصمعى : المجازر يعنى ندى القوم ، وهو مجتمعهم ، لأن الجزور إنمـا تنحر عند جمع الناس » . وقال ابن الأثير فى النهاية : « نهى عن أماكن الذبح لأن إلفها ومداومة النظر إليها ومشاهدة ذبح الحيوان ، مما يقسى القلب ويذهب الرحمة منه ، وقيل إنما أراد بالمجازر إدمان أكل اللحوم ، فكنى عنها بأمكنتها » .

(الغلام الشاعر)

وقال ابن داحة[١] : نزل عندنا أعرابيٌّ ومعه ابنان له صغيران ، وكان أحدهما مستهترا[٢] باللَّعب بالكلاب ، وكان الآخر مسْتَهْتَرًا[٢] بالحُملان ، فقال الأعرابيُّ لصاحب الكلب :

مالى أراكَ مَع الكلاب جَنِيبةً وأرَى أخاكَ جَنِيبةَ الحُمْلان[٣]

قال : فردَّ عليه الغلام :

لولا الكلابُ وهَرْشُها مَنْ دُونَها كَانَ الوقيرُ فَريسةَ الذُّؤبانِ[٤]

والوقير : اسم للغنم الكثيرةِ السائمةِ مع ما فيها مِنَ الحمير وغير ذلك[٥] .

وقال الشماخُ بنُ ضِرارٍ :

فأوْرَدَهُنَّ تَقْرِيباً وشَدًّا شرَائعَ لم يكدِّرْها الوَقيرُ[٦]

---

(١) لم أعثر على ترجمة له . وقد ذكره الجاحظ فى البيان ١ : ٨٤ باسم إبراهيم بن داحة مع جماعة من الرجال ، ثم قال : « وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع » أى الشيعة ، وهو فى الأصل بالراء . وأثبت مافى البيان والحيوان ٢ : ١٥٣ .

(٢) استهتر بالشئ — بالبناء للمجهول — : أولع به ، فهو مستهتر . وفى الأصل : « مشتهرا » من الشهرة . وهو تحريف .

(٣) الجنيبة : الدابة تقاد . وعنى بقوله استهتاره بالحملان .

(٤) الهراش : تحريش الكلاب . . . فى ط : « فراسة لذئاب » وفى م : « فراسة الذؤبان » وصوابهما ، ماأثبت من س .

(٥) فى اللسان : « قال الرمادى : دخلت على الأصمعى فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت يا أبا سعيد ، ماالوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها . لايكون وقيرا إلا كذلك » فهذا يفسر ماعنى الجاحظ .

(٦) عنى حماراً من حمر الوحش ، قد تقدم جماعة الحمر ليوردها الماء الصافى ، وهو فى ذلك يعلو ويشتد فى عدوه . وحمر الوحش من الحيوانات التى تعتقد الرياسة لأحدها . انظر الحيوان ٥ : ٤١٩ .

(مما قيل من الشعر فى نفع الـكلاب)

وقال الشاعر ــ فى تثبيت ما قال الغلام ــ :

تَعدُو الذِّئَابُ على مَنْ لا كلابَ له وتتَّقى صَوْلَةَ المُسْتَأْسِدِ الضارِى[1]

وقال الآخر :

إنَّ الذئاب تَرَى مَنْ لا كلاب له وتتّقى حَوْزَةَ المستثفِرِ الحامِى[2]

(عفّة عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق) ٢٨

وقال محمَّد بن إبراهيم : قَدِمَتِ امرأة إلى مَكَّةَ ، وكانتْ ذات جمالٍ وعَفافٍ وبَراعةٍ وشارة ، فأعجبَتِ ابن أبى ربيعة ، فأرْسَل إليها فخافت شِعْرَه ، فلما أرادت الطَّوافَ قالت لأخيها : اخْرُج معِى . فَخَرَجَ معَهَا ، وعَرَضَ لها عُمر فلمَّا رأى أخاها أعْرَض عنها ، فأنشدت قولَ جَرير[3] :

تَعْدُو الذِّئاب على مَنْ لا كلاب له وتَتَّقى حَوزَةَ المستأسِد الضّارى[4]

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى س : « مربض المستثفر الحامى » .

(٢) الاستثفار ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه فيشد طرفيه فى حجزته ، وذلك حين الصراع . وفى ط ، م : « المستشفر » وتصحيحه من س .

(٣) كذا ، ومثله فى الأغانى ١ : ٣٥ . والخبر فيه عن الهيثم بن عدى وفيه بسط وزيادة .

(٤) والخبر كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١٠٩ عن محمد بن على . ورواية البيت فيه :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مربض المستأسد الحامى

والبيت برواية ابن قتيبة هذه منسوب إلى النابغة ، كما فى اللسان وحماسة البحترى ٢٦٤ وشرح الأشعار الستة للشنتمرى مخطوطة دار الكتب من قصيدة مطلعها :

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وفى س : « وتتقى حوزة المستثفر الحامى » . والبيت فى شعر الزبرقان بن بدر أيضاً كما فى المؤتلف والمختلف ص ١٢٨ . قال يونس : « هو للنابغة : أظن الزبرقان استزاده فى شعره كالمثل » ، انظر المزهر ١ : ١١٠ .

هذا حديثُ أبى الحسن ، وأمّا بنو مَخْـزومٍ فيزعُمونَ أنّ ابن أبى رَبيعةَ لم يَحُلَّ إزارَه على حَرامٍ قَطُّ ، وإنما كان يذهب فى نسيبه إلى أخلاقِ ابن أبى عَتيق ؛ فإنَّ ابن أبى عَتيقٍ كان مِن أهل الطَّهارة والعفاف ، وكان مَن سمعَ كلامَه توهَّم أنّه من أجرإ الناس على فاحشة .

وما يُشبِه الذى يقولُ بنو مَخزومٍ ماذكروا عن قريش والمهاجرين ؛ فإنّهم يقولون : إنّ عمرَ بن عبد الله بن أبى ربيعة إنّما سُمِّى بعمر بن الخطّاب [١] وإنّه ولد ليلةَ ماتَ عمر . فلما كان بعد ذلك ذكروا فسادَ هذا وصلاحَ ذلك فقالوا : أىُّ باطلٍ وُضع ، وأىُّ حقٍّ رُفع ! !

ومثلُ هذا الكلامِ لايقالُ لمن يُوصَف بالعفّة الثابتة .

(وصية شريح لمعلم ولده)

ولبُغض [٢] المُزاح فى لعب الصبيان بالكِلاب واستهتارِهم بها ، كَتَبَ شريح إلى معلّمِ ولَدٍ له كان يَدَع الكُتّابَ ويَلعب بالكلاب [٣] :

تَرَكَ الصَّلاة لأكلبٍ يَلهو بها   طَلَبَ الهِراشِ مع الغُوَاة الرُّجَّسِ [٤]

---

(١) ط : « يسمى » ، والوجه ما فى س .

(٢) فى الأصل : « لبعض » ، والوجه ماأثبت .

(٣) الأبيات الآتية فى ثمار القلوب ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والعمدة ١ : ١٧ والعقد ١ : ٣٦٣ والمحاسن للبيهقى ٢ : ٢١٦ والشريشى ٢ : ٣٨١ .

(٤) فى المراجع : « يسعى بها » موضع « يلهو بها » . وفى الثمار أيضاً : « نحو الهراش » وفى العقد : «طلب الهراش» .

وليأتينَّك غادياً بصحيفةٍ يَغْدُو بها كصحيفة المتلمِّسِ[١]

فإذا خلوتَ فعَضَّه بمَلامَةٍ أو عِظْه موعِظةَ الأديبِ الأكيس[٢]

وإذا هممت بضربِهِ فبِدِرَّةٍ وإذا ضرَبت بها ثلاثاً فاحْبِس[٣]

واعلمْ بأنّك ما فعلت فإنَّه مَعَ مَا يُجَرِّعُني أعزُّ الأنفُس[٤]

وهذا الشعر عندنا[٥] لأعشى بنى سُليم فى ابنٍ له . وقد رأيتُ ابنه هذا شيخاً كبيراً ، وهو يقُول الشعر[٦] وله أحَاديثُ كثيرةٌ ظريفة .

---

(١) هذا البيت لم يروه ابن عبد ربه ولا ابن قتيبة فى كتابيهما . وصحيفة المتلمس مثل فى الشؤم . وأصله أن المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، كانا ينادمان عمرو ابن هند ، فنمى إليه أنهما يهجوانه ، فاحتال لقتلهما بأن دفع إلى كل منهما كتابا إلى عامله بالبحرين ، وأوهمهما أنهما بالكتابين يحصلان على الجوائز ، فضيا حتى إذا كانا بنهر الحيرة مرا على غلمان يلعبون ، فأما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام فقرأه ففهم منه الشر الذى أضمره الملك ، وألقى كتابه فى الماء ، وأما طرفة فقد لعب برأسه الطمع فاحتفظ بكتابه ، ومضى بكتابه إلى العامل ، فقادته إلى الحين رجلاه .

(٢) فى عيون الأخبار فقط : « فإذا خلوت » . وفى الثمار فقط : « فحضه بملامة » . وأما الشطر الثانى للبيت فهو فى الثمار : « وأنله موعظة اللبيب » ، وفى العيون : « وعظنه وعظك للأريب » ، وفى العقد : « وعظنه موعظة الأديب » .

(٣) الدرة بالكسر : السوط ، كما فى المصباح . وهى فى ط : « بذرة » محرفة وصوابها فى س والمراجع المتقدمة . وفى الأصل أيضاً : « وإذا ضربت به » والضمير عائد إلى « الدرة » فالصواب ماأثبت من الثمار . وفى العقد : « وإذا بلغت ثلاثة لك » ،وفى العيون : « وإذا بلغت بها ثلاثا » ، وفى الشريشى : « وإذا بلغت به ثلاثا » .

(٤) « فإنه » هى فى معظم المراجع : « فنفسه » . وما هنا سائغ لابأس به .

(٥) ط فقط : « عندى » .

(٦) ط : « بشعر » وصوابه فى س ، م .

(من دلائل كرم الكلب)

وقال صاحب الكلب : وممَّا يدلُّ على قَدْرِ الكلب كثرةُ[1] مايجرى على ألسنةِ النَّاس من مَدْحِه بالخير والشرّ ، وبالحمد وبالذمّ ، حتَّى ذكر فى القرآن مَرَّةً بالحمد ومَرَّةً بالذمّ . وبمثل ذلك ذُكِر فى الحديث ، وكذلك فى الأشعار والأمثال ، حتى استُعمل فى الاشتقاقات ، وجرى فى طريق الفأل والطِّيَرة ، وفى ذكر الرؤيا والأحلام ، ومع الجِنّ والحِنّ[2] والسِّباع والبهائم . فإن كنتمْ إنَّما قضيتُمْ عليهِ بالشر وبالنقص ، وباللُّؤم وبالسقوطِ لأنَّ ذلك كلَّه قد قِيلَ فِيهِ ، فالذى قِيلَ فِيهِ من الخير أكثرُ ، ومن الخصال المحمودة أشهرُ . ٢٩

ولَيْسَ شىءٌ أجمعَ لخصال النقص من الخمول ؛ لأنَّ تلك الخصالَ المخالِفةَ لذلك ، تُعطى من النَّباهةِ وتُقيم من الذكر على قَدْرِ المذْكُورِ من ذلِك . وكما لاتكون الخِصالُ التى تُورث الخمول مورثةً للنباهة فكذلك[3] خِصَال النَّباهة فى مجانبة الخُمول ؛ لِأَنَّ الملومَ أفضلُ من الخامل :

---

(١) ط : «كثيرا» ، والصواب فى س ، م .

(٢) قالوا : الحن : ضعاف الجن .

(٣) ط : «كما لا تكون . . . فلذلك» ، والتعديل من س .

(الترجمان بن هريم والحارث بن شريح)

وسمع التَّرجمانُ بن هُرَيْم[1] [عند يزيد بن عمر[2]] بن هبيرة ، رجلاً يقول : ما جاء الحارث بن شريحٍ بيومِ خَيْر قَطّ. قال التَّرجمان : إلا يكنْ[3] جاء بيومِ خَيرٍ فقد جاء بيوم ِشرّ[4] .

(سياسة الحزم)

وبعدُ فأىُّ رئيسٍ كان خيرُهُ محضاً عَدِمَ الهَيْبَةَ . ومَن لم يَعْمَل بإقامة جزاءِ السيئة والحسنة ، وقتل فى موضع القتل ، وأحْيَا فى موضع الإحياء ، وعَفَا فى موضع العفو ، وعاقبَ فى موضع العقوبة ، ومَنَع ساعةَ المنع ، وأعطى ساعة الإعطاء ، خالَفَ الرَّبَّ فى تدبيره ، وظنَّ أن رحمته فوق رحمةِ ربه .

---

(١) الترجمان بن هريم : قال ابن قتيبة فى المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز : وعلى بنى حنظلة فى فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعا كيسا ، وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . وكبر هريم فحول اسمه فى أعوان الديوان ، فقيل له : إنك لاتحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف ! فى الأصل : « الترجمان بن مريم » وتصحيحه من المعارف والبيان ١ : ١٩٩ .

(٢) التكملة من البيان . ويزيد هــذا أمير قائد من ولاة الدولة الأموية . ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين فى أيام مروان بن محمد . ولما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره . ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .

(٣) فى الأصل : « إن لايكون » ، صوابه من البيان .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : ذهب الترجمان إلى مثل معنى قول الشاعر :

وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق الناس طرا
وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شرا

أقول : زمان بكسر الزاى وتشديد الميم قبيلة منها الفند الزمانى الشاعر .

وقد قالوا : بعضُ القتل إحياءٌ للجميع . وبعضُ العفو إغراء ، كما أنَّ بعضَ المنع إعطاء ، ولا خَيْر فيمن كان خيرُهُ محْضاً ، وشَرٌّ منه مَن كان شرُّه صرفاً . ولكن ٱخلِطِ الوعدَ بالوعيد ، والبِشرَ بالعبوس ، والإعطاء بالمنع ، والحِلمَ بالإيقاع ؛ فإنَّ الناسَ لا يَهابون ولا يصلُحون إلَّا على الثّواب والعقاب ، والإطماع والإخافة . ومَنْ أَخافَ ولم يُوقِعْ[1] وعُرِفَ بذلك ، كانَ كَمَنْ أطمَعَ ولم يُنْجِز وعُرِف بذلك ، ومَنْ عُرِف بذلك دخلَ عليه بحسَب ما عُرِف منه . فخيْر الخيرِ ما كان ممزُوجاً ، وشرُّ الشرِّ ما كانَ صرفاً ، ولو كانَ النّاس يصلُحون على الخيرِ وحدَه لكانَ الله عزّ وجلَّ أولى بذلك ٱلحكم .

وفى إطباق جميع الملوك وجميع الأئمةِ فى جميع الأقطار وفى جميع الأعصار على استعمال المكروه والمحبوب ، دليل على أنَّ الصواب فيه دونَ غيره .

وإذا كان الناس إنما يصلحون[2] على الشِّدَّةِ واللين ، وعلى العفو والانتقام وعلى البذْل والمنع ، وعلى الخير والشرِّ ، عاد ذلك الشرُّ خيرًا وذلك المنع إعْطاء وذلِك المكروه محبوباً . وإنّما الشأنُ فى العَوَاقب ، وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدْوَم ، ومن الانقِطاع أبعَدُ .

---

(١) فى ط : « يقع » ، والصواب فى س .

(٢) فى الأصل : « يصطلحون » والوجه ماأثبت .

(شعر فى الحزم)

٣٠

وقال الشاعر ، وَهو يمدح قَوماً[١] :

إن يُسأَلوا الخيرَ يُعطُوه وَإن جُهِدُوا ... فالَجهْدُ يُخرج مِنهم طِيبَ أَخبارِ[٢]

وإن توَدَّدتَهم لانوا وإن شُهِموا ... كَشَفْتَ أذمَارَ حَرْبٍ غيرَ أغمارِ[٣]

وقال العتبى[٤] :

ولـكن[٥] بنو خيرٍ وشر كلَيهِما ... جمِيعاً ومَعروفٍ ألمَّ ومُنْـكرِ

---

(١) الشاعر هو عبيد بن العرندس الـكلابى ، كما فى الـكامل ٤٧ وتنبيـه البكرى ٧٣ . والشعر رواه أبو تمـام فى الحماسـة ٢ : ٢٦٩ والقـالى فى الأمـالى ١ : ٢٣٩ والمرزبانى فى المعجم ٣٠٦ ، ونسبه كل منهـم إلى العرندس الـكلابى لا إلى عبيد . وقد نبه البكرى على هـذا الخطأ . والشعر رواه أيضـاً العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ٤١ غير منسوب . أما القوم الذين مدحهم عبيد بن العرندس فهم بنو عمرو الغنويون . وكان أبو عبيدة يقول : « هذا المحال ، كلابى يمدح غنويا ! » . قال البكرى فى تفسير ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابى يمدح غنويا ، لأن فزارة كانت قد أوقعت ببنى أبى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيىء قيس النـدامى الغنوى ، وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوى ، استغاثت غنى ببنى أبى بكر وبنى محـارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فقعدوا عنهم فلم يجيبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » .

(٢) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

(٣) توددتهم : طلبت مودتهم . شهموا ، بالبناء للمفعول : من شهمت الفرس إذا حركتها لتسرع . يقول : إذا حركوا على سبيل الإخافة لم يكن عندهم لين . التبريزى فى شرح الحماسة ٤ : ٧٢ . . والأذمار : جمع ذمر بالـكسر ، وهو الشجاع . والأغمار : جمع غمر بالتثليث ويحرك ، وهو الذى لم يجرب الأمور .

(٤) سبقت ترجمته فى شرح الجزء الأول ص ٥٣ — ٥٤ .

(٥) كذا فى ط . وهى فى س ، م : « أولاك » بمعنى « أولئك » .

وقال بَعْضُ من ارتجز يوم جَبَلة[1] :

أنا الْغُلَامُ الأعسَرْ　　الخيرُ فىَّ والشرّ

* والشرُّ فىَّ أكثرْ *

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لزُفَر بن الحارث ـ وقد دخل عليه فى رجالاتِ قيس : ألستَ امرأً مِن كندة ؟ قال : وما خيرُ مَن لا يُتَّقى حَسَدا ، ويُدْعَى رغبة .

وقال ثُمامة : الشُّهرة بالشرِّ خيرٌ من أن لا أُعرَفَ بخير ولا شرّ

(أمارات النباهة)

وكان يقال : يُستَدَلُّ على نباهة الرَّجلِ من الماضين بتَبَايُنِ الناس فيه .

وقال : ألا ترى أنَّ عليًّا ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : يَهلك فىَّ فئتان[2] : محبٌّ مُفْرِط ، ومبغِض مُفرط .

وهذه صفةَ أنبَهِ الناس، وأبعدِهم غايةً فى مراتب الدِّين وشرَفِ الدنيا ؟ ألا ترى أنَ الشاعر يقول :

---

(١) يوم جبلة أحد الأيام الثلاثة العظيمة عند العرب ، وهى : يوم الكلاب ، ويوم جبلة ، ويوم ذى قار . وهو مفصل فى الأغانى ١٠ : ٣٣ - ٤٥ . وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما فى العقد ٣ : ٣٠٧ . وقائل الشعر هو معاوية بن عبادة بن عقيل ، وكان أعسر ، كما فى الأغانى . والأعسر : الذى يعمل بشماله .

(٢) فى الأصل : « فتيان » .

أرَى العِلبــاء كالعِلبــا ءِ لا حُــلوٌ ولا مرٌّ[١]
شُيَيْخٌ مِن بنى الجارُو دِ لا خــــير ولا شَرُّ

وقال الآخر :

عَيَّرتنى يا ثـكلتْنى أمِّى[٢] أسْود مثل الُجعَل الأحمِّ[٣]
ينطَحُ عُرْضَ الجَبَلِ الأصمِّ ليس بذى القَرْنِ ولا الأجمِّ

وإذا كان الرجلُ أبرعَ الناس بَراعةً ، وأظهَرهم فضلاً ، وأجمعهم لخصال الشرف ، ثمَّ كانت كلُّ خَصلةٍ مساويةً لأختها فى التّمامِ ، ولم تغلِب عليه خَصلة واحدة ، فإنَّ هذا الرَّجلَ لا يكادُ يوصف إلَّا بالسيادة والرياسة خاصّةً إذا لم يكن له مسندٌ عما[٤] يكون هو الغالب عليه .

وقالوا فيما يشبِه ما ذكرنا ، وإن لم يكن هو بعينه . قال الشاعر[٥] :

---

(١) كلمة « العلباء » الأولى ، المراد بها « علباء بن حبيب » كما سبق فى الجزء الأول من الحيوان ص ٣٦١ . وأما « العلباء » الثانية فالمراد بها عصب عنق البعــير . يقول : هو تافه فسل . والعلباء بكسر العين .

(٢) ثكلته أمه : فقدته : وفى ط : « شكلتنى » وصوابه فى س ، م . وقد حذف الراجز المنادى هنا بعد الياء ، كما فى بيت الشماخ :

ألا ياأسقيانى قبل غارة سنجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال

أى ياصاحبى اسقيانى . وكقــول الآخر ، وهو من أبيات الـكتاب ١ : ٣٢٠ بولاق :

يا ، لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

أى ياقوم ، أو ياهؤلاء . ولعنة الله ، بالرفع على الإبتداء .

(٣) الجعل : دويبة تألف الأماكن القــذرة . وفى ط : « الحمل » ، وصــوابها فى س ، م .

(٤) كذا فى س ، ط . وفى م : « مسندهما » ، وفى العبارة اضطراب .

(٥) هو عبيد بن العرندس الـكلابى . وقد سبق بيتان من قصيدة الشعر الآتى فى ص ٨٩ من هذا الجزء .

٣١ هَيْنُون لَيْنُونَ أيسارٌ ذوُو يُسُرٍ سُوَّاس مَكرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ[١]
مَنْ تَلْقَ مِنهمْ تَقُل لا قَيْتُ سَيِّدَهم مثلُ النُّجومِ التى يسرِى بها السارى

وقد قال مثلَ الذى وصَفْنا جعفرٌ الضبىُّ[٢] فى الفضل بن سهل[٣] :

أيُّها الأمير أسْكَتنِي عن وَصفك تَساوِى أفعالك فى السُّودَد ، وحيَّرنى فيها كثرَةُ عددها ، فليسَ إلى ذكر جميعِها سبيلٍ ، وإن أردتُ وَصفَ وَاحدةٍ اعترضَتْ أختها ؛ إذْ لم تـكن الأُولى أحقَّ بالذكر . ولست أصفُها إلاّ بإظهار العَجْز عن وَصفها .

ولذلك قالوا : « أحلم من الْأَحْنف » ، و « ما هو إلَّا فِى حلم معاوية » و « أحلم مِن قَيس بن عاصم » ، ولم يقولوا : أحلمَ من عبد المطَّلب ، ولَا هو أحلم من هاشم ؛ لأنَّ الحلم خَصلة من خصاله كتمام حلمه ، فلمَّا كانت خصالُه متساوِيَةً ، وخلالُه مشرفة[٤] متوازِيَة ، وكلُّها كان غالباً ظاهراً ، وقاهراً غامراً ، سمِّى[٥] بأجمع ِالأشياء ولم يُسمْ بالخصلة الْوَاحدة ، فيستدلَّ بذلك على أنَّهاَ كانت أغلب خصال الخيرِ عليه .

---

(١) المشهور فى رواية البيت « ذوو كرم » ، وماهنا رواية صحيحة كما فى شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٧٢ قال : « يعنى فى أخلاقهم يسر » . وقال أيضاً : « سواس مكرمة : أى يروضـون المكارم ويلون أمرها » . وقال إنهم أيسار أبناء أيسار أى إنهم عريقون فى الكرم . والأيسار ، جمع يسر بالتحريك ، وهو المقامر . والقمار مما يتمدح به العرب ، وكانوا يسمون من لا يدخل فى الميسر « برما » ، قال : ولا برما تهدى النساء لعرسه إذا القشع من بردالشتاء تقعقعا

(٢) فى البيان ٢ : ١٧٣ و ٣ : ١٦٠ والأغانى ٧ : ٥ ، ١١ من يدعى « جعفر ابن سليمان الضبعى» ، فلعله هذا .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخسى ، كان وزيراً للمأمون ، اتصل به فى صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ . وصحبه قبل أن يلى الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش ، فكان يلقب بذى الرياستين . ولد سنة ١٥٤ وتوفى سنة ٢٠٢ .

(٤) يعنى عالية ظاهرا علوها . (٥) فى الأصل : « تسمى » .

(هجاء الشعراء للأشراف)

وإذا بلغ السَّيدُ فِي السُّودَدِ الكمالَ ، حسده من الأَشراف من يُظنُّ أنَّه الأَحقُّ به ، وفخرَتْ به عشيرته ، فلا يزال سفيهٌ[١] من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعُه على مرتبةِ سيِّد عشيرَته فَهجاه . ومن طَلب عيباً وجَدَه . فإن لم يجدْ عيباً وجدَ بعضَ ما إذا ذكره ، وجَد مَن يغلط فيه ويحمله عنه . ولذلك هُجِيَ حِصنُ بن حذيفةَ ، وهُجِيَ زُرارة بن عُدَس ، وهُجِيَ عبدُ الله ابن جُدعان ، وهُجِيَ حاجب بن زرارة .

وإنّما ذَكَرتُ لك هؤلاءِ لأنَّهم من سُودَدِهم وطاعةِ القبيلةِ لهم ، لم يذهبوا فيمَنْ تحت أيديهم من قومِهِمْ ، ومن حلفائهم وجيرانهم ، مَذْهَبَ كُليبِ بن ربيعة ، ولا مذهبَ حذيفةَ بنِ بدر ، ولامذْهبَ عُيينةَ بنِ حصن ، ولامذهبَ لقيط بن زُرارة ؛ ولأنَّ لقيطاً لم يأمر بسحب ضَمْرة بن ضمرة[٢] إلَّا وهو لو بَقِى لجَاوز ظلم كليب وتهكم عيينة[٣] ، فإنَّ هؤلاء وإن كانوا سادةً فقد كانوا يَظلمون ، وكانوا[٤] بين أن يَظلموا وبين أن يحتملوا ظلما ممَّن ظلمهم . ولا بدَّ من الاحتمال كما لَا بُدَّ من الانتصار .

وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وإلى هذا المعنى رجَع قولُ الحكيم الأوَّل : « بعضُ القَتلِ إحياءٌ للجميع » .

---

(١) ط ، م : « سيفه » ، والصواب من س .

(٢) فى الأصل : « صخرة بن ضمرة » ، تحريف . وانظر البيان ١ : ١٧١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٩٠ .

(٣) التهكم : التكبر ، واشتداد الغضب والحمق .

(٤) فى ط : « وكان » ، والصواب فى س ، م .

(حزم السادة)

وعامَّةُ هؤلاءِ السَّادة لم يكنْ شأنهم أن يردُّوا الناسَ إلى أهوائهم ،
٣٢ وإلى الانسياق لهم بعُنْف السَّوق ، وبالحَرْبِ فى القَوْدِ . بل كانوا لَا يؤثرون الترهيبَ على الترغيب . والخشونةَ على التليين . وهم مع ذلك قد هُجُوا بأقبَح الهجاءِ .

ومتى أحبَّ السَّيِّدَ الجامعَ ، والرئيسَ الكاملَ قومُه أشدَّ الحبِّ وحاطَهمْ عَلَى حسب حبه لهم ، كان بُغْضُ أعدائهم له على حسَب حبِّ قومه له . هذا إذا لم يَتوثَّب إليه ولم يعترض عليه من بنى عمِّه وإخوته مَن قد أطمعتْه الحال باللَّحاقِ به . وحَسَدُ الأقارِبِ أشدُّ ، وعداوتهم على حسَب حسدهم .

وقد قال الأوَّلون : رِضا الناس شىءٌ لا ينال .

وقد قيل لبعض العرب : مَن السَّيِّدُ فيكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هِبناه ، وإذا أدْبَرَ اغتبناه !

وقد قال الأوَّل : بَغْضاَء السُّوَق[1] موصولة بالملوك والسادة ، وتجرى فى الحاشية مجرى الملوك .

(صعوبة سياسة العوام)

وليس فى الأرضِ عملٌ أكدّ لأهله من سِياسة العوامّ . وقَدْ قال الهذَلىُّ[2] يصف صُعوبة السياسة :

---

(١) السوق : جمع سوقة . والسوقة : الرعية . وفى ط : « السوء » ، والوجه مافى س ، م .

(٢) هو الأعلم الهذلى ، كما فى حواشى البيان .

وإن سِياسةَ الأقوامِ فاعلمْ ... لهــا صَعْدَاءُ مَطلَبُها طويل[١]

وقال آخرُ فى شبيهٍ[٢] بهذا المعنى :

ودونَ النَّدى فى كلِّ قلبٍ ثَنِيَّةٌ ... لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ

ووَدَّ الفَتى فى كلِّ نيلٍ يُنِيلُه ... إذا ماانقضى ، لَوْ أنَّ نائله جَزْلُ

وقال عامر بن الطُّفيل[٣] :

وإنِّى وإنْ كُنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ ... وفَارسها المشهور فى كلِّ مَوكبِ

فما سوَّدَتنى عامر من وراثة[٤] ... أبى الله أنْ أسمو بأمٍّ ولا أبِ

ولــكنَّنى أحمى حِماها وأتَّقى ... أذاها وأرْمى مَن رماها بِمَنْكِبِ

وقال زياد بن ظَبْيان لابنه عُبيد الله بن زياد[٥] وزيادٌ يُغرغِر بنفسه[٦] :

---

(١) وهذه الرواية أيضاً هى رواية اللسان . وقد رواه الجاحظ فى البيان (١ : ٢٧٥ و ٢ : ٣٥٢ و ٣ : ٢٨١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٥ : ٢٢٦) : « وإن سيادة الأقوام فاعلم » . والصعداء ، بالفتح : المشقة .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، كما فى البيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) س فقط : « عباس بن الطفيل » وهو تحريف . والأبيات فى العقد (٢ : ٢٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٢٢٧) وأمالى القالى (٣ : ١١٨) وأمالى المرتضى ١ : ١٠ . وهذا الشعر ممــا تحتج به الشعوبية على العرب . انظر العقد .

(٤) المشهور فى الرواية : «عن وراثة» كما فى المراجع المتقدمة .

(٥) لم أهتد إلى ترجمة زياد بن ظبيان . وأما ابنه عبيد الله فقد كان فاتكا من الشجعان وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأســه إلى عبد الملك ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود ، فلما قتل ابن الجارود لجأ إلى عمان حيث لاقى منيته سنة ٧٥ . كذا فى معجم الزركلى عن كتاب لمصنف مجهول يظن أنه أنساب الأشراف للبلاذرى . ووجدت النويرى ذكر فى المؤتلف والمختلف من رجال التاريخ عبيد الله هــذا مع عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وقال : وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) . وانظر الخبر برواية أخرى فى أمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٦) يقال غرغرت الروح : ترددت فى الحلق عند الموت .

ألاَ أُوصى بكَ الأمير ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم [يكنْ][1] للحى إلاّ وَصِيَّةُ[2] الميِّت ، فَالحىُّ هو الميِّت .

وقال آخر فى هذا المعنى :

* والعزُّ لايأتى بَغير تطلُّبِ *

وقال بَشامة بن العَديرِ[3] فى خلاف ذلك ، وأن يثبت أن يكون منه كان[4] :

وجَدْت أبى فيهم وَجَدِّى كليهما ... يُطاعُ ويؤتَى أمرُه وهو مُحْتَبِى

٣٣ فـلم أتَعَمَّل للسِّيادَة فِيهِمُ ... ولٰكِنْ أتَتنى طائعاً غيرَ مُتْعَبِ

(بحث فى السعادة)

ومِن الناس من يقول : إن العيشَ كلّه فى كثرة المال ، وصحةِ البدن ، وخمولِ الذكر .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ، م ، وقد ترك لها فراغ ، وبدلها فى س : « أوص » ويغلب على ظنى أنها من وضع الناسخ ، إذ بها لايتناسق الكلام . واعتمدت فى إثبات ماأثبت على مافى عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٢) فى الأصل : « بوصية » .

(٣) بشامة بن الغدير هو خال أبى سلمى والد زهير ، وكان زهير منقطعا إليه ، معجبا بشعره . وكان بشامة أحزم الناس رأيا ، وكانت غطفان تستشيره وتصدر عن رأيه . (الأغانى ٩ : ١٤٩) . و « الغدير » هى فى ط ، م : « القدير » ، وهو تصحيف مافى س .

(٤) كذا .

وقال مَن يخالفه : لايخلو صاحب البدَن الصَّحيحِ والمال الكثير ، مِنْ أن يكونَ بالأُمور عالماً ، أو يكونَ بها جاهلاً . فإن كانَ بها عالماً فعلمُه بها لايتركه حتَّى يكون له من القول والعمَل على حسب علمه ؛ لأنَّ المعرفة لاتكون كعدمها ؛ لأنَّها لو كانت موجودةً غيرَ عاملة لكانت المعرفة كعدمها ، وفى القول والعملِ ما أوجَبَ النَّباهةَ ، وأدنى حالاته أنْ تُخرِجه من حدِّ الخمول ، ومتى أخرجتْه من حدِّ الخمول فقد صار معرَّضاً لمن يقدِر على سلبه .

وكما أنَّ المعرفَةَ لابدَّ لها من عملٍ ، ولا بدَّ للعمل من أن يكون قولا أو فعلا ، والقولَ لايكونُ قولاً إلاَّ وهناك مَقُول له ، والفعلَ لايكون فعلاً إلاّ وهناك مفعول له ، وفى ذلك ماأخْرَج من الخمول وعُرِف به الفاعل .

وإذا كانت المعرفَةُ هذا عملُها فى التنبيه على نفسها ، فالمالُ الكثيرُ أحقُّ بأنَّ عملَه الدَّلاَلةُ على مكانه ، والسِّعايةُ على أهله . والمالُ أحقُّ بالنميمة ، وأولى بالشكر ، وأخدع لصاحبه ، بل يكون له أشدّ قهرا ، ولحيه أشدَّ فساداً[١] .

وإن كانتْ معرفتُه ناقصةً فبقدْر نقصانها يجهل مَواضعَ اللذة . وإن كانت تامَّةً فبقَدْر تمامها يُنْفِى الخمول ويُجلَبُ الذِّكر .

وبعدُ فليس يَفْهَم فضيلةَ السلامة ، وحقائقَ رُشْدِ العافية ، الذين ليس لهمْ من المعرفة إلاَّ الشَّدْو ، وإلاَّ خلاَقُ أوساطِ الناس[٢] . ومتى كان ذلك

---

(١) كذا .

(٢) الشدو : القليل من كل كثير . وهى فى ط : « التشدق » وفى س : « الشد » وصوابهما من م . والخلاق : الحظ والنصيب . وفى الأصل : « والأخلال » ، وقد أراد بأوساط الناس : مادون الخاصة .

كذلك ، لم يُعرَف المَـدْخَل الذى من أجله يَكره ذو المال الشُّهرة . ومن عَرَفَ ذلك على حقِّه وصدقِه ، لم يدَعْه فهمُهُ لذلك حتّى يدلَّ على فهمه. وعلى أنَّه لايفهم هذا الموضعَ حتَّى يفهم كلَّ ماكان فى طبقته من العلم . وفى أقلَّ مِن ذلك مايَبِين به حالُه مِن حال الخامل .

وشروط الأمانىّ غيرُ شروط جوازِ الأفعال وإمكانِ الأمورِ . وليس شىء ألذُّ ولاَ أسرُّ مِن عِزِّ الأمرِ والنهى ، ومن الظَّفَرِ بالأَعداء ، ومن عَقْدِ المِنَنِ فى أعناق الرجال ، والسُّرورِ بالرِّياسة وبثمرة السيادة ؛ لأنَّ هذه الأُمورَ هى نصيبُ الرُّوح ، وحَظُّ الذهن ، وقِسْمُ النَّفس[1] . فأمَّا المطعم والمشرب والمنكَح والمشَمَّة ، وكلُّ ما كان من نصيب الحواسّ ، فقد علمْنا أنَّ كُلَّ ماكانَ أشدَّ نَهَماً وأرغبَ ؛كانَ أتمَّ لوجدانه الطعم . وذلك قياسٌ

٣٤ على مواقع الطُّعْم من الجائع ، والشرابِ من العطشان[2] .

ولـكنَّا إذا ميَّلْنا[3] بين الفضيلة التى مع السُّرور ، وبين لذّة الطعام ، وما يُحْدِث الشَّرهُ له من أَلَمِ السهر والالتهابِ والقَلَق وشدَّةِ الـكَلَب ، رأينا أَنَّ صاحِبَهُ مفضولٌ غيرُ فاضل . هذا مَعَ مايُسَبُّ به[4] ، ومع حمله له على القبيح ، وعلى أنَّ نعمَتَهُ متى زالتْ لم يكن أحدٌ أشقى منْهُ . هذا مع سرور العالمِ بما وهَبَ الله لَهُ[5] من السلامة من آفة الشَّرَه ، ومِن فَسادِ الأَخلاط .

وبعدُ فلا يخلو صاحِبُ الثَّروةِ والصامتِ الـكثيرِ[6] ، الخاملُ الذكر مِن أن يكونَ ممَّن يَرغَب فى المركَب الفارِه ، والثوبِ اللِّينِ ، والجاريةِ

---

(١) القسم ، بالكسر : النصيب والحصة .

(٢) فى الأصل : « وبين لذة الطعام وبين مايحدث له الشره » .

(٣) ميل بين الأمرين : رجح ووازن . وفى الأصل : «مثلنا» .

(٤) تحتمل أن تكون « يسببه» أى يحدثه .

(٥) ط ، م : « لهم » ، والصواب ماأثبت من س .

(٦) الصامت من المـال : الذهب والفضة . والناطق منه : الإبل .

الحسنةِ ، والدار الجيّدة ، والمطْعَم الطيِّب ؛ أو يكون ممَّن لايرغب في شيء من ذلك . فإن كان لايرغب في هذا النوع كلِّه ، ولا يعمل في ماله للدَّار الآخرةِ ، ولا يُعجَب بالأُحدوثَة الحسَنة ، ويكونُ ممَّن لاتعْدو لذَّتُهُ أن يكون كثيرَ الصامت ؛ فإنّ هذا حمارٌ أو أفسَدُ طبْعاً من الحمار ، وأجْهَل من الحمار ؛ وقَدْ رضى أن يكونَ في مَاله أسوأَ حالا من الوَكيل .

وبعدُ فلا بُدَّ للمال الكثير من الحِراسةِ الشَّديدة ، ومن الخوف عليه ، فإن أعمَلَ الحِراسةَ له ، وتَعب في حفظه [وَ][1] حسَبَ الخوف ، خرجَ عليه فضْلٌ . فإنْ هو لم يَخَفْ عليهِ — ولاَ يكون [ذلك][2] في سبيل التوكُّل[3] — فهو فِي طباع الحمار وفي جهْله . والذى أوجب لَهُ الحمول ليؤدِّيه إلى سلامة المَال لَهُ ، قَدْ أعْطاهُ من الجهلِ[4] مَالاَ يكُونُ مَعَهُ إلاّ مثْلُ مقْدَار لذة [البهيمةِ[5]] في أكل الخَبَط[6] .

وإنْ هو ابتاع فُرَّهَ الدواب ، وفُرَّهَ الخَدَم والجَوارِى ، واتَّخذَ الدارَ الجَيِّدَة ، والطعَامَ الطيِّب والثَّوْبَ اللَّيِّنَ وأشباهَ ذلك ، فقَدْ دلَّ على مَالِهِ . ومَن كانَ كَذٰلِكَ ثُمَّ ظَهرتْ لَهُ ضَيْعَةٌ فاشية ، أو تجارَة مُرْبِحة ، يحتمل مثلَ ذلكَ الذى يظهَر من نفقته . وإلاّ فإنّه سيُوجَدُ فِي اللُّصُوص عنْدَ أوَّل مَن يقطع عليْهِ ، أو مكابرة تكُون ، أو تَعب يؤخذ لأهله[7] المَال العظيم .

---

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليستقيم القول .

(٢) كلمة يحتاج إليها .

(٣) فإن التوكل المطلوب فى الدين ما كان معه الحيطة والأخذ بأسباب السلامة ، على نحو ماجاء فى الحديث : « اعقلها وتوكل » انظر هذا الجزء ص ١١٥ .

(٤) فى الأصل : « قد أعطاه الله تعالى من الجهل » ، وعدلت العبارة بما ترى .

(٥) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها ، أو إلى مثلها .

(٦) الخبط ، بالتحريك : ورق الشجر يخبط بالعصا فتأكله الدواب والإبل .

(٧) العبارة من مبدإ « وإلا فإنه سيوجد » بها اضطراب .

ولو عنى بقوله الخمول وصحةَ البدنِ والمال ، فذَهب إلى مقدارٍ من المال مقبولا[١] ولـكن مالمن كان مالُه لايجاوز هذا المقدارَ يتهيَّأ[٢] الخمول[٣] .

(طبقات الخمول)

ولعمرى إنّ الخمولَ لَيكونُ فى طبقاتٍ كثيرة ، قال أبو نُخيلة[٤] :

شكرتُك إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقى
وَمَا كلُّ مَن أقْرَضْتَـه نِعمةً يَقْضِى

٣٥ فأحييتَ من ذكرى وما كان خامِلاً
ولـكنَّ بعض الذكرِ أنبَه من بَعْضِ

قالوا : ولسقوط الخَاملِ من عُيون الناس، قالت الأعرابيَّةُ لابنها : إذا جلستَ معَ الناسِ فإنْ أحسَنْتَ أنْ تَقولَ كما يقولون فَقُلْ ، وإلاَّ فخالِفْ تُذْكَر !

---

(١) لعل العبارة « مقدار من المـال يسير كان ذلك مقبولا » .
(٢) فى ط : « متهيؤ » وهو تحريف صوابه فى س ، م .
(٣) لعل العبارة «مالمن كان ماله يجاوز هذا المقدار » . . الخ .
(٤) هو أبو نخيلة الراجز السعدى . قال أبو الفرج (الأغانى ١٨ : ١٣٩) : « أبو نخيلة اسمه لا كنيته » وقال ابن قتيبة فى الشعراء : « اسمه يعمر » . كان أبو نخيلة من صنائع مسلمة بن عبد الملك بالشام ومدح الأمويين ، ثم انقطع إلى الهاشميين فهجا الأمويين . وقد صنع فى المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم ، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى ففعل ، فطلبه عيسى ، فأدركه مولى له فى طريق خراسان فقتله . وأخباره مسهبة فى الأغانى . والشعر الآتى فى مديح مسلمة بن عبد الملك كما فى الأغانى (١٨ : ١٤٠) وحماسة ابن الشجرى ١١٧ وأول الشعر :

أمسلم إنى يا ابن خـير خليفة ويافارس الهيجا وياجبل الأرض

وأمَّا الأصمعىُّ فزعَمَ أنَّها قالت : فخالفْ ولو بأنْ تعلِّقَ فى عنُقك أيرَ حمار .

وليس يقول هذا القولَ إلاّ مَنْ ليسَ يعرِف شَكَر[١] الغِنى ، وتقلُّبَ الأموال إلى مَاخُلِقتْ لَهُ ، وقَطْعَها عُقُلَها ، وخَلْعَها عُذُرَها ، وتِيهَ أصحابِها ، وكثرةَ خُطاهم فى حفظِها وسترْها ، وعجزَهم عن إمَاتةِ حركتها ومنعها من جميع مَاتُنازع [إليه وتحمل عليه[٢]] .

(ملحة من الملح)

وقد روينا فى المُلَح أنَّ رجلاً قال لصاحبٍ لهُ : أبُوكَ الذى جهل قدْرَهُ ، وتعدَّى طَورَه ، فشقَّ العَصَا ، وفارَقَ[٣] الجماعة ؛ لاجَرَمَ لقد هُزِم ثم أُسر ثمَّ قتلَ ثمَّ صُلب ! قال لَهُ صاحبهُ : دَعْنى مِن ذكر هزيمةِ أبى ، ومن أسْرِه وقتلِه وصلبِهِ . أبُوكَ هلْ حدَّثَ نفسَه بشىء من هذا قطُّ ؟ !

(حكم الأسباب فى همم الناس)

وليس إلى النَّاس بُعْدُ الهمم وقِصَرُها ، وإنمـا تجرى الهمَمُ بأهلها إلى الغايات ، على قدر مَايعرِض لهم من الأسباب . ألا تَرى أنَّ أبعدَ النَّاس هِمَّة فى نفسهِ ، وأشدَّهم تلفتاً إلى المراتب ، لاتُنازعه نفسهُ إلى طلب الخلافة ، لأن ذلك يحتاجُ إلى نسب ، [أ][٤] وْ إلى أمر قد وُطِّىء لَهُ

---

(١) أراد بالشكر النمو . وهو من شكرت الشجرة — من باب فرح — : خرج منها الشكير ، وهو ما ينبت حول أصلها .

(٢) ط ، م : « من جميع ما تنازع العمل عليه » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٣) فى الأصل : « فرق » ، والوجه ما كتبت .

(٤) زدتها ليتجه الكلام .

بسبب ، كسبَب طلبِ أوائل الخَوارج الخلافة بالدِّين وحدَه دونَ النَّسب . فإن صارَ من الخوارج فقد حدثَ له سببُ إمكانِ الطَّلب ، أ كْدَى أم نجح .

وقد زعمَ ناسٌ من العلماء أنَّ رجــالاً خُطِبت للسِّيادة والنَّباهة والطَّاعةِ فى العشيرة .

(سلطان الحظ على نباهة القبيلة)

وكذلك القبيلة رُبما سَعِدت بالحظّ ، ورُبما حظيت بالجَدِّ ؛ وإنَّما ذلك على قدر الاتِّفاق ، وإنَّما هو كالمعـافَى والمبتلَى ، وإنَّما ذلك كما قال زهير :

وَجَدْتُ المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يعمَّرْ فيَهْرَمِ

(سلطان الحظ على الآثار الأدبية)

وكما تَحْظَى بعض الأشعار وبعض الأمثال ،وبعضُ الألفاظ دون غيرها ، ودونَ مايجرى مجراها أو يكونُ أرفعَ منها .

قالوا : وذلك موجودٌ فى المرزوق [و (١)] المحروم ، وفى المُحارَف(٢)

---

(١) لا يكون المرزوق محروما ، فزدت الواو ليصح الكلام .
(٢) المحارف : المحدود المحروم .

والذى تجوز عليه الصَّدَقَةُ . [وكم][1] مِن حاذقٍ بصناعته ، وكثير الجَوَلان فى تجارته ، وقد بلغ فَرغانَةَ[2] مرَّةً ، والأندلُس مرّة ، ونقَّب فى البلاد ، وربَع فى الآفاق[3] ؛ ومن حاذقٍ يُشاوَر ولا يُستَعْمَل ، ثمَّ لاتجدهما يَستَبِينان ، من سُوءِ الحال وكثرة الدَّين . ومن صاحب حربٍ منكوب ، وهو اللَّيثُ على براثنه ، معَ تمَامِ العزيمةِ وشدَّة الشَّكيمة ، ونَفَاذ البصيرة ، ومع المعرفة بالمكيدة والصَّبْرِ الدَّائمِ على الشدّة . ٣٦

[وبَعْدُ][4] فكَمْ من بيت شعر قد سار ، وأجودُ منه مقيمٌ فى بطون الدَّفاتر ، لاتزيده الأيَّامُ إلاَّ خمولا ، كما لاتزيد الذى دونَه إلاَّ شُهرةً ورِفعةً . وكم من مَثلٍ قد طار به الحظُّ حتَّى عرَفَته الإماءُ ، ورَوَاه الصبيّان والنِّساء .

(أثر الحظ فى نباهة الفرسان)

وكذلك حظوظ الفُرسان . وقد عُرِفتْ شهرةُ عنترة فى العامَّة ، ونباهةَ عمرو بن مَعْدِ يكَرِب ، وضَرَبَ الناسُ المثلَ بعبُيد الله بن الحُرّ[5] ، وهم

(١) ليست بالأصل ، والكلام يحتاج إليها .

(٢) فرغانة ، بالفتح : بلاد فى حدود التركستان .

(٣) نقب فى البلاد : ذهب فيها . وربع فى الآفاق : أقام فى مواضع كثيرة .

(٤) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ ، ولحاجة القول إليها .

(٥) عبيد الله بن الحر الجعفى : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب ابن الزبير منافسة ، وقد صمد عبيد الله لرجال مصعب صمداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه ، فخاف أن يؤسر ، فألقى نفسه فى الفرات ، فمات غريقا . وكان عبيد الله شاعراً فحلا . انظر ابن الأثير حوادث سنة ٦٨ .

لا يعرفون ، بل لم يسمعَوا قطُّ بعتُيَبة بنِ الحارث بن شهاب [١] ، ولا بِبسطامِ ابن قيس [٢] ، وكان عامرُ بن الطفيل أذكَرَ منهما نسباً .

ويذكُرون عُبيدَ الله بنَ الحُرِّ ، ولا يَعرفونَ شُعبة بن ظُهير [٣] ولا زُهيرَ ابنَ ذُؤيب ، ولا عَبَّادَ بنَ الحصين [٤] . ويذكرون اللسن والبيان والخطيب ابن القِرِيَّة [٥] ولا يعرفون سَحبانَ وائل .

والعامَّة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم [٦] إلاَّ من قِبَل الخاصَّة ، والخاصَّة لم تَذْكُر هؤلاء دون أولئك ، فتركَتْ تحصيلَ الأمورِ والموازنَةَ بين الرجال وحكَمتْ بالسَّابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيبته ؛ ثمَّ استوت عِلَل العامَّة فى ذلك وتشابهت .

والعامَّة والباعَة والأغنياء [٧] والسِّفْلةُ كأنَّهم أعذارُ عامٍ واحد . وهم

(١) كان فارس بنى تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما أبالى أى ظعينة لقيت على ساء من أمواه معد ، مالم يلقنى دونها عبداها أو حراها » : ويعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وعنى بالعبدين : عنترة والسليك بن السلكة . (الأغانى ١٤ : ٢٧) .

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة .

(٣) كذا فى س ، م وفى ط : « زهير » .

(٤) كان يكنى أبا جهضم ، وكان فارس بنى تميم . وولى شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار . قال الحسن : « ما كنت أرى أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عباداً » . المعارف ص ١٨٢ .

(٥) قال ابن قتيبة فى المعارف ٢٥٨ : « منسوب إلى أمه ، وهو أيوب بن زيد » . وكان ابن القرية أحد بلغاء الدهر ، خطيبا يضرب به المثل . وكان أعرابيا أميا . (ابن خلكان ١ : ٨٤) . وجاء فى الأغانى ٢ : ١٦٣ : « عن عوانة قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بنى عامر » . وهذه رواية غريبة . قالوا : قتل ابن القرية سنة ٨٤ ، أمر بقتله الحجاج .

(٦) ط : « إليهما » وتصحيحه من س .

(٧) لعلها « الأغبياء » .

فى باطنهم أشدُّ تشابهاً من التوأمين فى ظاهرهما ، وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتراض والتسرُّع ، وإن اختلفت الصُّوَر والنَّغَم [١] ، والأسْنان والبلدان.

(تشابه طبائع العامّة فى كلّ بلدة وفى كلّ عصر)

وذكر الله عزَّ وجلّ ردَّ قريشٍ ومُشرِكى العَرَبِ على النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم قولَهُ ، فذكر ألفاظَهم ، وجَهْد معانيهم ، ومقاديرَ هِممهم التى كانت فى وزن مايكون من جميع الأمم إلى أنبيائِهم ، فقال : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلوبُهُمْ ﴾ وقال : ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا ﴾ . ومثلُ هذا كثير ، ألا ترَى أنَّكَ لا تَجِدُ بُدًّا فى كلِّ بلدةٍ وفى كلِّ عصر للحاكة من أن يكونوا على مقدارٍ واحد [٢] وجهة واحدةٍ ، من السَّخَط والحمق ، والغَباوة والظلم ؛ وكذلك النخّاسون [٣] على طبقاتهم ، من أصناف مايبيعون . وكذلك السماكون والقَلاّسون [٤] وكذلك أصحابُ الخُلقان [٥] كلُّهم ، فى كلِّ دهرٍ وفى كلِّ بلدٍ ، على مثال واحد ، وعلى جهةٍ واحدَة .

وكلُّ حجَّامٍ فى الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ ، وإن اختلفوا فى البُلدان والأجناس والأسنان .

(١) يريد اللغات واللهجات .
(٢) فى الأصل : « للحاكة فيهم على مقدار واحدة » .
(٣) النخاس : بياع الدواب والرقيق ، وفى ط ، م « النحاسون » وهى على الصواب فى س .
(٤) القلاس : الضارب بالدف . وفى ط « السماكون الغلاسون » وفيه تصحيف وتحريف أصلح من س ، م .
(٥) الخلقان من الثياب : جمع خلق ، وهو البالى ، والمراد تجارها . انظر رسائل الجاحظ (١ : ٥٢) بتحقيقنا .

ولا ترى مسجوناً ولا مَضْروبا عندَ السُّلطان إلاّ وهُو يقول : إنِّى مظلوم!

ولذلك قال الشاعر :

لم يَخلقِ اللهُ مَسْجُوناً تسائلُهُ   مابالُ سِجْنِك إلاّ قالَ مَظلومُ (١)

وليس فى الأرض خَصمانِ يتنازعان إلى حاكم ، إلاّ كلُّ واحدٍ منهمُا يدَّعِى عدمَ الإنصاف والظُّلم على صاحبه .

(مبالغة الإنسان فى تقدير ماينسب إليه)

وليس فى الأرض إنسانٌ إلاّ وهُوَ يطرَب من صوتِ نفسه ، ويعتريه الغَلَط فى شعرِه وفى ولده . إلاَّ أنَّ الناسَ فى ذلك على طبقاتٍ من الغَلط : فمنهم الغرق المغمور (٢) ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطإ ، ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسَنَ حالَهُ مالم يُمتَحَنْ بالكشف . ولذلك احتاج العاقل [فى العُجْبِ بولده ، و (٣)] فى استحسان كتبه وشعره ، من التحفظ والتوقِّى ، ومن إعادة النظَر والتُّهمة إلى أضعَاف مايحتاج إليه فى سائر ذلك .

---

(١) وكذا فى البيان (٣ : ١٦٩) . ورواية البيت فى عيون الأخبار (١ : ٧٩ ، ٢ : ١١٦) :

ما يدخل السجن إنسان فتسأله   ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٢) الغرق والغارق والغريق بمعنى .

(٣) الزيادة من س .

(جود حاتم وكعب بن مامة)

والعامّة تحكم أنَّ حاتماً أجودُ العرب ، ولو قدَّمْته على هَرِمِ الجَوادِ لما اعترَضْتَه عليهم . ولكنَّ الذى يُحَدَّثُ [به][1] عن حاتم ، لايبلُغ مقدارَ مارَوَوْهُ عن كعبِ بن مامة ؛ لأنَّ كعباً بذَلَ نفسَه فى أعطِية الكرم وبَذْل المجهود فساوى حاتما من هذا الوجه ، وبايَنَه ببذْل الُمهجة[2] .

ونحن نقول : إنَّ الأشعارَ الصحيحةَ [بها][3] المقدارُ الذى يوجبُ اليقين بأنَّ كعباً كان كما وصفوا . فلو لم يكن الأمرُ فى هذا إلى الجُدود والحُظوظِ والاتِّفاقات[4] ، وإلى عللٍ باطنةٍ تجرى الأمورُ عليها ، وفى الغَوصِ عليها وفى مَعْرِفتِها بأعيانِها عُسر ، لَمَا جرت الأمورُ على هذه

---

(١) زيادة يحتاج إليها الكلام .

(٢) يشير الجاحظ إلى ماروى من أن كعبا هذا خرج فى ركب ، فيهم رجل من النمر بن قاسط ، فى شهر ناجر ، فضلوا فتصافنوا ماءهم — وهو أن يطرح فى القعب حصاة . ثم يصب فيه الماء بقدر مايغمر الحصاة ، فيشرب كل إنسان بقدر ذلك — فقعدوا للشرب ، فلما دار القعب فانتهى إلى كعب ، أبصر النمرى يحد النظر إليه ؛ فآثره بمائه وقال للساقى : اسق أخاك النمرى ؛ فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ؛ وحدث فى غدهم ماحدث فى أمسهم ؛ ونال النمرى نصيب كعب . وارتحل القوم وقالوا : ياكعب ارتحل ! فلم يكن بكعب قوة للنهوض ؛ وكانوا قد قربوا من الماء ؛ فقيل له « رد كعب إنك وراد » فعجز عن الجواب ؛ فتركوه مكانه ففاظ (أى هلك) . أمثال الميدانى ١ : ١٦٧ والعقد ١ : ١٤٧ وبلوغ الأرب ١ : ٨١ .

(٣) ليست بالأصل ؛ والكلام فى حاجة إليها .

(٤) فى الأصل : « فلو كان الأمر » الخ ؛ والوجه ماأثبت .

المجارى . ولو كان الأمرُ فيها مفوَّضاً إلى تقدير الرأى ، لـكان ينبغى لغالب ابن صعصعةَ[١] أن يكونَ من المشهورين بالجود ، دون هرِمٍ وحاتم .

(كلف العامة بمآثر الجاهلية)

فإنْ زعمتَ أنَّ غالباً كان إسلاميًّا وكان حاتمٌ فى الجاهلية ، والناسُ بمآثر العرب فى الجاهليّة أشدُّ كلفاً ، فقد صدقْت . وهذا أيضاً يُنبئك أنَّ الأمورَ فى هذا على خلافِ تقديرِ الرأى ، وإنّما تجرى فى الباطن على نسقٍ قائم ، وعلى نظر صحيح ، وعلى تقدير محكم ، فقد تقدَّم فى تَعْبِيَتهماَ[٢] وتسويتهما مَنْ لاتخفى عليه خافية ، ولا يفُوتُه شىءٌ ولا يُعْجزه . وإلاَّ فما بالُ أيّامِ الإسلام ورجالها لم تكنْ أكبرَ فى النفوس ، وأحلَّ[٣] فى الصدور مِن رجال الجاهليّة ؛ مع قُرب العهد وعِظَم خَطرِ ماملـكوا ، وكثرة ماجادت به أنفسُهم ؛ ومع الإسلام الذى شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم. ٣٨

ولو أنَّ جميعَ مآثر الجاهليَّة وُزنت به ، وبما كان فى الجماعات اليسيرة[٤] من رجالات[٥] قريش فى الإسلام لأربت [هذه[٦]] عليها ، أو لـكانت مثلها .

---

(١) كان من وجوه تميم ؛ وهو والد الفرزدق الشاعر ؛ أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ووفد على على . وأبوه صعصعة له صحبة . وأخته هنيدة بنت صعصعة زوج الزبرقان بن بدر ؛ أدركت النبى صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٦٩٢٥ وكتاب النساء منها ١١١٥ . وتوفى غالب فى نحو سنة ٤٠ .

(٢) التعبية : التهيئة والإعداد ؛ ومنه تعبية الجيش بمعنى تهيئته فى مواضعه ، وفى ط : « تعيينهما » وهوتحريف ماأثبت من س، م .

(٣) كذا بالحاء : ولها وجه .

(٤) ط ، م : « اليسر » . وفى س : « اليسير » وأرى الصواب فيما كتبت إذ هى صفة « الجماعات » .

(٥) فى الأصل : « حالات » ؛ وإنما المراد الجماعات من الرجال .

(٦) ليست بالأصل .

(دلالة الخلق على الخالق)

فليس لقَدْر الكلب والدِّيك فى أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومحلِّهما من صُدور العامَّةِ أسلفنا[١] هــذا الكلام ، وابتدأنا بهذا القول . ولسنا نقِف على أثمانهما من الفضّة والذّهب ، ولا إلى أقدارهما عند الناس ، وإنما نَتَنَظَّرُ[٢] فيما وضع الله عزَّ وجلّ فيهما من الدَّلالة عليه ، وعلى إتقان صُنْعه ، وعلى عجيب تدبيره ، وعلى لطيفِ حكمته ؛ وفيما استخزَنَهُما[٣] من عجائب المعارف ، وأودعهما من غوامض الأحساس[٤] ،وسخّر لهما من عِظام المنافع والمرافق ، ودلَّ بهما على أنَّ الذى ألبَسهُما ذلك التَّدبيرَ ، وأودَعَهُماَ تِلك الحِكم ، يحبّ[٥] أن يفكَّر فِيهما ؛ ويعتَبَر بهما ، ويسبَّح الله عزَّ وجلّ عندهما . فغَشَّى ظاهرهما بالبرهان ، وعمَّ باطنَهما بالحِكم ، وهيَّج عَلَى النظر فيهما والاعتبار بهما ؛ ليعلم كلُّ ذى عقل أنّه لم يَخْلقِ الخلق سُدًى ؛ ولم يترك الصُّور هَمَلا ؛ وليعلموا أنَّ الله عزّ وجلّ لم يَدَع شيئاً غُفْلا غير موسوم[٦] ، ونثرا غير منظوم، وسُدًى غير محفوظ ؛ وأنّه لايخطئه من عجيب تقديره، ولا يعطله من حلْى تدبيره[٧] ، ولا من زينة الحــكم وجلال قدرة البرهان .

---

(١) ط ، م: « أسبقنا » و س : « سقنا »، وما كتبت تصحيح الأول .
(٢) التنظر : التأمل وإطالة التفكير . وفى الأصل : « ننتظر » من الانتظار ، وهو تحريف .
(٣) استخزنهما : استودعهما . وفى الأصل : « استخرجهما » ، وليس بشىء .
(٤) الأحساس : جمع حس .
(٥) فى الأصل : « يجب » ، ولعل الصواب فيما كتبت .
(٦) الغفل بالضم : ما ليس به سمة تميزه . ويقابله « الموسوم » . وهى فى الأصل « مرسوم » .
(٧) ط : « حل تدبيره » ، والصواب من س .

ثمَّ عمَّ ذلك بين الصُّؤابةِ[(١)] والفَراشة ، إلى الأفلاك السبعة وما دونَها من الأقاليم السبعة .

(تأويل الآية الكريمة : ويخلق مالا تعلمون)

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ . وقد يتَّجه هذا الكلامُ فى وجوه : أحدها أنْ تكون هاهنا ضروبٌ من الخلق لايعلم بمكانهم [كثيرٌ][(٢)] من الناس ، ولابدَّ أن يعرف ذلك الخَلْقُ معنَى نفسه ، أو يعلمه صفْوة [جنُودِ][(٣)] الله وملائكته ، أو تعرِفَه الأنبياء ، أو يعرِفَه [بعضُ[(٤)]] الناس ، لايجوز إلاّ ذلك . أو يكون الله عزَّ وجلَّ إنما عنى أنّه خلق أسباباً ، ووهب عِلَلا ، وجعل ذلك رِفدًا لما يظهرُ لنا ونظاما .

وكان بعض المفسِّرين يقول : من أراد أن يعرف معنى قوله : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فلْيُوقِدْ نارا فى وسط غَيضة ، أو فى صحراء برّيّة[(٥)] ثمَّ ينظر إلى مايغشى النارَ من أصناف الخلق من الحشرات والهمج فإنّه سيرى صُورا ، ويتعرَّف خلقاً لم يكن يظنُّ أنَّ الله تعالى خلق شيئاً من ذلك العالم[(٦)] . وعَلَى أنَّ الخلق الذى يغْشى نارَهُ [يختلف[(٧)]] عَلَى قدر اختلافِ مواضعِ الغياض والبحار والجبال . ويعلم أنَّ مَالم يبلغه أكثرُ

(١) الصؤابة : بيضة القملة أو البرغوث . وهى فى ط : « الضآبة » وفى س ، م : « الضوابة » ، وكلاهما تحريف .
(٢) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها .
(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام . وجنود الله : فى معنى ملائكته .
(٤) زيادة ضرورية .
(٥) لعلها « أو برية » .
(٦) لعلها « خلق شيئاً منه فى ذلك العالم » .
(٧) الزيادة من س .

وأعجب . ومَا أردُّ هذا التأويل ، وإنّه ليدخل عندى فى جملةِ مَاتدلُّ عليه الآية . ومَنْ لَمْ يَقل ذلك لم يفهَمْ عن ربِّهِ ولم يفقَهْ فى دينه . ٣٩

(ديدان الخل والملح)

كأنّك لاترى أنَّ فى دِيدانِ الخــلِّ والملحِ ، والدِّيدَانِ التى تتولد فى السُّموم إذا [عَتقت[١]] وعرض لها العفن — وهى بَعْدُ[٢] قواتل — عبرةً وأُعجوبة ، وأنَّ[٣] التفكّر فيها مَشحذةٌ للأذهان ، ومَنْبَهةٌ لذَوى الغفْلة ، وتحليلٌ لعقدة البُلْدة[٤] ، وسببٌ لاعتياد الرويّة وانفساح الصدور ، وعزٌّ فى النفوس ، وحلاوةٌ تقتاتُها الرُّوح ، وثمرةٌ تغذِّى العقل ، وتَرَقٍّ فى الغايات الشريفة ، وتَشَرُّفٌ إلى معرفَة الغايات البعيدة .

(فأرة البيش والسمندل)

وكأنّك لاترى أنَّ فى فأرة البيش[٥] وفى السمنْدَل[٦] آيَةً غريبة ، وصفةً عجيبة ، وداعيةً إلى التفكُّر ، وسبباً إلى التعجُّب [والتَّعجيب[٧]] .

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد ترك لهـا فراغ فى كل من س ، م والتيمورية ، ولم يترك لها فى ط . وقد سددت هذا الفراغ مما نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ص ٣٤٤ عند كلامه فى (دودة الخل) . وعتق الشىء ، من باب ضرب وكرم ونصر : قدم وطال عليه العهد .

(٢) فى ثمار القلوب : « تعد » وما هنا أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فى الأصل : « ولأن » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) البلدة بالضم ، وبالفتح ، والبلادة أيضاً : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور . وفى الثمار : « البلادة » . وقد عرفت أنهما بمعنى .

(٥) فأرة البيش : دويبة تغتذى بالسموم فلا تضرها ، وليست بفأرة ولكن هكذا تسمى . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٣١٧) .

(٦) السمندل : طائر يسقط فى النار فلا يحترق ريشه — زعموا . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٤٣٤) .

(٧) التكملة من مب .

(الجُعَل والورد)

وكأنّك لاترى أنّ فى الجُعَل ، الذى متى دفنتَه فى الورد سكنَتْ حركته وبطلتْ[١] فى رأى العَين رُوحُه ، ومتى أعدْتَه إلى الرَّوث انحلّت عُقدته[٢] ، وعادت حركتُه ، ورجَع حسُّه — أعجَبَ العجَبِ ، وأحكمَ الحكم !

(حصول الخلد على رزقه)

وأيُّ شيء أعجبُ من الخُلْد[٣] ! وكيف يأتيه رزقه ، وكيف يهيِّئ [الله [٤]] له مايقوته[٥] ، وهو أعمى لايبصر ، وأصمُّ لايسمَع ، وبليدٌ لايتصرّف ، وأبلهُ لايعرِف ! ومع ذلك أنّه لايجوز بابَ جُحره ، ولا[٦] يتكلّف سوى مايجلبُ إليه رازقُه ورازقُ غيره .

[وأيُّ شيءٍ أعجبُ من طائرٍ ليس له رزقٌ إلاَّ أن يخلِّل أسنانَ التِّمساح ، ويكون ذلك له[٧]] .

---

(١) ما عدا مب : « وبطل » .

(٢) مب : « عقده » .

(٣) الخلد بالضم ، وقد تفتح الخاء ، وقد تكسر : دويبة عمياء صماء لا تعرف ما يدنو منها إلا بالشم ، تخرج من جحرها ، وهى تعلم أن لاسمع لها ولا بصر لها ، فتفتح فاها وتقف على باب جحرها ، فيجيء الذباب فيسقط على شدقيها ويمر بين لحييها ، فتسد فمها عليها ، وتستدخلها بجذبة النفس ، تعلم أن ذلك هو رزقها وقسمها . (الحيوان ٦ : ٤١١) والدميرى برسمه . وقال داود الأنطاكى فى التذكرة ١ : ١٤٧ « حيوان فى حجم ابن عرس . وليس له بصر . . . وهو أقوى الحيوانات سمعاً » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) س ، م : « يفوته » بالفاء ، تحريف .

(٦) ما عدا مب : « ولأنه » .

(٧) تكملة من مب . وانظر ٤ : ٢٢٨ و ٦ : ٣٤٤ .

(الطائران العجيبان)

وأيُّ شيءٍ أعجبُ من طائرين ، يراهما الناسُ من أدنى جُدود البحر[١] من شِقِّ البصرة ، إلى غاية البحر من شِقّ السِّند ، أحدهما كبيرُ الجُثّة يرتفع في الهواء صُعُدًا[٢] ، والآخَر صغير الجثَّةِ يتقلَّب عليه ويعبَث به ، فلا يزال مرَّةً يرفرِفُ حَولَه ويرتقي على رأسه ، ومرَّةً يطيرُ عند ذُناباه ، ويدخلُ تحتَ جَناحه ويخرُج من بينِ رجليه ، فلا يزال يغُمُّه ويَكرُبه[٣] حتَّى يتّقيه بذرقِهِ ، فإذا ذَرَق شحا له فاه[٤] فلا يخطئ أقصى حلقِهِ حتَّى كأنَّه دحا[٥] به في بئر ، وحتَّى كأنَّ ذَرْقَه مِدحاةٌ بيد أسوار[٦] ، فلا الطائر الصغير يخطئ في التلقِّي ، وفي معرفته أنّه لارزق له إلاّ الذي في ذلك المكان ؛ ولا الكبير يخطئ التَّسديد[٧] ، ويعلمُ أنّه لاينجيه منه إلا أنْ يتّقِيَه بذرْقِه ، فإذا أوعى ذلك الذَّرْق[٨] ، واستَوْفى[٩] ذلك الرِّزق ، رجع

(١) الجدود : جمع جد بالفتح ، وهو الشاطئ . والجد بالكسر والجدة بالكسر أيضا ، بمعنى الجد : الشاطئ .

(٢) ماعدا مب : « مصعدا » .

(٣) ط : « بغمه ويكربه » ، وصوابه في س ، م . وفي مب : « يغصه ويكربه » .

(٤) شحافاه : فتحه . ماعدا مب : « يذرق فإذا ذرق شحا فاه » .

(٥) ط : م : « رما » ، وأثبت مافي س . و « رما — وصوابهما رمى — » و « دحا » بمعنى . وفي مب : «كأنه راد في بئر » .

(٦) المدحاة : آلة الدحو ، أي الرمي . الأسوار بالضم والكسر : الجيد الرمي بالسهام . مب : « مد حاسد اسوار » ، محرفة .

(٧) التسديد : إصابة الهدف . ماعدا مب : « التشديد » .

(٨) الذرق : نجو الطائر . أوعاه : استوعبه . مب : « وعى » .

(٩) ط : «استوى في» ، وصوابه في س ، مب .

شبعانَ رَيَّانَ بقُوتِ يومه ، ومضى الطائرُ الكبير لِطِيَّتِه . وأمرهما مشهورٌ وشأنهما ظاهر ، لايمكن دفُعه ولا تُهَمَةُ المخبِرين عنه .

(التخالف بين الحيوان فى الطباع)

فجعل تعالى وعزَّ بعضَ الوحوش كَسُوباً محتالا ، وبعضَ الوحوش ٤٠ متوكِّلا غيرَ محتال ، وبعضَ الحشرات يدَّخِر لنفسه رِزْقَ سنَتِه ؛ وبَعضاً يتَّكل على الثِّقةِ بأنَّ له كلَّ يوم قَدْرَ كِفايتِهِ ، رزقاً معدًّا وأمرًا مقطوعا . وَجَعَلَ [بعضَ[1]] الهمَج يدَّخر ، وبعضَه يتكَسَّب ، وبعضَ الذكورة يعُولُ وَلده ، وبعض الذكورة لايعرف وَلده ، وبعضَ الإناث تُخَرِّج ولدها[2] ، وبَعض الإناث تضيِّع ولدَها وتكفلُ وَلدَ غيرِها ، وبَعْضَ الأجناس معطوفَةً على كل وَلَدٍ من جنسها ، وبعض الإناث لاتعرف وَلدَها بعد استغْنَائهِ عنها ، وبعض الإناث لاتزال تعرِفُه وتعطفُ عليْهِ ، وبعضَ الإناث تأكلُ وَلدَها ، وكذلك بعض الذكُورة . وبعضَ الأجناس يُعادى كُلَّ مايكسر بيضَها[3] أو يأكل أولادَهَا . وجعل يُتْمَ بعضِ الحيوان من قِبَل أمَّهاتها ، وجعل يُتْمَ بعضها من قِبَل آبائها ، وجعل بعضَها لايلتمس الولد وإن أتاه الولد ، وجعل بعضها مستفرِغَ الهمِّ فى حُبِّ الذَّرءِ[4] والتماس الولدِ ؛ وجعل بعضها يُزَاوِج وبعضها لايزاوِج

---

(١) التكملة من مب .

(٢) التخريج : التربية والتأديب . ويصح أن تكون « تخرج » من الإخراج . كما نقل الجاحظ عن أرسطو فى الحيوان (٦ : ٣٣٨) : أن العقاب لابد أنه تخرج واحدا من أولادها ، وربما طردتهن جميعا . اه لكن المقابلة ترجح الضبط الأول . وفى مب : « تبغض ولدها » .

(٣) ماعدا مب : « كل شىء ويكسر بيضها » .

(٤) الذرء : النسل .

ليكونَ للمتوكل من الناس جهةٌ فى [توكُّله ، وللمتكسِّب جهةً فى[1]] تكسُّبِه وليُحضِرَ[2] على بالهم أسباب البِرِّ والعُقوق ، وأسبابَ الحظْر والتربية ، وأسبابَ الوَحشة من الأرحام الماسَّة .

(افتراق المعانى واختلاف العلل)

ولمكانِ افتراق المعانى[3] واختلافِ العلل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم : «اعقِلْهَا وتَوَكَّلْ[4] » . وقال لبلال : « أَنفِقْ بلاَل ، ولا تخشَ مِنْ ذى العَرْش إقْلاَلا ! » .

[فافهموا هذا التدبيرَ ، وتعلَّموا هذه الحِكم ، واعرفوا مداخلَها ومخارجَها ومفرَّقَها ومجموعَها ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُرَدِّد فى كتابه ذِكرَ الاعتبارِ ، والحثَّ عَلَى التفكير ، والترغيبَ فى النظر وفى التثبُّت والتعرُّف والتوقُّف[1]] ، إلاَّ وهو يريد أن تكونوا علماءَ من تلك الجهة ، حكماءَ من هذه التعبئة[5] .

(المعرفة والاستدلال)

ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنّه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى . ولولا تمييزُ المضارِّ من المنافع[6] ، والردىِّ من الجيِّد بالعيون المجعولة لذلك ، لما جعَل الله عزَّ وجلَّ العيونَ المدرِكَةَ . والإنسانُ الحسَّاس[7] إذا كانت الأمور المميَّزة عنده ، أخذ مايحتاج إليه وترك مايستغنى عنه وما يَضُرّ أخذه[8] ، فيأخذ مايحبُّ ويدَعُ مايكره ، ويشكر

(١) التكملة من مب . (٢) ماعدا مب : » ولتحظر » .
(٣) ماعدا مب : « اقتران المعانى » .
(٤) رواه الترمذى عن أنس . وقال السيوطى : حديث ضعيف . الجامع الصغير ١١٩١ .
(٥) التعبئة : الإعداد . مب : « بهذه التعبئة » . (٦) كذا . ولعلها : «الضار من النافع» .
(٧) فى الأصل : «ولولا أن الإنسان الحساس » . (٨) ماعدا مب : « ومايضر من أخذه » .

على المحبوب ويصبر على المكروه ، حتى يذكر بالمكروه كيفيَّةَ العِقاب ، ويَذكُر بالمحبوب كيفيّةَ الثواب ، ويعرفَ بذلك كيفيَّة التضاعيف ، ويكون مايغمُّه رادِعًا له ، وممتَحَناً بالصَّبْر عليه ، وما يسرُّه باسطاً له ومُمْتَحَنا بالشكر عليه . وللعقل فى خِلال ذلك مجال ، وللرأى تقلب ، وتَنْشَقُّ[1] للخواطر أسبابٌ ، ويتهيّأ لصواب الرأى أبواب . ولتكون المعارف الحسيَّة[2] والوِجدانات الغريزيّة ، وتمييز الأمور بها ؛إلى مايتميز عند العقول[3] وتحصره المقاييس . وليكون عملُ الدُّنيا سُلَّما إلى عمل الآخرة ، وليترَقّى من مَعْرفة الحواس إلَى مَعْرِفَةِ العُقول ، ومن معْرِفَة الرويّة من غايةٍ إلَى غايةٍ ؛ حتَّى لاَ يرضى من العِلم والعَمَل إلاّ بما أدّاه إلَى الثَّواب الدائم ، ونجَّاه من العِقاب الأليم[4] . ٤١

(مايحسن الكلب مما لايحسنه الإنسان)

سنذْكُرُ طَرَفا ممَّا أودَعَ الله — عزَّ وجلَّ — الكلبَ ممَّا لاتحسنُه أنت أيُّها الإنسان ، مع احتقارِك له وظلمِك إيَّاه .

وكيف لاتكون تلك الحِكَمُ لطيفةً ، وتلك المعانى غَرِيبةً ، وتلك الأَحساسُ دقيقة ، ونحنُ نَعلم أنَّ أدقَّ الناس حِسًّا وأرقّهُم ذِهناً وأحضَرَهم فَهْماً ، وأصَحَّهم خاطِراً وأكملَهُمْ تَجْرِبَة وعلما ، لَوْ رَامَ الشىءَ الذى يحسنُه الكلبفِى كثيرٍ منحالات الكلب لَظَهَر [له[5]] منعجزِه وخُرْقه ، وكلال

(١) فى س : ، م : « وتنشر » . وفى ط : « تنشؤ » . وأثبت مافى مب .
(٢) ط : « الحيبية »، وتصحيحه من س .
(٣) ماعدا مب : « عنه العقول » تحريف .
(٤) ماعدا مب : «الدائم» .   (٥) التكملة من مب .

حدِّه وفَساد حسِّهِ ، ما [لا [١]] يعرف بدونه أنَّ الأمورَ لم تُقسَم على مقدار رأيه ، ولا عَلَى مبلغِ عقلِه وتقديره ، ولا على محبَّتِه وشهوته ؛ وأنّ الذى قسم ذلك لايحتاج إلى المشاورَة والمعاوَنة ، وإلى مكانَفةٍ ومُرافدة [٢] ، ولا إلى تجرِبة وروِيّة . ونحن ذاكرون من ذلك جملا إن شاء الله تعالى .

(خبرة الكلب فى الصيد)

أعلم أنَّ الكلب إذا عاين الظِّباءَ ، قريبةً كانت أو بعيدةً ، عرف المعْتَلَّ وغير المعْتل [٣] وعرَف العَنز من التَّيس . وهو إذا أبصرَ القطيعَ لم يقصِد إلاّ قصدَ التَّيس — وإنْ علم أنّه أشدُّ حُضراً ، وأطولُ وثْبةً ، وأبعدُ شوطاً — ويَدَعُ العنز وهو يرى مافيها من نقصان حُضْرها وقصر قابِ خَطوها ، ولكنّه يعلم أنّ التَّيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقِبَ ببوله [٤] !!

(مايعترى الحيوان عند الفزع)

وكلُّ حيوانٍ [٥] إذا اشتدَّ فزعه ، فإنّه يَعرِض [٦] له إمَّا سَلَس البول والتقطير ، وإمَّا الأُسْرُ [٧] والحَقَب . وكذلك المضروب بالسياط على الأَكتاف ، وبالعصىِّ على الأَستاه . وما [٨] أكثر مايعتريهم البول والغائط .

(١) بهذه الزيادة يستقيم الكلام .
(٢) ماعدا مب : « مكاتفة ومرادفة » .
(٣) ط : « المقتل وغير المقتل » . وما أثبت من س ومب . وفى الدميرى — وأحسب أنه نقل عن الجاحظ — « عرف المقبل من المدبر » .
(٤) حقب ببوله : تعسر عليه البول .
(٥) ماعدا مب : « وكل الحيوان » .
(٦) ماعدا مب : « سيعرض » .
(٧) الأسر ، بالضم : احتباس البول .
(٨) ط : « وأما » ، وصوابه فى س . وفى مب : « فما » .

وكذلك صار بعضُ الفُرسان الأَبطال إذا عايَنَ العدُوّ قطَّرَ إلى أن يذهب عنه ، لِهَولِ الجَنان[١] .

وإذا حَقِبَ التَّيس[٢] لم يستطع البَول مع شدَّة الحُضر ، ومع النَّفْزِ والزَّمَع[٣] ، ووضع القوائم معًا ورَفعِها مَعاً ، فى أسرَعَ من الطَّرْف[٤] فيثقُل عَدْوُهُ ، ويقصُر مَدَى خُطاه[٥] ، ويعتريه البُهْر حتَّى يلحقه الكلبُ فيأخذه .

والعنز من الظِّباء إذا اعتَراها البولُ من شدَّة الفزَع لم تجمعه ، وحذفت به كإيزاغ المَخَاض الضَّوارِبِ[٦] ، لسَعَةِ السَّبِيل وسهولةِ المخرج ، فتصير لذلك أدومَ شَدًّا ، وأصبرَ على المطاولة .

٤٣

فهذا شيءٌ فى طبعِ الكلب معرفتُه ، دونَ سائر الحيوان .

والكلب المجرِّب لايحتاجُ فى ذلك إلى مُعاناةٍ ، ولا إلى تعلُّم ، ولا إلى رويّة ولا إلى تكلف ، قد كفاه ذلك الذى خَلَق العَقل والعاقل والمعقُول ، والداءَ والدواءَ والمداواةَ والمداوِى ، وقسَم الأُمور على الحكمة ، وعلى تمام مصلحة الخليقة .

(ذكاء الكلب ومهارته فى الاحتيال للصيد)

ومن معرفة الكلب ، أنَّ المُكلِّب يُخرجه إلى الصيد فى يومٍ ، الأَرضُ فيه ملبَسة من الجليد ، ومغشَّاةٌ بالثّلجِ ، قد تراكم عليها طبقاً عَلَى طبَق ،

---

(١) ماعدا مب : «هول الجنان» . (٢) حقب : احتبس بوله . ماعدا مب : « تعب » .

(٣) النفز : وثب الظبى خاصة ، ويقال ظبى ينفوز . وفى ط ، س : « النفر » بالراء . وفى مب : « البعر» . وفيما عدا مب : « والجزع » . والزمق : القلق والخرق .

(٤) كذا فى س ، مب ، وهو الصواب . وفى ط : « فما أسرع فى الطرف » .

(٥) ماعدا مب : «فيقصر خطوه » .

(٦) الإيزاغ : دفع الناقة ببولها . والمخاض : النوق الحوامل ، وهى فى ط « المحاض » محرفة ، وصوابها فى س ، مب . والضوارب : التى تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل ، تفعل ذلك لأنها حامل . والجاحظ ينظر إلى قول النابغة :

بضرب يزيل الهام عن سكناته وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

حتَّى طبَّقها واستفاض فيها[١] ، حتَّى ربَّمـا ضربتْه الريح ببَرْدها ، فيعود كلُّ طبَقٍ منها وكأنّه صفاةٌ ملساء ، أو صخرةٌ خلْقاء[٢] ، حتى لايثبت عليها قَدَمٌ ولا خُفٌّ ، ولاحافر ولاظِلف ، [إلاَّ][٣] بالتثبيت الشديد ، أو بالجَهْدِ والتَّفريق ـ فيمضى[٤] الكلاّبُ بالكلب ، وهو إنسانٌ عَاقل ، وصيَّادٌ مجرِّب ، وهو مع ذلك لايدرى أينَ جُحر الأَرنب من جميع بَسائِطِ الأَرض[٥] ، ولا موضعَ كُناس ظبيٍ ، ولا مَكْوِ ثعلب[٦] ، ولا غيرَ ذلك من موالج[٧] وحوشِ الأَرضِ ؛ فيتخرَّق الكلب[٨] بينَ يديه وخَلفَهُ ، وعن يمينه وشماله ويتشمّمُ ويتبصّر ، فلا يزال كذلك حتَّى يقِف على أفواه تلك الجِحَرة ، وحتى يُثير الذى فيها بتنفيس الذى فيها[٩] ، وذلك أنَّ أنفاسها وبُخارَ أجوافها وأبدانِها ، وما يخرج من الحرارة المستكنّةِ[١٠] فى عمق الأرض ـ ممّا يُذيب مالاقاها[١١] من فَم الجُحْر ، من الثَّلجِ الجامد ، حتى يرقَّ ويكاد أن يثقبه[١٢] وذلك خفيٌّ غامض ، لايقع عليه قانص[١٣] ولا راعٍ ، ولا قائف ولا فلاّح ، وليس يقع عليه إلاّ الكلب الصائد الماهر .

---

(١) ط : « استغاض فيها » ؛ وصوابه فى سائر النسخ .
(٢) الخلقاء من الصخور : المصمتة الملساء التى لايؤثر فيها شىء .
(٣) التكملة من مب .
(٤) ماعدا مب : « فضى » ، تحريف .
(٥) مب : « بسيط الأرض » .
(٦) مكو الثعلب : جحره ؛ ماعدا مب : « مكمن ثعلب » .
(٧) موالج : مداخل .
(٨) يتخرق : يشتد عدوه . وبين يديه : أمامه .
(٩) بتنفيس الذى فيها ؛ ليس فى مب .
(١٠) ط : « المستكمنة » ، وأثبت مافى س ، م ، مب .
(١١) ط : « ملاقاها » ، والصواب المثبت من س ، مب .
(١٢) ماعدا مب : « وإن لم يثقب » .
(١٣) ط : « ناقص » ؛ وهو تحريف صوابه فى س ، مب . والقانص : الصائد .

وعلى أنّ لِلكلب[١] فى تَتَبُّع الدُّرَّاج[٢] والإصعادِ خَلْفَ الأرانب فى الجبَل الشاهق ، من الرِّفق وحسن الاهتداء والتأَنِّى[٣] مايخفى مكانُه على البيازِرة[٤] والكلاَّبين .

(الانتباه الغريزى فى الكلب)

وقد خبَّرنى صديقٌ لى أنّه حبس كلباً له فى بيتٍ وأغلَقَ دونه الباب فى الوقت الذى كان طبَّاخُه يرجع فيه من السوق ومعَه اللحم ، ثمَّ أحدَّ سِكِّيناً بسكين ، فنبَح الكلب [وقَلق[٥]]، ورام فتحَ الباب ؛ لتوهُّمه أنَّ الطبَّاخ قد رجَع من السوق بالوظيفة[٦] ، وهو يحد السِّكِّين ليقطع اللَّحم !!

قال : فلما كان العشىُّ صنَعْنا به مثلَ ذلك ، لنتعرَّف حالَه فى معرفة الوقت ، فلم يتحرَّكْ ! !

قال : وصنعتُ ذلك بكلبٍ لى آخرَ فلم يَقْلَقْ إلاَّ قلقاً يَسيرا ، فلم يلبث أَنْ رجَع الطبّاخُ فصنَع بالسّكِّين مثل صنيعى ، فقلِق حتَّى رام فتحَ الباب!!

٤٣ قال فقلت : والله لَئِنْ كان عرفَ الوقتَ بالرَّصْد[٧] فتحرَّك له ، فلما لم يشَمَّ ريحَ اللحم عرَف أنَّه ليس بشىء ، ثمَّ لما سمع صوتَ السِّكِّين

---

(١) فى الأصل : « الكلب » ؛ والصواب ماكتبت .

(٢) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما ؛ أغبر على خلقة القطا ؛ إلا أنه ألطف . و « تتبع » هى فى الأصل : « تنبيح » وفى مب : « تبنيج » ، والوجه ماأثبت .

(٣) مب : «التأنى» ؛ وفيما عداها : « التأتى » ؛ والوجه ما أثبت . والتأتى : حسن الاحتيال .

(٤) ماعدا مب : « لايخفى » و « لا » مقحمة ؛ و البيازرة : جمع بيزار بفتح الباء ؛ وهو الصائد بالبازى . ماعدا مب : « البياز » ؛ وهو تحريف ماأثبت من مب .

(٥) التكملة من مب .

(٦) الوظيفة : مايقدر من طعام أو رزق فى اليوم ، وكذا فى السنة والزمان المعين .

(٧) الرصد : الارتقاب .

والوقتُ بَعْدُ لم يَذْهب ، وقَدْ جيء باللحم [فشمَّ رِيحَ اللَّحم] من المطبخ[١] وهو فى البيت ، أو عرف فَصْل[٢] مابين إحدادِى السِّكِّينَ وإحدادِ الطباخ ، إنّ هذا أيضاً لَعَجَب .

وإنّ اللحمَ ليكونُ بينى وبينَه الذراعان والثلاث الأذرع ، فما أجدُ ريحه إلاّ بَعْدَ أنْ أُدْنِيَه من أنفى . وكلُّ ذلك عجب .

ولم أجِدْ أهل سكّة أَصطَفانُوس[٣] ، ودار جارِيَةَ ، وباعَةَ مُرَبَّعَةِ بنى مِنْقَرٍ[٤] يشُكُّون أنَّ كلباً كان يكونُ فى أعلى السكة ، وكان لا يجوز مَحْرَس الحارس أيامَ الأسبوع كلِّه ، حتَّى إذا كان يومُ الجمعة أقبلَ قَبْلَ صلاة الغداة ، من موضعه ذلك إلى بابِ جارِيَة ، فلا يزال هناكَ مادام على مِعْلاقِ الجزَّارِ شىءٌ من لحم . وبابُ جاريَةَ تُنحر عندَه الجُزُر فى جميع أيَّام الجمع خاصَّة ، فكان ذلك لهذا الكلب عادةً ، ولم يره أحدٌ [منهم] فى ذلك الموضع فى سائر الأيَّام[٥] ، حتَّى إذا كان غداةَ الجمعة أَقبَل !

فليس يكونُ مِثلُ هذا إلّا عن مقداريَّةٍ[٦] بمقدار ما بين الوقتين .

ولعلَّ كثيراً من الناس ينتابون بعْض [هذه[٧]] المواضع فى يومِ الجمعةِ ،

---

(١) ط ، م : « الطبخ » ، وصوابهما فى س ، مب . والتكملة قبله من مب .

(٢) المراد بالفصل الفرق .

(٣) موضع فى البصرة ، مسماة باسم كاتب نصرانى كان فى أيام زياد أو ماقاربها . روى عن ابن عباس أنه قال « الخطوط مقسومة ، لايقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها . ألا ترى إلى سكة أصطفانوس كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تضف إلى واحد منهم ، وأضيفت إلى كاتب نصرانى من أهل البحرين — يريد أصطفانوس — وتركوا الصحابة » . معجم البلدان (أصطفانوس ، وسكة أصطفانوس) .

(٤) الباعة : جمع بائع . والمربعة : الموضع المربع . وفى ط : « مربعة بين منقر » ، وهو تحريف ماأثبت من س ، م ، مب والتيمورية . وهى وسابقتها موضعان بالبصرة .

(٥) التكملة من مب . و « فى سائر الأيام » ساقط من مب . وفى سائر النسخ : « فى سائر أيام الجمعة » ، تحريف .

(٦) مقدارية : بمعنى تقدير ، وهو مصدر صناعى من كلمة « مقدار » . مب : « عن معرفة »

(٧) زدتها للحاجة إليها .

إمّا لصلاةٍ ، وإما لغير ذلك ، فلا يَعْدِمُهُم[١] النِّسيان من أنفسهم ، والاستذكار بغيرهم[٢] . [وهذا[٣]] الكلبُ لم ينسَ من نفسه ، ولا يستذكر بغيره[٤] .

وزعم هؤلاء بأجمعهم أنَّهم تفقَّدوا شأنَ هذا الكلب منذ انتبهوا لصَنيعِه هذا[٥] ، فلم يجِدُوه غادرَ ذلك يوماً واحداً . فهذَا هذا .

(قصّة فى وفاء الكلب)

وأنشد أبو الحسن بن خالويه[٦] عن أبي عُبيدة لبعض الشعراء :

يُعَرِّدُ عنهُ جارُهُ وشقيقُه وينبِش عنه كَلْبُهُ وهو ضارِبُهْ[٧]

قال أبو عبيدة[٨] : قيل ذلك لأنَّ رجلاً خرج إلى الجَبّان ينتظر رِكابَه فأتبعه كلبٌ كان له ، فضرب الكلبَ وطردَه ، وكره أن يتبعه ، ورماه بحجر ، فأبى الكلبُ إلّا أن يذهب معه ، فلما صار إلى الموضع الذى يريد فيه الانتظار ، ربَضَ الكلبُ قريباً منه ، فبينا هو كذلك[٩] إذ أتاهُ أعداءٌ لَهُ يطلبونه

(١) يقال مايعدمنى هذا الأمر : أى مايعدونى . ويقال أيضا : أعدمنى الشيء : إذا لم أجده . وفى ط : « لايعد فيهم » ، وهو تحريف مافى س ، مب .
(٢) ماعدا مب : « لغير » .
(٣) التكملة من مب . (٤) ماعدا مب : « ولم يتذكر » .
(٥) كلمة «هذا» من مب فقط . وفيما عدا مب : « لصنعه » . (٦) مب : « بن حلوه » .
(٧) التعريد : الإحجام والفرار . وفى الأصل : « يعود » ، وليس لها وجه يصح . والصواب ما كتبت من تأويل مختلف الحديث ص ١٦٦ .
(٨) قصة البيت رواها ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث عن أبى عبيدة أيضا ، ولكنها تباين ماهنا ، قال : « وقد كان أبو عبيدة يذكر أن رجلين سافرا ومع أحدهما كلب له ، فوقع عليهما اللصوص فقاتل أحدهما حتى غلب وأخذ فدفن وترك رأسه بارزاً ، وجاءت الغربان وسباع الطير فحامت حوله ، تريد أن تنهشه وتقلع عينيه ، ورأى ذلك كلب كان معه ، فلم يزل ينبش التراب عنه حتى استخرجه ، ومن قبل ذلك قد فر صاحبه ، وأسلمه » .
(٩) ماعدا مب : « قريبا فبينما هو كذلك » .

بطائلةٍ لهم عنده ، وكان معه جار لَهُ وأخوه دِنْياً(١) ، فأسلماه وهربا عنه ، فجرح جِراحاتٍ ورُمى بهِ فى بئرٍ غيرِ بعيدة القعر ، ثم حَثَوْا عليه من التراب حتَّى غَطَّى رأسَه(٢) ثم كُمِّمَ فوقَ رأسِه منه(٣) ، والكلبُ فى ذلك يَزجُم(٤) ويَهِرُّ ، فلمَّا انصرفوا أتى رأسَ البئر ؛ فما زال يَعوى وينبث(٥) عنه ويحثُو التُّرَابَ بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسَه، فتنفّسَ ورُدَّتْ إليه الرُّوح(٦) وقد كاد يموتُ ولم يبق منه إلّا حُشاشة ، فبينا هو كذلك إذْ مَرّ ناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنّه يحفِر عن قبر ، فنظروا فإذا هم بالرَّجُلِ فى تلك الحال ، فاستشالوه(٧) فأخرجوه حيًّا ، وَحملوه حتَّى أدَّوه إلى أهله ، فزعم أنّ ذلك الموضعَ يُدْعَى ببئر الكلب . وهو مُتيامِن عن النَّجف(٨) .

٤٤

وهذا العملُ يدل عَلَى وَفَاءٍ طبيعى(٩) وإلفٍ غريزى ومحاماةٍ شديدة ، وعلى معرفةٍ وصبرٍ ، وعلى كرم وشكر ، وعلى غَناءٍ عجيب ومنفعةٍ تفوق المنافع ؛ لأَنّ ذلك كلَّه كان من غير تكلف ولا تصنُّعٍ .

---

(١) قال الوزير أبو بكر البطليوسى : « إذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف ؛ لأن فعلى لايكون إلا للمؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون كما تقول : هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إن كان ألفه للتأنيث » . ودنيا بمعنى الأدنى من القرابة . انظر ص ٤ من خمسة دواوين العرب . ويفهم من صنيع صاحب اللسان أن هذه الكلمة لا تقال إلا فى ابن العم أو العمة أو ابن الخال ، أو الخالة ، أو ابن الأخ ، أو الأخت .

(٢) ماعدا مب : « ثم حثى عليه التراب ثم غطى رأسه » .

(٣) كمه : غطاه . و « ثم كمم فوق رأسه » ساقط من مب .

(٤) يزجم : يصوت . والغرب : جمع غراب . مب : « يزحم » . وفى سائر النسخ : « يرحم » ، والوجه ماأثبت .

(٥) نبث الأرض : نبش ترابها . ماعدا مب : « ينبش » .

(٦) مب : « ويبحث التراب عن رأسه حتى تنفس ووصل إليه الروح » .

(٧) استشالوه : رفعوه . (٨) مب : « النحيت » .

(٩) مب : « على طبيعة » .

(مؤمن بن خاقان والأعرابى)

وقال مؤمَّل[١] بن خاقان، لأَعرابىٍّ من بنى أَسد، وقد أَكَلَ جَرْوَ كلب:
أتأكل لحم الكلب وقد قال الشاعر[٢] :

إذا أسدىٌّ جاعَ يوماً ببلَدةٍ   وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه

أكُلَّ هذا قَرَما إلى اللحم ؟ ! قال : فأنشأ[٣] الأسدىُّ يقول :

وصَـبًّا بحظِّ اللَّيثِ طُعْماً وشَهْوَةً   فسائِل أخا الحَلْفَاءِ إن كنتَ لاتدرى[٤]

(طلب الأسد للكلب)

قال : وذلك لأنَّ الأسَدَ[٥] لايحرِص على شىءٍ من اللُّحمانِ حِرصَه على لحم الكلب . وأمَّا العَامَّة فتَزعُم أنَّ لُحوم الشاءِ أحبُّ اللُّحمانِ إليه، قَالُوا : ولذلك يُطيف الأسدُ بجَنَبَاتِ القُرى ؛ طلباً لاغترار الكلب ؛ لانَّ وثبة الأسد تُعجِل الكلب عن القيام وهو رابض . حتَّى رُبَّما دعاهم ذلك إلى إخراج الكلب من قُراهم ؛ إلاَّ أنْ يَكون بقرب ضِياعهم خنازيرُ ، فليس حينئذٍ شىءٌ أحبَّ إليهم من أن تكثر الأُسد عندهم . وإنَّما يُخرجون عنهم فى تلك الحالات الكلاب[٦] ، لأنَّهم يخافونها على ماهو عندهم أنفَسُ

(١) ماعدا مب : « مؤمن » ، صوابه من مب ، والبيان ١ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٥٥.
(٢) هو الفرزدق كما فى البخلاء ١٩٨ والمعانى الكبير ٢٥٤ .
(٣) ماعدا مب : « فأنشد » .
(٤) ماعدا مب : « الخلعاء » وفى ط : « أخى » ، صوابه فى مب والمعانى الكبير . قال ابن قتيبة : « وأخو الحلفاء : الأسد ، لأنه يسكن الحلفاء فى الغياض » .
(٥) ط : « وذلك الأسدى » ، والصواب ماأثبت من س ، م . وفى مب : «وذلك أن الأسد» .
(٦) مب : « وإنما يخرجون فى تلك الحال الكلاب » .

من الكلب ، وهذه مصلحةٌ فى الكلب[١] ، ولا يكون ذلك إلّا فى القُرى التى يِقْرُبِ الغَيْضَةِ أو المأسَدة[٢] .

(علة طلب الأسد للكلب)

فزعم لى[٣] بعض الدَّهاقين قولاً لا أدرى كيف هو ، ذكر[٤] أنَّهم لا يشكُّونَ أنّه إنَّما يطلبُ الكلبَ لَحَنَقه عليه ، لا من طريقِ أنّ لحمَه أحبُّ اللُّحمان إليه . وإنّ الأسدَ ليأتى مَناقِع المياه ، وشطوطَ الأنهار ، فيأكل السَّراطين والضفادع ، والرَّق[٥] والسلاحف ، وإنَّه أَشرَهُ مِنْ أَنْ يختارَ لحما على لحم . قال : وإنَّما يكون ذلك منه إذا أرادَ المتطرِّفَ من حمير القرية وشائها وسائِر دوابِّها . فإذا لَجَّ الكلبُ فى النُّباح انتبهوا ونذِروا بالأسَد[٦] . فكانوا بَيْنَ أنْ يحصِّنوا أموالَهم وَبينَ أن يهجهجوا به[٧] . فيرجعَ خائبا . فإذا أراد ذلك بدأ بالكلب ؛ لأنْ يأمَنْ [بذلك] الإنذار[٨] ، ثمَّ يستولى على القرية[٩] بما فيها . فإنَّما يطالب الأسدُ الكلابَ لهذه العلَّة .

٤٥

---

(١) هذه الجملة ساقطة من مب .

(٢) المأسدة : الأرض الكثيرة السباع . ما عدا مب : « التى تقرب » .

(٣) ما عدا مب : « وقال » .

(٤) ما عدا مب : « غير » .

(٥) الرق : العظيم من السلاحف . وفى الأصل : « الزق » بالزاى ، محرفة .

(٦) نذروا به : علموا . يقال أنذرتهم فنذروا ، بفتح النون وكسر الذال . مب : «فألح الكلب فى النباح انتبهوا وبدروا بالأسد » .

(٧) هجهج بالكلب : صاح به ليبعد فقال له : هج ! هج ! .

(٨) أى لكى يأمن الإنذار . ما عدا مب : « لأنه يأمن الإنذار » .

(٩) ط : يبيتون فى أعلى القرية . س ، م : « ثم يستوفى على القرية » ، صوابها من مب .

(من حيل الأسد فى الصيد)

وسمعتُ حديثاً من شُيُوخ مَلَّاحِي الموصل ـ وأنا هائب له ـ ورأيتُ الحديثَ يدُور بينهم ، ويتقبّله جميعُهم . وزعموا أنّ الأسدَ رُبَّما جاء إلى قَلس السفينة[١] ، فيتشبَّث به ليلا ، والمَلّاحون يمدُّون السفينةَ فلا يشكُّون أنَّ القَلْس قد التفَّ عَلَى صخرة ، أو تعلَّق بِجذْم شجرة[٢] . ومن عاداتهم أنْ يبعثوا الأوَّل من المدّادين ليحلَّه[٣] . فإذا رجع إليه الملاّح ليمدّه تمدّد الأسدُ بالأرض ، ولزِق بها[٤] وغمّض عينيه كى لايُبصَر وبيصُهما بالليل[٥] ، فإذا قرُب منه وثب عليه فخطِفه[٦] ، فلا يكون للملّاحين همٌّ إلّا إلقاءَ أنفُسهم فى الماء وعبورَهم إليه ؛ وربما أكله إلّا مابقيَ منه ، ورُبما جرَّ فريسته إلى عِرِّيسهِ وعرينه[٧] ، وإلى أجرائه وأشبالِهِ ، وإنْ كانَ ذلك عَلَى أميال[٨] .

(سلاح الكلب وسلاح الدِّيك)

قالوا : فليس الدِّيك من بابَةِ الكلب ؛ لأَنَّهُ إنْ ساوَرَهُ قَهَرَهُ قَهْرًا ذرِيعا . وسلاحُ الكلب الذى هو [فى[٩]] فيه ، أقوى من صِيصة[١٠]

---

(١) القلس ، بالفتح : حبل غليظ من حبال السفن . ماعدا مب : « جلال قلس السفينة » .
(٢) جذم الشجرة : أصلها .
(٣) ط : « أول المداذن » ، محرفة . وفى م : « أول المدادين » ، وأثبت ما فى س ، مب . وفيما عدا مب : « ليحله » .
(٤) مب : « فإذا رجع إليه الملاح تمدد الأسد ولصق بالأرض » .
(٥) الوبيص : البريق . (٦) مب : « فحطمه » .
(٧) العريس والعريسة : مأوى الأسد . وفى م : « عريشته » وفى مب : « إلى عريسته وعرسه » .
(٨) ما عدا مب : « وإن ذلك على أميال » .
(٩) زيادة ضرورية .
(١٠) الصيصة : شوكة فى رجل الديك ، كما فى اللسان والقاموس . وقيل : صوابه « الصيصية » وقيل : تلك مخففة من هذه . انظر تاج العروس . مب : « صيصيته » .

الديك التى [١] فى رجله [٢] ، وصوته أَنْدَى وأبعد مَدَى [٣] ، وعينه أيقظ .

(دفاع عن الكلب)

والكلب يكفى نفسه [٤] ويحمى غيره ، ويعُول أهلَه ، فيكون لصاحبه غُنمه وليس عليه غُرمه . ولَمَا يَرمَحُ [٥] الدوابُّ من الناس ، ولَمَا يَحرن ويجمَح ، وتنطَح وتقتُل أهلها فى يومٍ واحد ، أكثَرُ مِمَّا يكونُ من جميع الكلاب فى عام .

والكبش يَنْطَحُ فيعقِر ويقتل ، من غير أن يُهاج ويُعبَث به .

والبرذَون يَعضُّ ويرمَح من غير أن يُهاج به ويُعبَث .

وأنت لاتكادُ ترى كلباً يعَضُّ أحداً إلّا من تهييج شديد ، وأكثر ذلك أيضا إنَّما هو النُّباح والوعيد .

---

(١) فى الأصل : « الذى » ، والوجه ماأثبت .

(٢) قرأت فى نثار الأزهار لابن منظور ٩٦ : « وفى الديك الصيصة ، وهى طرف عرفه الحاد ، وهى سلاحه الذى يقاتل به ، وبها سمى قرن الثور صيصة » ، فقد جعل الصيصة فى العرف كما ترى .

(٣) أندى فى معنى أبعد . وفى ط : « الذى أبعد » ، تحريف صوابه فى س . وكلمة « مدى » من مب .

(٤) ماعدا مب : « يحمى نفسه » .

(٥) الرمح : الرفس .

(٦) ماعدا مب : «ولما تحذف وتجنح » .

(معرفة الكلب صاحبه وفرحه به)

والكلب يعرِف وجهَ ربِّه [(١)] [من وجه عبده] وأمَتِه، ووجهَ الزائر. حتَّى ربَّما غاب صاحب الدار حولاً مجرَّماً [(٢)] ، فإذا أبصرَه قادِماً اعتراه من الفرَح والبصبصة ، والعُواء [(٣)] الذى يدلُّ على السرور ، وعلى شدَّة الحنين ، مالا يكون فيه شيءٌ فوقه [(٤)] .

(قصّة فى وفاء كلب)

وخبَّرنى صديقٌ لى قال : كان عندنا جروُ كلب ، وكان لى خادمٌ لهِجٌ بتقريبه ، مولعٌ بالإحسان إليه ، كثيرُ المعاينة له ، فغاب عن البَصرة أشهراً [(٥)] ، فقلت لبعضِ مَنْ عِنْدى : أتظنون أنّ فلانا (يعنى الكلب) يُثبت اليومَ صورةَ فلان (يعنى خادمَه الغائب) وقد فارقَه وهو جرو ، وقد صار كلباً يشغَر ببوله؟قالوا : مانشكُّ أنّهقد نسيَ صورتَه وجميعَ برّه كانبه [(٦)] . قال : فبينا أنا جالسٌ فى الدار إذ سمعت من قِبَلِ بابِ الدار نُباحَه ، فلم أرَ شِكْلَ نباحه من التأنُّب [(٧)] والتعثيث [(٨)] والتوعّد ، ورأيت فيه بَصبصةَ

---

(١) ماعدا مب : « صاحبه » . والتكملة بعده من مب .
(٢) مجرما : كاملا . ط : « نعم ربما غارب عند صاحبه حولا كاملا » وفى س : « نعم ربما غاب عنه صاحبه حولا كاملا » ، صوابه فى مب .
(٣) ط : « والالتواء » .
(٤) ماعدا مب : « بما لاشيء فوقه » .
(٥) ماعدا مب : « فغاب عنها إلى البصرة أشهرا » .
(٦) ماعدا مب : « وجميع بر كان يبره » .
(٧) كذا . وفى س : « التونب » وفى مب « من شكل التوثب » .
(٨) التعثيث : الترجيع فى الصوت . والكلمة ساقطة من مب .

السُّرور ، وحَنين الإلْف . ثمَّ لم أَلبَث أن رأيتُ الخادمَ طالعاً علينا ، وإنَّ الـكلبَ ليلتَفُّ على ساقيه ، ويرتفـع إلى فخذيه ، وينظُر فى وجهه ، ويصيح صياحاً يستَبِين فيه الفرحُ . ولقد بلَغ من إفراط سُروره أنّى ظَننتُ أنّه عُرِض[1] . ثمَّ كان بعد ذلك يغيب الشَّهرين والثلاثة ، أوْ يمضى إلى بغدادَ ثم يرجع إلى العسكر[2] بعد أيَّام ، فأعرِف بذلك الضّرْب من البصبصة ، وبذلك النوع من النُّباح ، أنَّ الخادمَ قدِم . حتّى قلتُ لبعض من عندى[3] : ينبغى أن يكون فلان قد قدم ، وهو داخل عليكم مع الـكلب . ٤٦

وزعم لى أنّه ربَّما أُلْقِيَ لهذا الجرو إلى أن صار كلبا تامًّا ، بعضُ الطعام فيأكل منه ما أكل ، ثم يَمضى بالباقى فيخبؤُه[4] . وربَّما أُلْقِيَ إليه الشىءُ وهو شَبْعان فيحتمله ، حتَّى يأتِيَ به بعضَ المخابئ فيضعه هناك ، حتّى إذا جاع رجَع إليه فأكله .

(أدب الـكلب)

وزعم لى غِلمانى وغيرُهم من أهل الدَّرب ، أنَّه كان ينبح على كلِّ راكبٍ يدخل الدرب إلى عراقيب برذونه ، سائساً كان أو صاحبَ دابّةٍ إلَّا أنَّه كان إذا رأى محمدَ بن عبدِ الملكِ داخلاً إلى باب الدربِ أو خارجاً منه ، لم ينبَحْ ألبتَّةَ ، لا عليه ولا على دابَّته ، بل كان لايقف له على الباب ولا على الطريق ، ولـكنَّه يدخل الدِّهليز سريعاً ، فسألتُ عن ذلك فبلغنى

(١) عرض : أصابه الجنون . مب : « ظننت له قد عرض له » .

(٢) هو عسكر المهدى ، المعروف بالرصافة ، سمى بذلك لأن المهدى عسكر به حين شخص إلى الرى . معجم البلدان .

(٣) ماعدا مب : « لبعضهم عندى » .

(٤) ماعدا مب : « ليخبأه » .

أنه كان إذا أقبل صاحَ به الخادم، وأهوَى له بالضَّرب[١] ، فيدخل الدِّهليز» وأنه مافعل ذلك بهِ إلّا ثلاثَ مِرارٍ[٢] ،حتّى صارإذا رأى محمَّدَ بنَ عبدِالملك، دخل الدِّهليزَ من تلقاء نفسه ، فإذا جاوزَ وثب عَلَى عراقيب دوابِّ الشاكريَّة[٣] . ورأيتُ هذا الخبرَ عندَهم مشهوراً .

قال : وكُنَّا إذا تَغَدَّيْنَا دنا من الخِوان فزجرناه مرَّةً أو مرَّتين، فكان لايقرَبُنا ، لمكان الزَّجر[٤]، ولا يَبْعُدُ عن الخوان ، لعلَّةِ الطمع ، فإن ألقينا إليه شيئاً أكلَه ثَمَّ ، ودنا من أجل ذلك بعضَ الدُّنوِّ. فكُنَّا نستظهِرُ عليه[٥] ، فنرمى باللُّقمة فوقَ مَربِضِه بأذرُع . فإذا أكلها ازداد فى الطَّمَع ، فقرَّبهُ ذلك من الخِوان ، ثمَّ يجوز موضعَه الذى كان فيه . ولولا ما كنا نقصِد إليه من امتحان ما عندَه ، ليصيرَ مايظهرُ لنا حديثاً ، لكان إطعام الكلب والسِّنَّور من الخِوان خطأً من وجوه : أوَّلُهَا أن يكون يصير له به دُرْبة[٦] ، حتَّى إنَّ منها ما يمـدُّ يَده إلى ما على المائدة[٧] حتّى

---

(١) ماعدا مب : « وهوله بالضرب » .

(٢) ماعدا مب :« مرات » .

(٣) فى القاموس « الشاكرى : الأجير المستخدم ، معرب چاكر » ، والجاحظ يستعملها بمعنى الجند ، قال فى رسـالته إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (رسائل الجاحظ ١ : ٣٠ بتحقيقنا) : « وقد ظن ناس كثيرون أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت فى الصورة والخط والهجاء أن حقائقها ومعانيها على حسب ذلك . وليس الأمر على حسب ماتوهمه ، ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف فى الصورة والهجاء اسم الجند ، فإن المعنى فيهما ليس ببعيد ، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعلم واحد » . فيظهر أن المراد بهذا اللفظ هو الجند المستأجرون .

(٤) ماعدا مب : « فرجمناه » ، و « لمكان الرجم » .

(٥) يريد نحاول التغلب عليه ، من ظهر عليه بمعنى غلبه .

(٦) ماعدا مب : « أن يكون تضرية مضرية له تدربة » ، والوجه مافى مب .

(٧) ماعدا مب : « الخوان » .

رُبما تناول بفيه ماعليها(١) ، وربَّما قاء الذى يأكل(٢)[وهم يَرَونه]، وربَّما لم يرضَ بذلك حتَّى يعُودَ فى قيئه . وهذا كله ممَّا لاينبغى أن يحضُرَهُ الرئيس، ويشهدَه ربُّ الدار . وهو عَلَى الحاشية أجوز .

(الأكل بين أيدى السباع)

٤٧ فأمَّا علماءُ الفرسِ والهند ، وأطبَّاءُ اليونانيِّينَ ودُهاةُ العرب ، وأهلُ التَّجربة مِن نازِلة الأمصار وحُذّاق المتكلّمين(٣) ، فإنهم يكرهون الأكلَ بين أيْدِى السِّباع ، يخافون نفوسَها وأعينها ، لِلَّذى فيها من الشَّرَه والحِرص ، والطَّلَب والكَلَب ، [ولِمَا(٤)] يتحلَّلُ عند ذلك من أجوافها من البخار الردِىء ، وينفصل مِن عيونها من الأُمور المفسِدة ، التى إذا خالطتْ طباعَ الإنسان نقضَتْه(٥) .

وقد رُوى مثلُ ذلك عن الثَّورى عن سِماك بن حَرْبٍ عن ابن عبّاس أنّه قال على مِنبر البَصرة : إنّ الكلاب من الجنّ ، وإنَّ الجنَّ من ضَعَفَةِ الجنّ ، فإذا غشِيَكم منها شىءٌ [فألقوا إليه شيئاً(٦)] واطردوها ، فإنَّ لها أنفسَ سوء .

ولذلك كانوا يكرَهون قِيامَ الخدمِ بالمذَابِّ والأشربةِ على رُءُوسهمْ وهم يأكلون ؛ مخافةَ النّفس والعَين . وكانوا يأمرون بإشباعهم قبلَ أنْ

(١) ماعدا مب : « فإنما تناول بفيه ما عليها » .
(٢) ماعدا مب : « أكله » . والتكملة بعده من مب .
(٣) « وحذاق المتكلمين » ليست فى مب .
(٤) التكملة من مب ، وبعدها فى مب : « ينحل » بدل « يتحلل » .
(٥) ماعدا مب : « طبائع الإنسان نقضتها » . والطباع : الطبيعة .
(٦) الزيادة من س ، م ، مب . وفى تأويل مختلف الحديث ١٦٧ : « فإذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لها ، فإن لها أنفسا » ، قال ابن قتيبة : « يعنى أن لها عيونا تصيب بها . والنفس العين » .

يأكُلوا ، وكانوا يقولون فى السِّنَّور والكلب : إمَّا أنْ تطردَهُ قبل أن تأكلَ وإمَّا أن تشغَلَهُ بشىء يأكله ، ولو بعظم .

ورأيتُ بعضَ الحكماء وقد سقَطت من يده لقمةٌ فرَفَعَ رأسه ، فإذا عينُ غلامٍ له[١] تحدِّق نحوَ لُقمته ، وإذا الغلامُ يزدَرِدُ ريقَه لتحلُّب فِهِ من الشَّهوة . وكان ذلك الحكيمُ جيِّدَ اللَّقْم[٢] ، طيِّبَ الطعام ، ويضيِّق على غلمانه .

فيزعمون أنّ نفوسَ السِّباع وأعينَها فى هذا الباب أردأ[٣] وأخبَث .

وبينَ هذا المعنى وبين قولهم فى إصابة العينِ الشىء العجيبَ المستحسَنَ شِرْكَةٌ وقَرَابَة ؛ وذلك أنَّهم قالوا : قد رأينا رجالاً ينسب[٤] ذلك إليهم ، ورأيناهم ، وفيهم من إصابة العَين مقدارٌ من العدد ، لانستطيع أن نجعل ذلك النَّسَق من باب الاتِّفاق . وليس إلى ردِّ الخبر سبيل ؛ لتواتره وترادُفِه ، ولأنّ العِيانَ قد حقّقه ، والتجربة قد ضُمّت إليه .

(العين التى أصابت سهل بن حنيف)

وفى الحديث المأثور فى العين التى أصابت سَهْل بن حُنيف[٥] فأمرَ

---

(١) ماعدا مب : « غلامه » .

(٢) اللقم : الأكل السريع .

(٣) فى ط ، مب : « أردى » محرفة ، لأنها من الرداءة لا الإرداء ، ولا تكون من الثانى لأنه فوق الثلاثة ، والصواب فى س .

(٤) ط : « رجال لاينسب » ، بزيادة « لا » وصححته من س ، مب .

(٥) سهل بن حنيف من أهل بدر ، وممن ثبت يوم أحد ، حين انكشف الناس ، ونفح عن رسول الله ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، واستخلفه علىّ على البصرة بعد الجمل ، ثم شهد معه صفين . وهو من الأنصار . وعند ماآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار جعل سهلا أخا لعلى بن أبى طالب . ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين . الإصابة ٣٥٢٠ والمعارف ١٢٦ . وقد جعله ابن قتيبة « سهيلا » بالتصغير . والمعروف « سهل » كما فى الإصابة وسيرة ابن هشام فى غير ماموضع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بالذى أمَرَ ، وذلك مشهور [١] .

(كلام فى العين والحسد)

قالوا : ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسِن إلى بدن المستحسَن ، حتَّى يكون ذلك الداخلُ عليه هو الناقضَ [٢] لقُواهُ لَماَ جاز أن يلقى [مكروها البتَّةَ . وكيف يلقى [٣]] المكروه من انساقَ فى [٤] حَيِّزه وموضِعه [٥] ، [والذى أصابته العين فى حيّزه أيضاوموضعه [٣]] ، من غير تماسٍّ ولا تصادُم ، ولا فاصل [٦] ولا عاملٍ لاقى معمولا فيه . ولا يجوز أنْ يكون المعتل بعد صحّته يعتلُّ

---

(١) كنت قد كتبت بشأن هذا الحديث إلى المغفور له الأستاذ المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر ، فكتب إلى رحمه الله بما يأتى : « أما حديث سهل بن حنيف فلا يمكننى جمع طرقه الآن ولكنه فى الموطأ (٣ : ١١٨ — ١١٩) وتيسير الوصول (٣ : ١٥٩) طبع التجارية فى كتاب الطب . وهو فى الموطأ بروايتين ، أولاهما « مالك عن محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبى ، سهل بن حنيف ، بالخرار ، فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر . قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد . قال : فقال له عامر ابن ربيعة : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء ! — فى الرواية الأخرى : ولا جلد مخبأة ! — قال : فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير رائح معك يارسول الله . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره سهل بالذى كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت ؟ ! إن العين حق : توضأ له . فتوضأ له عامر ، فراح سهيل مع رسول الله ليس به بأس » . والحديث أخرجه النسائى وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم فى المستدرك من طرق أخرى (٣ : ٤١٠ — ٤١٢ ، ٤ : ٢١٥ — ٢١٦) بعضها مختصر وبعضها مطول .

(٢) ما عدا مب : « الناقص » ، تحريف .

(٣) التكملة من مب .

(٤) ما عدا مب : « من إنسان فى » .

(٥) حيزه : أى حده ومكانه المحدود . ط : « خيره » ، تحريف .

(٦) ط : « مناصل » ، صوابه فى س ، مب .

من غير معنًى بدنه(١) . ولا تنتقض الأخلاط ولا تتزايل إلّا لأمرٍ يعرِض ، لأنه حينئذٍ يكونُ ليس بأولى بالانتقاض من جسمٍ آخر . وإن جاز للصحيح أنْ يعتلّ من غير حادثٍ ، جاز للمعتلّ أن يبرأ من غير حادث.

٤٨ وكذلك القولُ فى الحركة والسكون . وإذا جاز ذلك كان الغائبُ قياساً على الحاضر الذى لم يدخل عليه شيءٌ من مستحسِنٍ له . فإذا كان لابدَّ من معنًى قد عَمِل فيه ، فليس لذلك المعنى وجه إلّا أنْ يكونَ انفصل إليه شيءٌ عَمِل فيه . وإلّا فكيف يجوزُ أن يعتلّ من ذاتِ نفسه ، وهو على سلامتِه وتمام قوّتِه ، ولم يتغيَّرْ ولم يحدُث عليه ما يغيِّره . فهو وجسم غائب(٢) فى السّلامة من الأعراض سواءٌ . وهذا جواب المتكلِّمين [الذين يصدِّقون بالعين ، ويُثبتون الرُّؤيا(٣)] .

(صفة المتكلمين)

[وليس يكونُ المتكلمُ(٣)] جامعاً لأقطار الكلام متمكِّناً فى الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتّى يكونَ الذى يُحسِن من كلام الدِّين فى وزن الذى يُحسِن من كلام الفلسفة . والعالِمُ عندنا هو الذى يجْمَعهما ، والمصيب [هو(٣)] الذى يجمَع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم أنّ التوحيدَ لايصلح(٤) إلا بإبطال حقائق الطبائع ، فقد حمل

---

(١) ماعدا مب : « بعد صحة معنى بدنه » .

(٢) هذا مافى س ، مب ، وهو الحق . وفى ط : « فهو جسم ثابت » ، وفى م : « فهو وجسم نائب » .

(٣) التكملة من مب ، وفى أصلها « الرواية » بدل « الرؤيا » . وانظر ص ١٣٩ .

(٤) ماعدا مب : « لايصح » .

عجْزَه على الكلام فى التوحيد . وكذلك إذا زعمَ أنّ الطبائعَ لاتصحُّ إذا قرنتَها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزَه على الكلام فى الطبائع .

وإنَّما يَيْأس[١] منك الملحد إذا لم يَدْعُكَ[٢] التوفُّر على التوحيد إلى بَخس[٣] حقوقِ الطبائع ؛ لأنّ فى رفع أعمالها رفعَ أعيانها . وإذا كانت الأعيان هى الدالَّة على الله فرفعْتَ الدّليلَ[٤] ، فقد أبطلتَ المدلول عليه . ولعمرى إنّ فى الجمع بينهما لَبعضَ الشِّدّة .

وأنا أعوذُ بالله تعالى أنْ أكون كلّما غمزَ قناتى باب من الكلام صَعْبُ المدخل ، نقضْتُ ركناً من أركان مقالتى ! ومن كان كذلك لم يُنتفَعْ به .

(الفاصل الذى يفصل من العين ونحوها)

فإن قال قائل : وما بلغ من أمر هذا الفاصِل الذى لايشعر بِهِ التموم الحضَورَ ولا الذى انفصل منه ، ولا المارّ بينهما ، ولا المتلقِّى له ببدنِه وليس دونهُ شيء ، وكيف لم يَعْمَلْ فى الأقربِ دونَ الأبعد ، والأقربُ إنسان مثله ، ولعلَّه أن يكون طبعُهُ أشدَّ اجتذاباً للآفات !

وبعد ، فكيف يكون شيءٌ يصرَع الصحيحَ ويُضجِع القائم ، وينقُض القُوى ، ويُمرِض الأصحَّاء ، ويصدَع الصَّخْر ويهشِم العظْم ،

(١) فى الأصل : « يأنس » ، ولا وجه له .

(٢) ط ، م : « يرعك التوقير » ، وفى مب : « يدعك التوفير » والتصحيح من س .

(٣) ط ، م : « تحسن » والصواب من س ، مب .

(٤) ماعدا مب : « وإذا كانت الأعمال الدالة على ذلك قد رفعت الدليل » .

(٥) ماعدا مب : « ولا المار بينهما الملتق » ، تحريف

ويقْتُل[١] الثَّور ، ويَهدُّ[٢] الحمار ، ويجرى فى الجماد مَجراه فى النبات ، ويجرى فى النَّبات[٣] مجراه فى الحيوان ، ويجرى فى الصّلابة والملاسة جريهُ فى الأشياء السخيفة الرِّخوة؛ وهو ممَّا ليس له صدم كصدْم الحجر ، أو غَرْب كغرْب السَّيف ، أو حدٌّ كحدِّ السِّنان ؛ وليس من جنس السمّ [فيحملّ على نفوذ السُّمّ[٤]] ؛ وليس من جنس الغذاءِ فيُحمَل على نفوذ الغِذاء ، وليس من جنس السِّحر فيقال إنَّ العُمَّار[٥] عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعزائم . فلعلَّ ذلك إنَّما كان شيئاً وافقَ شيئاً .

قيل لهم : قد تعلمون كيف مقدارُ سَمِّ الجرَّارة[٦] أو سمّ الأفْعى ، وكيف لو وزنتم الجَرّارة[٦] قبل لسعِها وبعده لوجدتموها على حالٍ واحدة . وأنت ترى كيف تفسَخ عقْدَ بدن الفيل ، وكيف تنقض[٧] قُوى البعير ، من غيرصدم [كصدم[٨]] الحجر ، [وغربٍ كغرب السَّيف[٤]] ، وحدٍّ كَحَدِّ السنان .

فإنْ قلت : فهل نابُ الأفْعَى وإبرةَ العقرب إلَّا فى سبيلِ حدِّ السنان ؟ قلنا : إنَّ البعيرَ لو كان إنما يَتَفَسَّخ لطعْن العَقرب بإبرتها لَما كان ذلك يبلغ منها مقْدار النَّخس[٩] فقَط ، ولكنَّه لَابُدَّ أن يكون ذلك

---

(١) ط : « يقل » ، والصواب من س .
(٢) ط : « يهدى » ، وهو تحريف مافى س . وفى مب : « ويقتل » .
(٣) ماعدا مب : « الموات » .
(٤) التكملة من مب .
(٥) العمار : سكان البيوت من الجن . س : « العمال » محرفة . وفى مب : « فعلوا » .
(٦) الجرارة : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وقد تحدث عنها الجاحظ فى الحيوان ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وفى ط : « الجرادة » ، وهو تحريف مافى س ، م ، مب .
(٧) فى الأصل : « تنقص » بالصاد .
(٨) التكملة من س ، م ، مب .
(٩) ط : « التحسن » ، مب : « الحسن » . والصواب من س ، م .

لأحد أمرَين : إمَّا أن تكون العقربُ تمجُّ فيه شيئاً من إبرتها ، فيكون طبع ذلك وإن قلَّ يفسخ الفيلَ والزَّنديبل[١] ، وإمَّا أن يكون طبعُ ذلك الدّم إذا لاقاهُ طبعُ ذلك الناب وتلك الإبرة أن يُجمد[٢] فيقتل بالإجماد، أو يذيب فيقتل بالإذابة . فأيَّهما كان فإنَّ الأمرَ فيه على خلاف ما صدَّرتم به المسألة[٣] .

ولا تنازعَ بين الأعراب — والأعرابُ ناس إنّما وَضعوا بيوتَهم وأبنيَتَهم وسطَ السِّباع والأحناش والهمَج، فهم ليس يعبُرون إلّا بها ، وليس يعرفون سواها — وقد أجمعوا على أنّ الأفْعَى إذا هرِمت فلم تَطعَمْ ، ولم يبقَ فى فمها دم أنَّها تنكز بأنفها، وتطعن به ، ولا تعضُّ بفيها ، فيبلغ النَّكزُ لها ما كان يبلغُ لها قبلَ ذلك اللَّدغُ . وهل عندنا فى ذلك إلَّا تكذيبُهم أو الرجوعُ إلى الفاصل الذى أنكرتموه ؛ لأنَّ أحداً لا يموت من تلك النَّخسة ، إن كان ليس هناك أكثر من تلك الغمْزة .

وقال العجَّاج ، أو ابنُه رؤبة :

كنتم كَمَنْ أدخَلَ فى جُحْرٍ يدًا ... فأخطأ الأفْعَى ولَاقَى الأسودا

ثم قال :

* بالشمِّ لا بالسَّمِّ منه أقصدا[٥] *

وقال الآخر[٦] :

---

(١) الزنديبل : الفيل الكبير . ماعدا مب : « فيكون طبع ذلك السم كالصل والزندنيل » .
(٢) ط ، م : « يحمل »، وتصويبه من س ، مب .
(٣) ماعدا مب : « فإن الأمر على ماصدرتم به المسألة » .
(٤) نكزت الحية : لسعت بأنفها . ماعدا مب : « لم تطعم ولايبقى » إلخ .
(٥) ط : « بالشم إلا بالسم » ، وتصحيحه من س ، م .
(٦) البيت فى الحيوان ٤ : ٢٨٢ منسوب إلى يحيى بن أبى حفصة ، وانظر كذلك الحيوان ٤ : ١٨٣ .

أصمَّ ماشمَّ من خَضْرَاءَ أيبسها أو مسَّ من حجرٍ أوْهاهُ فانصدَعا

وقد حدَّثني الأصمعيُّ بِفَرْق ما بينَ النَّـكْز وغيره عندالأعراب[١] .

وههنا أمثالٌ نَضْرِبُها ، وأمور قد عايَنْتموها ، يذلَّلُ بها هذا المعنى عندَكم ويسهُل بها المدخَل . قولوا لنا : ما بالُ العجينِ يكون فى أقصى الدار ويفلق إنسان بِطِّيخة[٢] فى أدنى الدار ، فلا يفلح ذلك العجين أبداً ولا يختمِر ؟ فما ذلك الفاصلُ[٣] ؟

وكيف تقولون بصدمٍ كان[٤] ذلك كصدم الحجر ، أو بغَرب كغرب السيف !! وكيف لم يعرِض ذلك الفساد فى كلِّ معجون هو أقربُ إليه من ذلك العجين .

وعلى أنَّ نـكْز الحيَّةِ التى يصفُه[٥] الشُّعَراء بأنَّ المنـكوزَ ميِّت لامحالة ، فى سبيلِ ماحدّثنى به [حاذقٌ من[٦]] حذّاق الأَطباء ، أنّ رجلا يضرب الحيّة[٧] مِن دواهى الحيّات بعصاهُ فيموتَ الضّاربُ[٨] ؛ لأنهم يرون أنّ شيئاً فَصَل من الحيَّةِ فجرى فيها حتَّى داخَلَ الضارب فقتَله . والأَطباء أيضاً والنَّصارى

(١) كذا والـكلام ناقص . وانظر الحيوان ٤ : ١٤٩ .
(٢) ط : « ويقلق إنسان بطبخه » وتصحيحه من س ، و مب . وقد ذكر مثل هذا فى تأويل مختلف الحـديث ٤٣٩ قال : « وقد يفسد العجـين إذا قطع فى البيت الذى هو فيه البطيخ » .
(٣) ماعدا مب : « فما ذلك الفصل » .
(٤) ط : « بصدم ذلك » ، وأثبت مافى س . وفى مب : « انصدم كان » .
(٥) ماعدا مب : « تصف » .
(٦) التكملة من مب .
(٧) ماعدا مب : « أن الرجل يصيب الحية » .
(٨) قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث : « وقد زعم صاحب المنطق أن رجلا ضرب حية بعصا فمات الضـارب » . فيظهر أن محـدث الجاحظ روى له مأثر عن أرسطو .

أجْرَا على دفع الرُّؤْيا(١) والعين ، وهذه الغَرائبِ التى تحكى عن الحيَّات وصرْعِ الشيطانِ الإنسانَ ، من غيرهم .

فأمَّا الدُّهريّة فمنْكِرة للشياطين والجنّ والملائكة والرُّؤيا والرُّقى ، وهم يرون أنَّ أمرَهم لايتمُّ لهم إلاّ بمشاركةِ أصحاب الجَهالات(٢) .

وقد نجدُ الرجُل ينقف شحم الحنظل(٣) ، وبينه وبين صاحبه مسافة صالحة ، فيجد فى حلقه مَرارة الحنظل ، وكذلك السُّوس إذا عولج بهِ وبينه وبين الإنسانِ(٤) مسافة متوسِّطة البعد ، يجدُ فى حلقهِ حلاوةَ السوس . وناقف الحنظل لاتزال عينه تهمُل مادام ينقفه ؛ ولذلك قال ابن حُمام ، قال أبو عبيدة : وهو الذى يقول(٥) :

كأنِّى غداةَ البَينِ يومَ تحمَّلوا لَدَى سَمُرَاتِ الحىِّ ناقفُ حنْظل

يخبر عن بكائه ، ويصِف دُرُورَ دَمعتِه فى إثْر الحمول ، فشبَّه [نفسه](٦) بناقف الحنظل ، [وقد(٦)] ذكره امرؤ القيس فى قوله(٧) :

---

(١) أى الاعتقاد بصحة تأويلها وإنبائها عن المستقبل . وأجرا ، أى أجرأ ورسمت فى مب : « أجرى » وفى سائر النسخ : « أجراء » .

(٢) ماعدا مب : « الجهات » . وانظر ١ : ١٠ و ٤ : ٢٨٨ .

(٣) شحم الحنظل : مافى جوفه سوى حبه ، كما أن شحم الرمان مابين حبوبه . ونقف الحنظل : شق الحنظل عن الهبيد . والهبيد : حب الحنظل .

(٤) فى الأصل : « الأسنان » .

(٥) ط : « ولذلك قال أبو عبيدة وهو الذى يقول » وفى س ، م : « ولذلك قال ابن حذام قال أبو عبيدة هو الذى يقول » . وأثبت مافى مب .

(٦) التكملة من مب .

(٧) ماعدا مب : « فى شعره » .

عوجَا على الطّلَلِ القديم لعَلّنا
نَبْكِي الدِّيارَ كما بكى ابنُ حُمامِ [١]

ويزعمون أنّه أوّل مَن بكى فى الدِّيار [٢] .

وقد نجِدُ الرَّجُلَ يقطَع البصل ، أو يُوخِفُ الخَرْدل [٣] فتدمع عيناه . وينظر الإنسان فيديمُ النّظرَ فى العين المحمرة [٤] فتعترى عينَه حُمرة .

والعرب تقول : « لَهُو أعدَى من الثُّوَباء ! » ، كما تقول : « لَهُو أعدى من الجَرَب ! » ، وذلك أنَّ مَن تثاءَب مِراراً ، وهو تُجاه عينِ إنسان ، اعترى ذلك الإنسانَ التثاؤب .

ورأيت ناساً من الأطباء وهم فلاسفة المتكلِّمين ، منهم مَعْمر ، ومحمد ابن الجَهْم ، وإبراهيم بن السِّنْدىّ ، يكرهون دُنُوَّ الطامثِ [٥] من إناءِ اللبن لتَسُوطه [٦] أو تعالجَ منه شيئاً ، فكأنّهم يرونَ أنَّ لبدَنِها مادام ذلك العَرَضُ يعرِض لها ، رائحةً لها حِدَّةٌ وبخار غليظ ، يكون لذلك المَسُوط مُفسِدا .

---

(١) البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، بديوانه شرح الوزير أبى بكر ص ١٦٠ — ١٦٥ . ويروى « لأننا » موضع « لعلنا » . وهما لغتان فى معنى واحد . ماعدا مب : « المحيل لعلنا » ، و « كما بكى ابن خذام » .

(٢) مب : « الدار » .

(٣) ط : « الخروب » ، وتصحيحه من س ، مب . وفى ط ، س : « ويكسر » صوابها فى مب وفى تأويل مختلف الحديث : « . . . وكذلك موخف الخردل وقاطع البصل » . أوخفه : صب عليه الماء وضربه بيده .

(٤) ماعدا مب : « الحمرة » ، صوابه فى مب وتأويل مختلف الحديث .

(٥) الطامث : الحائض . وانظر الاستدراكات فى آخر هذا الجزء .

(٦) السوط : الخلط والمزج .

(من أثر العين الحاسدة)

ولا تُبْعِدَنَّ هذا من قلبك تباعدا يدعُوك إلى إنكاره ، وإلى تكذيب أهله . فإنْ أبيتَ إلاّ إنكارَ ذلك ، فما تقول فى فَرسٍ تَحَصَّن تحتَ صاحبه[1] ، وهو فى وسط موكِبه ، وغبارُ الموكِب قد حالَ بين استبانةِ بعضهم لبعض ، وليس فى الموكِب حِجْر[2] ولا رمَكة ، فيلتفتُ صاحبُ الحِصان فيرى حِجرًا أو رمكةً ، على قاب غَرَضٍ أو غَرَضين[3] ، أو غَلوة أو غَلوتين[4] . حدِّثنى ، كيف شمَّ هذا الفرس ريحَ تلك الفرسِ الأنثى ، وما بالُه يدخل دارًا من الدُّور ، وفى الدَّار الأخرى[5] حِجْرٌ ، فيتحَصَّن[6] مع دخوله من غير معاينة وسَمَاعِ صهيل !! ٥١

وهذا الباب سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو سعيد عبد الملك بن قُريب[7] : كان عندنا رجُلان يَعينان الناس ، فمرَّ أحدهما بحوضٍ من حجارة ، فقال : تاللهِ مارأيتَ كاليوم قطّ ! فتطاير الحوض فِلقَين[8] ، فأخذه أهلُه فضبَّبوه[9] بالحديد ، فمرَّ عليه ثانيةً فقال : وأبيك لَقلَّما أضرَرْتُ أهلَكَ فيك ! فتطاير أربعَ فِلَق .

---

(١) يريد : بدا عليه ميل الفحول .

(٢) الحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . ومثلها « الرمكة » . والرمكة أيضاً : البرذونة . والبراذين من الخيل : ماكان من غير نتاج العراب .

(٣) الغرض : قدر رمية السهم إلى الهدف . اللسان (غرض ٦٠) . ماعدا مب : « عرض أو عرضين » ، تحريف .

(٤) الغلوة : قدر ماتصل الرمية بالسهم . (٥) ماعدا مب : « وفى الدار ذكر » .

(٦) أى يبدو عليه ميل الفحول . وفى ط : « يتخصى » وهو تحريف ماأثبت من س .

(٧) هو الأصمعى .

(٨) ط ، م « فبطل الحوض فرقتين » وفى س : « فنصل الحوض فرقتين » وأثبت مافى مب . والفلق ، بالكسر : الفلقة من الشىء .

(٩) فى اللسان : « ضببت الخشب ونحوه : ألبسته الحديد » . (١٠) ماعدا مب : « فرق » .

قال : وأمَّا الآخر ، فإنَّه سمعَ صوتَ بَولٍ من وراء حائط فقال : إنَّك لشَرٌّ الشَّخب[١] ! فقالوا له : إنه فلانٌ ابنك ، قال : واانقطاع ظهراه ! قالوا : إنه لابأسَ عليه[٢] . قال : لايبولُ والله بَعْدَها أبداً ! قال : فما بال حتَّى مات .

قال الأصمعىّ : ورأيت أنا رجلاً عَيُونا فدُعىَ عليه فعَوِرَ[٣] ، قال : إذا رأيتُ الشىء يُعجبنى ، وجدتُ حرارةً تخرجُ من عَينى .

قال : وسمع [رجلٌ[٤]] بقرةً تُحلَب فأعجبه صوتُ شَخْبها ، فقال : أيتّهن هذه ؟ فخافوا عينَه فقالوا : الفلانيّة ـ لِأخرى وَرَّوابها عنها ـ فهلكتا جميعاً : المُوَرَّى بها والمورَّى عنها .

وقد حَمَل[٥] النَّاسُ كما ترى على العين مالا يجوز ، ومالا يسوغ فى شىء من المجازات . وقولُ الذى اعورَّ[٦] : إذا رأيتُ الشىء يعجبنى وجدتُ حرارةً تخرج من عينى ، مِنْ أعظم الحجج فى التناصل من صاحب العين إلى المعين .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال إنَّ فلانا لَعَيون : إذا كان يتشوَّف للناس ليصيبَهم بعين . ويقال عِنْتُ فُلَانا أَعِينه عيْنًا : إذا أصبتَه بعينٍ ، ورجل مَعِين ومعيون : إذا أصيب بالعين . وقال عبّاس بن مِرداس :

قد كان قومُك يحسَبونكَ سيِّدًا وإخال أنك سيِّدٌ مَعيونُ[٧]

---

(١) ماعدا مب : « بول وراء حائط فقال إنه لبن الشخب » .

(٢) ماعدا مب : « عليك » . (٣) ماعدا مب : «يدعى عليه بقود » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) ماعدا مب : « جعل » . (٦) ماعدا مب : « الذى عان » .

(٧) ماعدا مب « وأخالك » . وانظر الأغانى (٤ : ٨٩) ومعاهد التنصيص (١ : ١٣) ودرة الغواص ٣٦ وشرحها ٩٣ . والبيت من أبيات رواها أبوالفرج وصاحب معاهد =

ويقال للعَيون : إنَّه لَنُفوسٌ ، وما أنفسَه ، أى ماأشدَّ عينه ؛ وقد أصابته نَفْس أو عين

(دفاع عن الكلب)

وأمَّا قول القائل : إنَّ من لؤم الكلب وغدرِه أنَّ اللصَّ إذا أراد دارَ أهله أطعَمَ الكلبَ الذى يحرسهم قَبْلَ ذلك مِراراً ليلاً ونهاراً ، ودنا منه ومسح ظهرَهُ ، حتى يُثبت صورتَه ، فإذا أتاه ليلاً أسْلَمَ إليه الدارَ بما فيها — فإن هذا التأويل لايكونُ إلاّ من نتيجةِ سوءِ الرأى ؛ فإنَّ سوءَ الرأى يصوِّر لأهله الباطلَ فى صورة الحقِّ . وفيه بعضُ الظُّلم للكلب وبعض المعاندة للمحتجّ عن الكلب وقد ثبَتَ للكلب استحقاقُ المدح من ٥٢

= التنصيص ، وقد ذكرا سبب الشعر فى حديث دخلت فيه الجن والهواتف ! : وهو أن حرب بن أمية جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مر بالقرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لايرام ، فقال له مرداس والد العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فاله ؟ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك فى أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم . فأضرما النار فى الغيضة ، فلما اسطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها . . . ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة الظفرى ، فقال فى ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالما	والظلم أنكد وجهه ملعون
عجبا لقومك يحسبونك سيداً	وإخال أنك سيد معيون
فإذا رجعت إلى نسائك فادهن	إن المسالم رأسه مدهون
وافعل بقومك ماأراد بوائل	يوم الغدير سميك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها	فى صفحتيك سنانها المسنون
إن القرية قد تبين أمرها	إن كان ينفع عندك التبيين
حين انطلقت تخطها لى ظالما	وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد كنية مرداس . . وللخفاجى كلام فى (معيون) فانظره . ورواه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١١٣ : « مغيون » بالغين المعجمة .

حيثُ أَرَادَ أن يهجوَه منه ، فإن كان الـكلبُ يفرط[١] إلفه وشكره كفَّ عن اللصِّ عندَ ذِكر إحسانه ، وإثبات صورتِهِ ، فما أكثرَ منْ يُفرِط عليه الحياءُ حتَّى ينسب إلى الضَّعف والـكرم وحتَّى ينسَب إلى الغفلة . ورُبَّما شاب الرَّجُلُ بعضَ الفطنة[٢] ببعض التَّغافل ، ليكون أَتمَّ لـكرَمه ؛ فإنَّ الفطنة إذا تمَّت منعت من أمورٍ كثيرة ، مالم يكن الِخيمُ كريماً والعِرْق سليما .

وإنَّكَ أيُّها المتأوِّل ، حينَ تـكلِّف الـكلبَ ـ مع ماقد عَجَّلَ إليه اللصُّ من اللَّطَف والإحسانٍ ـ أنْ يتذكَّرَ نعمةً سالفة ، وأنْ يحترس من خديعة المحسِن إليه ، مخافةَ أنْ يكونَ يُريغُ[٣] بإكرامه سوءًا[٤] ـ لحَسَنَ الرأىِ فيه ، بعيدُ الغايةِ فى تفضيله

ولو كان للـكلب آلة يعرِف بها عواقبَ الأمورِ وحوادثَ الدهور ، وكان يوازن بينَ عواجلها وأواجلها ، وكان يعرف مصادرها ومواردَها ، ويختار أنقص الشرَّين وأتمَّ الخيرين ، ويتثبَّتُ فى الأمور ، ويخاف العَيْب[٥] ويأخذ بحجَّةٍ [ويُعطى بحجَّة[٦]] ، ويعرف الحُجَّة من الشُّبهة ، والثِّقَةَ من الرِّيبة ، ويتثبَّت فى العلَّة ، ويخاف زَيغ[٧] الهوى وسرَف الطبيعة ـ لـكانَ من كبارِ المـكلَّفين ، ومن رُءُوس الممتَحنين

---

(١) ماعدا مب : « لفرط إلفه » . (٢) مب : « وربما شيع الرجل بعض الغفنة » تحريف .

(٣) يريغ بمعنى (يريد) كما جاءت الرواية فى ط . وفى س : « بريع » ، وفى م : « بديع » والصواب فيهما ماأثبت من مب .

(٤) ط ، س ، مب « سوء » ، وتصحيحه من م ، أو لعله جار على الكناية القديمة

(٥) ماعدا مب : « الغيب » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) الزيغ : الميل . وفى ط : « زيع » ، ولا وجه له ، والصواب من س ، مب .

(اختيار الأشياء والموازنة بينها ، لدى العارفين العاقلين)

والعادةُ القائمة ، والنَّسَقُ الذى لايُتَخَطَّى[١] ولا يغادَرُ ، [و[٢]] النظامُ الذى لاينقطع ولا يختلط ، فى ذوى التمكين والاستطاعة ، وفى ذوى العقول والمعرفة ، أنَّ أبدانَهم متَى أحسَّت بأصناف المكروه والمحبوب ، وازَنوا وقابَلوا ، وعَايَرُوا[٣] وميَّزوا بين أتمِّ الخيرين وأنقَص الشرَّين ، ووصلوا كلَّ مضرةٍ ومنفعةٍ فى العاجلِ [بكلِّ مضرَّةٍ ومنفعةٍ فى][٤] الآجل[٥] وتَتبعوا مواقعها ، وتدَّبروا مساقطَها ، كما يتعرَّفونَ مقاديرَها وأوزانها[٦] ، واختاروا بعدَ ذلك أتمَّ الخيرين وأنْقَصَ الشَّرين . فأما الشر صرفا والخير محضاً فإنَّهم لايتوقَّفون عندهما ، ولا يتكلَّفون الموازنَةَ بينهما ، وإنَّما ينظرون فى الممزوج[٧] وفى بعض مايخشى فى معارضته ، ولا يوثَقُ بمَعَرَّاهُ ومُكَشَّفِه[٨] ، فيحملونه[٩] على خلاص الذِّهن ، كما يحمَلَ الذَّهب على الكِير .

---

(١) ماعدا مب : « والسن » . و « يتخطى » هى فى الأصل « يخطى » محرفة . ويتخطى — ومثله يختطى — : يتجاوز .

(٢) التكملة من مب .

(٣) عايروا ، أى وازنوا . والكلمة ساقطة من س ، مب . وفى ط : « غيروا » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) ماعدا مب : « والآجل » .

(٦) ماعدا مب : «كيما يعرفوا أوزانها » .

(٧) ماعدا مب : « وإنما ينتظرون فى المكروه » .

(٨) ط : « بعراه ومكتشفه » س: «بمغزاه وبمكشفه »، والوجه ماأثبت من مب .

(٩) إلى هذه الكلمة ينتهى ماوجد من نصوص الحيوان فى نسخة الأمبروزيانا .

وأمَّا ذوات الطَّبائع المسخَّرة والغريزةِ المجبولة[١] فإنما[٢] تَعمَل من جهة التسخير والتنبيه ، كالسمّ الذى يقتل بالكَمِّيَّة ولا يغذو ، وكالغذاء الذى يغذو ويقتلُ بالمجاوَزة لمقدار[٣] الاحتمال .

وإن هيَّأ الله عزّ وجلّ أصنافَ الحيوان المسخَّرة لدرْك مالا تبلغه العقولُ اللطيفة ، بلغَتْه بغير معاناةٍ ولا رويّة ولا توقُّف ، ولا خوفٍ من عاقبة .

٥٣ ومتى تقدَّمتْ [إلى الأمور التى يعالجها][٤] أهلُ العقول المبسوطة ، المتمكِّنة بطبائعها ، المقصورةِ غير المبسوطة ، لم يمكنْها أن تعرفَ من تلك الطبيعة ماكان موازيًا لتلك الأمور ببديهةٍ ولا فكرة . وإذا كانت كذلك فليس بواجب أن تكون كلَّما أحسنَتْ أمراً أمكنَها أن تُحْسنَ ماكان فى وزنه فى الغُموض والإلطاف ، وفى الصَّنعةِ التى لاتمكِنُ ، إلاّ بُحسن التأتِّى وببُعد الرويّة ، وبمقابلِة الأمورِ بَعضِها ببعض . وهذا الفنُّ لايُصابُ إلاّ عند من جِهتُه العقل ، ويمكنُه الاستدلالُ ، والكفُّ عنه والقطعُ له إذا شاء ، وإتمامُه[٥] إذا شاء ، وبلوغُ غايته ، والانصرافُ عنه إلى عَقيبهِ من الأفعال ؛ ومَنْ جهتُهُ تعرّفُ العِلل ، ويُمكنُهُ إكراه نفسِهِ على المقاييس والتكلُّف والتأتِّى[٦] .

---

(١) ط : « المجهولة » ، وتصحيحه من س .

(٢) فى الأصل : « إنما »

(٣) فى الأصل : « بمقدار » .

(٤) ليست بالأصل ، والقول فى حاجة إلى مثلها . والكلام فى ذوات الطبائع المسخرة .

(٥) فى الأصل : « وباتمامه » .

(٦) فى الأصل : « التأنى » بالنون ، فى هذا الموضع وسابقه .

ومتى كانت الآلة موجودةً فإنّها تُنبيك[١] على مكانها ، وإلاّ كان وجُودَها كعدمها . وبالحسِّ[٢] الغريزىّ تُشعِر صاحبَها بمكانها ، لايحتاج فى ذلك إلى تلقِينٍ وإشارة ، وإلى تعليم وتأديب ، وإن كان صاحبُ الآلة أَحمقَ من الحُبارى ، وأجهلَ من العقرب .

(الإلهام فى الحيوان)

والعاقل الممكَّن لايفضُل فى هذا المكان على الأشياء المسخَّرة ، ولا ينفصل منها فى هذا الباب . وليس عند البهائم والسباع إلاَّ ماصُنعت له ، ونُصبت عليه ، وأُلهمتْ معرفتَه وكيفيَّةَ تكلُّفِ أسبابِها والتعلُّمِ لها من تلقاء أنفسها . فإذا أحسَنَ العنكبوتُ نسْجَ ثَوِيِّهِ[٣] وهو من أعجب العجب ، لم يحسن عملَ بيت الزنبور . وإذا صنع النَّحلُ خلاياه مع عجيب القِسْمة التى فيها ، لم يحسنْ أن يعملَ مثلَ بيتِ العنكبوت . والسُّرْفة — التى يقال : « أصنَعُ من سُرْفة » لاتُحسن أن تَبنىَ[٤] مثلَ بيتِ الأَرَضَة ، على جفاءِ هذا العمل وغِلظِهِ ، ودقَّةِ ذلك العمل ولطافته .

وليسَ كذلك العاقلُ وصاحبُ التميز ، وَمَن مَلك التصرُّفَ ، وخُوِّل[٥] الاستطاعة ؛ لأنّه يكون ليسَ بنجَّارٍ فيتعلَّم النِّجارة ، [ثمَّ

---

(١) لعلها « تنبهك » .

(٢) ط ، م : « بأحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) الثوىّ : البيت . وفى الأصل : « ثوبه » وهو تصحيف .

(٤) فى الأصل : « لايحسن أن يبنى » .

(٥) خوله الشىء : ملكه إياه وأعطاه . فى ط : « حول » بالحاء ، وتصحيحه من س .

يبدو له[١]] بعدَ الحذقِ الانتقالُ إلى الفِلاحةِ ، ثمَّ ربّما ملَّها بعد أن حذَقها ، وصار إلى التجارة .

(أسمح من لافظة)

وقال صاحب الكلب : وزعمتَ أنَّ قولهم « أسمَحُ مِنْ لافِظة » أنّ اللافظة الدِّيك ، لأنّه يَعَضُّ على الحبَّةِ بطرَفِ منْقاره ، ثمّ يحذفُ بها قُدَّامَ الدَّجاجة . وما رأينا أحداً من العلماء ومِن الذين روَوا هـذا المثلَ يقول ذلك . والناسُ فى هذا المثل رجلان : زعم أحدُهما أنَّ اللافظة العنز ؛ لأن العنز تَرعى فى رَوضةٍ وتأكل من مَعْلَفها وهى جائعة ، فيدعوها الراعى وصاحبُها باسمِها إلى الحلْب، فتترك ماهى فيه حتى تُنْهَك حلبا . وقال الآخر : اللاّفظة الرَّحَى ، لأنّها لاتمسك فى جَوْفها شيئاً ممَّا صار فى بطنها .

٥٤

وكيف تكون اللافظة الديكَ ! وليس لنا أن نلْحِق فى هـذه الكلمة تاء التأنيث فى الأسماء المذكَّرةِ[٢] . واللافظة مع هاء التأنيث أشبه بالعنز والرّحَى[٣] ، وإنّما سمَّينا الجملَ راويةً ، وحاملَ العلمِ راويَةً ، وعلاّمة ، حين احتجَّ أهلُ اللغةِ على ذلك ولم يختلفوا فيه[٤] ، وكَيفَ ولا اختلافَ

---

(١) الزيادة من س ، وبدلها فى ط : « وله » .

(٢) كذا . ولعل وجه الكلام : « تاء التأنيث وهى لاتلحق فى الأسماء المذكرة » .

(٣) أى هذا اللفظ أليق بهما .

(٤) ط : « ولا يختلفوا فيه » ، والصواب فى س .

بينهم أنّ الديك خارجٌ من هـذا التأويل ، وإنّ اختلافهم بين العنْزِ والرَّحى[١] .

وبعد فقد زعم ثُمامة بن أشرَس[٢] رحمه الله تعالى : أنَّ دِيَكة مَرْو تطرُد الدَّجاجَ عن الحبِّ[٣] ، وتنزِع الحبَّ من أفواه الدَّجاج .

وقال صاحب الديك : قولهم : « أسمَح من لافظة » ، لا يليق بالرَّحى ، لأنَّ الرَّحَى صَخْرَةٌ صمَّاء ، والذى يُخرج مافى بطنها المُدِير[٤] لها ، والعربُ إنَّما تمدح بهذه الأسماء الإنسانَ وما جَرَى مجراه فى الوجوه الكثيرة ، ليكون ذلك مَشحذَةً للأذهانِ ، وداعيةً إلى السِّباق وبلوغ الغايات .

وأمَّا ترْك الشَّاة للعلَف فليس بلفظٍ للعلَف ، إلاَّ أنْ يحملوا ذلك على المجازات البعيدة ، وقد يكون ذلك عنـد بعض الضَّرورة . والشَّاة ترضع من خِلفِها حتَّى تأتىَ على أقصى لبن فى ضرعها ، وتنثُر العلَفَ ، وتقلبُ

---

(١) أى فى تسمية إحداهما لافظة . فى المزهر للسيوطى ١ : ٢٩٧ نقلا عن أمالى القالى « يقال أجرد من لافظة ، أى البحر » . ومثله فى أمثال الميدانى ١ : ٣٢٢ ، وفيها أيضاً « وقال بعضهم : هى الحمامة ، لأنها تخرج مافى بطنها لفرخها » .

(٢) ثمامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصـل بهارون وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ . وقال الجاحـظ فى شأنه : « وماعلمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى ، كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ماكان بلغه . وكان لفظه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك ، بأسرع من معناه إلىقلبك» البيان١ : ١١١ . « قال رجل لثمامة : إن لى إليك حاجة ، قال ثمامة : ولى إليك حـاجة . قال : وما هى ؟ قال : لا أذكرها حتى تتضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : حاجتى ألا تسألنى هذه الحاجة ؟ ! قال : رجعت عما أعطيتك ! قال ثمامة : لـكنى لا أرد ما أخذت ! ! ». عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ .

(٣) انظر معجم البلدان (مرو) .

(٤) ط : « المدبر » وصوابه من س .

المِحْلَب[١] ، وتنطَح من قام عليها وأتاهـا بغذائها . وهى من أمْوَق البهائم[٢] ، وزوجُها شَتِيم المحيَّا ، منتِنُ الريح ، يبولُ فى جوف فيـهِ وفى حاقّ[٣] خياشيمِه

وتقول العرب : « ماهُو إلاَّ تيسٌ فى سفينةٍ[٤] » ، إذا أرادوا به الغَبَاوة و « مَا هُوَ إلاَّ تيس » ، إذا أرادوا بِهِ نتْنَ الريح .

والعنْزُ خَرقاءُ ، وأبوها وهو التَّيْسُ أخرَقُ منها .

وَأمرُ الدِّيكِ وشأنهُ ، وكيْفَ[٥] يلفِظُ ماقَدْ صَارَ فى منقاره ، وكيف يُؤْثِرُ به طَرُوقَته مِن ذَاتِ نفسهِ — شيءٌ يراهُ الناسُ ، ويرَاهُ جَميعُ العباد . وهذه المكرمة ، وهذا الغَزَل[٦] ، وهذا الإيثار ، شيءٌ يراهُ الناس لم يكنْ فى ذَكَرٍ قطُّ ممَّن يزاوِج إلاّ الديك ، والدِّيكُ أحقُّ بهذا المثل . فإنْ كنتُمْ قد صَدَقتم على العرب فى تأويل هذا المثل[٧] فهذَا غلطٌ من العرب وعصبيَّة لِلَّبَنِ ، وعشق للدَّقيقِ[٨] .

والمثلُ إنَّمـا يلفِظ به رجلٌ من الأعراب ، وليس الأعرابىُّ بقُدْوةٍ

---

(١) المحلب والحلاب ، بكسرهما : إناء يحلب فيه .

(٢) من أموقها : من أحمقها .

(٣) حاق الشىء : وسطه . وفى الأصل : « حلق » ، ولا وجه له.

(٤) قال أبو الشمقمق فى هجاء بشار (انظر الخبر فى الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩ ونكت الهميان ١٢٦):

هللينـــه هللينـــه طعن قثاة لتينه
إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينه

(٥) ط : « كيف » ، وزيادة الواو من س .

(٦) ط : « التعزل » ، وتصحيحه من س .

(٧) أى إن كانت روايتكم عن العرب صادقة .

(٨) ط : « عشق الدقيق » ، وأثبت ما فى س فهو أشبه بالـكلام .

إلاَّ فى الجرِّ والنصب والرفع وفى الأسماء[١] ، وأمَّا غير ذلك فقد يخطئ فيه ويصيب . فالدِّيك أحقُّ بهذا المثل الذى ذكرنا ، وسائرِ خصاله الشريفة .

والذى يدلُّ على أنَّ هذا الفعلَ فى الدِّيك ، إنَّما هو من جهة الغزَل لا غير ، أنّه[٢] لا يفعلُ ذلك إذا هرِم وعجَزَ عن السِّفاد ، وانصرفت رغبتُه عنهنَّ ٥٥ وهو فى أيَّامِ شَبابِهِ أنْهَمُ وأحرَصُ على المأكول ، وأضنُّ على الحَبِّ ؛ فما لَهُ لم يُؤْثِرهنّ به عنْدَ زهده ، ويُؤْثِرهُنَّ عند رغبته ؟ ! وما بالُهُ لمْ يفعل ذلك وهو فرُّوج صغير ، وصنَع ذلك حِين أطاقَ السفاد ؟ ! فترْكه لذلك فى العجز عنهنَّ ، وبذلُه فى أوقات القوة عليهنَّ[٣] دليل على الذى قلنا[٤] . وهذا بَيِّن لا يرُدُّه إلاّ جَاهل أو معاند .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب : لسنا نُنكِر خِصالَ الدِّيك ومناقبَه من الأخبارِ المحمودة ، ولولا ذلك ما ميَّلْنا بينَه وبين الكلب[٥] . ومَنْ يميِّلُ بين العسَل والخلِّ فى وجه الحلاوة والحموضة ؟ ! وكيف يفضَل شىءٌ على شىء وليسَ فى المفضولِ شىءٌ من الفضل ؟ ! والذى قُلتم من قذْفِه الحبّ قُدَّامَ الدَّجاج صحيح ، وليس هذا الذى أنكرْنا ، وإنَّما أنكرْنا

---

(١) المراد بالأسماء هنا الكلمات .
(٢) ط : « وأنه » ، والوجه حذف الواو كما فى س .
(٣) ط : « فى الأوقات القوت عليهن » ، والصواب ما أثبت من س .
(٤) ط : « ذلك قلنا » ، وهو تحريف ما فى س .
(٥) يقال ميل بين الشيئين تمييلا : رجح ووازن . وفى الأصل : « ما مثلنا » وبعده : « ومن يمثل » ، والوجه ما اثبت . اللسان (ميل ١٦٠) .

موضعَ المثل الذى صرفتموه إلى حجّتكم(١) ، وتركتم [الذين] ما زال الناس يقلّدونهم [فى] الشاهد والمثل(٢) . وإن جاز لكم أن تردُّوا عليهم هذا المثلَ جاز لكلٍّ مَن كرِهَ مثلاً أو شاهداً أنْ يردَّ عليهم كما رددتمْ ؛ وفى ذلك إفْسَادُ أمرِ العَرَبِ كله .

فإنْ زعمتَ أنّ الديك ، كانَ أحقَّ به ، فخصومُك كثير ولسنا نحيط بأوائل كلامهم ، على أىِّ مقاديرَ كانوا يضعونها ، ومن أىِّ شيء اشتقُّوها ، وكيف كان السبب . ورُبَّ شيءٍ أنكرْنَاهُ فإذا عرفنا سبَبه أقررنَا به

وقال أبوالحسن : مرّ إياسُ بنُ معاوية بديكٍ ينقُرحبًّا ولايفرقُهُ ، فقال : يَنْبَغِي أن يكون [هـذا](٣) هرِماً ؛ فإنَّ الهرِم(٤) إذا أُلقى له الحبُّ لم يفرقْهُ ليجتمع الدَّجَاجُ حولَهُ . والهرِم قد فِنيتْ رغبتهُ فيهنَّ ، فليس همُّهُ إلاّ نفسَهُ

ورووا عنهُ أنّهُ قال : اللافظة الديك الشابُّ ، وإنَّهُ يأخذ الحبَّة يؤْثر بها الدَّجَاجَ ، والهرِمُ لايفعل ذلك ، وإنَّما هو لافظةٌ مادام شابًّا .

وقال صاحب الكلب : وذكر ابن سِيرِينَ عن أبى هُريرة : « أن كلباً مرَّ بإمرأةٍ وهو يلهَثُ عند بئر ، فنزعَتْ خُفَّها فسقَتْه ، فغَفَرَ الله تعالى لها » .

وعنه قال : « غفَر الله لبَغِىٍّ أو لمؤمنة مرّ بها كلبٌ فنزَعت خُفَّها فسقته » .

---

(١) فى الأصل : « محبتكم » .

(٢) فى الأصل : « وتركتم مازال الناس يقلدونهم الشاهد والمثل » .

(٣) الزيادة من س .

(٤) ط : وإن الهرم » .

وقال صاحب الكلب : وقال ابن دَاحَة[١] : ضرب ناسٌ من السُّلطاءِ[٢] جارا لهم ، ولبَّبوه وسحبوه وجرُّوه ، وله كلبٌ قد ربَّاه ، فلم يزَلْ ينبَحُ عليهم ويشقِّق ثيابَهم ، ولولا أنَّ المضروبَ المسحوبَ كان يكفُّه ويزجُره ، لقد كان عقَر بعضَهم أو منعَه منهم .

قال إبراهيمُ النَّظَّام : قدَّمتم السِّنَّور على الكلب ، ورويتم أنّ النبيّ صلى الله عليهِ وسلم أمرَ بقتل الكلابِ واستحياءِ السنانير وتقريبِها وتربيتِها ، كقوله عند مسألته عنها : « إنَّهُنَّ من الطَّوَّافَاتِ عليكُمْ ». وكلُّ منفعةٍ عندَ السِّنَّوْرِ إنَّمَا هى أكلُ الفأر فقط ، وعلى أنَّكُمْ قلَّما تجدون سنّوراً يطلُب الفَأْر ، فإن كان ممَّا يَطلُبُ ويأكلُ الفأرَ ، لم يعدمكم[٣] أن يأكلَ حمَامَكُمْ وفِراخَكُمْ والعَصَافِيرَ التى يتلهَّى بهاَ أولاَدُكُمْ ، والطائرَ يُتَّخَذُ لِحُسنهِ وحُسنِ صَوْته . والذى لاَبُدّ منه الوثوبُ على صِغَار الفراريج . فإنْ هو عفَّ عَن أموالكُمْ لم يَعفّ عَن أموال جيرانكُمْ . ومنافع الكلب لاَيحصيهاَ الطَّوامير[٤] . والسِّنّور مع ذلك يأكل الأوزاغَ والعقارب ، والخنافيس[٥] ، وبناتِ وَرْدان[٦] ، والحيّات ، ودخَّالاتِ الآذان[٧] والفأرَ والجُرْذان ، وكلَّ خبيثةٍ وكلَّ ذاتِ سمّ ، وكلَّ شىءٍ

٥٦

---

(١) ط : « راحة » ، وأثبت ما فى س . وانظر ما سبق فى ص ٨٢ .

(٢) السلطاء : جمع سليط ، وهو الصخاب البذىء اللسان . وفى الأصل : « السلطان » ! .

(٣) ط : « ولم » ، والصواب من س .

(٤) الطوامير : جمع طومار بالضم ، وهو الصحيفة .

(٥) هو جمع خنفس بضم الخاء وفتح الفاء أو كسرها ، أو جمع خنفسة بضم الخاء والفاء ، أو ضم الخاء وفتح الفاء . وزيادة الياء فى هذا الجمع مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع (٢ : ١٨٢) . وأما الخنفساء فجمعها خنفساوات .

(٦) ضرب من الحشرات التى تألف الحشوش ، ومن أنواعه « الصراصير » .

(٧) دخال الأذن : دويبة ذات قوائم كثيرة ، يسميها العامة فى مصر « أم أربعة وأربعين » . انظر معجم المعلوف ٥٤ والحيوان ٦ : ٥٤ .

تعافه النفس . ثمَّ قلتم فى سؤر السِّنَّور وسؤر الكلب ماقلتم . ثمَّ لم ترضوا به حتَّى أضفتموه إلى نبيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم[١] !!

(أطيب الحيوان أفواها)

ولا يشُكُّ الناس أنْ ليس فى السباع أطيبُ أفواهاً من الكلاب ، وكذلك كلُّ إنسانٍ سائِلِ الريق سائِلِ اللعاب . والخُلوف[٢] لايعرض للمجانين الذين تسيلُ أفواههم . ومن كان لايعتريه الخلوف فهو من البخَر أبعَدُ. وكما أنَّ طولَ انطباق الفم يُورث الخلوف ، فكَثْرَةُ تحَلُّبِ الأفواه بالريق تنفى الخُلوف . وحتَّى إنّ من سال فُوه من اللعاب فإنَّما قضَوا له بالسلامةِ من فيهِ ، وإن استنكَهوه مع أشباهِهِ وجَدُوه طيِّبا ، وإن كان لايقرَبُ سِواكاً[٣] على الريق . وكذلك يقال ، إنّ أطيبَ النَّاسِ أفواهاً الزِّنج ، وإنْ كانت لاتعرفُ سَنُوناً ولا سِواكاً[٤] .

على أَنَّ الكلبَ سبُع ، وسباعُ الطيرِ وذواتِ الأربع موصوفَةٌ بالبخَر ، والذى يضْرَب به فى ذلك المثلَ الأسَدُ ، وقد ذكره الحكَمُ[٥] بن عبدل فى هِجَائِهِ محمَّدَ بنَ حسَّان فقال :

(١) بعد هذا فى الأصل عبارة دخيلة على الكتاب ، وهى : « ولا رحم الله إبراهيم النظام ولا من قال بقوله » . وهى من زيادة الناسخين . ولعل الذى ألجأ الناسخ إلى ذلك ما يوهمه ظاهر العبارة السابقة وهى : « حتى أضفتموه إلى نبيكم » .

(٢) الخلوف ، بالضم : تغير رائحة الفم .

(٣) ط . « سواء كان » ، وتصحيحه من س .

(٤) السنون : ما يستاك به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان . وفى ط : « لا تعرف سنوها سواكا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٥) فى الأصل : « محمد » ، والصواب ما أثبت . وللحكم ترجمة مسهبة فى الأغانى : (٢ : ١٤٤ — ١٥٣) .

فنــكْهَتُه كنَـكْهَةِ أخْدَرِىٍّ شتيمٍ شابِكِ الأنْيَاب ورْدِ[١]

وقال بشّار :

وأفسَى من الظَّرْبان فى ليلةِ الـكرَى

وأخْلَفُ مِنْ صقرٍ وإنْ كانَ قد طعِمْ

يهجو بها حمادَ عجْرَد .

ويقال : ليس فى البهائم أطيبُ أفوَاهاً من الظباء .

(رضيعٌ مُلهَم)

وزعم علماءُ البَصريِّين ، وذكر أبو عبيـدة النحوىُّ ، وأبو اليقظان سُحيم بن حفص[٢] ، وأبو الحسن المدائنى ، وذكر ذلك عن محمَّدِ بن حفص عن مَسْلمَةَ بن محارب ، وهو حديثٌ مشهورٌ فى مشيخة أصحابنا من البصرِّيين ، أنَّ طاعوناً جارفاً جاءَ عَلَى أهلِ دار ، فلم يشكَّ أهلُ تِلك المَحلَّةِ أنّه لم يَبْقَ فيها صَغيرٌ ولا كبير ، وقد كان فيهاَ صَبِىٌّ يرتضع ، ويحبو ولا يقوم على رجليهِ ، فعمَد مَن بقِى من المطعونين من أهل تلك المَحلَّةِ إلى باب تلك الدار فسدَّهُ ، فلمَّا كان بعد ذلك بأشهرُ تحوَّل فيهاَ بعضُ وَرَثَةِ القوم ، ففتح البابَ ، فلمَّا أفضَى إلى عَرْصة الدَّار إذا هو بصبِىٍّ يلعبُ مع

٥٧

(١) يقول : رائحة فيه تشبه رائحة فم الأسد الفظيع المنظر ، المشتبك الأنياب ، الجرىء وانظر قصيدة ابن عبدل فى الحيوان (١ : ٢٥٠ — ٢٥٣) . وخبرها فى الأغانى (٢ : ١٤٨) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٠ من هذا الجزء من الحيوان .

أجراءِ كلبةٍ ، وقد كانت لأهل الدار ، فراعَهُ ذلك ؛ فلم يلبَثْ أَنْ أقبلتْ كلبةٌ كانت لأهل الدار ، فلمَّا رآها الصبىُّ حبا إليها ، فأمكنتْه من أطبائها فمصَّها ، فَظَنُّوا أنّ الصَّبِىّ لما بقى فى الدارِ وصارَ منسِيًّا واشتدَّ جوعُهُ ، ورأى أجراءَها تستقى من أطبائهَا ، حَبَا إليها فعطفت عليه ، فلمَّا سقَتْهُ مرَّةً أدامتْ ذلك لَهُ ، وأَدَامَ هو الطلب .

والذى أَلْهَمَ هذا المَوْلودَ مَصَّ إبهامه سَاعَةَ يُولَدُ من بطن أُمّهِ ، ولم يعرف كيفيَّةَ الارتضاع ، هو الذى هداه إلى الارتضاع منْ أطباءِ الكلبةِ . [وَلَوْ][1] لم تكُن الهدايَةُ شيئاً مجعُولاً فى طبيعته ، لما مَصَّ الإبهَامَ وحلمَةَ الثّدْى ، فلمّا أفرطَ عليهِ الجوعُ واشتدَّت حالُهُ ، وطلبَتْ نفْسُهُ وتلكَ الطبيعةُ فيهِ ، دعَتْهُ تلك الطبيعةُ وتلكَ المَعْرِفَةُ إلى الطلب والدنوّ . فسبحانَ مَنْ دبَّرَ هٰذا وألهمهُ وسَوّاهُ ودلَّ عَلَيْهِ !!

(إلهام الحمام)

ومثلُ هذا الحديث ماخُبِّر به عن بابويه صاحب الحمَام . ولو سمعت بقصَصه فى كتاب اللُّصوص ، علمتَ أنَّه بعيدٌ من الكذب والتّزّيد . وقد رأيته وجالسته ولم أسمعْ هـذا الحديثَ منه ، ولكنْ حدَّثنى به شيخٌ من مشايخ البصرة ، ومن النُّزول بحضرة مسجد محمد بن رَغبان[2] . وقال بابويه : كان عندى زوجُ حمامٍ مقصوص ، وزوجُ حمام طيّار ،

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « زغبان » ، بالزاى . وتصحيحه من الحيوان (١ : ١٢٣) وانظر التحقيق هناك . وكلمة « محمد » ليست فى س .

وفرخانِ مَن فراخ الزّوج الطيار . قال : وكان فى الغُرفة ثَقْبٌ فى أعلاها وقد كنتُ جعلت قُدَّام الكَوَّة[١] رفًّا ليكون مَسقطاً لما يدخلُ ويخرج من الحمام ، فتقدَّمتُ فى ذلك مخافةَ أن يعرضَ لى عارضٌ فلا يكونَ للطَّيار منفذٌ للتكسُّب ولورود الماء . فبيناَ أنا كذلك إذْ جاءنى رسولُ السلطان ، فوضَعَنى فى الحبْس ، فنسِيت قدْر الزَّوج الطيَّار والفرخين ، وما لهما من الثمن ، وما فيهما من الكرم ، ومُتٌّ من رَحمةِ الزَّوْج المقصوص ، وشغلنى الاهتمامُ بهما[٢] عن كثير ممَّا أنا فيه ، فقلت : أمَّا الزَّوْجُ الطيَّارُ فإنَّهماَ يخرُجان ويرجِعان ويزُقّان ، ولعلَّهما أن يَسْلَما ولعلَّهما أن يذهبا — وقد كنتُ ربَّيتهما حتى تحصَّنا ووَرَّدَا[٣] — فإذا شبَّ الفرخان ونهضا مع أبويهما ، وسقطا على المعلاة ، فإمّا أن يثبُتا وإمَّا أنْ يذهبا . ولكنْ كيفَ يكونُ حَالُ المقصوصَيْنِ ، ومَنْ أسوأُ حالاً منهماَ ؟ ! فَخلِّى سَبِيلى بَعْدَ شهر ، فلم يكن لى همٌّ إلاَّ النَّظَر إلى ماخلَّفت خلْفى من الحمام ، وإذا الفرخان قد ثَبتاَ وإذا الزَّوْجَانِ قد ثبتا ، وإذا الزَّوجان الطيَّاران ثبتا على حالهما ، إلاّ أنّى رأيتهما زاقَّين ، إذ علامةُ ذلك فى موضع الغَبَبِ ، وفى القِرطِمَتَين[٤] ، وفى أصولِ المناقير ، وفى عيونهماَ ، فقلت : فكيف يكونان زاقّين مع استغناء فرخَيهما عنهماَ ؟! ولاأشكُّ فى موت المقصوصين . ثمَّ دخلتُ الغرفة فإذاهما على

٥٨

(١) الكوة : الخرق فى الحائط ، والنقب فى البيت .

(٢) فى الأصل : « بها » .

(٣) هى من وردت الشجرة : إذا خرج نورها . فالمعنى اكتملا نموا .

(٤) قرطمتا الحمام : نفطتان على أصل منقاره ، أى أعلى منقاره .

أفضَلِ حال ، فاشتدَّ تعجُّبى من ذلك ، فلم ألبَثْ أن دَنَوا إلى أفواه الزَّوج الكِبار يصنعان كما يصنع الفرْخ فى طلب الزَّقِّ ، ورأيتهما حين زقَّاهما ، فإذا هما لمّا اشتدَّ جوعُهماَ ، وكاناَ يريانهماَ يزقّان الفَرخَين ويَريانِ الفرخَين كيفَ يستطعمانَ ويستزِقَّانِ ، حملَهُماَ الجوعُ وحبُّ العيش ، وتلَهُّبُ العطش ، وما فى طبعهِماَ من الهدايَةِ ، على أنْ طلباماَيطلَبُ الفرْخُ ، فزَقَّاهما ثمّ صار الزَّقُّ عادةً فى الطيَّار ، والاستطعامُ عادةً فى المقصوص .

(من عجائب الحمام)

ومِن الحمام حمامٌ يزُقُّ فراخه ولا يزقُّ شيئاً من فِراخ غيره ، وإن دنا منه مع [فراخِهِ فرخٌ مِنْ(١)] فراخ غيره ، وشا كَلَ فرخيه فى السِّنِّ واللَّون طردهما ولم يزقَّهما . ومن الحمام مايزقُّ كلَّ فرخٍ دنا منه ، كما أنَّ من الحمام حماما(٢) لايزُقُّ فراخَه ألبتّةَ حتَّى يموت . وإنَّما تعظُم البليّةُ على الفَرخ إذا كان الأبُ هو الذى لايزقّ ، لأنَّ الوِلادةَ وعامَّة الحضْن والكَفْل على الأمّ ، فإذا ظهر الولد فعامَّةُ الزَّقِّ على الأب ، كأنه صاحب العِيال والكاسِب عليهم ، وكالأمِّ التى تلد وتُرضِع .

---

(١) ليست بالأصل ، وأرى الكلام فى حاجة إليها .
(٢) ط : « حمام » .

(الطائر العجيب : كاسر العظام)

وأعجبُ من هذا ، الطائرُ الذى يقال له كاسر العظام(١) ، فإنّه يبْلُغُ من بِرِّ الفراخِ كلِّها(٢) بعد القيامِ بشأن فراخ نفسه ، أنّهُ يتعاهد فرخَ العُقَاب الثالث ، الذى تخرجه من عُشِّهاَ ؛ لأنّهاَ(٣) أشرَهُ وأرغَبُ بَطناً ، وأقسى قلباً وأسوأُ خُلقاً مِنْ أن تَحْتَمِلَ(٤) إطْعامَ ثلاثَة .

وهى مَعَ ذلك سريعة الجَزَع ، فتخرج مافَضَلَ عن فرخين ، فإذا أخرجتْه قبله كاسرُ العِظَام وأطْعَمَهُ ؛ لأَنّ العُقابَ من اللائى تبيض ثلاثَ بيضات فى أ كثر حالاتها(٥) .

(دفاع أسدى عن أكل قومه لحوم الكلاب)

قال : وعُيِّر رجلٌ من بنى أسدٍ بأكل لحوم الكلاب ، وذهَبَ إلى قوله(٦) :

* يا فَقْعَسِىُّ لِمْ أكلته لِمهْ *

---

(١) كاسر العظام : طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب ، يحمل كل عظم فيه مخ حتى إذا كان فى كبد السماء أرسله على صخرة فينكسر ، فيهبط فيأكل مخه ، ويسمى البلح والبلت — كلاهما كزفر — وستل ، بالتحريك ، والمكلفة . انظر معجم المعلوف ١٤٣ — ١٤٥ .

(٢) ط : « كليهما » ، والصواب من س .

(٣) فى الأصل : « لأنه » ، والعقاب مؤنثة ، وقيل تذكر وتؤنث . وقد أنثها الجاحظ هنا بقوله : « عشها » .

(٤) فى الأصل : « يحتمل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) انظر القول فى عقوق العقاب أو برها فى الجزء السابع ص ٣٧ .

(٦) هو سالم بن دارة ، كما فى اللسان (روح) وكما سبق فى ١ : ٢٦٧ .

* لو خافكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ *

* فَمَا أَكَلْتَ لحمَهُ ولا دَمَهْ *

قال : فقال الأَعرابى : أمَا علِمت أنّ الشِّدَّة والشجاعة ، والبأْسَ والقوة من الحيوان ، فى ثلاثَةِ أصنافٍ : العقابِ فى الهواء ، والتمساحِ فى ساكن الماء ، والأَسَد فى ساكن الغياض .

وليس فى الأرض لحمٌ أشهى إلى التمساح ولا إلى الأَسد من لحم الكلب . فإن شئتمْ فعُدُّوه عدُوًّا لهما ، فإنّهُما يأكلانِهِ من طريق الغَيظ وطلب الثأر ، وإن شئتم فقولوا غير ذلك .

(الطبيعة الأسدية فى بنى أسد)

وبنو أسَدٍ أُسْد الغياض[٢] ، وأشبهُ شيءٍ بالأسد ، فلذلك تشتهى من اللُّحمان أشباها إلى الأَسد . والدَّليلُ على أنّهُمْ أُسْد ، وفى طباعِ الأُسْد ، أنّكَ لو أحصَيْتَ جميعَ القتلى من سادات العرب ومِنْ فُرسانهم ، لَوَجَدْتَ شَطْرَهَا أو قَريباً من شَطرها لبنى أسد .

---

(١) قال ابن الأنبارى : معناه لو علم الله ذلك منك . (الأضداد ١١٩) . وقال الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٤٢) : « جعل بدل قوله أمن الكلب على أكل لحمه ، أن الله هو الذى لم يخف ذلك فيحرمه » . وقال الجاحظ فى البخلاء ١٩٧ : « وتهجى أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس . والعرب إذا وجدت رجلا من القبيلة قد أتى قبيحا ألزمت ذلك القبيلة كلها » .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « الغياش » ! ولعل صوابهما « للناس » . وجاء فى مساءلة الحجاج لابن القرية : « قال فأخبرنى عن مآثر العرب فى الجاهلية . قال : كانت العرب تقول : حمير أرباب الملك ، وكندة لباب الملوك ، ومذحج أهل الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد آساد الناس » . ابن خلكان (١ : ٨٣) . وانظر العمدة (٢ : ١٦٥) .

(أنفة الكلب)

قالوا : ثمَّ بعدَ ذلك كلِّه أنَّ الكلبَ لايرضى بالنوم والرُّبوض على بَياض الطريق ، وعلى عَفَرِ التراب ، وهو يرى ظَهْر البِساط ، ولا يرضَى بالبِساط وهو يجد الوِسادة ، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح[١] .
فمن نُبْله فى نفسه أن يتخيَّر أبداً أنبلَ موضِع فى المجلس ، وحيثُ يدَعُه ربُّ المجلس صيانةً له وإبقاء عليه ــ إلاَّ أن يتصدَّر[٢] فيه مَنْ لايجوز إلاَّ أنْ يكون صدراً ، فلا يقصِّر الكلب دونَ أن يرقَى عليه .

وقدكان فى حُجج معاوية فى اتِّخاذ المقصورة بعد ضرب [البُرَك[٣]] إيّاه بالسيف ، أنّه أبصر كلباً على منبره .

هذا على ماطُبِع عليه من إكرام الرّجُل الجميل اللباس ، حتَّى لاينبحُ عليه إن دنا من باب أهله ، مع الوُثوب على كل أسوَد ، وعلى كلِّ رثِّ الهيئة ، وعلى كلِّ سفيهٍ تشبهُ حالُه حالَ أهل الرِّيبةِ .

---

(١) المطارح : جمع مطرح ، وهو بكسر الميم : المفرش .

(٢) فى الأصل : « يتصور » ، وإنما هو « يتصدر » أى يجلس فى الصدر .

(٣) الزيادة من س . والبرك ، كصرد : اسمه الحجاج بن عبد الله الصريمى ، وكان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو فى ليلة واحدة ، ثانيهم : عبد الرحمن ابن ملجم الذى تكفل بقتل على ، وثالثهم : زاذويه الذى نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصليا فأصاب مأكته (الكامل ٢ : ١٣٥ — ١٤٥) . وانظر البيان (٢ : ٢٠٦) والطبرى (٦ : ٨٦) .

ومِن كِبْره وشدَّة تجبُّره ، وفَرْط حَمِيَّته[١] وأنفته واحتقاره ، أنّه متى نبح على رجُلٍ فى الليل ، ولم يمْنعه حارسٌ ولم يمكنه الفوت ، فدواؤه عند الرجل أنّه لاينجيه منه إلاّ أن يقعُدَ بين يديه مستخزيا مستسلما ، وأنه إذا رآه فى تلك الحال دنا منهُ فشَغَر عليه[٢] ولم يَهجْه . كأنّه حينَ ظفر به ، ورآه تحت قدرته ، رأى أنْ[٣] يسِمَه بميسَمِ ذُلٍّ ، كما كانت العربُ تجزّ نواصِيَ الأسرى من الفُرسان ، إذا رامت أنْ تخلِّيَ سبيلَها وتمُنَّ عليها ، ولو كَفَّ العربىُّ عن جزِّ ناصيته ، لوسَمَه الأسْيَرُ من الشِّعر والقوافى الخالدات البواقى ، التى هى أبقى من المِيسَم ، بما هو أضرُّ عليه من جَزِّ ناصيتِه ، ولعلَّهُ لايبلُغُ أهلَه حتّى تستوىَ[٤] مع سائر شعرِ رأسه ، ولكنَّ ذُلَّ الجزِّ لايزال يلُوح فى وجهه ، ولا يزال له أثرٌ فى قلبه . ٦٠

(تقدير مطرف للكلب)

وذُكر أنَّ مطرِّف بن عبد الله[٥] كان يكره أنْ يقال للكلب اخسأ ، وما أشبه ذلك ، وفى دعائه على أصحاب الكلب الذى كان

---

(١) الحمية : الأنفة . وفى الأصل : « حمايته » بمعنى الدفاع والمنع ، ولا وجه له .

(٢) شغر عليه : رفع رجليه فبال . وفى ط : « فثفر » ، وصوابه فى س .

(٣) فى ط : « تحت قدرته أنه » ، وفى س : « رءا أن » وصحتهما بما ترى .

(٤) فى الأصل : « يستوى » ، والكلام فى « الناصية » .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان لأبيه صحبة . قال الجاحظ فى شأنه : وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار — وذكره فى جملة القصاص ، ثم قال : وقص ابنه مطرف بن عبد الله بن الشخير فى مكان أبيه (يريد بمسجد البصرة) . البيان ١ : ٣٦٧ . وقال الجاحظ : =

أربابُه لايمنعونه من دُخول مُصَلاَّه ، قال : اللهمَّ امنعهْم بركة صيدِه ! !
دليلٌ على حسْنِ رأيه فيه .

(من أقوال المسيح عليه السلام)

قالوا : ومرَّ المسيحُ بن مريم فى الحَوارِيِّين بجِيفة كلب ، فقال بعضهم : ماأشدَّ نتنَ ريحه ! قال : فهلاَّ قلتَ : ماأشدَّ بياضَ أسنانه ! !

قالوا : وقال رجلٌ لكلب : اخسأْ،ويْلكَ ! فقال هَمَّام بن الحارث[1] : الويلُ لأهلِ النَّار .

(هراش الكلاب)

والهِراش الذى يجرى بينها وهو شَرٌّ ، يكونَ بينَ جميع الأجناس المتَّفِقة ، كالبرذون والبرذون ، والبعير والبعير ، والحمار والحمار ، وكذلك جميع الأجناس . فأمَّا الذى يفرط ويتمُّ ذلك فيه ، ويتمنَّع ناس من النَّاس ،

= « وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة » . البيان ١ : ٢٤٢ . « وكان مطرف بن عبد الله يقول : لا تطعم طعامك من لايشتهيه . يقول : لاتقبل بحديثك على من لايقبل عليك بوجهه » البيان ١ : ١٠٣ . وقد روى الجاحظ كثيراً من أقواله فى البيان . قال ابن قتيبة : « ومات عمر ومطرف ابن عشرين سنة ، كأنه ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان بعد سنة سبع وثمانين » . المعارف ١٩٣ .

(١) فى البيان ٣ : ١٩٣ : « زهاد الكوفة : عمرو بن عتبة ، وهمام بن الحارث ، والربيع بن خثيم ، وأويس القرنى »

ويقع فيه القِمار ، ويتّخذ لذلك ، وينفقَ عليه ، ويُغالَى به ، فالكلبُ والكلب ، والكبشُ والكبش ، والدِّيكُ والدّيك ، والسُّمانَى والسُّمَانَى[1] .

(التحريش بين الجرذان)

فأمَّا الجُرَذ[2] فإنَّه لايقاتل الجُرَذَ[2] حتَّى يشدَّ رجل أحدهما فى طرف خيط ، ويشدّ الجُرَذ[2] الآخر بالطرف الآخر ، ويكون بينهما من المساواة[3] والالتقاء[4] ، والعضِّ والخمش ، وإراقة الدَّم وفَرْى الجلود ، مالا يكون بين شيئين من الأنواع التى يُهارَش بها .

والذى يُحدث للجُرْذان[5] طبيعةَ القتالِ ، الرِّباطُ نفسُه ، فإن انقطع الخيْطُ وانحلَّ العَقْد ، أخذَ هذا شرقاً وهذا غرباً ، ولم يلتقِياَ[6] أبداً .

وإذا تقابلت جِحَرَة الفأر ، وخَلا لَهَا الموضعُ ، فبيْنَهاَ شرٌّ[7] طويل ، ولكنَّه لايعدُو الوعيد والصخَب ، ولا يلتقى منهما اثنانِ أبداً .

---

(١) فى الأصل : «والسمان والسمان » ، صوابه ماأثبت . وانظر ٥ : ٢٤٦ .

(٢) ط : « الجراد » ، س ، م : « الجرد » ، وصوابهما ماأثبت .

(٣) لعلها « المساورة » بمعنى المواثبة ، أو « المشارة » بمعنى تبادل الشر .

(٤) فى الأصل : « الالتفات » . وانظر ماسيأتى من الكلام .

(٥) ط : « للجراد » . س ، م : « الجردان » والوجه ماذكرت .

(٦) فى الأصل : « يلتفتا » وانظر سياق الكلام .

(٧) الجحرة : جمع جحر . و « لها » و « بينها » هى فى الأصل « لهما » و « بينهما » وهو تحريف ، إذ الضميران راجعان إلى الفأر ، والفأر جمع فأرة .

(قصة ثمامة فيما شاهده من الفأر)

وحدَّثني ثمامة بن أشْرَس قال: كان بقيَ في الحبس جُحْر فأر[١] ، وتِلْقاءه جُحرٌ آخر ، فيَرَى لكلِّ واحدٍ منهما وعيداً وصياحاً ووثوباً ، حتَّى يُظَنَّ أنَّهُما سيلتقيان ثم لايحتجزان حتَّى يقتُلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه . فبينا كلٌّ واحدٍ منهما في غاية الوعيد ، إذ مرَّ هارباً حتَّى دخل جُحره ، فما زالا كذلك ، حتَّى أتى الله تعالى بالفرَج وخُلِّيَ سبيلي .

(جودة الشم عند الكلاب السلوقية)

وزعم أنَّ السَّلوقيَّةَ الطويلةَ المناخر أجودُ شمًّا ، والشمُّ العجيبَ والحسُّ[٢] اللطيف من ذلك[٣] ، إلاَّ أنَّ ذلك في طلب الذكور للإناث والإناثِ للذُّكور خاصة . وأمَّا شمُّ المأكول ، واسترواحُ الطُّعم ، فللسِّباع في ذلك ماليس لغيرها . وإنَّ الفأرَ لَيَشَمُّ ، وإنَّ الذَّر والنمل لَيَشَمُّ ، وإنَّ السَّنانير لتشَمُّ ، وكذلك الكلب ، وله في ذلك فضيلة ، ولا يبلغُ مَايبلغ الذئب . ٦١

وقال أعرابيّ :

كانَ أبو الصَّحيم من أربابها ‏ ‏ صَبَّ عليه الله من ذِئابها

أطلسَ لاينحاشُ مِن كلابها ‏ ‏ يلتهِمُ الطائرَ في ذَهابِها

---

(١) كذا ، ولعل الكلام « قال إنه كان في الحبس جحر فأر » .

(٢) ط : « الحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) أي من طول المناخر .

* فى الجَرْيَةِ الأولَى فلا مَشَى بها *

ألا تراه يجتهد فى [الدُّعاء عليها] بذئبٍ[١] لاينحاشُ من الكلاب .

باب

ما يُشَبَّه بالكَلْبِ وليس هو منْه

وإذا جرى الفرَس المحجَّل ، شبَّهوا قوائمَـه بقوائم الكلب إذا ارتفعت فى بطنه ، فيصير تحجيلُها كأنَّه أكلُبٌ صغارٌ تعدو ، كما قال العُمانىُّ[٢] :

كأنَّ تحت البَطْن منه أكلُبا　　　بِيضاً صِغاراً ينتهِشْنَ المَنْقَبا[٣]

وقال البدرىّ :

كأنَّ أجراءَ كلابٍ بِيضِ　　　دونَ صِفاقَيْه إلى التَّغْرِيضِ[٤]

---

(١) فى الأصل : « ألا تراه يجتهد فى ذئب » ، وأصلحت القول بما ترى .

(٢) العمانى هو محمد بن ذؤيب الحنظلى ، وقيل له العمانى وهو بصرى ، ولم يكن من أهل عمان ، ولكن نظر إليه دكين الراجز فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا ، وكذلك أهل عمان ، قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله　　　ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

وكان شاعراً راجزا متوسطا ، من شعراء الدولة العباسية ، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم فى عصره مثل أشجع ، وسلم ، ومروان ، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا ، فأفاد بفعله أموالا جايلة ، وكان العمانى مقربا لدى الرشيد . الأغانى (١٧ : ٧٨ — ٨٣) والشعراء لابن قتيبة ٧٣١ — ٧٣٢ .

(٣) انظر ديوان المعانى (٢ : ١١٤) والشعر والشعراء ٣٧٢ .

(٤) الصفاق ، جلد البطن .

وقال الآخر :

كأَنَّ قِطًّا أو كلاباً أربَعَا   دون صِفاقيه إذا ما ضَبَعا[١]

ويصفون الطَّلْعَ أوَّلَ ما يبدو صغاراً بآذانِ الكلابِ البِيضِ . وقال في ذلك الرَّاجزُ :

أنعتَ جُمَّاراً على سحيض[٢]   يَخرج بعد النَّجْم والتبعيض[٣]

* طَلْعاً كآذانِ الكلابِ البيضِ *

ويُوصَف صوتُ الشَّخْب في الإناء بهرير هراش الكلاب .

وقال أعرابيّ :

كأنَّ خِلْفيها إذَا ماهرَّا   جروَا كلابٍ هُورِشا فهَرَّا[٤]

وقال الآخر :

كأنَّ صوتَ شَخْبِها المسحنْفِرِ[٥]   بينَ الأباهِيمِ وبين الخِنْصرِ[٦]

* هِراشُ أجراءٍ ولما تُثْغِرِ[٧] *

---

(١) ضبع : أسرع . وضبع بالتشديد : مد ضبعيه في السير ، والضبع : العضد .

(٢) كذا ، ولعلها « نضيض » ، وهو الماء القليل .

(٣) كذا ولعلها « التبريض » ، وهو من ظهور النبت في أول أمره .

(٤) يقول : كأن صوت لبنها حين الحلب صوت جروين من أجراء الكلاب أغرى أحدهما بالآخر ، فكان منهما نباح .

(٥) الشخب : ماخرج من الضرع من اللبن . والمسحنفر : الكثير الغزير .

(٦) الأباهيم : جمع إبهام ، وقد جمعه ولم يرد جمعه ، وإنما أراد الواحد . انظر ص ٣٩ .

(٧) أي صوت هراش أجراء . وتثغر : تبدو أسنانها . ولعلها « تشغر » بمعنى ترفع إحدى رجليها حين البول ، وهذه أمارة من أمارات بلوغ الكلاب كما في الحيوان (٢ : ٣٢) .

وقال أبو دُوَاد[١] :

٦٢ طَويل طامِح الطَّرْفِ إلى وَهْوهَةِ الكلب[٢]

(جواب صبيّ)

وزعم الهيثم بن عدى[٣] قال : كان رجل يسمَّى كلباً ، وكان له بُنَيٌّ يلعبُ فى الطريق ، فقال له رجلٌ : ابن مَنْ ؟ فقال : ابن وَوْ وَوْ وَوْ ! !

(ما يستحبّ فى ذنب كلب الصيد)

ويحبُّون أن يكون ذنَب الكلْبِ الصَّائِدِ يابساً ، ليس له من اللحم قليل ولا كثير ، ولذلك قال :

---

(١) فى الأصل : « أبو داود» ، وإنما هو « أبو داود » . والبيت الآتى فى أدب الكاتب ٨٦ والأمالى ٢ : ٢٥٠ والأضداد ٢٦٦ منسوب إلى أبى دواد . لكن قال أبو عبيد البكرى فى التنبيه : إن هذا البيت ليس لأبى دواد ولا وقع فى ديوانه ، وإنما هو لعقبة بن سابق الهزانى . قلت : وانظر قصيدة عقبة بن سابق فى الأصمعيات ٣٩ ، وانظر كذلك الاقتضاب ٣٢٤ .

(٢) الرواية فى المراجع المتقدمة : « إلى مفزعة الكلب » : أى نظره طامح إلى أقصى موضع يسمع منه الكلب إيساد صاحبه أى إغراءه » . والبيت فى صفة فرس . وأما الوهوهة هنا فصوت الكلب عند جزعه . والبيت يروى برفع « طويل » وخفضه ، فمن خفضه جعله من صفة الفرس المذكور فى البيت الذى قبله وهو :

وقد أغدو بطرف هيـ ـكل ذى ميعة سكب
أشم سلجم المقبـ ـل لا شخت ولا جأب

ومن رفع فعلى خبر مبتدأ مضمر . انظر الاقتضاب ٣٢٥ .

(٣) كذا فى س ، وهو الصواب . وفى ط : عرابى » ، وفى م : « عربى » وكلاهما تحريف . كان الهيثم عالما بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب . وكان يرى رأى الخوارج . توفى سنة سبع أو تسع ومائتين . وانظر الخبر فى ٥ : ٢٨٨ .

* تَلوِى بأذنابٍ قليلاتِ اللِّحَا(١) *

وقال الشاعر(٢) :

إنِّى وطَلْبَ ابنِ غلّاقٍ(٣) ليَقرِيَنِى(٤)

كالغابط(٥) الكلبَ يبغى الطِّرْقَ فى الذَّنب(٦)

الطِّرْق : الشحم اليسير ، يقال : ليس به طِرْق .

(طيب لحم أجراء الكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فَرخٌ ولا جرو ولا شىءٌ من الحيوان أسمنَ ولا أرطبَ ولا أطيبَ من أجراء الكلب . وهى أشبهُ شىءٍ بالحمام ؛ فإنَّ فِراخَ الحمام أسمنُ شىءٍ ما دامت صغاراً من غير أن تسمَّن ، فإذا بلغَتْ لم تقبل الشحم ، وكذلك أولادُ الكلاب .

---

(١) ط : « اللحام » س : « اللحى » وصوابهما من م ، ومن الحيوان ٢ : ٦٢ حيث توجد أرجوزة البيت مشروحة مفصلة . وأراد باللحا – وهو مقصور اللحاء – مايكسو الذنب من اللحم . وفى المقصور والممدود لابن ولاد ٩٥ : « ويقال للتمرة إنها قليلة اللحاء ، وهو ما كسا النواة » .

(٢) هو رجل من بنى عمرو بن عامر يهجو قوما من بنى سليم ، كما فى اللسان (غبط) .

(٣) فى أمثال الميدانى ٢ : ٢٠ : « إنى وإن ابن علاق » ، وفى اللسان : « إنى وأتى ابن غلاق» . والطلب : هو الطلب سكنت لامه للشعر .

(٤) ط : « ليقربنى » وتصحيحه من س ، م وأمثال الميدانى واللسان .

(٥) الغابط : الذى يجس الحيوان ليعرف سمنه من هزاله . وفى م : « كالغائط » وفى ط : « كالطالب » . وفى الأمثال : « كعابط » ، وذلك تحريف ماأثبت من س. وفى اللسان : « كغابط » .

(٦) ط ، م : « الذيب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . وقبل هذا البيت فى اللسان :

إذا تحليت غلاقا لتعرفها لاحت من اللؤم فى أعناقها الكتب

قال الميدانى : يضرب هذا المثل لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

وقال الآخر :

وأغضَفِ الأُذْن طاوى البَطْنِ مُضْطَمِرٍ

لِوَهْوَهٍ رَذِم الخيشوم هَرَّارِ[1]

الأصمعيّ قال : قال أعرابيٌّ : أصابتنا سَنة شديدة ، ثم أعقبتْها سنةٌ تتابَعَ فيها الأمطارُ فسمِنت الماشية ، وكثُرت الألبان والأسمان ، فسَمِن وِلْدان الحيِّ ، حتّى كأنَّ استَ أحدهم جرو يتمطّى !

(طاب أبى دلامة)

أبو الحسن قال : قال أبو العبَّاس أميرُ المؤمنين[2] لأبى دُلامة : سَلْ ! قال : كلباً . قال : ويلَك ! ما تصنع بالكلب ؟ ! قال : قلت أصيدُ به . قال : فلك كلب . قال : ودابَّةً . قال : ودابّة . قال: وغلاماً يركَب الدابة ويَصيد . قال : وغلاماً . قال : وجاريَةً . قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين ! كلبٌ وغلامٌ وجاريَةٌ ودابّة، هؤلاء عِيال ، ولا بدَّ مِن دار . قال: ودار . قال : ولا بدَّ لهؤلاءِ من غَلَّةِ ضَيعة . قال : أقطعناك مائَةَ جَرِيبٍ عامرةً ومائَةَ جريبٍ غامرة . قال : وأيُّ شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها

---

(١) لوهوه : أى أبوه وهوه ، والوهوه : النشيط الحريص على الجرى . والرذم: الذى يقطر أنفه ، وفى اللسان : « رذم أنفه يرذم ويرذم - أى كيدخل ، ويضرب - رذما ورذمانا : قطر » . وهى فى الأصل : « ردم » وليس لها معنى يتجه . والهرار : الكثير الهرير ، وهو النباح .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية (١٠٤ - ١٣٦) . والحديث فى الأغانى ٩ : ١١٦ مع اختلاف فى الألفاظ حيث توجد ترجمة أبى دلامة ٩ : ١١٥ - ١٣٣ . وانظر جمع الجواهر ٩٠ .

نبات . قال : أَنَا أُقْطِعك خمسمائةِ جريب من فيافى بنى أسد غامرةً .
قال : قد جعلنا لك المائتين عامِرتين كُلَّهاَ[1] ، ثمَّ قال : أبقىَ لك شيء ؟
قال : نعم ، أقبِّل يدك . قال : أمَّا هذه فدعْها . قال : مامنعتَ عيالى شيئاً
أهونَ عليهم فقْداً منه ؟ !

(علّمه حيلة فوقع فى أسرها)

أبو الحسن عن أبى مريم قال : كان عندنا بالمدينة رجلٌ قد كثُر
عليه الدَّين حتَّى توارى من غرمائه ، ولزِم منزله ، فأتاه غريم له عليه
شيءٌ يسيرٌ ، فتلطَّفَ حتَّى وصل إليه ، فقال له : ما تجعلُ لى إنْ أنا دللتُك
على حيلةٍ تصيرُ بها إلى الظُّهورِ والسَّلامةِ من غرمائك ؟ قال : أقضيكَ ٦٣
حقَّك ، وأزيدُك ممَّا عندى ممَّا تقَرُّ به عينك . فتوثَّقَ منه بالأيمان ،
فقال له : إذا كان غداً قبْلَ الصَّلاةِ مرْ خادمَك يكنُسْ بابَك وفِناءَك
ويرشَّ ، ويبسُطْ على دكَّانك حُصراً ، ويضَعْ لك متَّكأ ، ثمّ أمهِل حتى
تصبَح[3] ويمرَّ الناس ، ثمّ تجلس ، وكلُّ مَن يمرُّ عليك ويسلِّم انبح له
فى وجهه ، ولا تزيدَنَّ على النُّباح أحداً كائنا مَن كان ، ومَنْ كلّمك من
أهلِك أو خدمك أو من غيرهم ، أو غريمٍ أو غيره ، حتَّى تصير إلى الوالى
فإذا كلَّمك فانبَحْ له ، وإيَّاك أن تزيدَه أو غيرَه على النُّباح ؛ فإنَّ الوالىَ

---

(١) ط : « كلهما » .
(٢) فى الأغانى عقب هذه القصة « قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه » .
(٣) ط : « يصبح » .

إذا أيقنَ أنَّ ذلك منك جِدٌّ لم يشُكَّ أنَّه قد عرَض لك عارض من مَسٍّ فيخلِّيَ عنك ، ولا يغرى عليك . قال : ففعَل ، فمرَّ به بَعضُ جيرانه فسلَّم عليه ، فنبَح فى وجهه ، ثم مرَّ آخرُ ففعل مثلَ ذلك ، حتّى تسامع غرماؤه فأتاه بعضهم فسلَّم عليه فلم يزِدْه على النُّباح ، ثمَّ آخرُ ، فتعلَّقوا به فرفعوه إلى الوالى ، فسأله الوالى فلم يزِدْه على النُّباح ، فرفَعه معهم إلى القاضى ، فلم يزده على ذلك ، فأمَرَ بحبسه أيَّاماً وجعلَ عليه العيون ، وملَكَ نفْسَه وجعَلَ لاينطِق بحرفٍ سوى النُّباح ، فلمَّا رأى القاضى ذلك أمَرَ بإخراجه ووضعَ عليه العيونَ فى منزله ، وجعل لاينطِق بحرفٍ إلاَّ النباحَ ، فلما تقرَّرَ ذلك عند القاضى أمر غرماءَه بالـكفِّ عنه ، وقال: هذا رجلٌ بِهِ لَمَم . فمكث[1] ما شاء اللهُ تعالى . ثمَّ إنَّ غريمَه الذى كان علَّمه الحيلة ، أتاه متقاضياً لِعِدَتِه[2] فلمَّا كلمه جعل لايزيدهُ على النُّباح ، فقال لَهُ : ويلَكَ يافلان ! ! وعلىَّ أيضا ، وأنا علَّمتك هذه الحيلة ؟ ! فجعل لايزيدُه على النُّباح ، فلمَّا يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه بِهِ .

(اتحاد المتعاديين فى وجه عدوِّهما المشترك)

قال أبو الحسن عن سلمة بن خطَّاب الأزدىّ ، قال : لمَّا تشاغل عبدُ الملك بنُ مرْوانَ بمحاربةِ مُصعَبِ بنِ الزُّبير ، اجتمَعَ وجوهُ الرُّوم إلى ملكهم فقالوا له : قد أمكنَتْك الفُرْصةُ من العَرب ، بتَشاغُل بعضهم

---

(١) اللمم : الجنون . و « مكث » هى فى ط : « مكثت » محرفة ، وإصلاحها من س .

(٢) لعدته : لما كان وعده به .

مع بعض ، لوقوع بأسهم بينهم ، فالرأىُ لك أن تغزوَهم إلى بلادهم ، فإنَّك إن فعلتَ ذلك بهم نلتَ حاجتَك ، فلا تدَعْهم حتَّى تنقضىَ الحربُ التى بينهم فيجتمعوا عليك ! فنهاهم عن ذلك وخطَّأ رأيَهم ، فأبوا عليه إلاَّ أن يغزُوا العربَ فى بلادهم . فلما رأى ذلك منهم أمَرَ بكلبَين فحرَّش بينهما ، فاقتتلا قتالا شديداً ، ثمَّ دعا بثعلبٍ فخلاَّه ، فلما رأى الكلبان الثعلبَ ، تركا ما كانا فيه ، وأقبلا عليه حتَّى قتلاه ، فقال ملك الروم : كيف ترون !؟ هكذا العربُ ، تقتتلُ بينها ، فإذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا ، ٦٤ فعرَفوا صدقه ، ورجَعوا عن رأيهم .

(كرم الكلاب)

قال : وقال المغيرةُ لرجلٍ خاصم إليه صديقاً لهُ ، وكان الصديقُ توعَّده بصداقة المغيرة ، فأعلمه الرجلُ ذلك ، وقال : إنَّ هذا يتوعَّدنى بمعرفتك إيَّاه ، وزعم أنَّها تنفعه عندَك . قال : أجَلْ ! إنَّها والله لتنفَع ، وإنَّها لتنفَعُ عند الكلبِ العقور !

فإذا كان الكلبُ العقورُ كذلك ، فما ظنُّك بغيره ؟ وأنت لا تصيب من الناس مَن تنفع عنده المعرفةُ من ألفٍ واحداً[1] .

وهذا الكرمُ فى الكلاب عامٌّ . والكلبُ يحرُس ربَّه ، ويحمى حريمَه شاهداً وغائباً ، وذاكراً وغافلاً ، ونَائماً ويقظان ، ولا يقصِّر عن ذلك وإن جفَوه ، ولا يخذُلهم وإن خذَلوه .

---

(١) فى الأصل : « من ألف واحد » .

(نوم الكلاب)

والكلبُ أيقَظُ الحيوانِ عيناً فى وقتِ حاجتهم إلى النوم ، وإنَّما نومه نهاراً ، عند استغنائهم عن حراسةٍ ، ثمَّ لا ينام إلاَّ غِراراً وإلا غِشَاشاً[١] . وأغلبُ ما يكوم النّومُ عليه وأشدُّ [ما يكون[٢]] إسكاراً له ، أنْ يكونَ كما قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلاً كنُعاسِ الكَلْبِ[٣] *

يعنى بذلك القَرْمَطَة فى المواعيد .

وكذلك فإنَّهُ أنْوَمُ ما يكونُ أنْ يفتَحَ عينَه بقدْر ما يكفيه للحراسة ، وذلك ساعةً ، وهو فى هذا كلِّه أسمَعُ من فرَس ، وأحذَرُ من عَقْعَق[٤] ، مع بُعد صوته

---

(١) الغرار والغشاش : النوم القليل .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سبق الكلام فى هذا البيت ص ٣١٧ من الجزء الأول .

(٤) العقعق – كثعلب – طائر على قدر الحمامة ، فى شكل غراب ، وهو ذو لونين أبيض وأسود . وكما يضرب المثل بالعقعق فى الحذر ، يضرب به أيضاً فى السرقة والخيانة ، قال :

إذا بارك الله فى طائر فلا بارك الله فى العقعق
قصير الذنابى طويل الجناح متى مايجد غفلة يسرق
يقلب عينيه فى رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(قول رجل من العرب فى الجمال)

وقيل لرجُل من العرب : ما الجمال ؟ فقال : غُؤور العينَين ، وإشراف الحاجبين ، ورُحْب الأشداق ، وبُعْدُ الصوت .

(صبر الكلب واحتماله)

هذا مع قلة السآمة ، والصَّبْرِ على الجفوة ، واحتمالِ الجراحات الشِّداد ، وجوائف الطعان[1] ونوافِذِ السهام . وإذا ناله ذلك لم يَزَلْ ينظِّفه بريقه ؛ لمعرفته بأنَّ ذلك هو دواؤه حتَّى يبرأ ، لا يحتاج إلى طبيب ، ولا إلى مِرْهم ولا إلى علاج .

(طول ذماء الضب والكلب والأفعى)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شيءٍ ذَمَاء[2] » ، والكلبُ أعجبُ فى ذلك منه . وإنَّما عجبوا من الضَّبِّ ، لأنَّه يَغْبُرُ[3] ليلتَه مذبوحا مفرِىَّ الأوداج ، ساكنَ الحركة ، حتَّى إذا قَرِّب من النار تحرّك . كأنَّهم يظنُّون أنَّه قد كان حيًّا ، وإن كان فى العين ميّتاً .

والأفعَى تبقى أيَّاماً تتحرَّك .

---

(١) الجائفة : طعنة تبلغ الجوف .

(٢) الذماء : بقية الروح . وفى ط : « أطول شيئا » ، وهو على الصواب فى س ، م .

(٣) يغبر : يمكث . وفى ط ، م : « يغير » ، وهو تحريف ماأثبت من س .

(ما يعتريه الاختلاج بعد الموت)

فأمَّا الذى يعتريه الاختلاج بعد جُموده[١] ليلةً ، فلحْمُ البقر والجُزُر[٢] ، تختلج وهى على المعاليق اختلاجاً شديداً .

والحيَّة يُقطَعُ ثلثها الأسفل ، فتعيش وينبُت ذلك المقطوع .

(حياة الكلب مع الجراح الشديدة)

قال : والكلب أشدُّ الأشياء التى تعيش على الجراح ، التى لا يعيش عليها شىء إلاَّ الكلبُ ، والخنزيرُ ، والخُنْفَساء .

(قوة فكّ الكلب وأنيابه)

والكلبُ أشدُّ الأشياء فَكًّا ، وأرْهفها ناباً ، وأطيَبُها[٣] فماً ، وأكثرها ريقاً ، يُرمَى بالعظم المدْمَج[٤] ، فيعلم بالغريزة أنَّه إن عضَّه رضَّه ، وإن بلعَه استمرأه[٥] . ٦٥

---

(١) الجمود : كناية عن الموت ، تقول : مازال يضربه حتى جمد .
(٢) الجزر : الإبل المذبوحة ، جمع جزور .
(٣) ط ، م : « أخيبها » ، وتصحيحه من س .
(٤) المدمج : الصلب . وفى س : « يرى العظم المدمج » .
(٥) سيأتى نحو هذا الكلام بعبارة أكثر تفصيلا فى ص ١٩٤ من هذا الجزء .

(إلف الكلب وغيره من الحيوان للإنسان)

وهو ألوفٌ للناس ، مشاركٌ من هذا الموضع العصافيرَ والخطاطيفَ والحمامَ والسنانير ، بل يزيد على ذلك فى باب الخاصِّ وفى باب العامِّ . فأمَّا باب الخاصِّ ، فإنَّ من الحمام[١] ما هو طُورانىٌّ[٢] وحشىٌّ ، ومنه ما هو آلفٌ أهلى . والخُطَّاف من القواطع غير الأوابد ، إذا قطع إلى الإنس لم يَبْنِ بيتَه إلاَّ فى أبعدِ المواضع ، من حيثُ لا تناله أيديهم . فهو مقسومٌ على بلاده وبلادِ من اضطرَّته إليه الحاجة . والعصافير تكون فى القرب حيثُ تمتنع منهم فى أنفسها . والكلاب مخالطةٌ لها ملابِسة ، ليس منها وحشىٌّ ، وكلُّها أهلى . وليس من القواطع [ولا][٣] من الأوابد ما يكون آنس بالناس — من كثير ممَّا يوصف بالأنس والإلف — من الكلاب دون سواها[٤] . وفى السَّنانير الوحشيَّةُ والأهليةُ .

وعلى أنَّ إلفَ الكلب فوقَ إلف الإنسان الألوف[٥] ، وهو فى الكلب أغرَبُ منه فى الحمام والعصفور ؛ لأنَّه سبع ، والحمام بهيمة ، والسبع بالسباع أشبه ، فتركَها ولم يناسبها ، ورغِب عنها . وكيف ، وهو يصيد الوُحوشَ ويمنَع جميعَ السِّباع [من[٦]] الإفساد ؟ ! فذلك أحمَدُ له

(١) ط ، م : « من » ، س : « منه » ، والصواب فى ذلك ماأثبت .
(٢) فى معجم البلدان : طرآن : جبل فيه حمام كثير ، إليه ينسب الحمام الطرآنى . . . قال : والعامة تقول طورانى ، وهو خطأ » . وفى اللسان : « وحمام طورانى وطورى منسوب إليه» . أى إلى طور سيناء . قال : « وقيل هو منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ » .
(٣) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .
(٤) فى الأصل : « من الناس دون سواهم » .
(٥) ط : « الألوق » ، وصوابه من س ؛ م .
(٦) الزيادة من س .

وأوجَبُ لشكره . ثمَّ يصيرُ فى كثيرٍ من حالاته ، آنَسَ بالنَّاس منه بالكلاب دِنيَّةً وقُصْرةً[١] ، ولا تراه يلاعبُ كلباً ما دام إنسانٌ يلاعبه . ثمَّ لم يرْضَ بهذه القرابة وهذه المشاكلة ، وبمقدار ما عليه من طباع الخُطَّاف والحمام والعصفور ، وبمقدار ما فضَّلها الله تعالى بِهِ من الأُنس ، حتَّى صار إلى غايةِ المنافع سُلَّماً ، وإلى أكثر المرافق[٢] .

(الحاجة إلى الكلاب)

[وليس[٣]] لحارس الناس ولحارسِ أموالهم بُدٌّ من كلب ، وكلَّما كان أكبَرَ كان أحبَّ إليه . ولا بدَّ لأقاطيع المواشى من الكلاب ، وإلَّا فإنَّها نهبٌ للذئاب ولغير الذئاب ثمَّ كلابِ الصَّيد ، حتَّى كان أكثرُ أهل البيت عِيالاً على كلٍّ كلب .

(مقلدات الإنسان من الحيوان)

وقد صار اليومَ عندَ الكلب من الحكايات وقَبول التلقين ، وحُسْن التصريف فى أصناف اللّعِب ، وفى فِطَن الحكايات [ما ليس[٤]]

---

(١) يريد الكلاب القريبة إليه فى النسب .

(٢) يصح أن تكون هنا كلمة ساقطة تقديرها « وسيلة » أو « سبباً » أو نحو ذلك . ويصح أن يكون اكتفى بالخبر المتقدم « سلما » .

(٣) ليست بالأصل والكلام فى حاجة إليها . وفى س : « لمحارس » بدل « لحارس » .

(٤) بدله فى الأصل : « وفى » ، والوجه ماأثبت .

فى الجوارح المذلَّلةِ لذاك ، المصرَّفةِ فيه ، [و(١)] ما ليس عند الدبِّ والقرد والفيل ، والغَنَم المكِّيَّة ، والبَبْغَاء .

(الكلب الزينى)

والكلب الزِّينىّ الصِّينىّ(٢) يُسرَج على رأسه ساعاتٍ كثيرةً من اللَّيْل فلا يتحرَّك . وقد كان فى بنى ضَبَّةَ كلب زينىٌّ صينىّ ، يُسرَج على رأسه ، فلا ينبِض فيه نابِض ، ويدعونه باسمه ويُرمى إليه بِبَضْعَةِ لحم والمِسْرَجةُ على رأسه ، فلا يميل ولا يتحرَّك ، حتَّى يكونَ القومُ هم الذين يأخذون المصباح من رأسه ، فإذا زايَلَ(٣) رأسَه وثَب على اللحم فأكله ! . دُرِّب فدَرِب ، وثُقِّف فثَقِف ، وأُدِّب فقَبِل . وتعلَّق فى رقبته الزنْبلة(٤) والدَّوْخَلّة(٥) وتوضع فيها رُقعة ، ثم يمضى إلى البقَّال ويجىء بالحوائج . ٦٦

(تعليم الكلب والقرد)

ثمَّ صار القَرَّادُ وصاحبُ الرُّبَّاح(٦) [مِنْ(٧)] ثمَّ يستخرِجُ فيما بين الكلْب والقِرد ضُروبا من العمَل ، وأشكالاً من الفِطَن ، حتَّى صاروا يطحنون

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ضرب من الكلاب قصير القوائم ، شديد الذكاء ، يقال بالهمز وترك الهمز .
(٣) ط : « أزيل » وصوابه فى س .
(٤) كذا ، ولعلها « الزبيل » أو « الزنبيل » .
(٥) الدوخلة ، بفتح الدال وتشديد اللام المفتوحة وتخفف ، أصل معناها : سفيفة من خوص يوضع فيها التمر والرطب .
(٦) الرباح : القرد الذكر ، وفى الأصل : « الرياح » ! .
(٧) تكملة يفتقر إليها الكلام .

عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضوا بِهِ إلى المُتمَعَّك[١] ، فيُمعَّكُ كما يُمعَّك حمار المُكَارِى وبغلُ الطحَّان .

وقرابةٌ أخرى بينه وبين الإنسان : أنّه ليس شيءٌ من الحيوان لذكره حجْمٌ بادٍ إلاّ الكلبُ والإنسان .

(ما يسبَحُ من الحيوان وما لا يسبح)

والكلبُ بعد هذا أسبحُ من حيّة ، ولا يتعلَّق بِهِ فى ذلك الثَّور ، وذلك فضيلةٌ له على القِرد ، معَ كثرةِ فِطَن القِرْد وتشبُّههِ بالإنسان ؛ لأنّ كلَّ حيوانٍ فى الأرض فإنَّه إذا ألقى فى الماء الغَمْر سبح ، إلاّ القردَ والفرسَ الأعسَر ، والكلبُ أسبحُها كلِّها ، حتّى إنّه ليُقَدَّم فى ذلك على البقرة والحيَّة .

(مافى إناث الكلاب من الأعاجيب)

وفى طباع أرحامِ الكلاب أُعجوبَة ؛ لأنّها تَلقَح من أجناس غير الكلاب ، ويُلقحها كما يلقح منها ، وتلقح من كلابٍ مختلفة الألوان ، فتؤدِّى شبَه كلِّ كلب ، وتمتلئ أرحَامُها أجراءً من سِفاد كلبٍ ، ومن مرّةٍ واحدة ، كما تمتلئ من عدَّةِ كلابٍ ومن كلبٍ واحد . وليست هذه الفضيلة إلاّ لأرحام الكلاب .

---

(١) المتمعك : مكان تمعك الدابة فى التراب .

(فخر قبيلتين زنجيتين)

قالوا : والزِّنج صِنفان ، قبيلة زنجيَّة فوق قبيلة ، وهما صِنفان : النمل والـكلاب ، فقبيلةٌ هم الكلاب ، وقبيلةٌ هم النمَّـل ، ، فخر هؤلاء بالكثرة ، وفخر هؤلاء بالشدَّة[١] . وهذان الأسمان هُماَ ما اختاَراهما لأنفسِهما ولم يُـكرَها عليهما .

(حديث : « أكلك كلب الله »)

قال : ويقال إنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لعُتْبة[٢] بن أبى لَهب : « أكلك كلبُ الله » فأكله الأسد . فواحدةٌ : قد ثبت بذلك أنّ الأسد كلبُ الله[٣] . والثانية : أنّ الله تبارك وتعالى لا يُضاف إليه إلاَ العظيمُ ،

(١) الإشارة بهؤلاء الأولى إلى قبيلة النمل ، وبالثانية إلى قبيلة الـكلاب ، وللقبيلتين حديث فى البيان ٣ : ٥١ .

(٢) فى الأصل : « قال يالهب » . وفى ثمار القلوب ١٩ وفقه اللغة ٢٤٨ — وقد نقل الثعالبى فيهما نص الجاحظ — « عتيبة » بالتصغير . والصواب « عتبة » كما فى الأغانى (١٥ : ٢ — ٣) وكما فى المعارف ٦٢ وسيرة ابن هشام ٤٦٥ جوتنجن . وفى الأغانى عن عكرمة قال : « لما نزلت : والنجم إذا هوى ، قال عتبة للنبى صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك ! » قال ابن عباس : « فخرج إلى الشام فى ركب ، فيهم هبار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادى القاصرة ، وهى مسبعة ، نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلونى حجرة ! لا والله لا أبيت إلا وسطكم ! فبات وسطهم . قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشم رءوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه فى صدغيه فصاح : أى قوم ! قتلتنى دعوة محمد ! فأمسكوه فلم يلبث أن مات فى أيديهم » . وانظر لتحقيق الخبر ما ورد فى حواشى الاشتقاق ٢٢ بتحقيقنا . وانظر الاستدراك فى آخر الـكتاب هنا .

(٣) فى فقه اللغة : « أن الأسد كلب » .

من جميع الخير والشرِّ[١] . فأمَّا الخير فقولك : بيت الله ، وأهل الله ، وزُوَّار الله ، وكِتاب الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، وخليل الله ، وكَليم الله ، وروح الله ، وما أشبه ذلك[٢] . وأَمَّا الشرُّ فكقولهم : دعْه فى لعنةِ الله وسخَط الله ، ودعْه فى نار الله وسَعيره[٣] ، وما أشبه ذلك . وقد يسمِّى المسلِمون والنَّاسُ كلباً .

(تسمية بنات آوى والثعالب والضباع بالكلاب)

وقد زعم آخرون : أنَّ بناتِ آوى ، والثعالبَ والضِّباعَ ، والكلابَ ، كلَّها كلاب ، ولذلك تَسافَدُ وتَلاَقح[٤] .

وقال آخرون : لَعمرى إنَّها الكلاب إذا أردتم أن تشبِّهوها ، فأمَّا أن تكونَ كلاباً لعِلَّةٍ أو عِلَّتين — والوجوهُ التى تخالف فيها الكلاب أكثر — فإنَّ هذا ممّا لايجوز .

٦٧ وقول مَنْ زعم أنّ الجواميس بقرٌ وأنّ الخيلَ حُمُرٌ ، أقربُ إلى الحقِّ من قولِكم ، وقولِ من زعَم أنّ الجواميس ضأنُ البقر . والبقَر ضأنٌ أيضاً ، ولذلك سمَّوا بقرَ الوحْشِ نِعاجا ، كأنهم إنما ابتغوا اتِّفاق الأسماء .

وما بالُ من زعم أنَّ الأسَد والذئب والضبع والثعلبَ وابنَ آوى كلابٌ أحقُّ بالصواب ممَّن زعم أنَّ الجواميس ضأنٌ والبقر ضأنٌ

(١) فقه اللغة : « من الأشياء فى الخير والشر » ، وفى الثمار « من جميع الأشياء من الخير والشر » .
(٢) انظر ماسبق فى ١ : ٣٤١ .
(٣) فقه اللغة : « وحر سقره » ، وفى الثمار : « وسقره » .
(٤) أراد : « تتسافد وتتلاقح » فحذف إحدى التاءين .

[و][1] الماعزُ كلها شيء واحد . وهذا أقربُ إلى الإمكان ؛ لتشابهها فى الظِّلف والقُرون والكروش[2] وأنَّها تجترُّ . والسِّنَّور والفهد والنمر والبَبْر والأسد والذئب والضبع والثّعلبُ إلى أنْ تكونَ شيئاً واحداً أقرب . وعلى أنَّنا لم نتبينْ إلى السَّاعة أنَّ الضِّباعَ والكلابَ وبناتِ آوى والذئابَ تتلاقح ؛ ومارأينا[3] على هذا قط [سِمْعا[4]] ولا عِسْباراً ، ولا كلَّ ما يعُدُّون . وما ذِكْرهم لذلك إلاَّ من طريق الإخبار عن السُّرعة ، أو عن بعضِ ما يُشبه ذلك . فأمَّا التلاقُح والتركيب العجيب الغريب ، فالأعرابُ أفطنُ — والكلام عندَهم أرخص[5] — منْ أن يكونوا وصَفُوا كلَّ شيءٍ يكون فى الوحش ، وكلَّ شيءٍ يكون فى السّهل والجبل ، مما إذا جمع[6] جميعُ أعاجيبه لم يكنْ أظرفَ ولا أكثرَ ممَّا يدَّعون من هذا التّسافُد والتّلاقُح والتراكيب فى الامتزاجات. فكيفَ يَدَعُون ما هو أظرَفُ ، والذى هُو أعجبُ وأرغب ، إلى ما يستوى فى معرفته جميعُ الناس ؟ !

(تتمَّة القول فى الحديث السابق)

وقال آخرون : ليس الكلبُ من أسماء الأسد ، كما أنْ ليس الأسد من أسماء الكلب ، إلاَّ على أنْ تمدحُوا كلبَكم فيقول قائلكم : ما هو إلاَّ

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ط : « الكبوش » ، والوجه ما أثبت من س .

(٣) ط « ما رأيناها » ، وهو تحريف ما فى س .

(٤) الزيادة من س . وقد سبق الكلام على « السمع » فى الجزء الأول ص ١٨١ — ١٨٣ .

(٥) س : « أدحض » .

(٦) ط : « أجمع » . وتصحيحه من س .

الأسَد ؛ وكذلك القول فى الأسَد إذا سمَّيتموه كلباً ، وذلك عند إرادة التصغير والتحقير ، والتأنيب والتقريع ؛ كما يقال ذلك للإنسان على جهة التشبيه . فإن كان النبى صلى الله عليه وسلم [قال ذلك فإنَّ ذلك على بعض ما وصفْنا لك . ويقول أهل حمص : إنهم لا يُغلَبون ؛ لأن فيها نورَ الله فى الأرض[١] . وما كلبُ الله إلا كنُور الله . والله ، تبارك وتعالى عُلوًّا كبيرا ، لا تُضافُ إليه الكلابُ والسنانيرُ والضِّباعُ والثعالب . والنبى صلى الله عليه وسلم][٢] لم يقل هذا قطُّ . وإنْ كان قالَه فعلى صلةِ كلامٍ أو على حكايةِ كلام .

وقال صاحب الكلب : قد وضَح الأمر ، وتلقَّاه الناس بالقَبول ، فى أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أكَلَكَ كلبُ الله » وهو يعنى الأسد . ومن دفع[٣] هذا الحديثَ فقد أنكرَ علاماتِ الرسول صلى الله عليه وسلم .

(التسمية بمشتقات الكلب)

والنَّاسُ قد سمَّوا الناسَ بكلبٍ وكُليب وكِلاب وأكلُب ومكاليب ومكالبة بنو ربيعة[٤] ، وكليب بن ربيعة بن عامر . وفى العرب من

(١) لعلهم كانوا يعنون بذلك ما بها من قبور أولاد جعفر الطيار ، كما فى معجم البلدان (حمص) . وقال ياقوت : « إن أشد الناس على على رضى الله عنه ، بصفين مع معارية كان أهل حمص ، وأكثرهم تحريضاً عليه وجدا فى حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن فى أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية ، وأصلهم الإمامية ، الذين يسبون السلف . فقد التزموا الضلال أولا وأخيرا » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ط : « رفع » ، وتصحيحه من س .

(٤) قارن هذا بما فى الجزء الأول ص ٣١٣ — ٣١٧ .

القبائل كلب ، وبنو الكلْبة ، وبنو كلاب[١] ، وأكلبُ بن ربيعةَ بنِ نزار عِمارةٌ ضخمةٌ[٢] . وكلْب بن وَبْرة جِذْمٌ من الأجذام[٣] وهم نفر جُمجُمة[٤] ، وكلٌّ سادات[٥] فهو يكنى أبا كليب ، ومن ذلك عمرو ذو الكلب[٦] ٦٨ وأبو عمرو الكلب الجرمى[٧] وأبو عامر الكلب النحوى . وكيف لايجوز مع ذلك أنْ يسمِّىَ الأسد بالكلب ، وكلٌّ هؤلاء أرفَعُ من الأسد ؟ !

وقد قالوا : كلب المـاء ، وكلبُ الرحى . والضَّبَّة[٨] التى فى الرحل يقال لها الكلب ، والكلب : الخشبة التى تمنع الحائطَ من السُّقوط

---

(١) فى ش بعد هذا زيادة « وبنو كلب » .

(٢) العمارة : أصغر من القبيلة ، أو الحى العظيم .

(٣) الجذم : الأصل .

(٤) كذا فى ط ، م . وفى س : « وهم بعد جمجمة » .

(٥) كذا فى ط . وفى س : « شاداب » . وفى م : « شادات » .

(٦) اسمه عمرو بن العجلان بن عامر ، وهو من بنى هذيل . قال ابن الأعرابى : سمى ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وقال أبو عبيدة : وإنما خرج غازيا ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : ياذا الكلب ! فثبتت عليه . وكان يغزو بنى فهم غزوا متصلا . فنام ليلة فى بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادعت فهم قتله ، وقالت أخته ريطة ترثيه بقصيدة أولها :

كل امرئ لمحال الدهر مكروب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

تقول فيها :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر من نجيع الجوف أسكوب

والتارك القرن مصفرا أنامله ... كأنه من رجيع الجوف مخضوب

تمشى النسور إليه وهى لاهية ... مشى العذارى عليهن الجلابيب

والمخرج العاتق العذراء مذعنة ... فى السبى ينفح من أردانها الطيب

الأغانى ٢٠ : ٢٢ — ٢٣ .

(٧) انظر الجزء الأول ص ٣١٥ .

(٨) الضبة هنا يراد بها الحديدة العقفاء التى تكون فى طرف الرحل ، تعلق فيها المزاود والأداوى .

وتُشخَص فى القناطر والمسنَّيات[١] .

والكلب الذى فى السماء ذو الصُّوَر[٢] .

ويقال : داء الكَلَب ، وقد اعتراه فى الطعام كلب ، وقد كلب عليهم فى الحرب ، و « دِمَاءُ القوم للكَلْبى شفاء »[٣] .

ومنه الكلْبة والكلْبتان[٤] والكُلَّاب[٥] والكلُّوب[٦] ثمّ المكلِّب والمكلب[٧] وهذا مختلف مشتقٌّ من ذلك الأصل .

ومنه عَلُّويَهْ[٨] كلب المطبخ ، وحمويه كلب الجنّ .

---

(١) المسناة : السد يعترض به الوادى ليحبس الماء .

(٢) الصورة : مجموعة من الكواكب من الثابتة . وللكلب ثلاث صور : الصورة الأولى ، صورة العواء وهى من الصور الشمالية . والصورة الثانية : صورة الجبار وهو الكلب الأكبر ، وهو الشعرى العبور والشعرى اليمانية . والثالثة صورة الكلب الأصغر ، وهو الشعرى الشامية . وهاتان الصورتان من الصور الجنوبية . انظر مفاتيح العلوم ١٢٣ — ١٢٤ ونثار الأزهار ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) هو عجز بيت لعوف بن الأحوص ، وصدره كما فى ص ٨ — ٩ من هذا الجزء :

* ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو *

(٤) الكلبتان : آلة للحداد يأخذ بها الحديد المحمى ، وهو لفظ ملازم للتثنية .

(٥) الكلاب ، بضم الكاف وتشديد اللام : الحديدة التى على خف الرائض للدابة ، وجمعها كلاليب . وتسمى المهماز أيضاً .

(٦) الكلوب : المنشال أى آلة نشل الشىء ورفعه . وقال اللحيانى : الكلاب والكلوب : السفود لأنه يعلق الشواء ويتخلله .

(٧) المكلب ، بكسر اللام المشددة : الرجل الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . والمكلب ، بفتح اللام المشددة : الكلب قد عامه صاحبه أخذ الصيد ، أو أحد اللفظين هو (المكلب) كمحسن ، وهو الرجل الذى كلبت إبله : أى أصابها الجنون .

(٨) ط : « علوبة » ، وتصحيحه من س .

(بين أبي علقمة المزني وسوار بن عبد الله)

ولما شهدَ أبو علقمة المُزَنِىُّ عند سوّار بنِ عبد الله[١] أو غيره من القضاة [و[٢]] توقَّفَ فى قَبول شهادته ، قال له أبو علقمة : لم توقَّفتَ فى إجازة شهادتى ؟ قال : بلغنى أنَّك تلعَب بالكِلاب والصُّقور . قال : مَنْ خبَّرك أنِّى ألعب فقد أبْطَل ، وإذا بلغك أنِّى أصطادُ بها فقد صدَقَك مَنْ أبلغك ، وإنِّى أخبرك أنِّى جادٌّ فى الاصطيادِ بها غيرُ لاعبٍ ولا هازئٍ ، فقد وقَفَ المبلِّغ بك على فرقِ مابينَ الجدِّ واللَّعب . قال : ماوقَفَ ولا وقَّفته عليه . فأجازَ شهادتَه .

(قوله تعالى : يسألونك ماذا أُحِلَّ لهم)

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ فقال لنبيِّه : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ . فاشتقَّ لكلِّ صائدٍ وجارحٍ كاسب مِنْ بازٍ ، وصقرٍ ، وعُقاب ، وفَهْد ،

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، أبو عبد الله العنبرى البصرى ، نزل بغداد ، وولى بها قضاء الرصافة ، وكان فقيها فصيحا ، أديبا شاعرا ، وقد وثقه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين . (تاريخ بغداد ٤٧٨٨) .

ومن بلاغاته وورعه ما قالوا ، إنه دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، إنى جئتك فى حاجة رفعتها إلى الله قبل رفعها إليك . فإن قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ! فقضى جميع حوائجه .

(٢) ليست بالأصل .

وشاهِينٍ ، وزرَّقٍ ويؤيؤ ، وباشق ، وعَناق الأرض[1] ، من اسم الكلب . وهذا يدلُّ على أنّه أعمُّها نفعاً ، وأبعدها صِيتاً ، وأنبهها ذكراً . ثمَّ قال : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ فذكر تعليمَهم لها إذ أضافَ ذلك إلى نفسه ، ثمَّ أخبرَ عن أدَبها وأنَّها تُمسِك على أربابها لاعلى أنفسها . وزعَم أصحاب الصَّيْد أنْ ليس فى الجوارح شيءٌ أجدرُ أن يُمسِك على صاحبه ولا يُمسِكَ على نفسه من الكلب .

(تأويل آية أصحاب الكهف)

قال الله تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ[2] أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهفِ فَقَالُوا: رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَدًا ﴾ . فخبَّر كما ترى عن دعائهم وإخلاصهم ، ثمَّ قال جلّ وعزَّ : ﴿ فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِما لَبِثُوا أَمَداً ﴾ ثمَّ قال عزَّ وجلّ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا : رَبُّنا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا ٦٩

---

(١) عناق الأرض : دويبة أصغر من الفهد ، طويل الظهر ، يصيد كل شىء حتى الطير .

(٢) ليست بالأصل .

إذًا شَطَطاً﴾ ثم قال : ﴿فأوُوا إلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ ثمّ قالَ بعدَ هذه الصِّفة لحالهم ، والتمكين لهم من قلوب السَّامعين ، والأُعجوبةِ التى أتاهم بها : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ ثُمّ قَال : ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ فخبَّر أنّهم لم يستصحبوا مِن جميع مَن يألف الناس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه ، شيئاً غيرَ الكلب ؛ فإنّ ممّا يألفُ النَّاس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه : الفرسَ والبعيرَ ، والحمار والبغل ، والثّورَ والشاة ، والحمامَ والدِّيكة ، كلّ ذلك مما يرتَفق [به [1]] ، ويُستصحب فى الأسفار ، وينقَل من بلدٍ إلى بلدٍ .

والناس يصطادون بغير الكلب ، ويستمتعون بأمور كثيرة ، فخبَّر عنهم بعد أن جعلهم خياراً أبراراً ، أنّهم لم يختاروا استصحابَ شيءٍ سوى الكلب ، وليس يكون ذلك من الموفّقين المعصومين المؤيَّدين ، إلّا بخاصّةٍ فى الكلب لاتكون فى غيره .

ثمَّ أعاد ذكر الكلب ، ونبَّأ[2] عن حاله ، بأنْ قال عزَّ وجلَّ : ﴿إذ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَايَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ

---

(١) ارتفق يتعدى بالباء ، فزدت هذه .

(٢) فى الأصل : « ونبه » .

إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ وفى قولهم فى الآية : ﴿ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الكلبَ رفيعُ الحال ، نبيه الذِّكر ، إذ جُعِل رابعَهم ، وعُطف ذِكرُه على ذكرهِمْ ، واشتَقَّ ذكْره من أصل ذكرهمْ ، حتَّى كأنَّه واحدٌ منهم ، ومن أكفائهم أوْ أشباههم ، أو ممَّا يقاربهم . ولولا ذلك لقال : سيَقُولون ثلاثَةٌ معهم كلبٌ لهم . وبينَ قول القائل معهم كلبٌ لهم ، وبين قوله رابعهم كلبهم — فرقٌ بيِّن ، وطريق واضح .

فإنْ قلتم : هذا كلام لم يحكه الله تعالى عن نفسه ، وإنَّما حكاه عن غيره ، وحيث يقول : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وَقَدْ صَدَقتم ، والصِّفة على ما[1] ذكرتم ؛ لأنَّ الكلامَ لو ٧٠ كان منكراً لأنكره الله تعالى ، ولو كان معيباً لعابه الله ، فإذْ[2] حكاه ولم يَعِبْهُ ، وجعله قرآناً وعظَّمه بذلك المعنى ، ممَّا لاينكَر فى العقل ولا فى اللغة ، كان الكلام إذا كان على هذه الصفة مثلَه ؛ إذ كان الله عزّ وجلّ المنزِل له .

(الاستطاعة قبل الفعل[3])

ومثلَ ذلك مثَّلَ بعضُ المخالفين فى القدَر ، فإنّه سأل بعضَ أصحابنا فقال : هل تعرفُ فى كتاب الله تعالى أنَّه يُخبِرُ عن الاستطاعة ، أنّها قبلَ

(١) س ، ط : « من » ، وتصحيحه من م .
(٢) فى الأصل : « فإذا » .
(٣) للقول بالاستطاعة قبل الفعل أصل من أصول المعتزلة ، ينافحون عنه . ولابن حزم بحث قوى فى هدم هذا الأصل وتفنيده . الفصل (٣ : ٢٦ — ٤٣) .

الفعل ؟ قال : نعم ، أتى كثيرٌ ، مِنْ ذلك قولُه تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ . قال المخالف : سألتك أنْ تخبرنى عن الله ، فأخبرتنى عن عفريتٍ لو كان بينَ يدىَّ لبَزَقتُ فى وجهه ! قال صاحبُنا : أمّا سليمانُ النبىُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تركَ النَّكيرَ عليه ، ولو كان مثلُ هذا القول كفرًا وافتراءً على الله ، ومغالبةً وتفويضاً للمشيئة إلى نفسه ، لكان سليمانُ ومَن حضره من المسلمين من الجنِّ والإنس أحقَّ بالإنكار ، بل لم يكن العِفريتُ فى هذا الموضع هو الذى يسرع فيه ويذكر الطاعة ، ولا يتقرَّب فيه بذكر سرعة[١] النفوذ ، ويبشر فيه[٢] بأنّ معه من القوَّة المجعولة مايَتَهَيأ لمثله قضاءُ حاجته ، فيكذب ثمَّ لايرضى بالكذب حتَّى يقول قولا[٣] مستنكراً ، ويدَّعى[٤] قوّة لا تُجعَل له ، ثمّ يستَقبل بالافتراء على الله تعالى والاستبدادِ عليه ، والاستغناء عنه ـ نبيًّا[٥] قدْ ملك الجنَّ والإنس ، والرِّياحَ والطير ، وتسْييرَ الجبال ، ونطقَ كلِّ شىء ، ثمَّ لايزجره فضلًا عن أنْ يضربَه ، ويسجُنه فضلًا عن أن يقتله .

وبعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القولَ قرآنا ، ويترك التنبيه على ما فيه من العَيب ، إلّا والقول كان صِدقًا مقبولا .

---

(١) ط : « بساعة » ، وتصحيحه من س .

(٢) س : « ويشر » !

(٣) « ولا » ، وصوابه فى س .

(٤) ط : « مستنكر أو يدعى » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « وبيننا من » ، وصوابه من س .

وبعد ، فإن هذا القولَ قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلاهُ على الناس ، وما زالوا يتلونه فى مجالسهم ومحاريبهم ، أفَما كان فى جميع هؤلاء واحدٌ يعرف معرفتك ، أو يغضَبُ لله تعالى غضبك ؟ !

(دفاع عن الـكلب)

قال صاحب الـكلب : لو اعترضْتَ جميعَ أهل البدو فى جميع الآفاق من الأرض ، أنْ تُصِيبَ[١] أهلَ خيمةٍ واحدة ، ليس عندهُمْ كلبٌ واحد فما فوقَ الواحد لَما وجدته . وكذلك كانوا فى الجاهليَّة ، وعلى ذلك هم فى الإسلام . فمن رجَع بالتخطئة على جميع طوائف الأمم ، والتأنيبِ والاعتراض على جميع اختيارات الناس ، فليتَّهم رأيَه ؛ فإنَّ رأىَ الفردِ ولا سيّما الحسودُ ، لايَفِى برأى واحد ، ولا يرى الاستشارة حظا[٢] وكيف بأنْ يَفِىَ بجميع[٣] أهل [البدو][٤] من العرب والعجم . والدليل على ٧١ أنَّ البَدْوَ قد يكون فى اللُّغة لهما[٥] جميعاً قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ ولو ابتُلى صاحبُ هذا القول بأنْ يَنزل البادية ، لتحوَّل رأيُه ، واستبدَلَ به رأىَ

(١) ط : « يصيب » ، وأثبت الصواب من س .
(٢) كذا ولعل الكلام « ولا سيما الحسود الذى لايرى الاستشارة حظا لايفى برأى واحد » .
(٣) فى الأصل : « لجميع » ، والوجه ماأثبت .
(٤) التكملة من س .
(٥) ط : « لها » ، والوجه ماأثبت من س . ومعاد الضمير إلى العرب والعجم .

من قد جرّب تقريبَ الكلب وإبعادَه . [وقد قال أبو عبَّادٍ النميرى : لا يكون البُنْيَان[١] قريَةً حتى ينبحَ فيه كلبٌ ، ويزْقوَ فيه ديك[٢]] .

[ولَمَّا][٣] قال أحمدبنُ الخارَكى[٤] : لاتَصير القريةُ قريَةً حتَّى يصيرَ فيها حائكٌ ومعلِّمٌ ، قال : أبو عبَّاد[٥] : يا مجنونُ ! إذا صارتْ إلى هذا فقد صارت مدينة .

وللكلب[٦] إثباتُه وجهَ صاحبِه ، ونظرُه فى عينيه وفى وجهه ، وحبُّه له ، ودنُوُّه منه ، حتَّى ربَّما لاَعبه ولاعب صبيانَه بالعضِّ الذى لا يؤثِّر ولا يُوجِع ، وهى الأضراسُ التى لو نشَّبها[٧] فى الصخر لنَشِبت ، والأنيابُ التى لو أنحى بها[٨] على الحصَى لرضَّها .

---

(١) فى الأصل : « البستان » ، والوجه ما أثبت وهو الموافق لما سيأتى فى ص ٢٤٢ من هذا الجزء .

(٢) الزيادة من س .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام .

(٤) فى الأصل : « الحاركى » . وفى البخلاء ١٠٥ ، ١٠٦ « أحمد بن الحاركى » والصواب ما أثبت ، وهو منسوب إلى (خارك) جزيرة فى وسط البحر الفارسى ، كما فى معجم البلدان . وهو أحمد بن إسحاق الخاركى البصرى . وانظر طبقات ابن المعتز ٣٠٦ وفيه « الخارجى » ، تحريف ، والفهرست ٢٣٣ وحواشى معجم المرزبانى ٤٣١ .

(٥) هو أبو عباد الكاتب ، كاتب أحمد بن أبى خالد . وأبو عباد هو القائل : إذا أنكر القائل عينى المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع ، أتم له الحديث ، وإن كان لاهيا عنه ، حرمه حسن الحديث ، ونفع المؤانسة ، وعرفه بفسولة الاستماع والتقصير فى حق المحدث » . انظر البيان ٢ : ٤١ ، ٩١ .

(٦) فى الأصل : « والكلب » ، والوجه ما أثبت .

(٧) أنشبه ونشبه بمعنى .

(٨) ط : « أنحا بها » ، والصواب من س .

وقد تراه وما يصنع بالعظْم المدمَج ، وبالفِقْرة من الصُّلب القاسى الذى ليس بالنَّخِر البالى ، ولا بالحديثِ العهدِ بالودَك الذى يلين معه بالمضْغ ويَطيب ، فتراه كيف يرضُّه ويفتّته ، ثمَّ إن مانَعَه بعضَ الممانعةِ ، ووافقَ منه بعضَ الجوع ، كيف يبتلِعه وهو واثق بِاستمرائه وهضْمه ، أو بإذابته وحَلِّه .

وله ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكال من الأصوات ، وله نوح وتطريب ، ودُعاء وخُوار[1] ، وهَرِير وعُواء ، وبَصبصة ، وشئٌ يصنَعه عند الفرح ، وله صوتٌ شبيهٌ بالأنينِ إذا كان يَغْشَى الصيد ، وله إذا لاعَبَ أشكالَه فى غُدُوات الصَّيفِ شئٌ بينَ العُواء والأنين .

وله وَطءٌ للحصى مثله بأن لو وطئ الحصى على أرض السطوح لايكون مثله وطء الكلب يربى على وزنه مرارا[2] .

وإذا مرَّ على وادٍ جامدٍ ظاهرِ المــاء ، تنكّبَ مواضعَ الخرير فى أسفله .

قال الشاعر ــ ورأى رجلاً اسمُه وثّاب واسم كلبِه عمرو ــ فقال :

ولو هَيَّــا له الله مِن التَّوفيق أسبابا[3]
لسمَّى نفسَه عَمْرًا وسمَّى الكلبَ وَثَّابا

---

(١) فى القاموس : « الخوار بالضم : من صوت البقر والغنم والظباء والسهام » . فاستعماله هنا فى غير موضعه الأصيل .

(٢) كذا ، ووجه العبارة عندى : « وله وطء للحصى مثله (بعضهم) بأن لو وطئ (الخصى) على أرض السطوح لا يكون (وطؤه) مثل وطء الكلب أو وزنه – أى وزن الخصى – يربى على وزنه مراراً » . ووطء الخصى للأرض يوصف بالشدة لأسباب طبيعية ذكرها الجاحظ فى الجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) سبق الكلام فى هذا الشعر وصاحبه ص ٢٢ من هذا الجزء .

(أطْباء الكلبة والخنزيرة والفهدة)

قال : والكلبة كثيرةُ الأطْباءِ ، وكذلك الخنزيرة . وللفَهدة أربعة أطباء من لَدُنْ صدرِها وقرب إبِطيها إلى رُفغيها[1] . وللفيل حلمتان تصغُران[2] عن جثّته . وهما ممّا يلى الصَّدر مثل الإنسان ، والذّكرُ فى ذلك يشبَّه بالرجل ؛ لأنّ للرجل ثديَين صغيرَين عن جثّته .

(واقية الكلاب)

ويقال : إنَّ [على[3]] الكلابِ واقيةً من عبَث السُّفهاء والصِّبيان بها . قال دُريد بن الصِّمَّة ، حين ضرَبَ امرأتَه بالسيف ولم يقتلْها[4] :

٧٢

أقَرَّ الْعَينَ أنْ عُصِبَت يداها   وما إن يُعصَبان على خِضَابِ

---

(١) الرفغ بالفتح ويضم : أصل الفخذ .

(٢) فى الأصل : « حلمان يصغران » ! .

(٣) التكملة من س .

(٤) فى الأغانى ٩ : ٩ عن ابن الأعرابى : « تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها ثيبا وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقته أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها — أى حزهما ولم يقطعهما — فنظر إليها بعد ذلك وهى معصوبة فقال : أقر العين » البيتين . ثم قال « قالوا : يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ » . والميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٨٩ يقول : إن الواقية مصدر كالعاقبة ، والكاذبة ، وذكر المثل « واقية كواقية الكلاب » وقال : « أى وقاية كوقاية الكلاب على ولدها . وهى أشد الحيوانات وقاية لأولادها » . وقال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣١٨ : « يضرب مثلا للخسيس إذا كان موقى » .

فأبقاهُنَّ أنَّ لهنَّ جدًّا[(١)] وواقية كواقية الكلاب

وقال الآخر :

إنْ يَقِنَا اللهُ مِنْ شَرِّها فإنَّ الكلابَ لها واقيَه[(٢)]

ويروى :

* سيُنْجِيه مِنْ شرِّها شرُّه *

وقال غيره[(٣)] :

ولقدْ قتلتُك بالهجاءِ فلم تَمُتْ إن الكلاب طويلةُ الأعْمارِ

وقال بِشر بن المعْتمر :

الناسُ دَأْباً فى طلاب الثَّرَا[(٤)] فكُلُّهم من شأنه الخَتْرُ[(٥)]

كأذؤُبٍ تنهَشُها أذْؤبٌ لها عُواءٌ ولها زَفرُ[(٦)]

---

(١) فى الأصل : « جلدا » ، وإنما هو « جدا » بمعنى حظا كما فى الأغانى . وفى ثمار القلوب : « لؤما » . والبيت السابق لهذا يروى لحسان بن ثابت فى جملة أبيات رواها ابن هشام فى السيرة ٥٧٠ جوتنجن ، برواية : « أقر العين أن عصبت يداه » .

(٢) ط : « فإن الكلب » وتصحيحه من س .

(٣) فى المستطرف ٢ : ٧١ أنه أبو زيد العبدى .

(٤) فى الأصل وكذا فى اللسان : « الثرى » بالياء . وإنما هى مقصور « الثراء » بمعنى « الغنى » .ويؤيد ماأثبت رواية البيت فى الجزء السادس بلفظ « الغنى » .

(٥) ط : « رأى الناس رأيا » وفى س ، م : « أرى الناس دأبا » وهو تحريف صوابه من الحيوان ٦ : ٩٢ حيث توجد القصيدة جميعها ، ومن اللسان (مادة ربح) حيث يروى ابن منظور تسعة أبيات منها . و « دأبا » مصدر لفعل محذوف تقديره « يدأبون » ، وهذا الفعل المحذوف وفاعله خبر للمبتدإ « الناس » . وحذف عامل المصدر إذا كان خبراً عن أسماء الأعيان جائز . انظر التصريح ١ : ٣٣٢ .

(٦) فى الأصل : « تنهشها أكلب » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان ومن اللسان . قال الجاحظ فى تفسير ذلك فإنها – يعنى الذئاب – قد تتهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل ، فإذا أدمى بعضها بعضاً وثبت عليه فزقته وأكلته . وقال الراجز :

فلا تكونى يا ابنة الأشم ورقاء دمى ذئبها المدمى

وقال الفرزدق :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الدم

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قَزَح الكلب ببوله يقزَح قزْحاً ، إذا بال . قال : وقال أبو الصَّقر : يقزَح ببوله حين يبول ، وشغَر الكلب يشغَر إذا رفع رجْلهُ ، بال أو لم يبل . ويقال شغرتُ بالمرأة[١] أشغرُها شغْرًا[٢] إذا رفعتَ رِجلَها للنِّكاح . قال : ويقال عاظَل الكلبُ مُعاظَلةً ، يعنى السِّفاد ، قال أبو الزحف[٣] :

كمِشْيَةِ[٤] الكلبِ مَشَى للكلبَةِ يَبغى العِظالَ مُصْحرًا[٥] بالسَّوءَة

قال : ويقال كلبٌ عاظِل وكلابٌ عُظَّل وعَظَالى .

وقال حسّان بن ثابت الأنصارى :

ولَست بخَيرٍ من يَزِيدَ وخَالدٍ ولست بخيْرٍ من معاظلة الكلبِ[٦]

---

(١) مثله شغرتها وأشغرتها كما فى اللسان .

(٢) الوجه « أشغر بها شغرا » ، أو « شغرتها أشغرها شغرا » .

(٣) أبو الزحف هو ابن عطاء بن الخطفى — ابن عم جرير بن الخطفى — وعمّر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . وهو القائل :

أشكو إليك وجعاً بركبتى وهدجانا لم يكن من مشيتى

كهدجان الرأل خلف الهيقة مزوزيا لما رآها زوزت

انظر الشعراء لابن قتيبة ٦٦٩ — ٦٧٠ .

(٤) فى الأصل : « كشية » .

(٥) فى الأصل : « مصخرا » وإنما هو « مصحرا » . والإصحار : المجاهرة .

(٦) هذا البيت ليس فى ديوان حسان . ووجدته فى العمدة (١ : ١١٦) . قال ابن رشيق : « والتصريع يقع فيه من الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، والسناد ، والتضمين — ما يقع فى القافية . فمن الإقواء ما أنشده الزجاجى وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مهراق سحا فلا غارب منها ولا راق

ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت . أنشده الجاحظ :

ولست بخير من أبيك وخالكا ولست بخير من معاظلة الكلب

وانظر الاستدراكات :

قال مالكُ بن عبد الله الجَعْدىّ ، يوم فيفِ الرِّيح[١] : حدَّثنى أبى ، لقدْ نظرتُ يَوْمَئِذٍ إلى بنى عبد الحارث بن نمير ، فما شبَّهتُهم إلاَّ بالـكلاب المتعاظلة حَوْلَ اللواء .

وقال أبو بَرَاء عامرُ بن مالكٍ ملاعبُ الأَسِنَّة[٢] ــ لا عبه الحارث واليوم قال فقال[٣] منذ يومئذ .

قال : والسَّلوقيّة منسوبَةٌ إلى سَلوقَ من بلاد اليَمَن ، لها سلاحٌ جيِّد وكلاب فُرَّه[٤] . وقال القَطَامىُّ :

معه ضَوَارٍ مِنْ سَلوقَ له   طَوْرًا تُعانِدُه وتنفعه[٥]

(تعفير البهائم والسباع أولادها)

قالُوا : وليس فى الأَرض بهيمةٌ [ولا سبع أنثى تريد فِطامَ ولدها وإخراجَه من اللَّبَن إلى اللحم ، أو من اللبَنِ إلى العُشْب ، إن كانت بهيمةً

---

(١) كذا . ولعل الـكلام « وقد ذكر يوم فيف الريح » .

(٢) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسنة عامر   فراح له حظ الـكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفى العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغانى (١٤ : ٩٠) وأمثال الميدان (٢ ، ٢٩) وقالوا : أخذ ملاعب الأسنة أربعين مرباعا فى الجاهلية ــ والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . (بلوغ الأرب ٢ : ١٢٧) وتوفى ملاعب الأسنة فى نحو سنة ١٠ من الهجرة.

(٣) كذا جاء النص ، وفيه اضطراب . وفى س : « قال فقالوا » بدل « قال فقال » .

(٤) فره : جمع فاره ، مثل راكع وركع .

(٥) لم أجد هذا البيت فى ديوان القطامى ، ووجدت شبيها به ، من قصيدة نونية ص ١٧ وهو :

معهم ضوار من سلوق كأنها   حصن تجول تجرر الأرسانا

إلاَّ وهى تعفر ولدَها . والتعفير : أن ترضعَه وتمنعه حتّى يجوع ويطلب اللحمَ إن كان سبعاً ، والعُشْبَ إن كان بهيمة[١]] ، فلا تزالُ تنوِّله وتُماطله ، [وكلما[٢]] مرَّتْ عليه الأيَّامُ كان وقتُ منعِها له أطولَ ، حتَّى إذا قوىَ على أكْل اللَّحْمِ أو العُشْب فطمته . قال لبيدٌ فى مثل ذلك :

أَفْتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ   خُذِلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَا[٣]   ٧٣

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلم يَرِمْ   عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا[٤]

لِمُعفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ   غُبْسٌ كَوَاسِبُ لاَ يُمَنُّ طَعَامُهَا[٥]

صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا   إنَّ المنَايا لا تَطِيشُ سِهامُها[٦]

لأنَّ البقرة إذا كانت بحضْرة ولدها لم تضيِّعه ومَنعت السِّباعَ منه ، وقاتلَتْ دونَهُ بقُرونها أشدَّ القتال ، حتَّى تُنجيَه أو تعطَب .

---

(١) هذه الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) وحشية مسبوعة : بقرة من بقر الوحش أكل السبع ولدها . والسبع كل حيوان مفترس . وأراد بالهادية الفحل الذى يتقدم الصوار أى القطيع . فالتاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة . يقول جعلت هذه البقرة الهادية قوام أمرها ، فانطلقت وراءه ترعى وتركت ولدها فأفرده السبع فأكله ، فلما آبت لتفقده أضلته فانصرفت هائمة ثائرة فى طلبه .

(٤) الخنساء : القصيرة الأنف المتأخرته . والفرير : ولدها . والشقائق : جمع شقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين . والطوف : الذهاب والمجىء . والبغام : صوتها . ولم يرم : لم يبرح .

(٥) المعفر : الذى ألقى على العفر وهو التراب ، أو المعفر : الذى تدرجت أمه معه فى فطامه ، كما سبق فى كلام الجاحظ . والقهد : الأبيض . والشلو : الجسد ، أو بقيته . والغبس : الكلاب ، أو الذئاب لها لون شبيه بالغبرة . وكواسب : تكسب الصيد . وما يمن طعامها : ما ينقص ، مثله قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » .

(٦) صادفن : يعنى الكلاب أو الذئاب .

(بعض من كنى بالـكلاب)

[قال : و][1] كان ابنُ لِسَانِ الحُمَّرَة[2] يكنَى أبا كلابٍ[3] . وكان زوجُ حُبَّى المدَنيَّة يقال له ابن أمِّ كِلاب ، وقَال الشَّـاعر يذكرُها[4] :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ابن لسان الحمرة اسمه عبيد الله بن الحصين أو ورقاء بن الأشعر ، كما فى القاموس والمعارف ٢٣٣ (وفى الفهرست ٩٩ ليبسك ، ١٣٢ مصر « ورقاء » وهو تحريف) وهو أعرابى من بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً . دخل الكوفة ، وعليها المغيرة ابن شعبة ، وسألة المغيرة فى طبائع قبائل من العرب ، وفى خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، تجدها فى الأغانى ١٤ : ١٣٨ . وسأله معاوية يوما فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول ! انظر الدميرى برسم (الحمرة) وفى البيان ٣ : ١٦٢ « إذا سمعت حديث أبى نضرة وكلام ابن أبى بكرة فكأنك مع ابن لسان الحمرة» . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٣) فى الأصل : « أبو كلب » ، وتصحيحه من الحيوان ٢ : ٢٠٦ والمعارف ، والدميرى ، وفهرست ابن النديم .

(٤) الشاعر هو هدبة بن خشرم العذرى ، كما فى أمثال الميدانى (١ : ٣٥٣) . وحبى هذه امرأة كانت مزواجا ، فتزوجت على كبر سنها فتى يقال له ابن أم كلاب فقام ابن لها (كهل !) فمشى إلى مروان بن الحكم — وهو والى المدينة — وقال : إن أمى السفيهة ، على كبر سنها وسنى ، تزوجت شابا مقتبل السن ، فصيرتنى ونفسها حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا برذعة الحمار ! أما رأيت ذلك الشاب المقدود العنطنط ، والله ليصرعن أملك بين الباب والطاق فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه ! ولوددت أنه ضب وأنى ضبيبته وقد وجدنا خلاء ! فانتشر هذا الكلام عنهما ، فضربت بهما الأمثال . وقد حضرت حبى مصرع هدبة بن الخشرم حين قدم للقتل ، وهو فى ذلك ينشد الأشعار فقالت له : ما رأيت أقسى قلبا منك ! أتنشد الأشعار وأنت يمضى بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول ؟ ! تعنى امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبى فأنشد البيتين الآتيين . انظر أمثال الميدانى والكامل ٧٦٦ ليبسك .

وَمَا وَجَدَتْ وَجْدى به أمٌّ واحدٍ ولا وجْدُ حُبِّى بابنِ أمٍّ كِلابِ
رأتْهُ طويلَ السَّاعدين شمَرْدَلاً كما انبعثتْ من قوّةٍ وشبَاب[١]

(صفة عيون الكلاب)

وقال آخر[٢] يصِفُ عيونَ الكلاب إذا أبصرت الصَّيد :

مجزَّعَةٌ غُضْفٌ كأنَّ عيونَها
إذا آذَنَ القُنَّاصُ بالصَّيد عَضْرَسُ

مجزّعة : فى أعناقها جَزْع ، وهو الودَع يُجعَل فى القلائد . يقول : تبيضُّ عيونُها حينَ تختِلُ الصَّيد . والعَضْرَس هاهنا : البَرَد[٣] .

وقَال الآخر :

خُوصٌ تَرَاح إلى الصُّراخِ إذا غَدَتْ
فِعْلَ الضِّراء تَرَاحُ للكَلَّابِ[٤]

وقال آخر وذكر الضِّراء ، وهو يصف الشَّيخ وضعْفَه :

ومنها أنْ يُقادَ به بَعير ذَلُولٌ حينَ تَهترِشُ الكِلابُ

---

(١) فى الميدانى : « عنطنطا » موضع « شمردلا » .

(٢) هو البعيث كما فى اللسان (عضرس) . وأنشده ، فى (حرج) بدون نسبة .

(٣) بمثل ذلك فسره الجوهرى ، لكن عقب عليه ابن برى بقوله « والعضرس ههنا نبات له لون أحمر تشبه به عيون الكلاب لأنها حمر ، وليس هوهنا حب الغمام كما ذكر – يعنى الجوهرى – إنما ذلك فى بيت غير هذا وهو :

فباتت عليه ليلة رجبية تحيى بقطر كالجمان وعضرس

قلت : ولامرئ القيس بيت يليق بتأويل ابن برى ، وهو كما فى الديوان ١٤٧ :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضرس

(٤) ط : « الكلاب » وتصحيحه من س والحيوان ٥ : ٣٤٣ .

قال : وهُم عند الحاجة يُعِدُّون الـكلبَ والمطيَّة ، وأنشد[١] :

فأعقَبَ خيراً كلُّ أهوج مِهْرَجٍ   وكلُّ مُفـدَّاةِ العُلالة صِلْدِمِ[٢]

وقَال الآخر :

* مُفدَّيات وملقَّبات[٣] *

وأنشد قول أبي ذُؤَيب[٤] في شبيهٍ بالمعنَى الأوّل :

شغِفَ الـكلابُ الضّـارياتُ به   فإذا يَرَى الصُّبْحَ المُصَدَّقَ يَفْزَعُ

يقول : هذه الثِّيران لمـا قد لُقِّينَ[٥] مع الصبح والإشراق من

---

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٠ تحقيق نجم وأمالي القالي ١ : ١٨٩ .

(٢) قال أبو علي : « أهوج يعني فرساً . أي أعقب خيراً ، مما أقاموا عليه وصنعوه . والأهوج : الذي يركب رأسه فيمضي » . والمهرج والهراج : الكثير الجري . وفي الأصل : « مبرج » ، ولا وجه له ، وتصحيحه من الأمالي . والعلالة : الجري بعد الجري الأول . ومفداة العلالة : التي يقال لها إذا طلبت علالتها ويهاً ، فداء لك ! ! وفي ط : « معدات » وتصحيحه من س ومن الأمالي . والصلدم : الشديدة .

(٣) ط : « معديات وملقيات » . وانظر تائية أبي نواس المتقدمة ص ٣٨ .

(٤) ط : « ابن ذؤيب » ، س : « ابن أبي ذؤيب » وتصحيحه . من م . والبيت من قصيدة أبي ذؤيب الهذلي المشهورة التي مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهي قصيدة مفضلية ، اختارها ابن عبد ربه في العقد ٢ : ١٦٤ وقد رثى بها أبو ذؤيب أولاده وكانوا سبعة فماتوا كلهم إلا طفلا . ومنها البيت السائر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لاتنفع

وقال فيها في الطفل الذي بقي له :

والنفس راغبة إذا رغبتها   وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد روى صاحب اللسان (مادة شعف) وكذا الراغب في المحاضرات ٢ : ٢٩٦ :

شعف الـكلاب الضاريات فؤاده   فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

قال ابن منظور : « يقول : ذهبت بقلبه الـكلاب فإذا نظر إلى الصبح ترقب الـكلاب أن تأتيه » . والشطر الأول في رواية الجاحظ عروضه حذاء .

(٥) في الأصل : « لبسن » .

الكلاب ، صار [أحدها حين[١]] يَرَى ساطع الصبح يَفْزَعُ[٢] ؛ وذلك أنَّها تمطَرُ ليلتَها فتَشَرَّقُ فى الشمس[٣] ، فعندها تُرسَل عليها الكلاب .

٧٤

(صولة الذئب على الغنم مع الصبح)

ويقال إنَّ أكثرَ ما يعرِض الذّئبُ للغنم مع الصُّبْح ، وإنَّما رقَب فتْرة الكلب وكلالَه ؛ لأنّه باتَ ليلتَه دائباً يحرس .

وقَال أعرابىٌّ وكسَرَ ذئب شاةً له مع الصُّبح[٤] ، فقال :

أودَى بوَردةَ أُمِّ الوَرْدِ ذو عَسَلٍ ... مِن الذِّئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا[٥]

لولا ابنُها وسَلِيلاَتٌ لها غُرَر ... ما انفكَّتِ العَينُ تُذْرِى دمعَها دِرَرَا[٦]

كأنَّما الذِّئبُ إذْ يعدو على غنَمى ... فى الصُّبح طالبُ وِترٍ كان فاتَّأرا[٧]

اعتامَها اعتامَه شَثْنٌ براثِنُه ... من الضَّوارِى اللّواتى تقصِمُ القَصَرا[٨]

---

(١) زدت الكلمة الأولى ليستقيم الكلام . وأما الثانية فهى من س ، م .

(٢) فى الأصل : « فزع » .

(٣) كذا فى س ، ط . وفى م : « فتتشرق » . وبالرواية الأولى تكون إحدى التاءين قد حذفت تخفيفاً ، وذلك جائز وورد به القرآن قال تعالى : « ولا تيمموا » « ولاتبرجن » ، « ولقد كنتم تمنون » . ويتشرق : يجلس فى الشمس .

(٤) وكان يسمى هذه الشاة وردة ويجعل كنيتها أم الورد كما سيأتى فى ص ٢٧٦ من هذا الجزء حيث يعاد هذا الشعر .

(٥) يقال عسل الذئب يعسل - كيضرب - عسلا بالتحريك وعسلاناً : إذا اضطرب فى عدوه وهز رأسه .

(٦) أراد بالدرر الدموع الغزيرة ، وهى جمع درة بالكسر .

(٧) اتأر : أدرك وتره .

(٨) اعتامه : اختاره . ومنه قول طرفة فى معلقته :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

والشثن البراثن : الغليظها ، وعنى به السبع . وتقصم القصر : تقطع الرقاب ، وهى جمع قصرة بالتحريك .

(مسألة زيد الخيل للرسول الكريم)

ولما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام لزيدِ الخيل مِن الخير ما قَال ، وسمَّاه زيدَ الخير ، ما سأله زيدٌ شيئاً ، ولا ذكر له حاجة ؛ إلاَّ أنَّه قال : يا رسول الله ، فينا رجُلان يقال لأحدهما ذَرِيح[1] ، والآخر يكنى أبا دُجانة ، ولهما أكلب خمسة تَصيد الظباء ، فما ترى فى صيدهم[2] ؟ فأنزلَ الله عزَّ وجلّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ .

فأوَّلُ شيءٍ يعظِّم فى عينِك شأنَ الكلب ، أنَّ هذا الوَافدَ الكريمَ الذى قِيل له ما قيل ، وسُمِّى بما لم يسمَّ به أحد — لم يسأَلْ إلاّ عن شأن الكلب .

وثانية وهى أعظمها : أنَّ الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آياً مُحْكماً [فقال[3]] : ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ فسمَّى صيدَها طيّباً ، ثم قال : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ مخبراً عنْ قَبولها للتعليم[4]

---

(١) روى الحديث برواية أخرى فى تفسير ابن أبى حاتم ، وهى أن عدى بن حاتم وزيد الخيل الطائيين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء . قال ابن حجر فى الإصابة ٢٤٣٩ : « فهذا يدل على أن ذريحاً بطن من طيىء . لااسم رجل بعينه » .

(٢) كذا .

(٣) التكملة من س .

(٤) ط : « للتعيم » ، وهو خطأ مطبعى فيما أحسب ، صوابه فى س .

والتأديب . ثمّ قال : ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ ﴾ ولولا أنَّ ذلك البابَ من التعليمِ والعلمِ مَرْضيٌّ عند الله عزّ وجلّ ، لَمَا أضافه إلى نفسه . ثم [قال[1]] : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ فأوّلُ شيءٍ يعظُم به فى عينك إمساكُه عليك . وهكذا يقول أصحابُ الصيَّد، إنَّ كلَّ صائدٍ فإنّما يُمسِك على نفسه إلاّ الكلبَ فإنّه يُمسِك على صاحبه .

ولوكان الجوابُ لزيدِ الخيل سُنَّةً من سُنَن النبى صلى الله عليه وسلم لَكانَ فى ذلك الرِّفعةُ ، فكيفَ والكتابُ فوقَ السُّنَّة .

وقد روى هشام أنّ ابنَ عبّاسٍ سمَّى كِلابَ ذَريحٍ هذه وكلابَ أبى دُجانة فقال : المختلِس ، وغلاَّب ، والقَنيص ، وسَلهب ، وسِرْحان ، والمتعاطِس[2] .

(دواء الذُّبحة والخانوق)

وزعم الأطبَّاء أنَّ من أجودِ أدويَةِ الذُّبحة والخانوق[3] أنْ ينفح[4] فى حلق مَن كان ذلك به ، ماجَفّ من رَجيع الكلاب . وأجودُ ذلك أنْ يكون يتغرغر به وربّما طلوْه على جلد المحموم[5] الحديدِ الحُمَّى[6] .

---

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٢) ط : « المغناطيس » ، وأثبت مافى س . وانظر ماسبق فى ص ١٨ س ٤ .
(٣) الخانوق : داء يأخذ فى الحلق .
(٤) ينفح : بمعنى يدفع .
(٥) ط : « لحوم » وهو تحريف ما أثبت من س .
(٦) الحديد الحمى : الشديدها . وفى الأصل : « الحديد المحمى » .

(رجيع الكلاب)

٧٥ وأجود رجيع الـكلابِ أنْ يشتدَّ بياضُه . وليس يعتريه البَياضُ إلاّ عن أ كْل الطعام ، وذلك ردىءٌ للقانص منها .

والجعور[١] قد تبيَضُّ إذا كان قوتُ صاحبها اللبن ، ولذلك قال أبو كلاب – وهو ابن لسان الحمَّرة[٢] – ومرَّ به رجلٌ من بنى أسد فقال : قد علمت العربُ يامعشَرَ بنى أسدٍ أنّكم أشدُّها بَياضَ جُعور ، فعكفَ عليه فضرَبه بالسَّيف حتى بَرَد[٣] .

وذلك أنّه عيّره بأنّهم لايعرفون البَقْل ، ولا يعرفون إلاّ اللبن .

وقال الشاعِرُ يهجو ناساً منهم :

عَراجِلةٌ بيضُ الجُعُورِ كأنّهمْ بمنْعَرَج الغِيطَانِ شُهْبُ العَناكِبِ[٤]

والعرب تقول : اللّحم أقلُّ الطّعامِ بَخَرا .

---

(١) س : « الجعر » بالإفراد . والجعر : مايبس من العذرة فى المجعر أى الدبر ، أو نجو كل ذات مخلب من السباع .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٣) برد : انقضت حياته .

(٤) عراجلة : أى جماعة مشاة .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب : وما للدِّيك وللكلاب ، والكلابُ ينزِّل فيها القرآنُ ويُحْدَث فيها السنَن ، ويُشتَقُّ من أسمائها للنَّاس وللأُسد ، ولها أسماءٌ معروفةٌ وأعراق منسوبة ، وبُلدان مشهورة ، وألقَابٌ وسِمَات ، ومناقِبُ ومَقامات !!

وما للدِّيك إلاّ ماتقول العوامّ : أنّه إذا كان فى الدارِ ديكٌ أبيضُ أفرَق[1] لم يدخله شيطان . وليس يقومُ خَـيْرٌ[2] ذلك ، ولو كان ذلك حقًّا ، بشؤمه ؛ لأنَّ العـوامَّ تقضى على مَن كان فى داره ديكٌ أبيض أفرق[3] بالزندقة .

والذين يقولون إنّ الدار إذا كان فيها ديكٌ أفرقُ لم يدخُلْها شيطان ، هم الذين يقولون مَنْ أكلَ لحم سِنّورٍ أسودَ لم يَضِرْه سحر ، وإذا دُخِّنت الدار بالدُّخنة[4] التى سمَّوها بدُخنة مريم ، أو باللُّبان ، لم يكنْ عليها لعُمَّار الدَّار سبيل ، فإن مَرَّت ساحرة[5] تطير سقَطت . وهم الذين لايشكُّون أنّ مَن نام بين البابَين تخبَّطَه العُمَّارُ وخبَلته الجنّ .

---

(١) ديك أفرق : عرفه مفروق .

(٢) فى الأصل : « خبر » ، والوجه ماأثبت .

(٣) ط : « أقرق » بالقاف ، وتصحيحه من س .

(٤) للدخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

(٥) لعلها : « فإن مرت عابرة » . وفى م : « فإن موت ساحرة » . وانظر تأويل مختلف الحديث ٢٣١ - ٢٣٢ .

(ما يقال له : جرو)

قال : ويقال لولد الكلب والذِّئبِ والسِّنَّور وأشباه ذلك : جرو . ويقال للصغير من الحنْظل على مِثل ذلك : جرو . وقَال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب :

بجرْوٍ يُلقَّى في سِقاءٍ كأنّه مِنَ الحنْظَل العامِيِّ جَرْوٌ مفلَّقُ

(من قول صاحب الكلب)

وممَّا زادَ في ذِكْر الكلب قولُ السَّيِّد بن محمد[1] في شأن عائشة في الحديث الذى رَوَوه[2] ــ وكان السَّيِّد رافضِيًّا غالياً ، وليس في ذكره شرَف ، ولكنَّه أجمعُ للفنِّ[3] ــ :

(١) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذى هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب ، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . قال أبو الفرج فى الأغانى ٧ : ٢ : يقال إن أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار وأبو العتاهية ، والسيد . ثم قال : وإنما مات ذكره — يعنى السيد — لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره . قال الصلاح الكتبى فى الفوات ٢٣ : « كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه كان رافضياً . . . وكان مقيماً بالبصرة » . وفى الفوات أيضاً : « ومات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة » .

(٢) يشير إلى ماروى : من أن عائشة لما أرادت المضى إلى البصرة فى وقعة الجمل مرت بالحوأب — وهو موضع بئر قريب من البصرة — فسمعت نباح الكلاب فقالت : ماهذا الموضع ؟ فقيل لها هذا موضع يقال له الحوأب . فقالت : إنا لله ، ماأرانى إلا صاحبة القصة . فقيل لها : وأى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى ، أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس الحوأب . انظر معجم البلدان برسم (الحوأب) .

(٣) س : « الفن » .

تَهْوِى من البَلَدِ الحرَامِ فنبَّهتْ   بَعْدَ الْهُدُوِّ كِلابَ أَهْلِ الحوْءَبِ

قال : ويقال صرَفت الكلبة صِرَافاً وصُروفاً ، وظَلَعت تظْلَع ظُلوعاً .

(قولهم : لا أفعل حتى ينام ظالع الكلاب)

قال : ومن الأمثال فى ذلك : « لاأفعَلُ حتَّى يَنامَ ظالِعُ الكلاب » . قال الأصمعىُّ : هذا باطل ، إنَّما ذلك إذا أصابَ الكلبَ ما يظلَع منه لم يُطِق سِفاد الكلبة حتَّى تهدأ الرِّجْل ، وحتَّى تملَّ الكلابُ النُّباح[١] وتَفترِقَ ، وتحتاجَ إلى النَّوم لطول التعب[٢] ، وإذا كان فى ذلك الوقت يلتمس[٣] الظالع ورامَ سِفاد الكلبة ، لم يعرف ظَلَعه إلاّ الكلبة . وأنشد فقال[٤] :　٧٦

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ ما نام ظالِعُ الْـكلابِ وأخْبَى نارَه كلُّ مُوقِدِ

وأنشد غيرَه لجِرَان العَوْدِ :

وكانَ فُؤادى قدْ صَحا ثمَّ هاجَه[٥]   حَمائمُ . وُرْقٌ بِالمَدائِنِ هُتَّفُ

كأنَّ الهديلَ[٦] الظّالِعَ الرِّجْل وَسْطَهَا   مِنَ البغْى شِرِّيبٌ يُغَرِّدُ مُتْرَفُ[٧]

---

(١) ط : « تفوق » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : «أطول التعب » ، وتصحيحه من س .

(٣) س ، م : « تلتمس » .

(٤) البيت للحطيئة ، وقد سبق الكلام فيه فى ص ٥٩ من هذا الجزء .

(٥) الرواية فى الديوان ١٣ : « ثم هاجنى » .

(٦) ط : « الهزيل » ، وهو تحريف صححته من س والديوان . والهديل عنى به هنا الفرخ أو الذكر من الحمام .

(٧) شريب يغرد : سكران يصيح . والمترف : المنعم . ويروى : « مُنزف » وبفتح الزاى وكسرها ، فالأول من أنزف الرجل : إذا سكر ، والثانى من أنزفه السكر : ذهب بعقله . انظر أدب الكاتب ١٤٩ والاقتضاب ٣٥٢ .

(ماقيل من الشعر فى إشلاء الـكلب على الضيوف)

وقالوا أبياتاً فى غير هذا الباب ، قال الأعرابىّ :

نزلْنا بعَبّاد فأشلَى كلابَه عَلينا فـكِدْنَا بين بابَيْهِ نُوْكَلُ[١]

فَقُلْتُ لأصحابى أُسرُّ إليهمُ أذَا اليَومُ أو يومُ القِيامةِ أطولُ

وقال آخر[٢] :

أعدَدْتُ للضِّيفانِ كلباً ضارياً عِندى وفضلَ هِراوَة مِنْ أَرْزَنِ[٣]

وقال فى خلاف ذلك مالكُ بن حَريم[٤] الهمْدانىُّ :

وواحـــدةٌ إلّا أبيتَ بغرَّةٍ إذا ماسَوَامُ الحىِّ بات مصرَّعا[٥]

---

(١) البيتان رواهما الجاحظ فى البخلاء ٢٠٠ . ورواية البيت الأول فيه : « نزلنا بعمار ».

(٢) هو وبر بن معاوية الأسدى ، وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . حماسة البحترى ٤١٥ .

(٣) كذلك الرواية فى البـخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبـار ٣ : ٢٤٢ . وفى حماسـة البحترى : « أعددت للغرماء سيفا صارما » وهى الرواية الجيدة . وبعد هذا البيت فى حماسة البحترى :

عجراء ظاهرة الحيود متينة أعددتها لتجار أهل المعدن .

وروى ابن قتيبة بدل البيت الثانى هذا البيت ، وهو :

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا متشكيا عض الزمان الألزن

ومثل هذا فى اللسان .

وقد روى البحترى لوبر هذا بيتين شبيهين بالمتقدمين وهما :

إنى وجدك ماأقضى الغريم إذا حان القضاء ولا تأوى له كبدى

إلا عصا أرزن طارت برايتها تنوء ضربتها بالـكف والعضد

(٤) فى الأصل : « خرتم » والصواب : « حريم » كما فى القاموس ونوادر أبى زيد وأمالى القالى . ومالك : شاعر جاهلى . انظر شرح المرزوقى للحماسية رقم ٤٣٥ والعمدة ٢ : ٣٠ .

(٥) صواب روايته : « فواحدة » . انظر العمدة ٢ : ٣٠ لأن قبله :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبيت على نفس مناقب أربعا

وثانيـــةٌ ألّا تفزّع جَارتى إذا كان جَارُ القوم فيهم مفزَّعا
وثالثـــة ألّا أُصمّتَ كلبَنَا إذا نزَل الأضيافُ حِرصاً لتُوزَعا

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لِحَزَ الـكلبُ الإناءَ ، فهو يلحَزه لَحْزًا ، ولِحسَه فهو يلحَسه لَحسا . قال أبو يزيد[1] : وذلك إذا لِحس الإناءَ من باطنه . والقَرْو : مِيلَغة الـكلب ، فإذا كان للـكلب فإنّما هو من أسفَل كُوزٍ أو ما أشبه ذلك ، وإلّا فالقَرْوُ أسفلُ نخلةٍ يُنْجَر ويقوَّب ويُنْتَبَذُ فيه .

وقال الأعشى :

أرمِى بها البِيدَ إذا أعرَضَتْ وأنتَ بينَ القَرْوِ والعاصِر[2]
فى مِجْـــدَلٍ شُيِّد بُنْيَانُهُ يزِلُّ عنْــه ظُفرُ الطَّائر[3]

(أحجيَّة فى الـكلب)

وممَّا يُحاجِى به النّاسُ بعضُهم بعضاً أن يقولوا : أتعرفون شيئاً إذا قام كان أقصرَ منه إذا قعد ؟ يريدون الـكلب ؛ لأنَّ الـكلب قعودُه

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : « أبو يزن » ولعل الصواب : « أبو زيد » وهو أستاذ الجاحظ .

(٢) س : « أرمى به » وصوابه فى ط ، والضمير للناقة فى بيت قبل هذا ، وهو :
لقد أسلى الهم حين اعترى بجسرة دوسرة عاقر

(٣) المجدل ، كمنبر : القصر المشرف ، سمى مجدلا لوثاقة بنيانه . والقصيدة فى ديوان الأعشى ١٠٤ – ١٠٨. وانظر منه ص ٢٤٥. وهى من خير شعر الأعشى .

٧٧ إقعاؤه ، وهو إذا أقعَى كان أرفَعَ لسَمْكه ، وأرفعَ فى الهواء طولًا منه إذا قام . وقال عُمر[١] بن لجأٍ :

عليـه حيوف مستقدم[٢] مُقْعٍ كإقعا[٣] الكلبِ بالمعصم

ويقال أقعى الكلبُ إقعاء ، ولا يقال قعَد ولا جلَس . وفى الحديث : « أَنَّه نَهَى أَنْ يُقْعِيَ أحدُهم فى الصلاة إقعاءَ الكلب » .

(معرفة سنِّ الكَلْبِ)

قال صاحب الكلب : يُعرَف فَتاء الكلب وهَرَمُهُ بالأسنان ، فإذا كانت سوداء[٤] كانت دليلًا على كبره ، وإذا كانت بيضاً[٥] حادّة دلّت على الفتاء والحداثة . وقال : أسنان الذَّكر أكثر .

(أصناف الحيوان المشقوقة الأفواه)

وأصناف الحيوانِ المشقوقةُ الأفواه كالكلب والأسد والفهْدِ موصُوفاتٌ بشدَّة المضاضيغ والفكّ والخراطيم ، كالكلب والخنزير والذئب ؛ فأشبَهَ الكلبُ الأسدَ فى شَحْو الفم واتِّساعه ، وعلى أنَّ شَحْوَ فمه على مقدار

(١) ط : « عمرو » وهو على الصواب فى م . وعمر بن لجأ : شاعر إسلامى كانت له مهاجاة مع جرير . انظر لها ابن سلام ٣٦٣ — ٣٦٧ .

(٢) كذا ورد هذا الشطر .

(٣) ط ، س : « كإقعاء » ، وبذلك يختل الوزن ، وصوابه فى م .

(٤) ط : « سوءا » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « بيضاء » .

جسمه ، وأشبَه الذِّئبَ والخنزيرَ فى طول الخَطم وامتداد الُخرطوم ؛ ولذلك كان شديدَ القلب ، جيِّدَ الاسترواح . فجمع الكلب دون هذه الأصناف مايصلُح للرضِّ والحطم ، كما جمع مايصلُح للابتلاع والالتهام والخطم[1] [و[2]] الاستمراء .

(بعض ما قيل فى الأسد)

والأسد حريصٌ واسع الشَّحْو ، فهو يبتلع البَضْعَةَ التى لو رآها الإنسان لم يظنَّ أنَّ حلقَه يتَّسع لمرورِ ذلك . ويقال إنّ عنقَه عظمٌ واحد واللُّقَم لاتجول فيه[3] ، وهو فى ذلك قليلُ الرِّيق ، فلا يسلُس فى حلْقه مايمرُّ فيه ، بل يبتلع لفرْط نَهمه وشحْوِ لَحييه ضِعفَى ذلك المقدار .

وقد زعم ناسٌ أنّ الذى يدلُّ على أنَّ عنقَ السبُع عظمٌ واحدٍ ، ضعفُه عن تصريفه عنقَه ، فلا يلتفت إلَّا معاً ، فيسمَّى الأصيد[4] .

وقال جِرانُ العَوْدِ فى صفة الذئب :

شدَّ المماضغَ منه كلَّ مُلْتَفَتٍ ... وفى الذِّراعين والُخرطومِ تسهيلُ[5]

---

(١) ليست هذه الكلمة فى س .

(٢) التكملة من س .

(٣) اللقمة بالضم وتفتح : مايهيأ للقم أى الابتلاع . وجرى العامة فى مصر على تخصيصه بكسرة الخبز .

(٤) انظر مثل هذا الكلام فى الجزء الثالث ص ٣٠٦ .

(٥) يريد : أن هذا الذئب شد مماضغه على ولد البقرة الوحشية ، التى ذكرها جران العود فى بيت متقدم من قصيدته ص ٤٠ من ديوانه ، وهو :

أو نعجة من إراخ الرمل أخذلها ... عن إلفها واضح الخدين مكحول

وكل ملتفت ظرف مكان ، عنى به كل ناحية . والخرطوم : الخطم ، وهو مقدم الفم والأنف . وأراد بالتسهيل هنا الطول .

(أسنان الذئب وبعض الحيات) .

وقالوا فى أسنان الذئب وفى أسنان بعض الحيَّاتِ بأنّها مَطُولة[١] فى الفكّين ، يُذْهَبُ إلى أنّه[٢] عظمٌ مخلوق فى الفك ، وأنّه لايُثْغِر[٣] . وأنشدوا :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيينِ مَطلا إلى رأسٍ وأشداقٍ رحيباتٍ[٤]

والحيَّاتُ توصَف بسعة الأَشداق ، والأفاعى خاصَّةً هى المنعوتة بذلك .

وقال الشاعر ــ وهو جَاهلى[٥] ــ :

[خُلِقَتْ لَهَازِمُهُ عِزِينَ وَرأسُهُ
كالقرص فُلطحَ من طحِينِ شَعِيرِ[٦]]

---

(١) مطولة : أى ممتدة داخلة ، أو بمعنى مطبوعة طبعا .

(٢) ط : « بأنه » .

(٣) أثغر : ألقى ثغره ، والثغر : الأسنان .

(٤) انظر الحيوان ٤ : ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٨٢ حيث توجد سوابق هذا البيت ولواحقه .

(٥) كذا ، والصواب أن صاحب الشعر إسلامى ، فقد نسبه صاحب المؤتلف والمختلف ، وكذا صاحب اللسان (عزا ، فرطح) إلى ابن أحمر البجلى . قال صاحب المؤتلف والمختلف ص ٣٧ : « وابن أحمر هذا إسلامى قديم ، وشاعر مجيد ، وصاف للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء » . وهو فى الأصمعيات منسوب إلى ابن مهدى وهو أعرابى صاحب غريب روى عنه البصريون ، وعنه روايات فى أمالى القالى وقد جاء برسم (أبو مهدى) . وابن النديم يعرفه بأبى مهدية ، ومثله فى الحيوان ٥ : ٣٠٩ . وقبل هذا الشعر كما فى الأصمعيات :

قد كاد يقتلنى أصم مرقش من حب كلثم والخطوب كثير
حتى أصد الله عنى رأسه والله بالمرء المضاف بصير

(٦) هــذا البيت ساقط من ط وأثبته من س ، م . لهــازمه : أصول حنكيه . عزين : متفرقات ، وفى اللسان بمادة فرطح : « فرطح » بدل « فلطح » وهما بمعنى ، يقال فرطح القرص وفلطحه إذا بسطه . وفى الأصمعيات : « فلطح من عجين شعير » . ومثل هذا قول الراجز (اللسان كثب) :

كأن قرصا من طحين معتلث هامته فى مثل كثاب العبث

ويُدِيرُ عَيناً للوِقاعِ كأنَّها سَمْراءُ طاحت من نَفِيضِ بَرِيرِ[1]
وكأنَّ شِدقيه إذا استعرضتَه شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمَضَتْ لطَهُورِ[2]

(ممـا أشبه فيه الـكلبُ الإنسان والأسد)

٧٨ وممّا أشبَه فيه الـكلبُ الإنسان والأسد ، أنّ كلّ واحدٍ من هذه الأجناسِ إنّما له بطنٌ واحد ، وبعدَ البطن المِـعَى ، إلّا أنَّ بعضَ بطنها أعظمُ من بعض ، ويناسبها فى الذى ذكرنا الذئبُ والدُّبّ ، فما أكثرَ ما يناسبان الـكلب ، فلذلك صارا يتناكحان ويتلاقحان . وهذا قول صاحب المنطق . قال : وأمعاء الـكلب أشبهُ شيءٍ بأمعاء الحيَّة . وهذا أيضاً مما يزيدُ فى قدره ؛ لأنّه إمّا أن يشبه الإنسان ، وإمَّا أنْ يشبِه رؤساء السباع ودواهى الحشرات ، وكلَّما كانت هذه المعانى فيه أكثر كان قدره أكبر .

---

(١) فى اللسان (مادة فرطح) : « ويدير عينا للوداع » ! وسمراء عنى بها الواحدة من البرير ، وهو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ . والنفيض (بالفاء) : المنفوض . وفى الأصل : « نقيض» بالقاف ، وفى اللسان : « نقيص ».والوجه ما أثبت كما فى الأصمعيات. وقد قال طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطىْ لؤلؤ وزبرجد

والمرد : هو البرير .

(٢) رواه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥): « فـكأن شدقيه . . » الخ . وفى الأصمعيات : « وكأن شدقيه إذا ما أقبلا » ، وفى اللسان : « وكأن شدقيه إذا استقبلته » .

(ما يحلم من الحيوان وما يحتلم)

قال : والكلب يحلُم ويحتلم ، وكذلك الفرس والحمار ، والصبىُّ يحلم ولا يحتلم ، والثَّور فى هذا كله كالصبىّ . ويعرف ذلك فى الكلب إذا تفزَّعَ[1] وأنعَظ .

وزعم أنَّ الاحتلامَ قد عُوين من الفَرس والبِرذون والحمار .

(بعض الأمور التناسلية لدى الحيوان)

قالوا : وَليس العِظال والتحامُ الفرجين إلّا فى الكلب والذئاب، ومَن أراد أن يُفَرِّق بينَ الكلاب إذا تعاظَلت وتسافدت رامَ أمْرًا عسيراً .

قالوا : والحيوان الذى يطاوِل عند السِّفاد معروف ، مثل الكلب والذئب[2] والعنكبوت والجمل ، وإن لم يكن هناك التحام . وإذا أراد العنكبوت السفادَ جلَبت الأُنثى [بعض[3]] خيوطِ نسْجها من الوسط ، فإذَا فعلت ذلك فعَل الذكَر مثلَ ذلك ، فَلَا يزالانِ يتدانيان حتى يتشابكا[4] فيصير بطنُ الذَّكر قُبالَةَ بطنِ الأنثى . وذلكَ شَبيهٌ بعادات الضفادع .

---

(١) قبل هذه الكلمة موضع أبيض فى كل من س ، م . وهذه الكلمة جاءت برسم « تفرغ » فى كل من ط ، م . وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل : « والديك » وإنما عرف الديك بسرعة السفاد . ورأيت الصواب فيما كتبت ، معتمدا على السياق الآتى .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى الأصل : « فلا يزالا يتدانيان حتى يتشابكان » وصوابه ما أثبت .

وقال أبو الحسن عنْ بعض الأَعراب ، قال : إذا هَجَم الرَّجلُ على الذِّئب والذِّئبةِ وهما يتسافدان ، وقد التحَمَ الفَرْجان ، قتلَهما ذلك الهاجمُ عليهما كيف شاء ؛ لأنَّهما قليلاً ما يُوجَدان كذلك ؛ لأَنَّ الذئبَ وحشيٌّ جدًّا وشَهِيٌّ[1] جدًّا ، صاحبُ قفرة[2] وخلوة ، وانفرادٍ وتباعد ، وإذا أراد الذِّئبةَ توخّى موضِعا من القِفار لا يطؤه الأَنِيس ؛ خوفاً على نفسه ، وضنًّا[3] بالذى يَجد فى[4] المطاولة مِن اللّذة .

(حديث أحمد بن المثنَّى)

وحدَّثنى أحمد بن المثَنَّى قال : خرجتُ إلى صحراء خوخ[5] لجنايةٍ جنيتها وخِفتُ الطّلب ، وأنا شابٌّ ، إذْ عرض لى ذئبٌ فكنْتُ كلّما دُرْت من شِقّ استدارَ بى ، فإذا دُرْت له دَارَ من خلْفِى ، وأنا وسْطَ بَرِّيّةٍ لا أجدُ مُعيناً إلاّ بِشيء[6] أسند إليه ظهْرى ، وأصابَنى الدُّوار ، وأيقنْتُ بالهَلَكة . فبينا أنا كذلك وقد أصابنى ما أصابنى — وذلك هو الذى أراده الذِّئبُ وقدَّره — إذا ذئبةٌ قد عرَضت ، وكان من الصُّنع وتأخِير الأَجَل أنَّ ذلك كان فى زمن اهتياجِها وتسافُدها ، فلما عايَنَها تركَنى وقصَدَ نحوها ، فما

(١) شهى هنا : بمعنى شديد الشهوة ، يقال رجل شهى : إذا اشتدت به شهوته . كما يقال فى غير هذا : ماء شهى ، وطعام شهى : أى لذيذ سائغ .

(٢) س : « قفوة » .

(٣) ط : « ومنعا » وفى س ، م : « وضعا » ، وصوابهما ما أثبت .

(٤) س : « من » وما كتبت من ط أشبه بلغة الجاحظ .

(٥) لم أجد هذا الموضع فيما لدى من المراجع .

(٦) لعلها : « ولا أعثر بشيء » .

٧٩ تَلَعْثَمَ أنْ ركِبها[١] . وقد كنتُ قرأتُ فى بعض الكتب أنَّها تلتحم ، فَفَوَّقت سهْمِى[٢] وهما ينظران إلىّ ، فلمَّا لم أرَ عندهما نكيراً حقَّق ذلك عندى ما كان فى الكتاب من تلاحُمِهما ، فَمَشَيْت إليهما بسَيفى حتَّى قتلتهما .

(لقاح الكلاب والخنازير)

قال : ومما يُعَدُّ للكلاب أنَّها كثيراً[٣] ما تَلقحُ وتَلقَح لحال الدِّفء أو الخِصب ، والكلبُ والخنزير فى ذلك سواء ، ولا يكاد غيرُهما من الأصناف يتلاقح فى ذلك الزمان. فالكلبُ كما ترى ينازع أيضاً مواضع الإساءة والمحاسن فى جميع الحيوان .

(أسوأ ما يكون الحيوان خلقاً)

قال : وإناثُ الكلاب تصعُب أخلاقُها إذا كانَ لها جِراء . وكلُّ شىء له بَيضٌ أو جِراء أو فِراخٌ فأسوأُ ما يكون خُلقا وأنزقُ وأكثرُ ما يكون أذًى[٤] وأعْرَمُ — إذا كان كذلك[٥] ، إلاَّ إناثَ البقَر .

والكلْب كلما كان أسنَّ كانَ صوتُه أجهرَ وأغلظ .

---

(١) ما تلعثم : ما لبث . مثلها : ما ثلبث ، وما تلوم ، وما عتم ، وكثير غيرها .

(٢) ط ، م : « فقومت سهمى » وفى س : « ففومت سهمى » ، والوجه ما أثبت ، يقال فوق سهمه : جعل له فوقا . والفوق : موضع الوتر من السهم .

(٣) ط : « ومما يعد الكلاب أنها كثير » ، وتصحيحه من س .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

(٥) فى الأصل : « وإذا كان كذلك » .

(تناسل الكلاب)

قال : والكلب ينزو إذا تمَّت له ستَّةُ أشهر ، وربَّما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر . والكلبةُ الأنثى تحمِل واحداً وستين يوماً ، أطولَ ما يكون ، ولا تضعُ قبل أن يتمّ لحملها ستُّون يوما ، ولا يبقى الجرْو ولا يتربّى إذا قصَّر عن ذلك ، والأنثى تصلح أن يُنزَى عليها بعد ستَّة أشهر ء

(ولد البكر من الحيوان والإنسان)

والكلبة والحِجْر[1] والمرأةُ وغير ذلك ، يكون أوَّلُ نِتاجها أصغرَ جُثَّة ، وكذلك البَيْضُ إذا كان بكرًا ، وكذلك ما يخرُج منه من فرُّوج أو فرخ .

(بقية القول فى تناسل الكلاب)

وذُكور الكلاب تَهيج قبل الإناث فى السّنّ ، والإناث تهيج قبلها فى وقت حركتها . وكلما تأخَّر وقت الحدث إلى تمام الشَّباب كان أقوى لولده .

---

(١) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

والـكلابُ لا تريد السِّفاد عُمرَها كلَّه ، بل إلى وقت معلوم .

وهى تلقح إلى أن تبلغ ثمانىَ عشرة سنة ، وربما انتَدَرت[1] الـكلبة فبلغت العشرين .

والـكلاب أجناسٌ كثيرة : الـكلب السلوقىُّ يَسفَد إذا كان ابن ثمانية أشهر ، والأنثى تطاب ذلك قبل الثمانية ، وذلك عند شغُور الذكر ببوله . والـكلبة تحمِل من نزْوٍ واحد . وقد عرف ذلك الذين عرفوا الـكلاب وحضروا ليعرفوا ذلك . قال : والـكلبة السَّلوقيَّة تحمِل سُدْس السنة ستِّين يوماً ، ورُبَّما زادت على ذلك يوماً أو يومين . والجرو إذا وُضع يكون أعمى اثنَىْ عَشر يوماً ثمَّ يبصر ، والـكلبة تسفَد بعد وضعِها فى الشهر الثانى ، ولا تسفد قبل ذلك .

٨٠ ومن إنَاث الـكلاب ما تحمل خُمس السنة ، يعنى اثنين وسبعين يوماً ، وإذا وضَعت الجراء تـكون عمياءَ اثنين وعشرين يوما .

ومن أصناف الـكلاب ما يحمل رُبع السنة ، أعنى ثلاثة أشهر ، وتضع جراء وتبقى كذلك[2] سبعة عشر يوما ؛ ثمَّ تُرضع جِراءها على عدد أيَّامِها التى لا تبصر فيها .

وزعم أنَّ إناث الـكلاب تحيضُ فى كلِّ سبعة أيام ، وعلامة ذلك وَرَم أثفارِها ، ولا تقبَل السفاد فى ذلك الوقت ، بل فى السبعة التى بعدها ليـكون ذلك تمامَ أربعةَ عشرَ يوماً أكثرَ مايكون ، وربما كان كذلك لتمام ستَّةَ عشرَ يوماً[3] .

---

(١) كذا فى س . فى ط « ابتدرت » وهو تصحيف .
(٢) أى عمياء .
(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤١ لجنة التأليف .

قالوا : وإناث الكلاب تُلقى بَعْدَ وضع الجراء رُطوبةً غليظةً بلغميَّة ، وإذا وضعَتْها بعدَ الجراء اعتراها هُزال ، وكذلك عامَّة الإناث . ولبنُها يظهَر فى أطبائها قبل أن تضعَ بخمسة أيام أكثر ذلك ، وربما كثُر اللبنُ فى أطبائها قبل ذلك بسبعة أيام ، وربّما كان ذلك فى مقدارِ أربعة أيام . ولبنُها يظهَر ويجود إذا وَضَعَتْ من ساعتها . قال : فأمَّا السلوقيّة فيظهر لبنُها بعد حملها بثلاثين يوماً ، ويكون لبنُها أوّلَ ماتضعُ غليظاً ، فإذا أزمن رقَّ ودقَّ . ولبنُ الكلابِ يخالف لبن سائرِ الحيوان بالغلظ ، بعد لبن الخنازيرِ والأرانب .

وقد تكون علامةُ مبلغِ سِفادها مثلَ مَايعرِض للنِّساء من ارتفاع الثَّديين(١) . ومعرفة ذلك عسيرة ، وهذه علامَات تظهر لإناث الكلاب . وذكورةُ الكلاب ترفع أرجلَها وتبول لتمام ستَّةِ أشهر ، ومنها مَالا يفعل ذلك إلى أن يبلغ ثمانية أشهر ، ومنها مَا يعجِّل قبل ذلك . قال : ونقول بقولٍ عامٍّ إنَّ الذكورَ تفعلُ ذلك إذا قوِيت ؛ فأمَّا الإنَاث فهى تبول مُقْعِية ، ومنها مَا تشغَر .

وأكثرُ(٢) ماتضعُ الكلبةُ اثنا عَشَر جروا ، وذلك فى الفَرْط ،

---

(١) ألمح فى الكلام نقصا .

(٢) بعد هذه الكلمة كلام فى النسخة م ليس فى ط ، س . وهو ركيك دخيل على الكتاب لاجرم . وأنا أثبته هنا إثباتا تاريخيا فحسب : « الثعالب ربما عرفت منهم هذه الحالة كما قيل : الثعالب كلاب إلا أنهم مجهولون النسب وقال ابن عوف فى ثعلب بن بدر حيث يقول :

وكرهت أن قال الميم ثعلب يرجى وإنى عند ذلك مرتجى

ما ثعلب إلا ابن عاوية الفلا ناهيك من كلب ولكن أهوجا

وإلى هنا تنتهى النسخة م . وستكون مقابلتنا بعد هذه الكلمة على النسخة س فى تحقيق ومراجعة هذا الجزء من كتاب الحيوان .

وأكثر ذلك الخمسة والسّتة ، وربّما وضعت واحداً . فأمّا إناث السلوقيّة فهى تضعُ ثمانيةَ أجراء ، وإناثُها وَذكورُها تسفَد ما بَقِيَتْ[1] . وَيعرِض للكلاب السلوقيَّة عَرَض خاصٌّ : وَهى أنّها كلّما بقيت كانت أقوى على السِّفاد .

(أعمار الكلاب)

وذكورة السلوقيَّة تعيش عشرَ سنين ، والإناث تعيش اثنتى عشرة سنة[2] ، وَأكثر أجناس الكلاب تعيش أربعَ عشرة سنة ، وَبعض الأجناس[3] تبقى عشرين سنة .

قال : وإناث الكلاب أطولُ أعماراً من الذكور ، وكذلك هى فى الجملة ، وليس يُلقى الكلب من أسنانه سنًّا ما خلا النّابين ، وإنما يلقيهما إذا كان ابنَ أربعة أشهر .

قال : ومن أجْل أنَّ الكلابَ[4] لاتُلقِى غيرَ هذين النّابين يشكُّ بعض الناس أنها لاتلقى سِنًّا ألبتّة .

---

(١) ط : « ماتقت » وتصحيحه من س .

(٢) ط : « اثنى عشر سنة » ، وهو على الصواب المثبت فى س .

(٣) فى الأصل : « والخاص » .

(٤) ط : « ومن أجل ذلك أن الكلاب ، والوجه حذف « ذلك » كما فى س .

(أمراض الكلاب)

٨١ قال : وللكلاب ثلاثة أصنافٍ من المرض ، وأسماؤها[١] : الكلب بفتح اللام ، والذُّبحة ، والنقرس[٢] . والكلَب جُنون ، فإنْ عرَض لشيء من الحيوان كَلَبٌ أيضاً أماته ، ماخلا الإنسان . وهو داءٌ يقتل الكلاب ، وتقتُل به الكلابُ كلَّ شيءٍ عضّته ، إلاّ الإنسان فإنّه يعالج فيسْلَم .

(أدواء بعض الحيوان)

قال : وداء الكلَب يعرِض للحمار ، فأمّا الجنون وذَهابُ العقل فإنّه يصيبُ كلَّ شيء ، فمن ذلك مايصيب الدوابَّ ، فإنَّ منها مَايُصرَع كما يُصرع المجنون . والسائس[٣] من الدوابّ : الذاهب العقل .

(صرع أعين الطبيب)

وقد كان شأن أَعين الطبيب عَجَباً ؛ وذلك أنّه كان يُصرع ، واتّفق أنّه كان له بغلٌ يصرَع ، فكان ربَّما اتّفق أن يُصرَعا[٤] جميعاً ! وقد رأى ذلك كثير من أصحابنا البصريِّين .

---

(١) ط : « وأسماؤهم » ، وهى على الصواب فى س .

(٢) النقرس بالكسر : ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين . وفى ط : « النفوس » ، وفى س : « النفوس » بالفاء ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) س : « السائسى » .

(٤) انظر كتاب البغال ٢٦٤ من رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(الصَّرْعُ عند الحيوان)

والصَّرْع عامٌّ فى الحيوان ، ليس يسلم منه صِنف منها حتَّى لايعرض له منه شيء . والإنسان فوق جميع الحيوان تعذيباً[1] ، وكذلك هو[2] فى العقل والمعرفة والاحتيال له ، مع دفع المضرّة واجتلاب المنفعة ، ومَا أكثر مَايعتريهم ذلك . ومن ذلك مَايذهب ، ومن ذلك مالا يذهب .

(بعض من عرض لهم الصرع من الفضلاء)

وقد كان بَخْتِيَشوعُ المتطبِّب عرَض له ذلك ، وقد كان عرض لعبد الملك بن قُريب[3] فذهب عنه . وربَّما عرض للرّجل الذى لايُظَنُّ به ذلك فى بيان ولا تبيين ، ولا فى أدبٍ ، ولا فى اعتدالٍ من الأخلاط ، والصحَّةِ من المزَاج ، ثُمَّ لا يعرض من ذلك إلاَّ مالا حيلةَ له فيه ، كما [كان][4] يعرض لبشر بن أبى عمرو بن العلاء النحوىِّ

(١) كذا

(٢) س : « وذلك » .

(٣) هو الأصمعى إمام اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر . روى عن أبى عمرو ابن العلاء وقرة بن خالد ونافع بن أبى نعيم وشعبة وحماد وغيرهم . وكان يتقى أن يفسر الحديث كما يتقى أن يفسر القرآن ، وهو ممن أكثر التأليف . وكان من أهل البصرة . توفى سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة . والجاحظ يروى عنه كثيراً فى كتبه .

(٤) زدتها مساوقة للقول .

المـــازنىّ[1] وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسديَّين ، فما زالا كذلك حتَّى ماتا ، ولم يبلغنا أنَّهما صُرِعا .

(المُوتَة)

والمُـوتَة[2] جنسٌ من الصَّرْع ، إلاَّ أنَّ صاحبَه إذا أفاقَ عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران والمغشىِّ عليه ، وإن عاش صاحبُ المُوتة فى ذلك مائة عام .

وليس يلقى شىءٌ من الحيوان فى هذا الباب كما يلـقى الوَرَشان .

(اختلاف درجات السُّكْر لدى الحيوان كتباينها لدى الإنسان)

وأمَّا السُّــكْر فليس شىءٌ من الحيوان إلاَّ وهو يسكر ، واختلافُ سكره كاختلاف سكر الإنسان ؛ فإنَّ من الناس مَن تراه يتحدَّث وهو يشرَب فلا تنكر منه شيئاً ، حتَّى يغلب عليه نوم السُّــكر ضربةً واحدة ،

---

(١) أبو عمرو بن العلاء كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة . قالوا : وكانت دفاتره تملأ بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . اختلف فى اسمه على واحد وعشرين قولا سردها السيوطى فى البغية ٣٦٧ قال : « وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لايسأل عنه » . توفى أبوعمرو سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة . وأما ابنه بشر فلم أعرف عنه إلا خبراً واحداً تجده فى الأغانى (٢٠ : ١٨٣) .

(٢) فى القاموس : « الموتة بالضم : الغشى والجنون » .

ومنهم من تراه والنبيذ يأخذُ منه الأوّلَ فالأوّل ، وتراه كيفَ تَثقُل حركتهُ ، ويغلُظُ حسُّه ويتمحَّق ، حتى يَطيش عليه السُّكرُ بالعبث ، ويطبقَ عليه النوم . ومنهم مَن يأخذُه بالعبَث لايعدُوه . ومنهم من لايرضى بدون السَّيف ، وإلاَّ بأن يضرب أمَّه ويطلِّق امرأته . ومنهم مَن يعتريه البكاء ، ومنهم مَن يعتريه الضَّحِك ، ومنهم مَن يعتريه الملَق والتَّفدِيةُ ، والتَّسليمُ على المجالس ، والتَّقبيلُ لرءوس الناس . ومِنهم من يرقصُ ويثِب ، ويكون ذلك على ضربين : أحدهما من العَرْض[١] وفضْل الأشَر[٢] ، والآخر تحريك المرارة ، وهى علَّةُ الفساد وهيَجان الآفة .

٨٢

وكلُّ هـذه الحالات والصُّور ، والنعوت ، والأجناس ، والتوليدِ ، الذى يختلف فى طبائع الناس ، وطبائع الأشربة ، وطبائع البُلدان والأزمان والأَسنان ، وعلى قدر الأَعراق والأَخلاق ، وعلى قدر القلَّة والـكثرة ، وعلى قدر التصريف والتوفيق ، قد[٣] وجدوه فى جميع أصناف الناس والحيوان ، إلاَّ أنَّ فى الناس واحدةً لم تُوجَد فى سائر الحيوان قطُّ ؛ فإنَّ فى الناس من لايسْكَر ألبتّة ، كان[٤] محمد بن الجهْم[٥] وأبو عبد الله العَمِّىُّ[٦] .

---

(١) العرض هنا بمعنى الجنون وذهاب العقل ، يقال عرض كعنى .

(٢) الأشر : المرح .

(٣) فى الأصل : « وقد » . والصـواب ما أثبت ، فإن جملة « قد وجدوه » خبر لكلمة « كل » فى صدر هذه الفقرة .

(٤) لعلها « كما كان » أو « كذلك كان » .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاه الخليفة المـأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر وجهها إليه المأمون ، فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار الأدبى سبباً لحصوله على هذه الولايات . وروى له الجاحظ أخباراً فى البيان .

(٦) سيأتى فى ص ٢٤٠ من هذا الجزء أنه من المعتزلين .

وكان بين عقل زبيد بن حُميد إذا شرب عشْرة أرطال ، وبين عقله إذا ابتدأ الشرب ، مقدارٌ صالح .

(سكْرُ العمّيّ)

وأمَّا العَمّيّ فإنَّ بني عبد الملك الزياديِّين دعَوني مرَّةً ليعَجِّبوني منه ، ولم ينبِّهوني على هذه الخاصَّة التي فيه ، لأَكون أنا الذي أنتبه عليه ، فدخلت على رجلٍ ضخمٍ فَدْم[1] غليظِ اللسان ، غليظ المعاني ، عليه من الكلام أشل المؤنة[2] ، وفي معانيه اختلافٌ ، ليس منها شيءٌ يواتي صاحبَه ولا يعاونُه ولا يشاركُهُ ولا يناسبه ، وحتَّى ترى أنَّ أذنه في شِقٍّ ولسانَه في شقٍّ ، وحتَّى تظنَّ أنّ كلامه كلامُ محمومٍ أو مجنون ، وأنَّ كلَّ واحد منهما يقطع نظام المعاني[3] ، ويخلط بين الأَسافل والأَعالي . فشرب القومْ شُربَ الهيم[4] ، وكانت لهم أجسادٌ مدْبرة ، وأجوافٌ منكَرة ، وكنتُ كأنِّي رجلٌ من النَّظَّارة . فما زال العمِّيُّ يشرَب رِطْلًا بعد رِطل ، ويرقُّ لسانُه ، وينحلُّ عَقْده[5] ، ويصفو ذهنُهُ ، ويذهب كدره . ولو قُلْتُ إنِّي لم أرَ مثلَه حُسْنَ نفسٍ كنتُ صادقا . فالتفت إليَّ القومُ أجمعُهم فقالوا : لولا هذا العَجَب مَاعَجَّبْنَاك[6] اليومَ معَ حداثةِ عهدنا بك .

---

(١) الفدم : الأحمق الجافي .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : « المعالي » .

(٤) الهيم : الإبل العطاش .

(٥) العقد ، هنا ، بمعنى القوة .

(٦) في الأصل ، « ما عساك » .

وزعم العمِّىُّ وكان كثيرَ المنازَعة عند القضاة ، أنَّه كان إذا قارب العشرةَ الأرطالِ ثمّ نازَعَ الخصومَ ، كان ذلك اليومُ الذى يفوت فيه ذَرْعَ الخصوم لِلَحَنٍ بحجَّته[1] ، ويستميل فيه رأىَ القاضى المنعقد فى مجلسه الطويل ، القطوبِ فى وجْهِ مَن نازع إليه .

وقال الشاعر[2] :

وجدتُ أقلَّ النَّاس عقلاً إذا انتشى ... أقلَّهُمُ عقلا إذا كانَ صاحِيا
تزيدُ حُسَى الكاس السَّفيهَ سَفاهةً ... وتَتْرُكُ أخْلاقَ الرِّجَالِ كما هِيا[3]

٨٣ قال : وهذا شعر بعضِ المولَّدين ، والأعاريبُ لا تُخطىء هذا الخطأ ؛ قد رأينا أسْفَهَ الناسِ صاحياً أحلمَ الناس سكران ؛ وهو مِرداسٌ صاحب زهير ، ورأينا أحسنَ النَّاس خُلقاً وأوزنَهم حلماً ، حتَّى إذا صار فى رأسه رِطلٌ كان أخفَّ من فَرَاشة ، وأكثرَ نزواً من جَرادةٍ رَمِضَة[4] ؛ فإنَّ المَثَلَ بها يُضرَب .

(سبب ماله عرَفَ المعتزلة سكرَ البهائم)

وكان سببُ مالَهُ عرَف أصحابُنا سكْر البهائم ، أنَّ محمَّدَ بنَ علىِّ بنِ سليمانَ الهاشمىَّ لمَّا شرب على علُّويَه كلب المطبخ ، وعلى الدُّهمان ، وعلى شُرَّاب

---

(١) فات ذرعهم : غلبهم وتجاوز مداهم . واللحن ، بالتحريك : أن يفطن المرء لحجته .

(٢) هو أبو نواس . ديوانه ٣٥٨ . وأنشدهما فى ديوان المعانى ١ : ٣٢٤ .

(٣) الحسى بالضم : جمع حسوة بالضم ، وهى المرة من الحسو . وأراد بالرجال هنا : الكاملين فى معنى الرجولة . وفى ديوان المعانى : « أخلاق الكريم » .

(٤) الرمضة : التى أصابها الرمض ، وهو شدة الحر . والنزو : الوثب . وانظر فى أمثال الميدانى : « أنزى من جراد » .

البصريِّين ، وعلى كُلِّ من نزَع إليه من الأَقطار ، وتحدَّاه من الشرّاب الجَوَادِ من الشُّرّاب ، أحَبَّ أن يشرَب على الإبل من البَخاتيِّ والعِراب ، ثُمَّ عَلَى الظِّلف من الجواميس والبقر ، ثم على الخيل العِتاقِ والبرَاذين ، فلمّا فرَغ من كلِّ عظيمِ الجثة واسع الجُفْرَة[1] ، صار إلى الشاءِ والظِّباء ، ثمّ صار إلى النُّسور والكلب وإلى ابن عِرس ، وحتَّى أتاهم حاوٍ[2] فأرغبوه ، فكان يحتال لأفواه الحيَّات حتَّى يصبَّ فى حاقٍّ[3] أجوافِها بالأَقمـاع المدنيّة ، وبالمَساعط ، ويتَّخذ لكلِّ شيء شكله . وكان ملكاً تواتيه الأُمور ، وتُطيعه الرجال[4] ، فأبصَرُوا تلك الاختلافاتِ فى هذه الأجناس المختلفة .

(نعت النّظام)

فخبَّرنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ النَّظام ، وقد كان جالسَهُ حيناً — وكان إبراهيمُ مأمونَ اللِّسان ، قَلِيلَ الزَّلَل والزَّيغ فى باب الصدق والكذب . ولم أزعمْ أنَّه قَلِيـلُ الزَّيغ والزَّلَل على أنَّ ذلك قد كان يكونُ منه وإن كان قليلاً ، بلْ إنَّما قُلتُ عَلَى مثل قولك : فلانٌ قَلِيلُ الحياء ، وأنتَ لستَ تريد هناك حياءً ألبتة ، وذلك أنَّهم ربَّما وَضعوا القليلَ فى موضعِ ليس . وَإنما كان عيبُهُ الذى لايفارقه سوءَ ظنِّهِ ، وجَودةَ قياسِهِ عَلَى العارض

---

(١) الجفرة ، بالضم : ما يجمع البطن والجنبين . وفى الأصل : « الحفرة » بالحاء ، وهو تصحيف ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « حاوى » ، والوجه حذف الياء .

(٣) حاق بمعنى وسط .

(٤) فى الأصل : « وقطيعة الرجال » ، ووجهه ما أثبت .

والخاطر والسابق الذى لايُوثَق بمثله . فلو كان بدَلَ تصحيحِه القياسَ التمسَ[1] تصحيحَ الأصل الذى كان قاس عليه أمرَه على الخلاص[2] ، ولـكنَّه كان يظنُّ الظنَّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنَّ بدءَ أمرِه كان ظَنًّا . فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ ، جَزَم عليه ، وحكاهُ عن صاحبه حكايَةَ المستبصر فى صحَّة معناه . ولـكنَّه كان لايقول سمعت ، ولا رأيت . وكان كلامُه إذا خرج مخرج الشَّهادةِ القاطعة لم يشُكَّ السامعُ أنَّه إنَّما حكى ذلك عن سماعٍ قد امتحنه ، أو عن معاينةٍ قد بهرته .

(حديث النظام فى تجربة إسكار البهائم والسباع)

فحدَّثنى إبراهيمُ قال : شهدتُ أكثَرَ هـذه التَّجربةِ التى كانت منهم فى إسكار البهائمِ وَأصنافِ السباع ، ولَقَدْ احتالَ لأسدٍ مقلَّم الأَظفار يُنادى عليه : العجَب العجَب !! حتَّى سقاه وعرَف مقدارَه فى الاحتمال ، فزعمَ ، أنَّه لم يجِدْ فى جميعِ الحيوان أملحَ سُكْرًا من الظَّبى . ولولا أنَّه من الترفُّه لـكنتُ لايزال عندى الظَّبىُ حتَّى أُسكِره وَأرى طرائفَ مايكون منه : ٨٤

(١) فى الأصل : « التمـاس » .
(٢) كذا بحذف جواب الشرط ؛ وهو كثير فى كلامهم .

(القول فى سرعة التعلم والجرأة عند بعض الحيوان)

قال : وإناث الكلابِ السَّلُوقيَّة أسرعُ تعلُّما من الذُّكورة[١] .

قال : وجميع أصناف السباع ذُكورتُها أجرأُ وَأمضى[٢] وأقوى ، إلاَّ الفَهْدة[٣] والذِّيبَةَ .

والعامَّة تزعم أنَّ اللَّبُوَّة أجرأُ من الأسد ، وليس ذلك بشىء ، وهو أنزَقُ وأحَدُّ ، وأفرَقُ من الهَجْهجَة[٤] ، وأبعدُ من التصميم وشِدَّة الصَّولة .

(بين عروة بن مرثد وكلب حسبه لصًّا)

قال بِشر بن سعيد : كان بالبَصرة شيخٌ من بنى نَهشَلٍ يقال له عُروة ابن مَرْثد ، نزل ببنى أختٍ له فى سكَّة بنى مازن ، وبنو أخته من قُريش ، فخرج رجالُهم إلى ضياعهم وذلك فى شهرِ رمضان ، وبقِيت النِّساءُ يصلِّين فى مسجدهم ، فلم يبق فى الدار إلاَّ كلب يعُسُّ[٥] ، فرأى بيتاً فدخل وانصفق الباب ، فسمِع الحركَةَ بعضُ الإماءِ فظنُّوا أنَّ لصًّا دخل الدار ، فذهبتْ إحداهنَّ إلى أبى الأعزّ[٦] ، وليس فى الحىِّ رجلٌ غيره ، فأخبرتْهُ

(١) الذكورة : جمع ذكر . وهى فى ط : « المذكورة » وتصحيحها من س .

(٢) ط : « أمضا »، وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « الفهود » .

(٤) أى أن خوفه من صياح الناس به أشد من خوفها .

(٥) عس واعتس : طاف ليلا .

(٦) س : « أبو الأغر »، وكذلك فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة من القصة. وانظر عيون الأخبار ١ : ١٦٧ — ١٦٨ .

فقال أبو الأعزِّ : مايبتغي اللصُّ مِنَّا ؟! ثمَّ أخذَ عصاهُ وجاء حتَّى وقفَ على بابِ البيت فقال : إيه يامَلْأَمَان[1] ! أَمَا واللهِ إنَّك بي لَعارف ، وإنِّى بك أيضاً لعارف ، فهل أنتَ إلاَّ من لُصوصِ بنى مازن ، شربتَ حامضاً خبيثاً ، حتَّى إذا دارت الأقداحُ فى رأسك منَّتْك نفسُك الأمانىَّ ، وقلتَ دُورَ بنى عمرو[2] ، والرِّجالُ خُلوف ، والنِّساء يصلِّين فى مسجدهنَّ ، فأسرقهنَّ ! سَوءَةٌ واللهِ ، مايفعلُ هذا الأحرارُ ! لبئسَ[3] واللهِ مامنَّتك نفسُك ! فاخرجْ وإلاَّ دخلتُ عليك فَصَرَمَتْك[4] منِّى العُقوبة ! لَايمُ[5] اللهِ لتَخرُجَنَّ أو لأهتفَنّ هتْفةً مشئومةً عليك ، يلتقى فيها الحيَّانِ : عمرو وحنظلة ، ويصيرُ أمرُك إلى تباب ، ويجىء سعْدٌ بعَدَدِ الحصى ، ويَسيل عليك الرِّجالُ من هاهنا وهاهنا ! ! ولئن فعلتَ لتكونَنَّ أشأمَ مولودٍ فى بنى تميم ! ! فلما رأى أنَّه لايجيبُه أخَذَهُ باللِّين وقال : اخرجْ يابُنَىَّ وأنتَ مستور ، إنِّى واللهِ ما أُراك تعرفُنى ، ولو عرفتَنى لقد قنِعتَ بقولى واطمأننت إلىَّ ، أنا عُروة بن مَرثد أبو الْأَعَزِّ المَرْثَدِىُّ ، وأنا خالُ القومِ وجِلدةُ مابينَ أعينهم[6] لايعصُونَنى فى أمر ، وأنا لك بالذِّمة كفيلٌ خفير ، أصيِّرك

---

(١) الملأمان : اللئيم ، ويقابله المكرمان بوزنه .

(٢) عامل المفعول محذوف يدل عليه المقام ، تقديره « آتى » أو « أقصد » .

(٣) فى الأصل : « ليس » .

(٤) يقال : عقوبة صارمة : أى قاطعة شديدة . وفى الأصل : « صدمتك » .

(٥) فى الأصل : « لأيم » بهمزة القطع ، والأصح أن تكون ألفها ألف وصل . وكتبت فى القاموس واللسان وكتاب سيبويه ٢ : ٢٧٣ برسم « ليم » . وانظر ما كتب ابن منظور فى اللسان (يمن) .

(٦) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . قال عبد الله بن عمر — وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر الكلام عليه فى اللسان (حزز ، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠ .

بين شحمةِ أذني وعاتقي لاتُضارّ ، فاخرج فأنتَ في ذِمَّتي ، وإلاَّ فإنَّ عندي قَوْصَرَّتَين [١] إحداهما إلى ابنِ أختي البارّ الوَصُول ، فخذْ إحداهما فانتَبِذْها حلالاً من الله تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكت وثَب يُريغُ [٢] المخرج ، فتهافت الأعرابيُّ ، أيْ تساقط [٣] ، ثمَّ قال : يا ألأمَ الناسِ وأوضَعَهم ، ألا يأْني لك أنَّا منذُ الليلة في وادٍ وأنتَ في آخر ، إذا قلتُ لك السَّوداءَ والبيضاءَ تسكتُ وتطرِق ، فإذا سكتُّ عنكَ تُريغ المخرج ؟! والله لتخرُجَنَّ بالعَفو عنك أو لأَلِجَنَّ عليك البيتَ بالعُقوبة ! فلما طال وقوفُه جاءَتْ جَاريةٌ من إماء الحيِّ فقالت : أعرابيٌّ مجنون !! والله ماأرى في البيتِ شيئاً ! ! ودفعت البابَ فخرج الكلبُ شدًّا ، وحادَ عنه أبو الأعزّ مستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذي مَسَخك كلباً ، وكفاني منك حربا ! ! ثم قال : تالله مارأيتُ كالليلةِ ، ماأُراه إلاَّ كلباً !! أمَا والله لو علمتُ بحالِه لولَجت عليه .

(بعض خصال الديك)

قال صاحب الديك : في الدِّيك الشَّجاعَةُ ، وفي الديك الصَّبرُ عند اللِّقاء ، وهم لايجدون الصَّبرَ تحت السِّياط والعصا ، إلاّ أنْ يكون ذلك موصولاً بالصَّبر في الحرب على وقع السِّلاح .

---

(١) القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .

(٢) يريغ : يريد .

(٣) في الأصل : « تضاحك » ولا تكون هذه الكلمة من معاني « تهافت » . وتساقط : تخاذل ودب فيه الضعف .

وفى الدِّيَك الجَوَلان ، وهو ضرب من الرَّوَغان ، وجنسٌ من تدبير الحرب ، وفيه الثَّقافةُ والتسديد[١] ؛ وذلك أنَّه يقدِّر إيقاع صِيصِيَتِه[٢] بعين الديك [الآخر[٣]] ، ويتمرّب إلى المذبح فلا يخطىء .

وهم يتعجَّبون من الجَزَّار ، ويضرِبون به المثل إذْ كان لا يخطىءُ اللَّبَّة ، ومن اللحَّام إذا كان لا يخطىءُ المَفْصِل ، ولذلك قالوا فى المثل : « يطبِّق المحَزَّ[٤] ولا يخطئ المَفْصِل ! » . وهذا القولُ يذمُّون به ويَمدحون . والديك فى ذلك أعجبُ ، وله مع الطَّعنة سرعةُ الوَثْبة ، والارتفاع فى الهواءِ . وسلاحه طَرِير[٥] ، وفى موضعٍ عجيب ، وليس ذلك إلاَّ له ، وبه سمَّى قَرْن الثور صِيصِيَة ، ثمَّ سمَّوا الآطام[٦] التى كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداءِ صياصِيَ ، قال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ . والعَرَبُ تسمِّى الدَّارع وذا الجُنَّة[٧] صاحبَ سلاح ، فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صِيصِيَة ، سمَّوا قرنَ الثور الذى يجْرَح صيصِيَة . وَعلى أنَّه يشبَّه فى صورته[٨] بصيصِية الديك

---

(١) الثقافة : الحذق . والتسديد : صدق الإصابة .

(٢) سبق الكلام فى هذا اللفظ فى ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الزيادة من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٠ نقلا عن الحيوان .

(٤) المحز : موضع الحز ، مثل المفصل : موضع الفصل . وفى الأصل : « الحز » والوجه ماأثبت .

(٥) سلاح طرير : محدد ماض .

(٦) الآطام : جمع أطم بضم وبضمتين ، وهو الحصن يبنى من الحجارة .

(٧) الدارع : لابس الدرع ، وهو القميص الحديدى . والجنة : مايلبســه المرء أو يحمله ليقى به نفسه . وفى الأصل : « الجارح وذا الجثة » وليس بشىء .

(٨) فى الأصل : « فى صيصية صورته » . وكلمة « صيصية » مقحمة .

وإن كان أعظم . ثمَّ لمَّا وجدوا تلك الآطامَ معاقِلهم وحصونَهم وجُنّتَهم ، وكانت فى مَجرى التُّرس والدرع والبَيضة ، أجروهَا مُجْرَى السلاح ، ثم سمَّوها صياصى . ثمَّ أسمَوْا شوكةَ الحائك التى بها تهيَّأُ السَّدَاة واللُّحمة صِيصِيةً ؛ إذْ[1] كانت مشبَّهة بها فى الصورة ، وإنْ[2] كانتْ أطولَ شيئاً ؛ ولأنَّها مانعةٌ من فساد الحَوْك والغزْل ؛ ولأنَّها فى يده كالسلاح ، متى شاءَ أن يجأ به إنساناً وجأه به[3] . ٨٦

وقال دُريد بن الصِّمَّة[4] :

نَظَرْتُ إِلَيْـهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُـهُ
كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ

(استطراد لغوى)

وقد تسمِّى العربُ إبرة العقرب شوكة ، كما تسمِّى صيصِيَة الديك شوكة ، وهى من هذا الوجه شبيهةٌ بشَوك النَّخل .

---

(١) فى الأصل : « إذا » وإنما هى « إذ » التعليلية ، وقد نبهت فيما مضى على كثرة تحريف هذه الكلمة .

(٢) فى الأصل : « فإن » .

(٣) وجأه : ضربه وطعنه .

(٤) البيت الآتى من قصيدة اختارها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٣٣٦ ، مطلعها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدى

يرثى بها دريد بن الصمة أخاه عبد الله بن الصمة . والبيت المستشهد به قال فيه أبو هلال العسكرى ديوان المعانى ٢ : ٥٨ : « أحسن ماقيل فى سرعة وقع الرماح وتداركه » .

ويقال لمن ضربته الحُمْرة . قدْ ضربته الشَّوكة ؛ لأنَّ الشَّوكَة إذا ضربت إنساناً ، فما أكثَرَ ما تعتريه من ذلك الحمرةُ .

وقد قال القَطامىُّ فى تسميةِ إبرة العقرب شَوكة :

سرى فى جَليدِ الأرْضِ حتَّى كأنّما تَخزم بالأَطراف شوك العَقارِبِ[1]

وتُوصف الحِجْر[2] وتشبَّه بالشَّوكة ؛ لأَنَّ الشَّوكة غليظةُ المـآخِرِ[3] ، لطيفة المَـقادم . والشَّوكُ والسُّلاّءُ سواءٌ . وقال فى ذلك عَلْقمة بن عبَدة يصف الحِجْر :

سُلاَّءَة كعَصَا النَّهْدِىِّ غُلَّ لها ذُو فَيئةٍ مِنْ نَوَى قُرّانَ مَعْجومُ[4]

ومن سمَّى إبرة العقرب حُمَـة فقد أخطأ . وإنَّما الحُمة سمومُ ذواتِ الشعر كالدَّبْر[5] والزَّنَابير ، وذوَاتِ الأنياب والأَسنان كالأفاعى وسائر

---

(١) هذا البيت فى ديوان القطامى ٥٢ واللسان (وكع ، خزم) ، وصدره فيهما :

* سرى فى جليد الليل حتى كأنما *

وروى عجزه فى مادة (وكع) : « وكع العقارب » بمعنى ضربها ولدغها . وفى (حزم) : « شوك العقارب » كما فى الديوان ورواية الجاحظ . وقال : « تخزم الشوك فى رجله : شكها ودخل فيها » .

(٢) الحجر ، بالـكسر : الأنثى من الخيل .

(٣) فى الأصل : « المتأخر » وماكتبته أشبه بالـكلام .

(٤) فى اللسان (غلل) : « النهدى : الشيخ المسن ، فعصاه ملساء » . وأراه أنا المنسوب إلى نهد ، وهى قبيلة يمنية . وغل للدابة : خلط لها النوى بالقت — والقت هو مايعرف فى مصر بالبرسيم . عن داود الأنطاكى — وفى الأصل : « عل بها » وتصحيحه من اللسان (فيأ ، غلل) والبيان ٣ : ١٢٠ والـكامل ٤٩٦ ليبسك وخمسة دواوين العرب ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ . وقوله « ذو فيئة » أى ذو رجعة ، يريد أن النوى علفته الإبل ثم بعرته فهو أصلب . و « قران » : قرية باليمامة مشهورة بالنخل الجيد . معجوم : ممضوغ .

(٥) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل .

الحيات ، وسموم[1] ذوَاتِ الإِبَر من العَقارب . فأمّا البِيشُ[2] وما أشبهه من السُّموم ، فليس يقال له حُمَـة .

وها هنا أمور[3] لها سمومٌ فى خراطيمها ، كالذِّبَّان والبَعوض . وأشياءُ من الحشرات تَعَضُّ وربَّما قتلت ، كالشَّبَث[4] وسامِّ أبرَصَ . والطَّبُّوعُ[5] شديد الأذى ، والرُّتَيْلاء[6] ربما قتلت ، والضَّمج[7] دون ذلك ، وعقارب طيَّارةٌ . ولم نرهم يسمُّون جميع السُّموم بالحُمة ، فقلْنا مثلَ ما قالوا ، وانتهينا إلى حيثُ انتهوا .

(بعض من تقتل عضّته)

وقد يُعرفُ بعضُ النّاس بأنّه متى عضّ قَتَل ، كان منهم صفوان أبو جشَم الثّقَفىّ ، وداودُ القرَّاد .

وسيقَع هذا البابُ فى موضعه على ما يمكننا إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط : « وسموا » وتصحيحه من س .

(٢) البيش ، بالكسر : نبات سام يكثر فى تخوم الهند والصين . وفى الأصل : « فإنما البيش » .

(٣) كذا .

(٤) فى معجم الحيوان : « شبث : جنس من الرتيلاء كبير يلسع . اسمه عند عرب السودان أبو شبث ، وفى مصر أبو صوفة » .

(٥) الطبوع : صغار القردان : جمع قراد .

(٦) الرتيلاء : ضرب من العناكب ، يمد ويقصر .

(٧) الضمج ، بالفتح : دويبة منتنة تلسع ، وهى ماتسمى فى مصر باسم « البق » . وفى الأصل : « الصحيح »، وصوابه ما أثبت .

(استطراد لغوى)

والناس يسمُّون الرَّجلَ إذا بلغ مِنْ حرصه ألاّ يدعِ ذكراً ، غلاماً كان أو رجلاً ، وخَصيًّا كان أو فحلاً ، إلاّ نكحه مِن فَرْط غُلْمته ، ومن قوّة فِحلتِه : صِيصِيَة . ويقولون : مافلانٌ إلا صِيصيَة ، وهو عندهم اسمٌ لمن اشتدَّ لِواطه ؛ تشبيهاً منهم بصيصِيَة الديك فى الحدَّة والصَّلابة .

(بعض مزايا الديك)

وللديك انتصابُهُ إذا قام ، ومباينتُه صورَةً فى العين لصُورة الدجاجة ،

٨٧ وليس هذا الفرقُ الواضحُ من جميعِ الإناث والذكور موجوداً إلاّ فيه ، وليس ذلك للحمام والحمامة ، ولا للحمار والحمارة ، ولاللبِرذَون والرَّمَكة[1] ، ولا للفرس والحِجْر ، ولا للجمَل والنَّاقة ؛ وليس ذلك إلاَّ لهذه الفحولة لأنّها كالرَّجل والمرأة ، والتَّيس والظبية[2] ، والدِّيك والدَّجاجة ، وكالفُحَّال والنخلة المطعمة[3] . ألا ترى أنّك لو رأيتَ ناقةً مقبلة لم تدر

---

(١) الرمكة ، بالتحريك : البرذونة ، وهى الأنثى من الخيل الأعجمية ، وتعرف الخيل الأعجمية باسترخاء آذانها .

(٢) فى الأصل : « والضائنة » وإنما هى « الظبية » لتصح المقابلة ، فإن المراد بالتيس هنا الذكر من الظباء .

(٣) أطعمت الشجرة : دنا إثمارها ، أو أثمرت . ويقال اطعمت الشجرة — بوزن افتعلت — إذا أدركت ثمرتها ، أى أخذت طعما وطابت . فكلمة « مطعمة » يصح أن تقرأ بإسكان الطاء أو تشديدها . ولكل وجه . وأما الفحال — كرمان — فهو الذكر من النخل . وفى الأصل : « وكالنخلة والفحال والنخلة المطعمة » بتكرار « النخلة »، وأصلحت القول بما ترى . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٧و٥ : ٢٠٩ .

أنَاقةٌ هى أم جمل ، حتى تنظر إلى موضع الثِّيل والضَّرْع ، وإلى موضع الحيا. وكذلك العنز ، وكذلك جميع ما وصفت ، إلاّ أنْ يدّعوا أن للعامة أو لبعض الخاصة فى ذلك خصوصيَّة . ولذلك ضربوا المثل بالتّيس والنخلة والفُحّال ، فاشتقوا من هذا الفحل . وهذا أيضاً من خصال الدِّيك .

ثُمَّ للديك لحية ظاهرة، وليست تكون اللِّحى إلاّ للجمل فإنّه يوصف بالعثنون ، وإلا للتَّيس وإلاّ للرَّجل . وقال الرَّاجز فى الجمل :

مختلط[1] العُثنونِ كالتّيسِ الأحَمّْ

سامٍ كأنّ رأسَه فيه وَذَم

* إذْ ضمَّ من قَطرَيه هياج قَطِم *

ثمَّ الديك بعدُ صاحب اللِّحية والفرَق[2] . وقالت امرأةٌ فى ولدها وزوجها[3] :

* أشْهبَ ذِى رَأسٍ كرأسِ الديكِ *

أمّا قولها أشهب ، فإنّها تريد أنّ شعرَ جسده قد ابيضَّ من الكِبَر، وإنّما جعلتْ شعرَ رأسِهِ كرأس الديك لأنّه كان مخضوبَ الرأس واللِّحية بالحُمْرة ، ثُمَّ لم ترضَ له بشبه الرجَال من هذا الوجه حتَّى جعلتْ رأسه

(١) ط : « مخلتط » وهو تغيير مطبعى .

(٢) للفرق : انفراق العرف .

(٣) فى ص ٣٠٣ من هذا الجزء : وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقص ابنا لهـا منه :

وهبته من سلفع أفوك   ومن هبل قد عسا حنيك

* أشهب ذى رأس كرأس الديك *

أفرقَ ، وذلك شيءٌ من الجمال والوقار والفضل ، لا يتَهيَّأ للناس مع كمالهم وتمامهم إلاّ بالتكلف والاحتيالِ فيه .

ثُمَّ يبلغ من شدّة تعجله ومن قوّته على السِّفاد ؛ وعلى الباب[1] الذى يفخر به الإنسان إذا كان ذا حظٍّ منه وهو ممّا يُذْكى النَّفس — كنحو[2] ما ذكر عن التّيس المراطىّ[3] ، وكنحو مَا تراهم يُبركون للبُخْتىّ الفالج عدّة قِلاص[4] ، فإذا ضَرَبَ الأُولى فخافوا عليها أن يحْطِمها وهو فى ذلك قد رمى بمائه مِراراً أفْلَتَه الرِّجَالُ على التى تليه فى القرب ، حتى يأتى على الثّلاث والأربعِ على ذلك المثال . وما دعاهم إلى تحويله عن الثالثة إلى الرابعة إلاّ تخوفهم من العجز منه .

وزعم أبو عبد الله الأَبرص العَمِّىُّ ، وكان من المعتزلين ، أنّ التَّيس المراطى قرَع فى أول يومٍ من أوَّل هَيْجِه نَيِّفًا وثمانين قَرعة .

والنّاسُ يحكون ما يكون من العُصفور فى الساعة الواحدةِ من العَدَد الكثير . والنّاس يُدخلون هذا الشكل فى باب الفضْل ، وفى باب شدَّة العجلة وتظاهرِ القوَّة . والديك يكون له وحدَه الدّجاج الكثيرُ ، فيُوسِعها قمطا وسفاداً . ٨٨

---

(١) لعلها « الباه » .

(٢) فى الأصل : « لأنه كنحو » وليس الكلام فى حاجة إلى « لأنه » . وكلمة « كنحو » صفة لمصدر محذوف من الفعل « يبلغ » المتقدم .

(٣) كذا . وقد جاء فى (٥ : ٢١٩) برسم « المسرطى » ، و « المشرطى » .

(٤) البختى : الواحد من الإبل البختية ، وهى الخراسانية . والفالج : الضخم ذو السنامين . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة .

وقد قلنـا فى حالة البيض الـكثير التُّرابى وقلبِه إيَّاه بسفادٍ إلى الحيوانيّة[١] . وعلى [أنّ[٢]] الذى يَخصيه إنّما يُخرج له من بين الزِّمِكَّى[٣] ومِوضِع القطاة[٤] بيضَتين عظيمَتين معروفتين .

وأنا رأيتُ ديكا هِنديًّا تسنَّم دَجَاجَةً هِنديّة فلم يتمكَّنْ منها ، فرأيت نطفتَه حينَ مجَّها — وقد زَلِق عن ظهرها — على مَدَرة[٥] ، وكانت الدار مُثارَة[٦] لتُجعَل بُستانا ، فإذا تلك المجَّـة كالبَزْقة البيضاء ، فأخذها بعضُ مَن كان معنا فشمَّها حين رأى بياضَها وخُثورتها وكُدرتها ، ليعلم هل تناسب ريحُها ريحَ نُطفة الإنسـان ، ورِيحَ طَلع الفُحَّال ، فلم يجدْ ذلك .

ثمَّ معرفةَ الدِّيك باللَّيل وساعاته ، وارتفاقُ بنى آدم بمعرِفته وصوته: يعرفُ آناء الليل وعددَ السَّاعات ، ومقاديرَ الأوقات ، ثمَّ يقسِّط أصواتَه على ذلك تقسيطا موزُونا لا يُغادر منـه شيئاً . ثمَّ قد علمنا أنّ اللَّيل إذا كان خمسَ عشْرَةَ ساعَةً أنّه يقسِّط أصواتَه المعروفةَ بالعَدد عليها ، كما يقسطها والليل تسعُ ساعات ، ثمَّ يصنع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء

---

(١) انظر ج ٣ : ١٧٧ حيث يسميه الجاحظ بيض الريح .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الـكلام .

(٣) الزمكى ، بكسر الزاى والميم وتشديد الـكاف مقصوراً : أصل ذنب الطائر، أو منبته. وكتبت فى الأصل بالألف .

(٤) القطاة: مابين الوركين ، أو العجز .

(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحدته مدرة . وفى ط : « عن مذرة » وفى س : « عن مدرة » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أرضى مثارة : محروثة .

الحَصَص على حساب ذلك . فليعلم الحكماءُ أنّه فوقَ الأَسطُرْلاب[1] ، وفوق [مقدار[2]] الجزْر والمدِّ على منازل القمر ، وحتّى كأنَّ طبْعَه فَلَكٌ على حِدَة . فجمَعَ المعرفةَ العجيبةَ والرِّعاية العجيبة .

وربَّ معرفةٍ تكون نبيلةً وأخرى لا تكون فى طريق النَّبالة . وإنْ كانت المعارفُ كلُّها مفصَّلة مقدّرة ، إلاّ أنّها فى منازلَ ومراتب . وليس فى الأَرض معرفةٌ بدقيقٍ ولا جليل وهى فى نفسها شريفةٌ كريمةٌ .

والمعرفةُ كلُّها بَصر ، والجهْل كله عمًى ، والعمى كلُّه شَيْنٌ ونقص ، والاستبانة كلُّها خيرٌ وفضْل .

ثمّ له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا[3] المعنى منه .

ومن ذلك بُعدُ صوته ، وأنّه يدلُّ على أنّ موضعَه مأهُولٌ مأنوس ، ولذلك قالوا : لا يكون البُنْيان قريةً حتَّى يصقَع فيها ديك .

وليس فى الأَرض طائر أملح مِلْحاً[4] من فرُّوج ، وليس ذلك الاسم إلاّ لولد الديك ، وإلاّ فكلُّ شىءٍ يخرج من البيض فإنّما هو فرخ[5]

---

(١) الأسطرلاب أو الأصطرلاب : مقياس النجوم . وهو باليونانية « أصطرلابون » . وأصطر : وهو النجم ، ولابون هو المرآة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاقات فى هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر . وهذا اسم يونانى ، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف . مفاتيح العلوم ١٣٤ . قلت : وقد وقع صاحب القاموس فى هذا الوهم الذى نبه عليه الخوارزمى (مادة لوب) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٢٠) حيث نقل النويرى عن الجاحظ

(٣) فى الأصل : « لهذا » . يقال ارتفق بالأمر : انتفع به .

(٤) الملح هنا : بمعنى الملاحة .

(٥) فى الأصل « فروج » وهو تحريف يفسد المعنى . والوجه ما أثبت .

والفَرُّوج حين تنصدِع عنه البَيضة ، يخرج كاسباً عارفاً بموضع لقْط الحب وسدِّ الخَلّة ، وهو أصيَدُ للذُّباب من السُّودانىّ[١] ، ويدرُج مع الولادة بلا فَصْل .

و [هذا[٢]] مع ما أعطى من محبَّة النِّساء ، ورحمة الرجّال ، وحُسْن الرَّأى من جميع الدار[٣] ، ثم اتِّباعه لمن دَعَاه ، وإلفُه لمن قرَّبه . ثمّ ملاحةُ صوته وحُسن قَدِّه ، ثمَّ الذى فيه ممَّا يصحُّ له الفروج ويتفرَّج فيه[٤] . ٨٩

(قول جعفر بن سعيد فى تفضيل الديك على الطاوس)

وكان جعفر بن سعيد ، يزعم أنَّ الدِّيك أحمدُ من الطاوس ، وأنَّه مع جماله وانتصابه واعتداله وتَقلُّعه[٥] إذا مشى ، سَليمٌ من مقابح الطاوس [ومن مُوقه وقبح صورته[٦]] ، ومن تشاؤم أهل الدار [به ، و[٧]] من قُبح رجليه ، ونَذَالة مَرْآته[٨] . وزعم أنَّه لو ملك طاوساً لألبَسَ رجليه خفًّا .

---

(١) السودانى : طائر من فصيلة الزرازير .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى الديك .

(٣) كذا . ويصح أن تكون « من جميع من فى الدار » أو « من جميع أهل الدار » .

(٤) كذا .

(٥) تقلع فى مشيته : مشى كأنه ينحدر . وفى الحديث فى صفته صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا مشى تقلع » . وفى الأصل « تعلقه » بتقديم العين ولا وجه له . واعتمدت فى تصحيحها على نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٣٧٣ .

(٦) التكملة من ثمار القلوب ٣٧٣ . والموق ، بالضم : الحمق .

(٧) التكملة من ثمار القلوب .

(٨) المرآة ، بالفتح : المنظر .

وكان يقول : وإنَّما يُفخَر له بالتَّلاوين ، وبتلك التعاريج[١] والتهاويل التى لألوانِ ريشه . وربَّما رأيتَ الدِّيك النَّبَطىَّ وفيه شبيهٌ بذلك[٢] . ألاَ إنَّ الدِّيك أجملُ من التُّدْرُج[٣] ؛ لمكانِ الاعتدال والانتصاب والإشراف ، وأسلمُ من العيوب من الطاوس .

وكان يقول : ولو كان الطاوس أحسنَ من الدِّيك النَّبَطى فى تلاوين ريشه [فقط[٤]] لكان فضلُ الديك عليه بفضل القدِّ والخَرْط ، وبفضل حُسْن الانتصاب وجودة الإشراف [أكثرَ[٥]] مِن مقدارِ فضْل حُسنِ ألوانِهِ على ألوان الديك ، ولكانَ السليمُ من العيوب فى العينِ أجمل[٦] لاعتراض تلك الخصال القَبيحة على حسن الطاوس فى عينِ الناظر إليه . وأوَّل منازل الحمد السلامة من الذَّمِّ[٧] .

وكان يزعم أنَّ قول [الناس[٨]] : فلانٌ أحسن مِن الطاوس[٩] ، وما فلان إلاَّ طاوس[١٠] ، وأنَّ قولَ الشاعرِ :

---

(١) التعاريج : الخطوط الملتوية . وفى ثمار القلوب : « التفاريج » .
(٢) فى الثمار : « شبه بذلك » .
(٣) فى الثمار : « الدراج » . والتدرج : ضرب من الدراج ، وهو طائر شبيه بالحمام ، حسن الصوت مبارك ، كثير النتاج يبشر بالربيع .
(٤) الزيادة من ثمار القلوب . وجملة « فى تلاوين » هى فى الأصل « وتلاوين » وتصحيحها من الثمار .
(٥) الزيادة من الثمار .
(٦) فى الأصل : « ولكان السليم من العيوب فى العين ، والعين فيه أعمل » وأثبت ما فى الثمار .
(٧) فى الأصل : « الذنب » والوجه ما أثبت من الثمار .
(٨) الزيادة من الثمار .
(٩) فى الثمار : « فلانة أحسن من الطاوس » .
(١٠) فى الأصل : « إلا طاوسا » وليس له وجه ، إذ أن من شروط عمل ما الحجازية ألا ينتقض نفيها بإلا ، وهى على الصواب فى الثمار .

* جلودُها مثلُ طواوِيسِ الذَّهب[1] *

وأنّهم لمّـا سمّوا جيشَ ابن الأشعث[2] الطواويس لـكثرةِ مَن كان يجتمع فيه من الفِتيان المنعوتين بالجمال ، إنمـا[3] [قالوا ذلك[4]] لأنّ العامّة لاتبصر الجمال . ولَفَرسٌ رائعٌ كريم أحســنُ من [كلِّ[5]] طاوسٍ فى الأرض ، وكذلك الرَّجُل والمرأة . وإنمـا ذهبوا من حسنه إلى حسن ريشه فقط ، ولم يذهبوا إلى حسن تركيبه وتنصُّبه ، كحسن[6] البازى وانتصابه ، ولم يذهبوا إلى الأعضاء والجوارح ، وإلى الشِّيات[7] والهيئة ، والرأس والوجه الذى فيه .

وكان جعفر يقول : لمّـا لم يكنْ فى الطاوس إلاّ حسنُه فى ألوانه ، ولم يكن [فيه[8]] من المحاسن ما يزاحمُ ذلك ويجاذبُهُ وينازعه ويَشغل عنه — ذُكِرَ وتبيّنَ وظهر . وخصال الديك كثيرة ، وهى متكافئة فى الجمال . ونقول : لم يكن لعبد المطّلب فى قريش نظير ، كما أنّه ليس فى العرب لقريش نظير ، وكما أنّه ليس للعرب فى النَّاس نظير[9] ؛ وذلك حين لم تـكن فيه خصلةٌ أغلبَ من أختها ، وتـكاملت فيه وتساوت ، وتوافت إليه

---

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥٥) .

(٢) هو عبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الحجاج . انظر ثمار القلوب ٣٨٠ .

(٣) فى الأصل : « وأما » وتصحيحه من الثمار .

(٤) ليست بالأصل . وفى الثمار : « قال ذلك » .

(٥) الزيادة من الثمار .

(٦) فى الأصل : « لحسن » وتصحيحه من الثمار .

(٧) الشيات : جمع شية ، وهو اللون المخالف . وفى الأصل : « الثياب » .

(٨) كلمة يحتاج إليها القول .

(٩) ط : « ليس فى العرب للناس نظير » وتصحيحه من س .

فكان الطَّبع فى وزن المعرفة ، فقالوا عند ذلك : سيِّد الأبطح[1] وسيِّد الوادى ، وسيِّد قريش . وإذا قالوا سيِّد قريش فقد قالوا سيِّد العرب ، وإذا قالوا سيِّد العرب فقد قالوا سيِّد الناس . ٩٠

ولو كان مثل الأحنف الذى برع فى حلمه وبرَع فى سائر خصاله لذكروه[2] بالحلم ؛ ولذلك ذكر قَيس بن زُهير فى الدَّهاء ، والحارث بن ظالم فى الوفاء، وعتيبة بن الحارث فى النَّجدة والثّقافة .

ولو أنّ الأَحنَفَ بن قيس رأى حاجبَ بن زُرارة، أو زُرارة بن عُدَس ، أو حِصْن بن حذيفة، لقدَّمهم على نفسه . وهؤلاء عيونُ أهلِ الوبر لايُذكَرون بشىءٍ دونَ شىءٍ ، لاستواءِ خِصال الخير فيهم .

وفى منحول شعر النابغة :

فألفيتُ الأَمانة لم تَخُنْها كذلك كانَ نوحٌ لا يَخُونُ

وليس لهذا الكلام وجهٌ ، وإنَّما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخون ، وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام ؛ وهم وَإن لم يكونوا فى حالٍ من الحالات أصحابَ خِيانةٍ وَلا تجوزُ عليهم ، فإنّ النَّاسَ إنَّما يضربون المثلَ بالشىء النادر من فِعل الرجال ومن سائر أمورهم ، كما قالوا : عيسى ابن مريم رُوح الله ، وموسى كليم الله ، وإبراهيمُ خليلُ الرحمن ، صلى الله عليهم وسلم .

ولو ذكر ذاكرٌ الصبرَ على البلاءِ فقَال : كذلك كان أيُّوب لا يجزع

---

(١) س : « الأباطح » .

(٢) فى الأصل : « لذكره » .

كان قولاً صحيحاً . ولو [قال[1]] : كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع
لم تكن الكلمةُ أعطِيت حقَّها .

ولو ذكر الاحتمال[2] وتجرُّع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية
لا يسفهُ ، وكان حاتم[3] لا يفحُش ، لكان كلاماً مصروفاً عن جهته .
ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخَل لكان ذلك كلاماً معروفاً ،
ولكان القول قد وقع موقعَه ، وإن كان حاتمٌ لا يُعرَف بقلّة الاحتمال
وبالتَّسَرُّع إلى المكافأة .

ولو قال : سألتك فمنعتنى وقد كان الشَّعبىُّ لا يمنع ، وكان النَّخعِىُّ
لا يقول « لا » ، لكان غيرَ محمودٍ فى جهة البيان ، وإن كان مِمَّن يُعطِى
ويختار « نعم » على « لا » . ولكنْ لمَّا لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما
لم تُصرَف الأمثال إليهما ، ولم تضرب بهما .

قال جعفر : وكذلك القول فى الديك وجمالِه ؛ لكثرة خصاله ، وتوازُن
خلاله ، ولأنَّ جمال الديك لا يلهَج بذكره إلاَّ البُصراء بمقادير الجمال والتوسُّطِ
فى ذلك ، والاختلاط والقصد ، وما[4] يكون ممزوجا [وما يكون[5]]
خالصاً . وحُسن الطاوس حسنٌ لا تعرف العوامُّ غيرَه ، فلذلك
لهِجت بذكره .

---

(١) زدتها ليستقيم الكلام .
(٢) فى الأصل : « الاحتيال » ، والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « الأحنف » ، والكلام يقتضى ما أثبت .
(٤) فى الأصل : « وما » .
(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ومن الدَّجاج الخِلاسىُّ[١] والهندىّ ، ومن الدَّجاج الزِّنجى[٢] ومنها الكَسْكَرِىّ[٣] ، ومن الدِّيَكة ما يُخصَى فلا يبلغه فى الطِّيب والسِّمن شىء وإن اشتدَّ لحمه . وإن كان غير خَصىٍّ فقد يُمدح ذلك من وجهٍ هو ٩١ أردُّ عليه فى باب الفخر[٤] ، من رَخاوة اللَّحم واستطابة الأكل . وعلى أنَّه لو كان أدناه من بعضِ سباع الطَّير ، أو عدا خَلْفَه إنسانٌ ، فكان يريد أخْذَه حتَّى إذَ فسخه البهر ارتدَّ فى موضعه لا يبرحُه ، ثم ذبحه على المكان ، لجَمَع به الخصالَ كلَّها .

ولو علِّقَ فى عنقه حَجَرٌ ليلتَه بعد أنْ ذبحه ، أو أولج بطنَه شيئاً من حلْتيت[٥] لجَمَع بهِ الخصال ؛ فإنّه أعْمَلُ فيه من البُورَق[٦] وقشورِ البِطّيخ فى اللحم المفصّل[٧] .

وهو بعدُ غيورٌ يحمى دَجاجَه[٨] . وقال الرّاجز :

* يغارُ والغَيرةُ خُلْقٌ فى الذَّكَرْ *

---

(١) الخلاسى ، بالكسر : ما تولد بين الهندى والنبطى . كتاب البغال ص ٢٩٨ .

(٢) س « الزنجرى » !

(٣) الكسكرى منسوب إلى كسكر ، قال ياقوت : « كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية ، لأنها تكثر بها جداً ، رأيتها أنا تباع فيها أربعة وعشرون فروجا كباراً بدرهم واحد » . وقال الثعالبى فى الثمار ٤٢٦ : « كسكر إحدى كور السواد من ريف دجلة والفرات ، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن ، ومذكور فى أطايب الأطعمة . وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل » . وهى فى الأصل : « الكسركرى » تحريف ما أثبت .

(٤) أرد : أنفع . وفى الأصل : « رد علية من باب الفخر ومن رخاوة اللحم » .

(٥) قال داود : « هو صمغ الأنجدان » .

(٦) فى الأصل « فإنه من أعمل فيه البورق » ! والبورق : النطرون ، أو النطرون ضرب من ضروب البورق .

(٧) المفصل : المقطع . وفى الأصل : « المفضل » وهو تصحيف .

(٨) ط « دجاجته » وأثبت ما فى س .

وقال الآخر :

* الفحل يَحْمِى شَوْلَهُ مَعْقُولا[(١)] *

(لحم الدجاج)

ولحمُ الدَّجاج فوق جميع اللُّحمان فى الطِّيب والبياض ، وفى الحسن . والملوك تقدِّمه على جميع الفراخ والنواهض[(٢)] ، والبطِّ ، والدُّرَّاج ، وهم للدُّرّاج آكَلُ منهم للجِداء الرُّضَّع ، وللعُنُق الحُمر[(٣)] من أولاد الصَّفايا .

والدَّجاجُ أكثر اللُّحوم تصرُّفاً ، لأنَّها تطيب شِواءً ، ثم حارًّا وبارداً ، ثمَّ تطيب فى البَزْمَاوَرْد[(٤)] ، ثم تطيب فى الهرائِس[(٥)] ،

---

(١) الشول : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، أو ثمانية ، والواحدة شائلة ، والشول جمع على غير قياس . يريد أن الحر يحتمل الأمر الجليل فى حفظ حرمه وإن كانت به علة . أمثال الميدانى (٢ : ١٦) .

(٢) النواهض : جمع ناهض ، وهو فرخ الطائر الذى وفر جناحه وتهيأ للطيران ، وتعرف فى لغة عامة مصر بالزغاليل .

(٣) العنق : جمع عناق بالفتح ، وهى الأنثى من أولاد المعز . انظر الحيوان (١ : ٢٣٣) .

(٤) فى القاموس « الزماورد بالضم : طعام من البيض واللحم ، معرب ، والعامة يقولون بزماورد ، وفى التاج : « وقوله بزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم . قال شيخنا : وفى كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضى . ولقمة الخليفة ، ويسمى بخراسان نواله ، ويسمى نرجس المائدة وميسر ومهنا » قلت : يبدو أن هذا الاسم تنقل بين هذه المسميات ، فضاع أصل مسماه . وانظر ما سيأتى فى ٦ : ٩١ .

(٥) الهرائس : جمع هريسة ، وهى طعام يتخذ من الحنطة واللحم ، وأجوده المتخذ من الحنطة النقية المقشورة ولحم الدجاج . وصنعتها أن يغلى اللحم حتى تنزع رغوته ثم يرمى معه كنصفه من الحنطة ، أو أقل ، والماء مثلاهما ، وتغلى مكشوفة حتى يذوب ما فى اللحم من الدهن فينزع ، ويقوم الملح ، وتفوه بنحو الدارصينى والقرنفل وتسد بالعجين إلى نحو عشر ساعات ثم ترفع وتضرب وتسقى دهنها المنزوع أولا . تذكرة داود ١ : ٣٤٣ . وهى فى ط « الهرائيس » وأثبتها ما فى س . وانظر الأشعار والأخبار التى وردت فيها بالمحاضرات (١ : ١٩٣) .

ويحدث لَهَا به نفحةٌ لا تُصاب مع غيرها ، وتَطيب طبيخاً ، وتَطيب فُصوصها ، وإنْ قطَّعتَها مع اللحم دَسِمَ ذلك اللحم . وتصلح للحَشاوى ، وللملاقسطى [١] ، وتصلح فى الاسفرجَات [٢] وسمينُها يقدَّم فى السِّكباجة [٣] على البطّ ، إلاّ أنها تُطْعَمُ المَفْصُودَ [٤] وليس ذلك للبطّ .

(لفظ : الدجاج)

قال : والدِّيَكة دَجَاج إذا ذكرت فى جملة الجنس ، وهـذا الباب ممَّا تغلَّب فيه الإناث على الذُّكورة . وقال آخرون : لا ، ولكنَّ الدِّيكَ نفسه دَجَاجة ، إلاَّ أنَّهم أرادوا إبانَته بانَّه ذكرٌ فقالوا : ديك ، كما يسمُّون الذَّكر والأنثى فرساً بلا هاء ، فإذا أرادوا أن يُثبتوا إناثَها قالوا حِجْر ، وإن كانت حِجْراً فهى فرس . وقال الأخطل :

نازعْتُه فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجَاجُ وحانتْ وَقْفةُ السَّارِى [٥]

---

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعلها « الأسفيذباجات » . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٣٢ .

(٣) يقال للسكباج الخلية والمخللة والصفصافة . ويبدو أنه اللحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف إليه أحيانا الزعفران والسذاب . انظر المحاضرات (١ : ٢٩٢) .

(٤) أى يصح للمفصود أن يأكل منها ، بخلاف البط ، فإنه كما قال داود فى تذكرته ١ : ٨١ « يولد دما كثيرا » . وفى الأصل: « المقصود » وأصلحته بما ترى.

(٥) السارى : الذى يسير ليلا . وإنما تحين وقفته للراحة من آخر الليل إذا اقترب الفجر . والدجاج يطلق على المذكر والمؤنث ، وقد أراد الأخطل به هنا الديكة والتاء فى الدجاجـة ليست للتأنيث ، بل هى للإفراد من الجنس . انظر اللسان (دجج) وشرح شواهد المغنى ٦١ .

وقد بيَّن ذلك القرشيُّ[١] حيث يقول :

اطرُدوا الدِّيكَ عن ذُؤابةِ زيـدٍ   كانَ مَا كانَ لاتطأهُ الدَّجَاجُ[٢]

وذلك أنّه كان رأى رأسَ زيدِ بن على[٣] فى دار يوسفَ بن عمر[٤] ، فجاء ديكٌ فوطئ شعْرَه ونقَره فى لحمه ليأكله .

(حوار فى صياح الديكة)

قالوا : قد أخطأ مَن زعم أنّ الدِّيـكة إنّما تتجاوب ، بل إنّما ذلك منها شيءٌ يتوافق فى وقت ، وليس ذلك بتجاوُبٍ كنباح[٥] الـكلاب ؛ ٩٢ لأنّ الـكلبَ لاوقتَ له ، وإنّما هو صامتٌ ساكت مالم يحسَّ بشيء يفزَع منه ، فإذا أحسَّ به نبَح ، وإذا سمع نُباح كلبٍ آخر أجَابَ ثم

---

(١) هو قرشى وشيعى . انظر الـكامل . ٧١ ليبسك .

(٢) الرواية فى الـكامل : « طالما كان لا تطأه الدجاج » .

(٣) فى الأصل: « زيد بن عمر » وهو خطأ صوابه ما أثبت من الـكامل ، ومعجم البلدان (كناسة) ، وهو زيد بن على بن الحسين ،وكان خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالـكناسة ــ هى موضع بالـكوفة ــ عريانا . . وكان زيد يلقب بالمهدى . فقال شاعر أموى (انظر الـكامل) :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة   ولم نر مهديا على الجذع يصلب

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى (أمير العراق قبله) ، وأقام بالـكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه ، وحبسه فى دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧. ابن خلـكان (٢ : ٣٦٠ – ٣٦٥) . ويوسف هذا هو ابن ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم

(٥) فى الأصل : « بتجاوب نباح » .

أجابَ ذلكَ آخرُ ، ثمَّ أجابهما الكلبُ الأوَّلُ ، وتبيَّن أنّه المجاوِب جميع الكلاب . والدِّيك ليس إذًا من أجْل أنّه أنكر شيئاً استجاب[١] ، أو سمع صوتاً صقع[٢] ، وإنَّما يصقع[٣] لشيءٍ فى طبعه ، إذا قابل ذلك الوقتَ من اللَّيل هيَّجَه . فعَدَدُ أصواتِهِ فى الوقتِ الذى يُظَنُّ أنّه تتجاوبُ فيه الدِّيكة ، كعدَدِ أصواتِهِ فى القريةِ وليس فى القريَةِ ديكٌ غيره ، وذلك هو فى المواقيت . والعلَّةُ التى لها يصقَع فى وقتٍ بعينه شائعةٌ فيها فى ذلك الوقت . وليس كذلك الكلاب ! قد تنبح الكلاب فى الخُرَيْبة[٤] وكلابٌ فى بنى سعد غير نابحة ، وليس يجوز أن تكون دِيَكة المهالبة تصقع[٥] ، وديكة المسامِعة ساكتة[٦] .

فإنْ أراد مريدٌ بقوله إنّ الدِّيكة تتجاوب ، على مثل قول العرب : هذه الجبال تتناظَر ، إذا كان بعضُها قُبالة بعضٍ ، وإذا كان الجبلُ من صاحبه بالمكان الذى لو كان إنسانٌ رآه — جَاز ذلك . وعلى هذا المثال قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى نارِ المشركين ماقال ، حيث قال : « لاتَتَرَاءَى نارَاهما[٧] » ، ومع قول الشاعر :

---

(١) فى الأصل : « ليس من أجل أنه أنكر شيئا إذا استجاب » .
(٢) فى الأصل : « صفع » وإنما هى « صقع » بمعنى صاح .
(٣) فى الأصل : « يصفع » .
(٤) الخريبة ، بهيئة التصغير : موضع بالبصرة .
(٥) فى الأصل : « تصفع » .
(٦) المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بنى مسمع بن شهاب بن عمرو . معجم البلدان فلعل « المهالبة » أيضاً محلة أخرى بها منسوبة إلى بنى المهلب بن أبى صفرة .
(٧) الرواية فى اللسان والنهاية وأمثال الميدانى (٢ : ١٦٢) : « لاتراءى » بإسقاطه إحدى التاءين . قال الميدانى : « يعنى نارى المسلم والمشرك ، أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه ، فجعل الرؤية للنار ، والمعنى أن تدنو هذه من هذه . وأراد : لاتتراءى ، فحذف إحدى التاءين . وهو نفى يراد به النهى » .

* لاتتراءى قبورهما[1] *

وقال ابن مُقْبِلٍ العَجْلَانىّ[2] :

سَـلِ الدّار من جنْبَى حِبِرٍّ فَواهـبٍ
وحيثُ يَرَى هَضبَ القَليبِ المضَيَّحُ[3]

وتقول العرب : إذا كنتَ بمكان كذا وكذا ، حيثُ ينظُر إليك الجبُل فخُذْ عَن يسارِك أو عن يمينك .

وقال الرَّاجز :

* وكما يرى شَيْخ الجبالِ ثَبِيرا[4] *

وشيخ الجبال عنده أبو قبيس .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار : « أنا برىءٌ من كلِّ مسلمٍ مع كلِّ مشرك » . قيل : ولِمَ يارسولَ الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهُما » .

---

(١) كذا . ولعلها « لاتراءى قبورهما » .

(٢) فى الأصل : « ابن مقبر العجلانى » ، وصوابه « ابن مقبل » . وهو تميم بن مقبل ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان ، كما فى الإصابة ٨٥٨ ، أو هو تميم ابن أبى مقبل . . . الخ كما فى الخزانة (١ : ٣١٤ سلفية) . أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم ، وله خبر مشهور مع عمر بن الخطاب فى استعدائه على النجاشى الشاعر . الإصابة والخزانة والعمدة (١ : ٢٧) .

(٣) فى الأصل : « جبير » موضع « حبر » ، وتصحيحه من اللسان (رأى) ومعجم البلدان (حبر) و (واهب) . وكلمة « فواهب » هى فى الأصل « فراهب » وتصحيحه من المعجم فى الموضعين . و « يرى » هى فى الأصل « ترى » مصحفة. و « المضيح » هى فى الأصل « المصبح » كما فى اللسان محرفة . والصواب ما أثبت من المعجم فى موضعيه . وحبر ، وواهب ، والمضيح : أمكنة متقاربة فى ديار بنى سليم . ويرى المضيح هضب القليب ، أى يقابله .

(٤) فى الأصل : « وكما ترى » ، والوجه ما أثبت .

وقال الكسائىّ : تقول العرب : دارى تنظُر إلى دار فلان ، ودورنا تتناظر . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

وإنّما قال القوم فى تجاوُب الدِّيكة ببيتِ شعرٍ سمعوه للطِّرِمَّاح ، جهلوا معناه ، وهو :

فياصُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللّيلِ مُصْعِدًا ... بِبَمٍّ ونَبِّهْ ذَا العِفاءِ الموَشَّحِ[١]

إذا صاحَ لم يُخذَل وجَاوبَ صوتَه ... حِمَاشُ الشَّوى يَصْدَحن من كلِّ مَصْدَحِ[٢]

٩٣ وكذلك غلِطوا فى قول عَبْدة بن الطَّبيب[٣] :

إذ صفّق الدِّيك يدعو بعضَ أسرتِه ... إلى الصَّباح وهم قوم معازيل[٤]

وإنّما أرادَ تَوافىَ ذلك منها معًا ، فجعلها دعاء وتجاوبا على مافسرناه.

---

(١) كمش : أسرع وعجل . وغبر الليل : بقيته . وبم : أرض من كرمان . وذو العفاء : الديك . والعفاء ، بالكسر : ما كثر من الوبر والريش ، الواحدة عفاءة . وفى اللسان : « وديك موشح : إذا كان له خطتان كالوشاح » وأنشد عجز هذا البيت . فبذلك يكون جر « الموشح » على المجاورة . وأنا أراه وصفا للعفاء ، كما يوصف الثوب فيقال : ثوب موشح : إذا كان فيه وشى . حكاه ابن سيده عن اللحيانى، كما فى اللسان . والبيت فى الأصل محرف، فصدره فى ط ، س: « فياصبح كهش عبر الليل مصعدا » وعجزه فى ط: « ينم وينها كالعفاء » و س: « ينم وينه كالعفاء » وتصحيحه من ديوان الطرماح ٦٩ واللسان .

(٢) حماش الشوى : دقاق الأرجل ، وعنى بهن الديكة . وفى س : « يصدحن منهن مصلح » وهو تحريف .

(٣) ط: « عبد الله بن الطيب » س : « عبادة بن الطيب » وهما تحريف ما أثبت . والبيت الآتى من قصيدة له مفضلية ، مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصولى ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

انظر المفضليات ١٤٣ .

(٤) قد جعل للديك أسرة ، والأسرة للناس . وأراد بقوله « وهم قوم » جماعة الدجاج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر اللسان (عزل) .

(تفضيل صاحب الكلب الحمار على الديك)

قال صاحب الكلب : لولا أنّا وجدنا الحمار المضروبَ به المثلُ فى الجهل ، يقومُ فى الصَّباح وفى ساعات اللّيل مقامَ الدّيكة ، لقد كان ذلك قولاً ومذْهبًا غيرَ مَرْدُود . ولو أنَّ متفقدًا يتفقَّد ذلك من الحمار لوجدَه منظومًا يتبع بعضُه بعضاً على عددٍ معلوم ؛ ولوجَدَ ذلك مقسوماً على ساعات الليل ، ولكان لقائلٍ أن يقول فى نهيق الحمار فى ذلك الوقت : ليس على تجاوبٍ ، إنَّما ذلك شيء يتوافق معاً ، لاستواء العلة ، ولم تكن للدِّيك الموصوفِ بأنّه فوق الأَسْطَرلاب فضيلةٌ ليست للحمار .

وعلى أنّ الحمار أبعدُ صوتاً ، وقد بلغ من شدَّة صوتِه ما إن حلَفَ أحمدُ بن عبد العزيز : إنّ الحمار ماينام ! قيل له : وما ذاك ؟ قال : لأَنِّى أجدُ صياحَه ليس بصياح شيءٍ انتبه تلك الساعة ، ولا هو صياحُ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ! .

هذا والحمارُ هو الذى ضَرب به القرآنُ المثلَ فى بُعد الصوت ، وضَرب به المثلَ فى الجهْل ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ . فلو كان شيءٌ من الحيوان أجهلَ بما فى بطون الأسفار مِن الحمار ، لضرَب الله المثلَ به دونَه .

(عشرة أمثال فى شأن الحمار)

وعلى أنّ فيه من الخصال ماليس فى الديك ، وذلك أنّ العربَ وضعته من الأمثال التى هى له فى عشرة أماكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلُّ الصَّيْدِ فى جوْفِ الفَرَا »[١] وكفاك بِهِ مثلاً إذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفضيل هدايةِ أبى سفيان .

وقالت العرب : « أنْـكَحُ من الفَرَأ » . والفَرَأُ مهموز مفتوحة الفاء مجموعُهُ فِرَاءٌ[٢] ، قال الشاعر[٣] :

بِضَرْبٍ كآذانِ الفِرَاءِ فُضُولُه وطَعْنٍ كإيزاغ المخَاضِ تَبُورُها[٤]

وتقول العرب : « العَيْرُ أوْقَى لِدَمِهِ[٥] » . وقولهم : « مَنْ يَنِكِ العَيْرَ يَنِك نَيَّاكاً[٦] » . وقالوا : « الجحْشَ إذا فاتَتْكَ الأعيار[٧] » وقالوا :

---

(١) الفرا بالفتح ، يقصر ويهمز ويمد ، هو الحمار الوحشى . والحديث مثل تمثل به رسول الله . وانظر أصل المثل فى الميدانى (٢ : ٧٤) . والسبب فى هذا الحديث أن أبا سفيان استأذن النبى فحجبه ثم أذن له فقال له : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين » – وكان قد أدخل غيره من الناس قبله – فقال « ياأبا سفيان أنت كما قال القائل : « كل الصيد فى جوف الفرا » أراد أن يقول له إنه فى الناس كحمار الوحش فى الصيد ، كلها دونه ، يتألفه بذلك على الإسلام . وقال أبو العباس المبرد : معناه إذا حجبك قنع كل محجوب ورضى ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره . اللسان (فرأ) وكذا ابن الأثير فى النهاية . وانظر كامل المبرد ١٨١ ليبسك والدميرى (فرأ) .

(٢) فى الأصل : « مجموعة فراء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو مالك بن زغبة الباهلى كما فى اللسان (فرأ ، بور). وانظر ٦ : ٤١٢ .

(٤) س : « كايزاغ المخاض بواعا » ، ط : « كايزاع المخاض النوازع » . وكلاهما محرف وتصحيح البيت من اللسان (فرأ) و (بور) والكامل ١٨١ ليبسك والمعانى (٢ : ٧٣) . يقول : إن ضربه لخصمه يترك لحمه معلقا يتحرك ، من شدة تمزقه . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها . تبورها : تختبرها ، تعرضها على الفحل لتنظر ألاقح هى أم حامل ، وهى إذا كانت حاملا بالت فى وجه الفحل .

(٥) يضرب للموصوف بالحذر ، وذلك أنه ليس شىء من الصيد يحذر حذر العير إذا طلب . وفى الأصل : « أوفى » بالفاء . والوجه ما كتبت من أمثال الميدانى (١ : ٤٢٠) . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٩٥) .

(٦) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٢) . وانظر الحيوان (٣ : ٤١) .

(٧) الجحش نصب بفعل مضمر ، أى اطلب الجحش ، وهو ولد الحمار قبل أن يفطم . =

« أصبرُ من عَيرِ أبي سيَّارة »[1] ؛ لأنّه كان دفعَ بأهْلِ الموسم على ذلك الحمار أربعينَ عامًا .

وقالوا : « إن ذَهَب عيرٌ فعَيْرٌ في الرِّباط »[2] . وقالوا في المديح لصاحب الرأى : « جُحَيش وَحْدِهِ » ، و « عُيَير وحده »[3] ، و « العَيْرُ يَضْرِط والمِكواةُ في النَّار »[4] ؛ وقالوا : « حمارٌ يحمل أسفارًا »[5] ، و « أضلُّ من حمارِ أهله »[6] ، و « أخزى الله الحمارَ مالاً لا يُزَكَّىَّ ولا يُذَكَّى »[7] ، و « قد حِيلَ بين العَيْر والنَّزَوان »[8] .

٩٤

= والمثل يضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته ، فيقال له اطلب ما دون ذلك . اللسان (جحش) والميداني (١ : ١٤٩ - ١٥٠) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(١) انظر الحيوان (١ : ١٣٩) .

(٢) الرباط : حبالة الصائد ، يقال للصائد : إن ذهب عير فلم يعلق في الحبالة فاقتصر على ماعلق . يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب . الميداني (١ : ٢٣) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(٣) يضربان لمن يعتزل الناس ويستبد برأيه . اللسان (جحش) والميداني (١ : ٤٢١)

(٤) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٣٧) بلفظ : « قد يضرط العير والمكواة في النار » .

(٥) مثل قرآني ، والأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . وأصله قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، يعني اليهود في تركهم استعمال التوراة وما فيها . والحمار يحمل الكتب وهو لايعرف ما فيها ولا يعيها . يضرب مثلا للذى يحوز الشيء الجليل ولا يستطيع الانتفاع به ، أو لمن يعلم ولا يعمل بعلمه .

(٦) لم أهتد إلى مرجع لهذا المثل وانظر (١ : ٢٢١) .

(٧) لايزكى : لاتجب فيه الزكاة ، فإن الحمير والبغال والحملان والفصلان والعجاجيل لاتجب فيها الزكاة . ولا يذكى : من التذكية ، وهي الذبح ؛ فإن الحمار مما لايحل أكله في أصح الأقوال . وهذا المثل في الدميرى (١ : ٣٧٣) بلفظ : « شر المال ما لا يذكى ولا يزكى » قال الدميرى : « أشاروا بذلك إلى الحمار »

(٨) قالوا : أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد كان طعن في =

فالذى مُدح به أكثر ؛ فقد وجدنا الحمار أبعدَ صوتاً ، ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميِّز عددًا معــلومًا إلى الصبح ، إلاّ أنّ له فى الأسحار فضيلة .

والحمارُ أجهلُ الخلق ، فليس ينبغى للدِّيك أن يُقضَى له بالمعرفة والحمار قد ساواه فى يَسِير[1] علمه ، ثم بايَنَه أنّ الحمار أحسنُ هداية . والدِّيك إن سقط على حائط جارِه لم يُحسن أن يهتدى إلى داره ، وإن خرج مِن باب الدار ضلَّ ، وضلالُه من أسفل كضلالِه من فَوق .

(ما روى صاحب الديك من أحاديث فى الديك)

قال صاحب الديك : حدَّثونا عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، قال : « صرخَ ديكٌ عندَ النبى صلى الله عليه وسلم فسبَّه بعضُ أصحابه ، فقال : لا تَسبَّهُ فإنّه يدعُو إلى الصلاة » .

وعن ابن الماجِشُونِ ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن يزيد بن خالد الجُهنى : « أنّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن سبِّ الديك وقال : إنّه يؤذِّن للصَّلاَة » .

= غزوة فرض حولا ، فلته زوجه وبرمت به ، وأظهرت غدراً ، حتى لقد هم بقتلها ، وطلب السيف ليقطعها فإذا يده لا تقله ، فقال فى ذلك منوها بىر أمه (الميدانى ٢ : ٣٨) والكامل ٧٤٦ ليبسك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

(١) فى ط : « سيد » وتصحيحه من س .

الحسن بن عمارة ، عن عمرو بن مرَّة ، وعن سالم بن أبي الجعد[١] ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مِمّا خلق الله تعالى لَدِيكاً عُرْفُه تحتَ العرش وبَرَاثِنُهُ فى الأرض السُّفلى ، وجَناحاه فى الهواءِ[٢] ، فإذا ذهب ثُلثا الليل وبقي ثلثُه ضربَ بجناحه ثم قال : سبِّحوا الملِكَ القُدُّوس ، سُبُّوح قُدُّوس — أىْ أَنَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ — فعند ذلك تضرِب الطَّيرُ بأجنحتها وتصيحُ الدِّيَكة» .

وأبو العلاء عن كَعب : « إنَّ لِلّهِ تَعالَى دِيكاً عُنُقُهُ تَحْتَ العرش ، وبراثنهُ فى أسفل الأرَضين ، فإذا صاحت الدِّيكةُ يقول : سبحانَ الملِكِ القُدُّوس الملِكِ الرَّحمٰن ، لا إله غيره » . قال : والدِّيَكة أكيسُ شيءٍ

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ الدِّيكَ الأبيضَ صديقى ، وعدوٌّ عدوِّ الله ، يحرس دارَ صاحبِهِ وسبعَ دُور » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيِّته معه فى البيت .

ورُوى أنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالدِّيكة .

(ذبح الديك الأفرق)

وزعم أصحابُ التَّجربةِ أنَّه كثيراً ما يَرون الرَّجلَ إذا ذبح الدِّيك الأبيضَ الأفرق[٣] ، أنّه لا يزال يُنْكَب فى أهله وماله .

---

(١) فى الأصل : « سالم مولى أبي الجعد » ، صوابه فى تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠.

(٢) فى الأصل : « الهوى » .

(٣) الأفرق : المفروق العرف .

(كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً)

ومما فى المحاجاة أن يقال : كيف تعرف الدِّيك من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرجُ من البيضة ؟ فقالوا : يعلّق بمنقاره ، فإنْ تحرَّكَ فهو ديك وإن لم يتحرَّك فهو دجاَجة .

(بعض ما قيل من الشعر فى حسن الدجاجة ونبل الديك)

قال الشاعر [1] فى حُسن الدَّجاجة ونَبل الديك :

٩٥ غَدَوْتُ بشَربةٍ من ذاتِ عِرْقٍ ... أبا الدَّهناء من حَلَبِ العصير [2]

وأُخرى بالعقَنْقَل ثم رُحنا ... نرى العُصفورَ أعظمَ من بَعير

كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُمير ... أميرُ المؤمنين على السَّرير [3]

كأنَّ دجاَجَهم فى الدَّار رُقطاً ... بناتُ الرُّوم فى قُمُصِ الحرير [4]

فبتُّ أُرَى الكواكبَ دانياتٍ ... يَنَلنَ أناملَ الرَّجُلِ القَصِير [5]

أُدافعُهنَّ بالكفَّينِ عنِّى ... وأمسح جانبَ القمر المنير [6]

(١) انظر الشعر فى هذا الجزء ص ٣٥٦ وديوان المعانى (١ : ٣٣٠) ، و (٢ : ١٣٦) ونثار الأزهار ٩٧ ، ونهاية الأرب (١٠ : ٢٢٧) وحماسة ابن الشجرى (٢٧٨) والعقد (٦ : ٣٤٧ لجنة التأليف) .

(٢) ذات عرق : هو الحد بين نجد وتهامة . والحلب : الشراب .

(٣) السرير هنا : عرش الخلافة ، أو هو الملك والإمارة .

(٤) الرقط : جمع رقطاء ، وهى ذات اللون الأسود يشوبه نقط بيض أو العكس . ورواية النهاية والنثار : « وفود الروم » .

(٥) أرادتنا لهن أنامل الرجل القصير ، فى الكلام قلب . انظر الصاحبى ١٧٣ .

(٦) الرواية فى ديوان المعانى : « وأمسح عارض القمر المنير » .

(طعن صاحب الكلب فى الديك)

وقال صاحب الكلب : الأشياءُ التى تألفُ الناس لا تريد سواهم كالعصفور والخطّاف والكلب والسّنورِ . والدِّيكُ ممّا يتّخذه الناس ، وليس ممّا يحنُّ إليهم فيقطَع البلادَ نزاعًا ، فيكون كالقواطع من الطير التى تريدهم كالخطّاف ، ولا هو من الأوابد كالعصفور الذى حيثُما دار رجع إليهم ، ولا هو كالكلب الذى [لا[1]] يعرف سواهم ، ولا هو كالأهلىِّ من السنانير التى متى ألفِتهم لم تفارقْهم ، وتعُسُّ باللّيل ، وتطوف فى القبائل من دار إلى دار ثمَّ لا يكون مرجعُها إلاَّ إليهم . والدِّيك فى خلافِ ذلك كلِّه ، ثمّ لا يألف منزله ولا يعرف رَبْعه ، ثم لا يحنُّ إلى دجاجهِ ، ثمَّ لا تتوق نفسُه إلى طَروقته[2] ، ولا يشتاق إلى ولده ، ولا يعرفُ الذين غذَوه وربَّوه ، بل لم يدر قطُّ أنَّ له ولدًا ، ولو كان درَى لكان على درايته دليل ، فإذْ قدْ وجدناهُ لفراريجه وبيضِه المخلوقة منه ومِنْ نجْلِه ، كما نجده لما لم يلدْ ولما ليس مِن شكله أيضًا ولا يرجعُ إلى نسبه ، فكيف لا نقضى عليه بالنَّقص ، إذ كانت الأمور لا تعرف إلاَّ بهذا وشبهه ! ! .

وهو لا يعرف أهلَ دارِه ، ولا يُثبت وجهَ صاحبه الذى لم يُخْلقْ إلاَّ عندَه ، وفى ظلِّه وتحتَ جناحه ، ولم يزلْ فى رزقه وعِياله . والحمام ترجع إليه من مائتى فرسخ ، ويُصطاد فيتحوَّل عن وطنه عشْرَ حِجَج ، ثمَّ هو

---

(١) التكملة من س .
(٢) طروقته : أنثاه .

على ثباتِ عهده وقوّةِ عقْده ، وعلى حِفاظه وإلفه ، والنِّزاع إلى وطنه . فإن[١] وجد فُرجة ووافق جناحَه وافيًا وافاه وصار إليه ، وإن كان جناحُه مقصوصاً جَدَف[٢] إلى أهله ، وتكلّف المضىَّ إلى سكَنه ، فإمّا بَلَغ وإمّا أعْذَر[٣] .

والخُطّاف يقطع إليهم من حيث لا يبلغه خبر ، ولا يطؤه صاحب سفر ؛ على أنّا لا نراه يتّخذ وكرَه إذا صار إليهم إلاّ فى أحصَنِ موضع ، ٩٦ ولا يحمله الأُنْس بهم على ترك التّحرُّز منهم ، والحزمِ فى مُلابَستهم ، ولا يحمله الخوفُ منهم على منْع نفسه لذّةَ السُّكونِ إليهم ، ولا يبخس الارتفاق بهم حظّه .

والعصافير لا تقيم فى دار إلاّ وهى مسكونة ، فإن هجرها الناسُ لم تُقِمْ فيها العصافير .

(قول صاحب الكلب فى السنّور والهرة)

والسِّنَّور يعرف ربّةَ المنزل ، ويألف فرخَ الحمام ، ويُعابِث فراريج الدار . إن سُرق ورُبط شهراً عاد عند انفلاته ، وانحلال رباطه .

والهِرَّةُ تعرف ولدَها وإن صار مثلَها ، وإن أُطعِمت شيئاً حملته إليه وآثرته به . وربّما أُلقى إليها الشىءُ فتدنو لتأكلَه ، ويُقبلُ ولدها فتُمسِك

---

(١) س : « فتى » .

(٢) جدف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجدافاه : جناحاه . وفى الأصل : « حذف » وهو تصحيف . وانظر الحيوان (٣ : ٢٢٩).

(٣) أى كان له عذر فى عدم استطاعته الوصول .

عنه ، وترضُّه له . وربّما طُرح لها الشيءُ وولدها غائبٌ عنها — ولها ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكالٌ من الصِّياح — فتَصيح ضرباً من الصِّياح يعرفُ أهلُ الدّارِ أنّه صياحُ الدُّعاء لا غير ذلك . ويقال : « أبرُّ مِنْ هِرَّة[1] » .

ومتى أرادتْ ما يريدُ صاحبُ الغائط ، أتت مواضعَ ترابٍ فى زاويةٍ من زوايا الدَّار فتبحثه ، حتَّى إذا جعلتْ له مكانا كهيئة الحفرة جعلَتْه فيها ثمَّ غطَّتهُ من ذلك التُّراب ، ثمَّ تشمَّمتْ أعلى ذلك التراب وما ظهرَ منه ، فإنْ وجدَتْ شيئًا من الرائحة زادت عليها تراباً ، فلا تَزال كذلك حتَّى تعلم أنَّها قد أخفت المرئىّ والمشموم جميعًا . فإنْ هى لم تجدْ تراباً خَمَشت وجهَ الأرض ، أو ظَهْرَ السَّطح ، حتَّى تبلغَ فى الحفر المبلغَ ، ومن ستر ذلك المجهودَ[2] .

وزعم ناسٌ من الأطبَّاءِ أن السِّنَّورَ يعرفُ وحدَه ريحَ رجْعهِ ، فإنما يستره لمكان شمّ الفأر لَهُ ، فإنها تفرُّ من[3] تلك الرائحة . أو يُغطِّيه لما يكون [فيه] من خلُق من أخلاق الأسد[4] . [و[5]] مايشاكل فيهِ الأسدَ فى الخُلُق ، على قدر ما يشاكله فى الخَلق . وتعداد ذلك كثيرٌ .

---

(١) قال الدميرى : « أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم » . قلت : ليس ذلك أرادوا ، وإنما عنوا مابها من خلة الإيثار لولدها على نفسها كما هنا . والدميرى تبع فى قوله مافى أمثال الميدانى (١ : ٤٥١) فى كلامه على « أعق من ضب » ، ومثله لابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٧٢) . وانظر الحيوان (١ : ١٩٦) .

(٢) أى وحتى تبلغ غاية جهدها فى ستر ذلك .

(٣) فى الأصل : « إلى » ، ووجهه ما أثبت . والفأر : جمع فأرة ، وضمير « تفر » راجع إليها .

(٤) فى الأصل : « وتغطيه لما يكون من خلق من أخلاق الأسد » .

(٥) تكملة يحتاج إليها الكلام .

(سُلاح الديك)

والدِّيكُ لا تراه إلاَّ سالحًا ، ثمَّ لا يتوقّى ثوبَ ربِّ الدار ولا فِراشه ولا بِساطه . هذا ، وحياتُه التُّراب ، ولذا[1] يدفن نفسَه فيهِ ، ويُدخله فى أصولِ ريشهِ .

ثمَّ لا ترى سُلاحًا أنتن من سُلاحهِ[2] ، لا يشبه ذَرْق الحمام ، وصَوْم النَّعام ، وجَعْر الكلب . ثم مع ذلك لا تراه إلاَّ سائلاً رقيقًا . ولو كان مُدَحرَجًا كأبعار الشاءِ والإبل والظباء ، أو متعلقًا[3] يابسًا كجَعْر[4] الكلب والأسد ، ثمَّ لو كان على مقدار نتنه لكان أهونَ فى الجملة .

وقال أبو نُواسٍ فى ديكٍ بعض أصحابه :

آذيتَنا بديكِكَ السَّلاَّحِ فنجِّنا مِنْ مُنْتِنِ الأرْوَاحِ[5]

(استخدام الخناقين للكلب)

وقال صاحب الكلب : ومن مَرافق الكلب أنّ الخنَّاقين[6] يظاهر بعضُهم بعضًا ، فلا يكونون فى البلاد إلاَّ معًا ، ولا يسافرون إلاَّ معا ؛ ٩٧

(١) فى الأصل : « ولم » .
(٢) فى الأصل : « منه » . والسلاح بالضم : النجو .
(٣) فى الأصل : « ومتعلقا » .
(٤) فى الأصل : « كبعر » ، تحريف .
(٥) الأرواح هنا : جمع ريح .
(٦) الخناقون هم من المنصورية ، أصحاب أبى منصور الكسف الذى كان قال لأصحابه : « فى نزل قوله تعالى : وإن يروا كسفا من السماء ساقطا » . والمنصورية من الروافض ، انظر خبرهم فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) وتأويل مختلف الحديث (٨٦) ، والحيوان أيضاً (٦) والعقد (١ : ٣٥٠) . وانظر المقارنة بينهم وبين اليهود فى العقد (١ : ٣٥٣) . وتعليل لجوئهم إلى هذا الضرب من القتل فى الفصل (٤ : ١٨٥) .

فربّما استولَوا على دربٍ بأسْره ، أو على طريقٍ بأسره . ولا ينزلون إلاّ فى طريق نافذ ، ويكون خلف دُورهم : إما صحارى وإمَّا بساتين ، وإما مزابِلُ وأشباهُ ذلك . وفى كلِّ دارٍ كلابٌ مربوطة ، ودُفوف وطُبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلّمَ كُتّابٍ منهم ، فإذا خنق أهلُ دارٍ منهم إنسانًا ضربَ النِّساءُ بالدُّفوف ، وضربَ بعضهم الكلابَ فسمع المعلِّم فصاحَ بالصِّبيان : انبَحُوا ! وأجابهم أهْلُ كلِّ دَارٍ بالدفوف والصُّنوج ، كما يفعل نساءُ أهْلِ القرى ، وهَيَّجوا الكلاب . فلو كان المخنوقُ حمارًا لما شعَر بمكانه أحد[1] ، كما كان ذلك بالرَّقَّة .

و [انظرْ[2]] كيف أخذُوا أهْلَ دَرْبٍ بأسره ! ! وذلك أنّ بعضهم رغِب فى ثُوَيب كان على حمّال ، وفيهِ دريهمات معَهُ ، فألقى الوَهَق[3] فى عنقهِ فغُشى عليهِ ولم يمتْ ، وتحرَّك بطنهُ فأتى المتوضَّأ وتحرّك الحمَّال والسَّاجور[4] فى عنقهِ ، فرجَعت نفْس الحمال ، فلمّا لم يحسّ بأحَدٍ عندَه ، قَصَدَ نحوَ باب الدار ، وخرج وزِيارهُ[5] فى عنقهِ ، وتلقّتهُ جماعَتُه[6] فأخبرهم الخبر ، وتصايح النّاس فأُخِذوا عن آخرهم .

---

(١) الحمار أجهر الحيوان صوتا .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الوهق : حبل مفتول يرمى فيه أنشوطة ، فتؤخذ به الدابة . والأنشوطة : عقدة تمد بأحد طرفيها فتنحل .

(٤) الساجور : أصله القلادة أو الخشبة توضع فى عنق الكلب .

(٥) الزيار : — هو فى الأصل — شناق يشد به البيطار جحفلة الدابة . وما أثبت من س . وفى ط : « وزيادة » ، وهو تحريف ما فى س .

(٦) فى ط : « جماعة » وأثبت ما فى س .

(بعض الخبر والشعر فى الخناقين)

وقد كان بالكوفة شبيهٌ بذلك ، وفى غيرها من البلدان . فقال حمادٌ الرَّاويةُ ، وذكر المرميِّين بالخنق من القبائل وأصحاب القبائل والنِّحَل ، وكيف يصنع الخُنَّاق ، وسمَّى بعضَهم فقال :

إذا سرتَ فى عِجْلٍ فسِرْ فى صَحابةٍ ... وكِنْدَةَ فَاحْذَرْها حِذارَكَ للخَسْفِ

وفى شيعة الأعمى زيار[1] وغِيلَةٌ ... وقَشْبٌ وإعمالٌ لجَنْدلة القَذْفِ[2]

وكلُّهم شَرٌّ عَلَى أنَّ رأسَهم ... حميدةُ والميلاءُ حاضِنَةُ الكِسْفِ[3]

متى كنتَ فى حَيَّىْ بجِيلَةَ[4] فَاستمعْ ... فإنَّ لهم قَصْفًا يدُلُّ على حَتْفِ[5]

إذا اعتزموا يومًا على خنْقِ زائرٍ ... تداعَوْا عَلَيْهِ بالنُّباح وبالعزفِ[6]

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) : « زياد » ، وصوابه ما أثبت وانظر التنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٢) القشب : خلط السم بالطعام ، ويقال قشبه : سقاه سما . والجندلة : واحدة الجندل ، وهو الحجارة . وفى الأصل : « وأعمال محذلة القذف »، وفى الحيوان (٦ : ١٢٩) حيث يكرر هذا الشعر : « وأعمال لخندلة القذف » ، وتصحيحه من عيون الأخبار . وكان من هؤلاء المنصورية من يشدخ رءوس الناس بالحجارة وهم الشداخون ، كما سماهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث (٨٧) .

(٣) فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « وأما حميدة فكانت من أصحاب ليلى الناعطية ، ولها رياسة فى الغالية » . قلت : وقد عد الجاحظ « ليلى » هذه فى البخلاء (ص ٣١) . والكسف هو – كما سبق – أبو منصور صاحب المنصورية ، وكانت الميلاء حاضنته . وفى الأصل : « والميلا وصاحبة الكسف » وهو تحريف صوابه فى الحيوان (٦ : ٣٨٩) وعيون الأخبار .

(٤) ط : « حيى بجيلية » س : « حى بجيلة » وكلاهما تحريف ما أثبت من المرجعين المتقدمين . قال ابن قتيبة : « كان المغيرة بجليا ، مولى لهم » .

(٥) أى صوتا مدويا يدل على هلاك ، وكانوا يدقون الدفوف والطبول ويحدثون ضروبا من الجلبة ، ليستروا أمرهم ، كما تقدم فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « بالعرف » وتصحيحه من ط والمرجعين السابقين .

وأمّا ذِكره لبنى عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بنى عجل .

وأمّا ذكره كِندة ، فقد أنشدنا سُفيان بن عيينة ، وأبو عبيدة النحوىُّ :

إذا ما سرَّك العيشُ فلا تأخذ عَلَى كِنْدَه[١]

ومن كِندة أبو قصبة[٢] أُخذ بالكوفة وقُتِل وصُلب .

وكان بالكوفة مِمَّن يأكلُ لحومَ النَّاس عَدِيَّةُ المَدَنية الصَّفراء[٣] . وكان بالبَصرة رَادَوَيه صاحب قصاب رادويه .

٩٨ وأمّا الأعمى فى بنى ضبَّة الذى ذكره فهو المُغيرة بن سعيد صاحب المُغِيرِيَّة ، وهم صِنْفٌ مِمَّن يعمل فى الخنق بطريق المنصوريَّة[٤] .

والمغيرة هذا من موالى بَجِيلة ، وهو الخارج عَلَى خالد بن عبد الله القَسْرِىّ ، وعِند ذلك قال خالد وهو عَلَى المنبر[٥] : أطعِمُونى ماءً !

وفى ذلك يقول يحيى بن نوفل[٦] :

---

(١) كذا فى الأصل وعيون الأخبار . وفى الحيوان (٦ : ٣٨٩) : « فلا تمرر » .

(٢) فى الجزء السادس من الحيوان : « أبو قطنة » وفى عيون الأخبار : « أبو قطبة » . وفى البخلاء (٩٥) من يدعى « أبو قطبة » ، فلعله هو .

(٣) فى الأصل : « الصغرى » وأثبت ما فى الجزء السادس من الحيوان .

(٤) وقد أخذه خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسط . عيون الأخبار (٢ : ١٤٨) .

(٥) وعند ذلك : أى عند خروجه عليه . وقد تبدو هذه العبارة غريبة ، ولكنها صحيحة ، مثلها فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « ومن أجل خروجه عليه قال : أطعمونى ماء » .

(٦) فى الأصل : « بحر بن نوفل » وإنما هو « يحيى » كما فى الجزء السادس من الحيوان والبيان فى مواضع متعددة ، وقد قال يحيى فى خالد — غير الشعر الآتى — (البيان ١ : ١١٢) .

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

ومن العجيب فى أمر خالد هذا أنه كان بليغا من الأبيناء ، وهو كذلك من رماهم الناس باللحن وكثرة الخطأ . (البيان ٢ : ٢٢٠) .

وقلتَ لِما أصابَك أطعِمونى شراباً ثمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِير
لأعـلاجٍ ثمانيـةٍ وشَيْخٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بَصرٍ ضرير[1]

وأما حميدة فقد كانت لها رياسة فى الغالِية ، وهى مِمَّن استجاب لليلى السبائية[2] الناعِطية[3] ، والميلاء[4] حاضِنة أبى منصور[5] صاحب المنصوريَّة ، وهو الـكِسْف . قالت الغالية : إيَّاه عَنَى اللهُ تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ . وقد ذَكَرَه أبو السرِىِّ مَعْدَانُ الأَعمى الشُّمَيطى[6] فى قصيدته التى صنَّف فيها الرَّافضة ثمَّ الغالية ، وقدَّم الشُّميطيَّة[7] عَلَى جميع أصناف الشيعة[8] ، فقال :

---

(١) الشعر يروى بروايات مختلفة عند الجاحظ فى البيان (٢ : ١٩٣) و (٣ : ١٢٢) والحيوان (٦ : ١٣٠) . ويروى قبل البيت الثانى :

وكنت لدى المغيرة عير سوء تصول من المخافة للزئير

والمغيرة هو الأعمى صاحب المغيرية ، وإياه عنى بقوله : « وشيخ كبير السن ذى بصر ضرير » .

(٢) ط : « الشبابية » س : « السبابة » والصواب ما أثبت . يقال سبائية وسبئية كما فى اللسان ، نسبة إلى عبد الله بن سبأ ، وهم فرقة من الغلاة .

(٣) فى البخلاء ٣١ : « الباعطية » .

(٤) فى الأصل : « والميلى » ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « صاحبة أبى منصور » .

(٦) فى الأصل : « السميطى » وصوابه ما أثبت . وانظر التنبيه الآتى .

(٧) الشميطية : فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، نسبت إلى أحمر بن شميط ، وكان صاحب المختار ، وقد قتلهما معا مصعب بن الزبير . انظر الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٦٤٣ ليبسك ، والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٨) قد روى الجاحظ فى البيان (١ : ٢٣) ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة ، وفى (٣ : ٧٥) بيتين آخرين وفى (٣ : ٣٥٦) ستة أخر .

إنَّ ذا الـكِسْفَ صَدَّ آل كُمَيلٍ   وكُمَيْلٌ رَذْلٌ من الأَرْذالِ[١]

تركا بالعــراق[٢] داءً دويًّا   ضــلَّ فيــه تلطُّفُ المحتــالِ

منهم جاعــلُ العَسيبِ إماماً   وفريقٌ يرض زَنْد الشِّمال

وفريقٌ يقــول إنَّا براءٌ   مِن عَلِيٍّ وجُنْــدُبٍ وبِلاَلِ[٣]

وبرَاءٌ مِنَ الذى سَــلَّمَ الأَمْـ   ـرَ عَلَى قــدرةٍ بغير قتــال[٤]

وفريقٌ يدين بالنصِّ[٥] حَتْماً   وفريقٌ يدِينُ بالإهمـــال

لأَنَّ الـكميليَّة لا تجيز الوَكالة فى الإمامة ، وتقول لاَبُدَّ من إمَامٍ صامتٍ أو ناطِقٍ ، ولا بدَّ من عَلَمٍ يمدُّ الناسُ إليهِ أعْناقَهم . وأبو منْصُورٍ يقولُ بخلاف ذلك .

وأمَّا قوله :

وفى شِيعة الأعمى زِيارٌ[٦] وغيلة   وقشب وإعمالٌ لجَنْدَلَةِ القَذْفِ[٧]

---

(١) فى الأصل : « زول من الأزوال » وصوابه ما أثبت ، كما فى الحيوان (٦ : ٣٩١) حيث أعيد هذا الشعر . والرذل : الدون الخسيس . وأما الزول فهو الخفيف الظريف الفطن ، وليس هذا مرادا .

(٢) فى الأصل : « بالعراء »، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان .

(٣) جندب هذا هو ابن زهير بن الحارث ، كان مع على بصفين ، وكان على الرجالة يومئذ ، وكان هو والأشتر أقوى رجلين من أصحاب على فى يوم الجمل . انظر الإصابة ١٢١٤ .

(٤) قالوا : إن عليا كفر إذ سلم الأمر إلى أبى بكر ثم عمر ثم عثمان . (الفصل ٤ : ١٨٣) .

(٥) النص ، أى النص على الإمام ، بأن ينص كل إمام على الإمام الذى يخلفه . انظر الفرق ص ٤٥ . وفى الأصل : « بالنصر » وهو تحريف . وانظر الكلام على (النص) فى الملل والنحل (١ : ٢٢٣) .

(٦) فى الأصل : « زياد » . وانظر التنبيه الخامس من (ص ٢٦٥) .

(٧) فى الأصل : « مجزلة القذف » . وانظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .

فقد قال مَعْدان :

حبشيٌّ وكافر سبيـانى حَربىٌّ وناسخ قَتّـالُ[1]

تلك تيميَّةٌ وهاتيك صمت[3] ثمَّ دين المغـيرة المغتـالِ

خنق مرَّةً وشَمٌّ بخـار ثمَّ رضْخٌ بالجندَلِ المتوالى[4]

٩٩ لأَنَّ من الخنّاقين من يكون جامعاً ، وبذلك يسمُّونه إذا جمعَ الخنْق والتشميم ، وحمل معــه فى سَفَرهِ حَجَرَين مستديرين مُدمْلَـكين وململمين فإذا خلاَ برجلٍ من أهل الرُّفقة استدبره فرَمى بأحدهما قَمَحْدُوَتَه[5] ، وكذلك إن كان ساجِداً . فإن دمغه الأَوّل سلبَهُ ، وَإنْ هُوَ رفعَ رأسَهُ طبَّق بالآخر وَجْهَهُ . وَكذلك إنْ ألفاه نَائِمـا أو غافِلاً .

ولقد صَحِبَ منهم نَاسٌ رجلاً خرج من الرَّىِّ ، وفى حَقوه هِمْيَانٌ[6] ، فـكان لاَ يفارق مُعْظَمَ النَّاس ، فلمَّا رأوهُ قد قَرُب مِنْ مفرِق الطَّريقين ، ورأوا احْتراسَهُ ، وهم نزولٌ إمَّا فِى صحراء وَإمَّا فِى بَعْضِ سُطوحِ الخانَات ، والنَّاس مُتشاغلون بأمُورهِمْ ، فلم يشعُرْ صاحِبُ الهِمْيان نهاراً والنَّاس حَوْلَهُ إلاّ والوَهَقُ[7] فى عنقِهِ ، وطرحَهُ الآخر حين ألقاه فى عنقِهِ ، ووَثَبَ إليهِ وجلَسَ علَى صَدره ، ومَدَّ الآخَر برجْليهِ وألقى عليهِ ثَوْباً وأذَّنَ فِى أذُنهِ

(١) كذا . وفى البيت إقواء . و « حبشى » لعلها « خشبى » . والخشبية : فرقة من المنصورية يقتلون بالخشب فقط . الفصل (٤ : ١٨٥) ومفاتيح العلوم ص ٢١.

(٢) كذا .

(٣) ط : « وشنق » ، ولعلها « نشق » ، وأثبت ما فى س .

(٤) انظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .

(٥) القمحدوة : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين ، وإصابة هذا الموضع قاتلة .

(٦) الهميان : وعاء للدراهم يشد إلى الوسط .

(٧) الوهق مر تفسيره فى (ص ٢٦٥) .

فقام إليهم بعضُ أهل الرُّفقة كالمعين والمتفجِّع ، فقالوا له : مكانَك ؛ فإنّه إنْ رآك خجِل واستحَى . فأمسك القومُ عنهم ، وارتحل القوم ، وأعجلوا بصاحبهم ، فلمَّا خَلَوا به أخذوا ما أَحَبُّوا ، وتركوا ما أحَبُّوا ، ثمَّ حملوه عَلَى أيديهم ، حتى إذا برزوا رمَوه فى بعض الأَودية .

(شعر أعشى همدان فى السبئية)

وقد ذكر أعشَى هَمْدانَ السَّبئيَّةَ [1] وشأنَهم فى كرسىِّ المختار [2] :

شهِدتُ عليكم أنّكم سبَئيَّة [3] … وإنِّى بكم يا شُرْطَة الكُفْر عارفُ

وأُقسِمُ ما كرسيُّكم بسَكِينةٍ … وإنْ كانَ قد لُفَّتْ عليهِ اللفائف

وأنْ لُبِّسَ التّابُوتُ فُتْناً وإن سَمتْ … حمامٌ حواليهِ وفيكم زخارف [4]

وإنِّى امرؤٌ أحببتُ آلَ محمَّدٍ … وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِّنَتْهُ المصاحِفُ

---

(١) فى الأصل : « السبيلية » ، وصوابه ما أثبت . والسبئية : فرقة من غلاة الرافضة. قال صاحب الفرق بين الفرق (ص ٣٤) : « ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ! وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصه ، وزعم أن الوحى ينزل عليه وسجع . . . » . وقال (ص ٣٥) : « واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة . . . » .

(٢) المختار هذا هو ابن أبى عبيد الثقفى ، وكان أبوه من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر فى خلافة عمر (لسان الميزان ٦ : ٦) . وكان يقال للمختار « كيسان » وإليه تنسب فرقة « الكيسانية » من الرافضة ، أو هو أخذ المقالة من كيسان مولى على وقد قام بثأر الحسين بن على وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء . انظر أخباره وآراءه فى الفرق بين الفرق (ص ٢٦ — ٢٧) والملل والنحل (١ : ١٩٧) . والطبرى (٧ : ١٤١) وابن الأثير (٤ : ١٠٩) . قتل المختار سنة ٦٧ .

(٣) فى الأصل : « سبلية » ، تحريف .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وإن شاكراً طافتْ به وتمسَّحَتْ بأعواد ذاوٍ دبرت[١] لا تساعف
ودَانَتْ بِهِ لابن الزُّبيرِ رقابُنــا ولا غَبْنَ فيها أو تُحَزُّ السَّوالِفُ
وأحسبُ عُقباها لآلِ محمَّــدٍ فَيُنْصَرُ مَظلومٌ ويأمنَ خائفُ
ويجمَعُ ربى أُمَّــةً قَدْ تَشَتَّتَتْ[٢] وهاجتْ حُروبٌ بينَهُمْ وحَسَائِفُ

أبو عبيدة : الحسيفة[٣] الضغينة ، وجمعها حسائف .

(من قتل نفسه بيده)

وما أكثر من قتل نفسَهُ بيده ، إمَّا لخوف المُثْلة ، وإمَّا لخوف التعذيب والهوان وطولِ الأَسر .

١٠٠ وقد كان الحكمُ بن الطُّفيل، أخو عامر بن الطفيل، وأصحابُه خنَقُوا أنفسَهم فى بعض الأَيام[٤] ، فعُيِّرُوا بذلك تعييراً شديداً ، فقال خُراشة ابن عامر بن الطفيل :

وقُدْتَهــم للموت ثُمَّ خذَلْتَهُمْ فَلاَ وألتْ نفسٌ عليك تحاذرُ[٥]
فهلْ تَبلِغَنِّى عامراً إنْ لَقِيتَه أسلَّيتَ عن سلمان أم أنتَ ذاكرُ

---

(١) كذا . وفى س : « بأعواد داود برت » .
(٢) ط : « تشتت » : وتصحيحه من س .
(٣) ط : « الحسيفية » ، وتصحيحه من س .
(٤) هو يوم ساحوق كما فى الكامل لابن الأثير (١ : ٣٩٤) . وانظر العقد الفريد (٣ : ٣١٨) .
(٥) وألت : نجت .

فإنَّ وراءَ الحىِّ غِزْلانَ أيْكةٍ مُضَمَّخَةً آذانُها والغدائرُ [1]

وإنَّكم إذ تخنُقون نفوسَكم لكمْ تحتَ أظْلالِ العِضاهِ جرائرُ

وقال عُروة بن الوَرد فى يوم ساحوق [2] ، ويذكر خنْق الحكم بن الطُّفيل وأصحابِه أنفسَهم ، فقال :

ونحنُ صبَحْنا عامراً فى دِيارِها عُلالَةَ أرماحٍ وعَضْبا مُذَكَّرا [3]

بكلِّ رقيقِ الشَّفْرتين مُهَنَّدٍ ولَدْنٍ من الخَطِّىِّ قد طَرَّ أسمَرَا [4]

عجِبت لهم إذ يخنُقُون نفوسَهم ومَقْتَلُهمْ عند الوغَى كانأعذرا [5]

يَشُدُّ الحليمُ منهم عَقْدَ حبله [6] ألاَ إنَّما يأتى الذى كان حُذِّرَا [7]

---

(١) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة .

(٢) هو يوم لبنى ذبيان على بنى عامر . انظر تفصيله فى كامل ابن الأثير .

(٣) صبحوهم علالة الأرماح : سقوهم وأشبعوهم طعنا بالرماح . العضب المذكر : السيف القاطع .

(٤) س : « لكل » والوجه ما فى ط وابن الأثير والديوان ٩٧ ، والرواية فى الأخيرين « بكل رقاق الشفرتين » . والرقاق ، بضم الراء ، هو الرقيق ، واللدن : اللين . والخطى : الرمح منسوب إلى الخط : أرض بالبحرين . قد طر : قد سن . أسمر ، نضجت قناته فى منبتها ويبست فاكتسبت هذا اللون .

(٥) أى كانوا ذوى عذر بين ، لو أنهم جاهدوا فى الحرب وقتلوا ، أما الآن فليس لهم عذر بين الرجال فى خنقهم أنفسهم . ورواية العقد (٣ : ٣١٨) : « كان أجدرا » .

(٦) فى الأصل : « اشد الحليم منهم عقد حلة » ، وهو تصحيف ما أثبت من الديوان وخزانة الأدب (٤ : ٢١٨ بولاق) . وإنما يشد عقد الحبل ليتعجل خنق نفسه .

(٧) أى إنما يأتى الذى كان حذر منه وهو الموت . وفى الأصل : « ألا يأتى الأمر الذى كان أعذرا » ، وأثبت ما فى الديوان والخزانة .

(رثاء أبى زبيد الطائى كلبا له)

وقال أبو زُبَيْدٍ[١] فى كلبٍ لَهُ ، كان يُساور الأسدَ ويمنعه من الفساد ، حين حطمه[٢] الأسد ، وكان اسمه أكدر ، فقال :

أَخَالَ أَكْدَرُ مختالا كعادتِه[٣] حتى إذا كان بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ[٤]

لاقى لَدَى ثُلَلِ الأَطْوَاءِ داهِيَةً[٥] أَسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل فى قَرَنِ[٦]

---

(١) فى الأصل : « أبو زيد » وإنما هو « أبو زبيد » كما فى الأغانى (١١ : ٢٤) ومعجم الأدباء (١٠ : ٢٠٠) وهو أبو زبيد الطائى . واسمه حرملة بن المنذر وهو شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة — فيما زعموا — وعداده فى المخضرمين ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات نصرانيا ، وكان عثمان بن عفان يقربه ويدنى مجلسه . واشتهر أبو زبيد بكثرة وصفه للأسد وتجويده فى ذلك ، وقد نعته نعتا طويلا عجيباً فى مجلس عثمان (الأغانى ، والمعجم) فلما أطال قال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين ! ! . ومن طريف مايروى فى أمر كلبه « أكدر » أنه كان قد أعد له سلاحا يلبسه إياه ، فيمتنع على الأسد ولا يقوم له . وفى الليلة التى قتل الأسد فيها الكلب ، كان الكلب قد خرج ولم يلبس سلاحه ، فتمكن منه الأسد .

(٢) س : « حطه » ، وتصحيحه من ط .

(٣) أخال ، لعله يريد مشى فى اختيال ، والرواية فى المعجم: « أحال أكدر مشيا لا كعادته » وفى الأغانى : « أحال أكدر مشيا لالعادته » . وفى البغال ٣١١ : « فجال أكدر مشتالا كعادته » .

(٤) الرواية فى الأغانى والمعجم والبغال « بين البئر والعطن » . والعطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٥) الثلل : جمع ثلة بالفتح ، وهو ما أخرج من تراب البئر . والأطواء : جمع طوى كغنى ، وهو البئر المطوية بالحجارة . وما أثبت هو رواية الأغانى والمعجم وفى الأصل : « لاقى الذى جلل الأطواد داهية » .

(٦) يقول : سرت الدهية مع أكدر فى قرن واحد ، والقرن : الحبل . وقد أثبت رواية الأغانى والمعجم . وفى الأصل : « أشوت وأكدر تحت الليل فى قرن »

حطَّتْ بِهِ سُنَّةٌ ورْهاءُ تَطْرُدُه[١] حتَّى تَنَاهى إلى الأهوال فى سَنَنِ[٢]

إلى مُقاربِ خَطْوِ الساعِدَينِ[٣] لَهُ فوق السَّراةِ كَذِفْرَى القارِحِ الغَضِنِ[٤]

رِيبالُ ظلماءَ[٥] لاقَحْمٌ[٦] ولاضَرَعٌ كالبغل خطّ به العجلان فى سكن[٧]

فأسرَيا وهما سنَّا همومهما إلى عرين كعُشٍّ الأرمَل اليَفَنِ[٨]

هـذا بما علقت أظفاره بهم وظنُّ أكدَرَ غيرُ الأَفْنِ والحَتَنِ[٩]

---

(١) يقول : دفعت به خطة حمقاء جعلت تسوق به . ورواية الأغانى : « حطت به شيمة ورهاء تطرده » والشيمة فى معنى الطبيعة . ويتجه المعنى بها أيضا . ورواية المعجم : « حفت به شيمة ورهاء تطرده » .

(٢) رواية الأغانى والمعجم : « حتى تناهى إلى الجولان . . . » . والجولان بفتح الجيم : التراب . وفى الأغانى : « فى السنن » .

(٣) فى الأغانى والبغال : « إلى مقابل خطو الساعدين » . وفى المعجم : « إلى مقابل فتل الساعدين » .

(٤) السراة ، بالفتح : الظهر ، وأعلى كل شيء . والذفرى : ما بين المقذ إلى نصف القذال . والمقذ : ما بين الأذنين من خلف . والقذال : القفا . والذفرى أيضاً : العظم الشاخص خلف الأذن . وأرى أبا زبيد أراد المعنى الأول . و « القارح » : الفرس فى سن الخامسة . والرواية فى الأغانى والمعجم : « كذفرى الفالج القمن » ، وفى البغال : «الفالج الغضن» . والفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

(٥) ط : « ظلمى » ، وصوابه فى س . وبدله فى الأغانى والمعجم والبغال : « غاب فلا » .

(٦) فى الأصل : «فخم » ، وهو تحريف تصحيحه من الأغانى والمعجم . والقحم : الكبير السن ، يقابله الضرع ، بالتحريك ، وهو الصغير السن . ومثله قول لقيط الإيادى :

حتّى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا

(٧) كذا . وفى البغال : « حطمن المحلين فى شطن » وفى المعجم « كالفيل يختطم الفحلين فى شطن » . وفى الأغانى : « كالبغل يحتطم العجلين فى شطن » ! وإلى هنا تنتهى الرواية فى الأغانى والمعجم .

(٨) فأسريا ، يعنى الأسد والكلب . وسنا همومهما : وجها همهما . وفى س : « وهما مبنا همومهما » ، محرف . والأرمل : الفقير المحتاج ، أو العزب . واليفن : الشيخ .

(٩) بهم لعلها « نهم » . والأفن : ضعف الرأى . والحتن : الباطل ، وحرك التاء للشعر . وفى الأصل : « الأمن والحسن » .

حتَّى إذا ورد العِرزالَ وانتبهت   لحِسِّهِ أمُّ أجْرٍ ستَّةٍ شُزُنِ[١]

بادٍ جناجِنُها حصَّاء قد أفلت   لهن يبهرن تعبيراً عَلَى سدن[٢]

وظنَّ أكدرُ أن تموا ثمانية   أن قد تجلَّل أهلُ البيت باليُمَنِ[٣]

١٠١ فخافَ عزَّتهمْ لما دنا لهمُ   فحاص أكدَرُ مشفيًّا من الوَسَنِ[٤]

بأربَع كلُّها فى الخلق داهية[٥]   غُضُفٍ عليهنَّ ضافِى اللحم واللبن[٦]

ألفاه متَّخِذَ الأنيابِ جُنَّتَه   وكانَ باللَّيلِ وَلاَّجًا إلى الجَنَنِ

(رثاء أعرابى شاة له أكلها ذئب)

وقال صاحب الكلب : قال أعرابىٌّ وأكل ذيبٌ شاةً لَهُ تسمّى وردة ، وكُنْيَتها أم[٧] الوَرد :

---

(١) العرزال : عريسة الأسد ومأواه . وفى الأصل : « الغروال » ، تحريف. أجر : جمع جرو ، وأم أجر عنى بها اللبؤة . شزن : جمع شزن ، بالتحريك ، وأصله الغليظ من الأرض. والشطر الثانى من البيت فى ط : « لحسنه أن إحدى سنه سدن » وفى س : « لحسنه أم أحر سنه سدن » وأصلحته بما ترى .

(٢) ط : « بادى جناحهما » س : « باد جناحها » والصواب ما أثبت . والجناجن : عظام الصدر . مفردها جنجن وجنجنة ، بكسرهما ويفتحان . والحصاء : القليلة الشعر . وباقى البيت محرف .

(٣) يقول : قد حسب أكدر — لتمام عدد هذه الفرائس ثمانية — أنه بصيدها يجلب لأهله نعيما وعزا . وتجلل : اكتسى . واليمن : جمع يمنة ، كغرفة وهو ضرب من برود اليمن . والبيت فى الأصل هكذا :

أتين أكدرا أن تموا ثمانية   أن قد تحلل أهل البيت باليمن

(٤) س : « فخاف غرتهم » . وحاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص .

(٥) فى هامش س : « آمنة » رواية فى « داهية » .

(٦) كذا .

(٧) فى الأصل : « وردة » ، والوجه ما أثبت ، كما فى الشعر الآتى .

أودَى بِوَرْدَةَ أمِّ الوَرْدِ ذُو عَسَلٍ من الذئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا

لولا ابنُها وسَليلاتٌ لهـا غرُرٌ ما انفكَّت العَيْنُ تَذْرِى دَمْعها دِرَرَا

كأنّما الذِّئبُ إذ يَعْدُو عَلَى غَنَمى فى الصُّبحِ طالبُ وِترٍ كانَ فاتَّأرا

اعتامَها اعتامَهُ شَثْنٌ براثِنهُ من الضَّوارِى اللَّواتى تقصِمُ القَصَرَا [1]

قال : فى هذا الشعر دَليلٌ أنَّ الذِّئب إنّما يعدو عليها مع الصبح ، عند فُتورِ الكلْب عن النُّباح ؛ لأنَّه باتَ ليلَتهُ كلّها دائباً يقظانَ يحرُس ، فلمَّا جاءَ الصُّبحُ جاءَ وَقتُ نَوْم الكلاب وما يعتريها من النُّعاس . ثم لم يَدْعُ [2] اللهَ عَلَى الذِّئبِ بأن يأكله الأَسدَ حتَّى يختاره ويعتامه ، إلاَّ والأَسدُ يأكل الذئاب ، ويختار ذلك . وإنّما استطابَ لحمَ [3] الذِّئبِ بفضل شهوتِهِ للحم الكلب .

(قول صاحب الديك فى إجازة الشعراء بالدجاج)

وقال صاحب الدِّيك : لم نر شريفاً قطُّ أجازَ شاعراً بكلْب ، ولا حَبا بِهِ زائرا ، [و] [4] قد رأيتَهم يجيزون الشُّعَرَاء بالدَّجاج . وأعْظَمُ من

---

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٢) ط : « يدعوا » ، س : « يدعو » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصل : « لهم » .

(٤) من س .

ذلك أن لقيمَ الدَّجَاجِ[١] ، لما قال فى افتتاح خيبر ، وهو يعنى النبى صلى الله عليه وسلم :

رُمِيَتْ نَطاةُ[٢] من النبيِّ بفَيْلَقٍ   شهْباءَ ذاتِ مَنا كِبٍ وفَقَارِ[٣]

وهَب لَهُ دَجاج خَيبَر عن آخرها . رواه أبو عمرو[٤] ، والمدائنى عن صالح بن كَيْسان ، ولتلك الدَّجَاج قيل : لقيم الدَّجَاج .

(إياس بن معاوية وأخوه)

وقال صاحب الكلب : قال أبو الحسن : كانَ إياسُ بنُ معاويَة وهو صغيرٌ ، ضعيفاً دقيقاً دميما[٥] ، وكانَ لَه أخٌ أشدُّ حركَةً منْهُ وَأقوى ، فكان معاويَةُ [أبوه][٦] يقدِّمهُ علَى إياس ، فقال لَهُ إياسٌ يَوْماً : يا أبتِ ! [إنَّك][٧] تَقَدِّمُ أخى عَلَىّ ، وسأضربُ لك مثلى ومثلَه : هو مثل الفَرُّوج

---

(١) فى السيرة ٦٥٦ ، ٧٦٧ « ابن لقيم ». وقد نقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٧٥٥٤ كلام الجاحظ فى « لقيم » وقال فى تعليل الخلاف بين السيرة والحيوان : « فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه » ، يريد أن من المحتمل أن يكون اسمه « لقيم بن لقيم » .

(٢) ط : « قطاة » وفى الإصابة « مطاة » وصوابهما ما أثبت من س والسيرة ، وهى اسم لأرض خيبر ، أو عين من عيون قرية من قرى خيبر ، كما فى المعجم .

(٣) وصف الفيلق — وهو مذكر — بشهباء ، لما ضمنه من معنى الكتيبة . والشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . وبعد هذا البيت أبيات سبعة فى السيرة .

(٤) ط : « أبو عمر » ، وصوابه من س والإصابة ، وهو أبو عمرو الشيبانى ، كما فى الإصابة .

(٥) س : « ذميما » ، والأشبه ما فى ط .

(٦) من ثمار القلوب ٧٢ نقلا عن الجاحظ .

(٧) من الثمار .

حين تنفلق عنه البَيضة ، يخرج [كاسيا] كافياً نَفْسَهُ[١] ، يلتقط ، ويستخفُّه النَاس ، وكلّما كبر انتَقص ، حتى إذا تَمَّ فصار دجاجةً ، لم يصلحْ إلاّ للذبح . وأنا مثلُ فَرخِ الحمام حين تنفلق عنه البيضةُ عن ساقطٍ لايقدر عَلَى حركة ، فأبَواه يغذُوانِه حتّى يقوى ويثبتَ[٢] ريشُهُ ، ثمَّ يحسُن بعد ذلك ويطير ، فيَجِدُ به الناس[٣] ويكرمونَهُ ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء ، فيُصان لذلك ويُكْرَمُ ، [ويُشْتَرى بِالْأَثْمانِ الغالية[٤]] . فقال أبوه : لقد أحسنت المثل ! ! فقدَّمه عَلَى أخيهِ ، فوجَد عِنْدَهُ أكثرَ ممَّا كانَ يظنُّ فيه .

١٠٢

قال صاحب الكلب : وقد أغفل إياسٌ فى هذا القول بعضَ مصالح[٥] الدَّجاج ، وذلك أنّ الدَّجاج مِنْ لدُنْ[٦] يخرج من حَدِّ الصِّغَر والكَيْس إلى أن يدخل فى حَدِّ الكبر واحتمالِ اللَّحم والشَّحم ، يكون أخبثَ حالاً لأنَّهُ لا يصلح فيه للذَّبح ، وقد خرج من حدِّ الكَيْس والاستملاح .

وإياسٌ هو الذى يقول : لستُ بخِبٍّ[٧] والخِبُّ لا يخدعنى ، ولا يَخدَعُ ابن سيرِينَ وهو يخدَع أبي ويخدَع الحسَن .

---

(١) فى الأصل : « يخرج كافيا بنفسه » ، وأثبت ما فى الثمار .

(٢) فى الأصل : « وينبت » ، والوجه ما نقلت من الثمار .

(٣) يقال وجد به أى أحبه شديداً . وفى س : «فيجده الناس » . وفى الثمار : « ويتخذونه الناس » ، وهما تحريف ما أثبت من ط .

(٤) من الثمار .

(٥) كذا

(٦) فى الأصل : « من له أن » .

(٧) الخب ، بالكسر : الذى يخدع الناس . والخبر فى البيان (١ : ١٠١) .

باب

ما يحتاج إلى معرفته

يقال فَرْج المرأة والجمع فُروج، وهو القُبُل، والفَرْجُ كِناية، والاسم الحِرُ، وجمعه أحْراح. وقال الفرزدق:

إنِّى أقودُ جمــلا مَمْرَاحَا في قُبَّــةٍ مُوقَرةٍ أحْرَاحَا[١]

قالوا: وإنَّما جمعوه علَى أحراح، لأَنَّ الواحد حِرْح[٢]. هكذا كان أصله. وقد يستعار ذلك وهو قليل، قَال الشاعِرُ[٣]:

تراها الضَّبْعَ أعْظَمَهنَّ رَأسًا جُرَاهِمَةً لها حِرَةٌ وثِيــلُ[٤]

فلم يرض الاستعارة حتَّى ألحق فيها الهاء.

وهو الكَعْثَب، وقال الفرزدق:

إذا بَطِحت فوقَ الأَثَافِى رَفعنها[٥] بثديين مَعْ نحر كريمٍ وكَعْثَبِ

وقال الأغلب[٦]:

---

(١) فى اللسان (حرح): «ذا قبة»، وفى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣٨): «وقد أقود ... ذا قبة مملوءة».

(٢) انظر فى اللسان تصريف هذه الكلمة.

(٣) هو ساعدة بن جؤية، كما فى اللسان (جرهم).

(٤) عنى بالجراهمة الضخمة الثقيلة. وقوله: «لها حرة وثيل» عنى به مايزعمون من أن كل ضبع خنثى. اللسان.

(٥) س: «رفعتها». وانظر ديوان المعانى ١ : ٢٨١ والعقد ٤ : ١٦٥

(٦) هو الأغلب بن جشم بن سعد العجلى، من رجاز العرب، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وقتل بنهاوند. قالوا: وهو أول من أطال الرجز، - كما أن أول من طول القصيد امرؤ القيس ومهلهل - وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين من الرجز، إذا فاخر أو شاتم، وقال العجاج الراجز مفتخراً:

إنى أنا الأغلب أضحى قد نشر

(الشعراء ٥٩٥). وانظر أخباره فى الأغانى (١٨ : ١٦٤ - ١٦٧).

* حَيَّاكة عن كَعْثبٍ لم يُصْمِحِ[١] *

وهو الأجمّ[٢] ، وقال الرّاجز :

[جارية أعظمها أَجَمُّها قد سمَّنَتْها بالسَّويق أمُّها[٣]]

* بائنة الرِّجْلِ فما تَضمُّها *

وقال : وقد يسمّى الشَّكْر ، بفتح الشِّينِ وإسكان الكاف ، وأنشدوا :

وكنتَ كليلة الشَّيْبَاء هَبَّتْ بمَنْعِ الشَّكْرِ أتأَمَها القَبيلُ[٤]

[أتأمها[٣]] : أفضاها . وأمَّا قوله :

قد أقبلَتْ عَمْرَةُ من عِرَاقِها مُلْصَقَةَ السَّرْجِ بخَاقِ باقها

قال : وهو إن أرادَ الحِرَ فليس ذلك من أسمائه ، ولكنَّه سمَّاه بذلك ١٠٣ على المزاح .

---

(١) امرأة حياكة تتحيك فى مشيها ، تمشى مفرجة ما بين رجليها . ويصمح من الصماح بالضم ، وهو العرق الكريه الرائحة .

(٢) ط : « الأخثم » وفى سائر النسخ : « الأحم » ، صوابه بالجيم كما فى اللسان (جمم) والمخصص ٢ : ٤٠ . والأجم : قبل المرأة .

(٣) الزيادة من س . وأجمها هى فى الأصل « أحمها » ، والوجه ما أثبت .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، كما فى اللسان (شيب وتأم) ولم أجده فى ديوانه بشرح ابن السكيت . يقال : باتت بليلة شيباء : إذا افترعت ليلة زفافها ، ويقال : باتت بليلة حرة : إذا لم تفترع فى تلك الليلة . وفى الأصل : « الشهباء » وهو تحريف صوابه فى اللسان (شيب وتأم) . وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٩٠) وثمار القلوب ٥١١ . وفى اللسان : « همت » بدل « هبت » .

قالوا : والظَّبْيَةُ اسم الفَرْج من الحافر ، والجمع الظَّبَيات . وقد استعاره أبو الأخزر[1] فجعله للخُفِّ فقال :

ساوَرَها عنــدَ القَرُوءِ الوحم   فى الأرض ذات الظّبيات الجحم

وقد قال الأوّل :

فجاء بغُرمولٍ وفلك مُدَمْلَك   فَخَرَّقَ ظَبْيَيْها الحِصانُ المُشَبِّقُ

وهو من الظِّلف والخُفِّ الحيا ، والجمع أَحيية . وهو من السبع ثَفْر ، وقد استعاره الأَخطلُ للظِّلْف فقال :

جَزَى الله عنّا[2] الأَعْوَرَيْنِ مَلامَةً   وعبلة[3] ثَفرالثَّوْرَةِالمتَضاجِم[4]

فلم يرضَ أن استعاره من السَّبُع للبقرة حتّى جعل البقرة ثورة .

وقد استعاره النَّابغةُ الجَعــدىُّ للحافر ، كما استعاره الأَخطل للظِّلف ، فقال :

بُرِيذنَةٌ بَلَّ البَرَاذين[5] ثَفْرَها   وقد شَرِبتْ مِنْ آخر الليل أُيَّلاَ

---

(١) ط : « الأحرز » س « الأخزر » وصــوابه ما أثبت . وهو أبو الأخزر الحمانى، أحد رجاز العرب، واسمه (قتيبة) كما فى اللسان (مادة قجر) .

(٢) كذا . ورواية الديوان ٢٧٧ والكامل ١٥٩ ليبسك والثعالبى فى فقه اللغة ٧٦ : « فيها ».

(٣) فى الكامل : « عبدة » وفى فقه اللغة واللسـان – مادة ضجم – « فروة » قال ابن منظور : « وفروة : اسم رجل » .

(٤) المتضاجم : المعوج الفم ، كما فى اللسان : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : « المتضاجم : المتسع » ، ولم يزد على ذلك . وفى الأصل : « المتضاخم » وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

(٥) « بريذنــة » مصغـر « برذونة » تصغير ترخيم . ويروى « بريذينــة » كما فى اللسان . وفى س « بل البراذن » . والأيل : جمع آيل ، وهو اللبن الخاثر . ورواية اللسان والمخصص ١٦ : ٩٩ : « وقد شربت من آخر الصيف أيلا » . والبيت يقوله النابغة الجعدى فى هجاء ليلى الأخيلية ، وقبله :

ألا يا ازجرا ليلى وقولا لها هلا   وقد ركبت أمراً أغر محجلا

وقد قالوا بِرذونةٌ ، وقال الرَّاجز :

تزَحْزَحى إليك يا بِرذَوْنهْ   إنَّ البراذِينَ إذا جَرَيْنَهْ[١]

* مَعَ الجيادِ ساعةً أعيَيْنَهْ *

وقد استعاره آخرُ فجَعَلهُ للنعجة فقال :

وما عمرُو إلاَّ نَعْجَةَ ساَجِسِيَّةٌ[٢]   تحرَّكُ تحتَ الكَبْشِ والثَّفرُ وَارِمُ

والسَّاجِسِيَّةُ[٣] : ضأنٌ فى تغلب .

وقد استعاره آخرُ فجعله للمرأة فقال :

نحن بنو عَمْرَة فى انتِسابِ   بنتِ سُويدٍ أكْرَمِ الضِّبابِ[٤]

* جِلْدَتَنا من ثَفْرِها المِنْجَابِ[٥] *

ويقال لجُردان الحمار غرمول ، وقد يقال ذلك للإنسان وقضيبِ البعير ، وهو لكلِّ شيء ، ومِقْلم الجمل فقط . ومن السباع العقدة[٦] ، وأصله للكلب والذِّئب . وقال جرير :

إذا رَوِينَ عَلَى الخنزير من سَكَرٍ   نادَينَ ياأعْظَمَ القَسِّينَ جُرْدَانا[٧]

ويقال : صرفت الكلبة صرافا وصِروفا ، وظلعت تظلع ظلوعا .

---

(١) الرجز فى البغال ٣٤١ .

(٢) فى الأصل « شاخسية » والصواب ما أثبت . انظر اللسان (سجس وثفر) والمخصص (٨ : ٢١) . والبيت فى اللسان (ثفر) برواية « تخزل تحت الكبش والثفر وارد » .

(٣) فى الأصل : « والشاخسية » وانظر التنبيه السابق .

(٤) الضباب ، بالكسر : أربعة بطون من بنى كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ، وحسيل . العمدة (٢ : ١٥٧) والمعارف ٣٩ .

(٥) جلدتنا : قبيلتنا . المنجاب : المنجب . ورواية اللسان (مادة ثفر) : « جاءت بنا من ثفرها المنجاب » .

(٦) ط « العقرة » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى القاموس عند تفسير « العقدة » : « ومن الكلب قضيبه » .

(٧) السكر ، بالتحريك : الخمر أو النبيذ . والقسين : جمع قس بالفتح ، وهو الرئيس من =

١٠٤ وقالوا فى الأمثال: «لا أفْعَلُ حتَّى ينامَ ظالِعُ الـكلاب» أى الصارف. ولم يعرف الأَصمعِيُّ ظلعت الـكلبة بمعنى صَرَفت. واستحرمت، وأجْعَلت[1] واستجعلت، واستطارت[2]. والذئبة فى ذلك كالـكلبة.

قال: ويقال فى السِّباع: قد وَضَعت، وولَدت، ورمصَت[3] مثلَ ما يقالُ للنَّاس والغنم.

(بحث فى المذكر من الحيوان ومؤنثه)

قال: ويقــال كلبة وكلب[4]، وذئبة وذئب، وبِرذون وبرذَونَة. وأنشد:

= رؤساء النصارى فى الدين والعلم. والبيت من قصيدة لجرير، مطلعها:

بان الخليـل ولو طوعت مـابانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

يهجو بها الأخطل. وقبل البيت:

ياخزر تغلب ماذا بال نسوتـكم لايستفقن إلى الديرين تحنـانا

(١) فى ط: «جعلت»، وهى على الصواب فى س.

(٢) يقال «استطارت» كما يقال «استظأرت». وفى اللســان (طير): «ويقال أجعلت الـكلبـة، واستطارت، إذا أرادت الفحل». وفى مادة (ظأر) —: «قال أبو منصور: قرأت فى بعض الكتب استظأرت الكلبة بالظاء أى أجعلت واستحرمت».

(٣) فى الأصل: «رمضت» والصواب ما أثبت. وفى القاموس: رمصت السباع: ولدت. انظر مادة (رمص). واست تجد هذه الـكلمة بهذا المعنى فى اللسان.

(٤) فى الأصل: «ويقال فى السباع كلبة وكلب»... الخ. وكلمتا «فى السباع» من زيادة الناسخين لاشتباه أول هذه الفقرة بسابقتها.

أَرَيْتَ إذا ما جالت الخَيْلُ جَوْلَةً وأنتَ على بِرْذَوْنَةٍ غيرِ طائِلِ (١)

ويقال رجل ورجال ، وامرأة ونساء ، وليس لها جمعٌ من واحدها . ويقال بعير وناقة وجمل ، ولا يقال جملة ولا بعيرة ، وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ وشيخَة . ويقال كبش ونعجة ، ولا يقال كبشة ، كما لا يقال أسدة (٢) ويقال أسد ولبوة ولبوات ، ويقال ذئبة وذئب (٣) ، وقال الشاعِرُ :

كأنَّهما ضِبْعانَةٌ في مَفَازَةٍ وذِئْبَةُ مَحْلٍ أمُّ جِرْوَينِ تعسلُ (٤)

ويقال إنسان وإنسانَةٌ ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ، وسِرْحان وسرحانَة ، وسِيدٌ وسِيدة ، وهِقل وهِقلة ، وإلق وإلْقَة (٥) ، وقال رؤبة :

* جَدَّ وَجدَّتْ إلقَةً من الإلق (٦) *

وزعم أنَّه يقال ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة . وأصحابُنا لا يقولون هذا ويضحكون ممَّن يقولون : ضَبُعة عرجاء . ويقال ثُرمُلة (٧) .

---

(١) أريت بمعنى أرأيت . وفي س « أرأيت » وهو خطأ ، به يبطل الوزن . صوابه في ط . ورواية اللسان : (برذن) « رأيتك إذ جالت » . وفي البغال ٣٤١ : « أريتك » ويقال للشيء الخسيس الدون : غير طائل ، الذكر والأنثى فيه سواد .

(٢) قلت : ذكر صاحب القاموس « الأسدة » في مادتي (لبأ ، ولبو) .

(٣) في الأصل : « ويقال لبوات وذئبة وذئب » ، وقد جعلت نظم الكلام كما ترى . واللبوة مخففة من اللبؤة بالهمز .

(٤) الضبعانة بالكسر : الأنثى من الضباع . وفي ط « مغارة » موضع « مفازة » وفي س « غنسل » مكان « تعسل » . وتعسل : تضطرب في عدوها وتهز راسها . وأما « غنسل » فهو مصحف « عنسل » وهو في الأصل الناقة القوية السريعة .

(٥) السرحان : الذئب ، وكذلك السيد بالكسر . والهقل بالكسر : الفتى من النعام . وفي الأصل : « مقل ومقلة » وهو تحريف . والإلق بالكسر : الذئب .

(٦) ديوان رؤبة ١٠٧ . وانظر الحيوان ٦ : ٣١٤ وأراجيز البكرى ص ٣٣ .

(٧) الثرملة : الأنثى من الثعالب .

ويقال من الفراخ فرخ وَفرخة ، ومن النمور نَمِرٌ ونَمِرة . قال: ويقال ذِيخٌ وذِيخَةٌ[١] ، وضِبْعان وَضِبْعانَةٌ ، وجيأل وجَيْألة[٢] . ويقال عقرب وعَقرَبَةٌ . والعُقْرُبان الذَّكر وحدَه . وقال الشاعِرُ[٣] :

كأنَّ مَرْعى أُمِّكُمْ إذْ غَدَتْ عَقْرَبَةٌ يكُومُها عُقْرُبان[٤]

ومن الضفادع ضفدَع وَضفدَعَة ، ومن القنافذ قُنفُذٌ وقُنفذة ، وشَيْهَمٌ وشَيهمةٌ[٥] ، ومن القرود قرد وقردة .

ويقال إلْقة وقِشَّة[٦] ، ولا يقال إلْق وقِشّ ، ويقال لولد القرد رُبَّاح والأُنثى إلقة . وقالَ الشَّاعِرُ[٧] :

وإلْقَــةٌ تُرغِث رُبَّــاحهَا والسَّهْلُ والنَّوفَلُ والنَّضْرُ[٨]

---

(١) هما الذكر والأنثى من الضباع .

(٢) هما فى معنى سابقتيهما .

(٣) هو إياس بن الأرت الطائى كما فى الحيوان (٤ : ٢٥٩) والحماسة (٢ : ٢٠٢) واللسان (عقرب) .

(٤) مرعى : اسم أمهم ، كما فى اللسان . ويكومها : يخالطها . و « إذ غدت » هى فى الأصل : « إذا غدت » وبهذا يختل الشعر ، وهو من السريع . ويروى « إذ بدت » كما فى اللسان والحماسة . ويروى : « سوءة » كما فى الحيوان (٤ : ٢٥٩) . وانظر ياقوت (رسم العقربة) . وبعد البيت :

إكليلها زول وفى شولها وخز أليم مثل وخز السنان

كل عدو يتقى مقبلا وأمكم سورتها بالعجان

(٥) الشيهم : العظيم من القنافذ .

(٦) الإلقة : الذئبة . والقشة ، بالكسر : الصغيرة من إناث القرود .

(٧) هو بشر بن المعتمر . وستأتى قصيدة البيت فى (٦ : ٢٨٤ - ٢٩١) .

(٨) ترغث : ترضع . وهى فى ط : « نزعت » وفى س « نزغت » وهما محرفتان . وانظر اللسان (ربح) . السهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . وهذه الأخيرة هى فى الأصل « النمر » وتصحيحها من اللسان والحيوان (٦ : ٢٨٥ ، ٣١٣) .

ومِن النعام هِقل وَهِقلة (١) ، وهَيق وهَيقَةٌ (٢) ، وصَعل وصَعلة (٣) ، وسفَنَّج وسفَنَّجة (٤) ، ونعامٌ وَنعامة (٥) ، والواحد من فراخها الرأل والجمع رئال [ورِئلان (٦)] وأرآل (٧) وأرؤل ، والأُنثى رألة ، وحفّانَةٌ والجمع حَفّان ، وقد يكون الحَفّان (٨) أيضًا للواحد . ويقال لها قِلاص والواحدة قلوص (٩) ولايقال قَلوصة ، ويقال ظليم ولا يقال ظَليمة ، ويقال نِقْنِق ولا يقال نِقنِقة (١٠) . ١٠٥

ويقال من الأَرانب أرنب ولا يقال أرنبة ، والذكر خُزَز . ويقال للأُنثى عِكْرِشة ولولدها خِرْنِق . ويقال هذه أرنب وهذه عقاب ، ولا يقال هذا الأَرنب ولا هذا العقاب . وقال الشَّماخ :

فما تنفكُّ بين عُويرِضـــاتٍ تجرّ برَأسِ عِكْرِشَةٍ زَمُوعِ (١١)

---

(١) انظر التنبيه رقم (٦) من ص ٢٨٥ .

(٢) هما بمعنى سابقتيهما .

(٣) الصعل من النعام : الدقيق الرأس والعنق .

(٤) السفنج : الخفيف من النعام .

(٥) نعام : يقع على الجنس وعلى الواحد أيضا ، كما هنا وكما فى القاموس .

(٦) الزيادة من س . ومثله فى القاموس والدميرى واللسان .

(٧) ط : « رال » وتصحيحه من س .

(٨) وردت هذه الكلمة وأختاها بالقاف فى ط ، وصوابه بالفاء كما فى س .

(٩) القلوص يقال للإبل كما يقال للنعام .

(١٠) النقنق : الظليم . أى الذكر من النعام . وفى الأصل: « ويقال تفيق ولا يقال تفيقة » وهو تصحيف ما أثبت .

(١١) يصف عقابا تقتنص الأرانب اقتناصاً . والزموع : الأرنب قد تدلت فى أرجلها الزمعات : شعرات فى مؤخر أرجلها . وقد استعمل (بين) وهى لاتكون إلا بين اثنين أو أكثر ؛ لأنه أراد بين نواحى ذلك المكان المسمى « عويرضات » وقد أتى الجاحظ بالبيت شاهداً على تأنيث كل من الأرنب والعقاب .

قال ويقال لولد الكلب جروٌ والأُنثى جروة ، وهو دِرْص والجمع أدراص، ويقال لمن عضَّه الكلْبُ الكَلِبُ: بالَ كأدراص الكلاب .

(بدء الإبصار عند أولاد السباع)

وجرو الكلب يكون أعمى عَشرةَ أيّام وأكثَر ، وقد يعرِض شبيهٌ بذلك لكثيرٍ من السِّباع .

(استطراد لغوى)

ويقال بصبص الجروُ وفقَّح[1] وجصَّص ، إذا فتح عينيه شيئاً . وصأصأ إذا لم يفتح عينيه[2] . ولذلك قَال عبد الله بن جحش[3] ، والسَّكران ابن عمرو[4] ، للمسلمين ببلاد الحبشة : « إنَّا فَقَّحنا وصأصأتم[5] ». قَال بعض الرُّجاز[6] فى بعض الصِّبيان :

---

(١) ط : « وفتح » وصوابه فى س .

(٢) فى القاموس : « صأصأ الجرو : حرك عينيه قبل التمتيح أو كاد يفتحهما » .

(٣) س : « عبيد الله بن جحش » . وعبد الله وعبيد الله أخوان هاجرا معا إلى بلاد الحبشة . السيرة ٢١٠ جوتنجن ، وقد ترجم ابن حجر لعبد الله فى الإصابة . وقد تزوج الرسول أختهما زينب بنت جحش . وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه .

(٤) هاجر السكران إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فمات بها ، فتزوج الرسول بعده زوجته سودة بنت زمعة . الإصابة ٣٣٣٠ والسيرة ١٠٠١ جوتنجن .

(٥) انظر اللسان (صأصأ) ومقاييس اللغة (صأ) .

(٦) ط : « ثم قال بعض الرجاز » ، والوجه ما أثبت من س . وفى الأغانى (٤ : ٤٢) أن صاحب الرجز الآتى هو الأحوص . يهجو نفسه ويذكر حوصه – أى ضيق عينيه – وفى الحيوان (١ : ٢٥٤) أنه أبو الأحوص .

أَقبِحْ بِهِ مِنْ وَلَد وأَشْقِحِ مثْلَ جُرَىِّ الكلْبِ لم يفقِّح[1]
إِنْ يَسْرِ سَارٍ لم يَقُمْ فيَنْبَحِ[2] بالبابِ عِنْدَ حاجةِ المستَفْتِحِ

ويقال لولد الأَسد جرو وأجراء وجِراء ، وهى لجميع السباع ، ويقال له خاصَّةً : شِبْل . والجمع أشبال وشُبول . وقَال زُهير :

ولأَنتَ أَشْجَعُ حِينَ تتَّجِهُ الـ ـأبطالُ مِنْ لَيْثٍ أبى أَجْرٍ[3]

(خبث الثعلب)

وحدَّثنى صديقٌ لى قَال : تعجَّبَ أخٌ لنَا من خُبث الثَّعلب ، وكان صاحبَ قَنص ، وقَالَ لى ما أعجب أمر الثعلب ! يفصل بين الكلب والكلاَّب ، فيحتالُ للكلاَّب بما يعلم أنّه يَجوز عليهِ ، ولا يحتال مثل تلك الحيلة للكلب ؛ لأنّ الكلب لا يَخفى عليه الميِّت من المغشِىِّ عليه . ولا ينفع عنْدَه التَّماوُت . ولذلك لا يُحمل مَن مات من المجوس إلى النَّار[4] حتى يُدْنَى منه كلبٌ ؛ لأَنّه لا يَخفى عليه مغْمُور الحِسِّ أحَىٌّ هُوَ أو ميت[5] . وللكلب عند ذلك عملٌ يستَدِلُّ بِهِ المجوس .

---

(١) فى الأصل : « مثل جرو » ، والوجه ما أثبت من الأغانى والحيوان (١ : ٢٤٤) .
(٢) انظر الرواية فى الجزء الأول من الحيوان . والشعر يصح فيه أن يقرأ بإسكان الروى أو كسره .
(٣) أجر : جمع جرو .
(٤) فى الجزء الأول ص ٣٧٥ : « إلى الناووس » ، بمعنى القبر .
(٥) ط : « أهوحى أو ميت » وأثبت مافى س .

قال : وذلك أنِّى هَجَمْتُ على ثعلبٍ فى مَضيق ، ومعى بُنَىٌّ لى ، فإذا هو ميِّتٌ منتفِخٌ ، فصدَدْت عنه ، فلم ألبَثْ أن لحِقتنى الكلاب ، فلمَّا أحسَّ بها وثَب كالبرق ، بعد أن تحايَدَ[1] عن السَّنن ، فسألت عن ذلك فإذا ذلك من فِعلِه معروفٌ ، وهو أنْ يستلقىَ وينفخَ خواصرَه ويرفعَ

١٠٦ قوائمه ، فلا يشكُّ مَن رآه من الناس أنَّه ميِّت منذُ دهر ، وقَدْ تَزكَّرَ بالانتفاخِ بدنُه ، فكنتُ أتعجَّب مِنْ ذلك[2] ، إذْ[3] مررْتُ فى الزُّقاق الذى فى أصل دار العبّاسيّة ومنفَذه إلى مازن ، فإذا جرو كلبٍ مهزولٌ سَيِّئُ الغذاء ، قد ضربه الصِّبيان وعقَروه ففرَّ منهم ودخل الزُّقاق ، فرمى بنفسه فى أصل أُسطُوانة[4] وتبِعوه حتَّى هَجَمُوا عليه ، فإذا هو قد تَمَاوَتَ[5] فضربوه بأرجلهم فلم يتحرَّكْ فانصرفوا عنه . فلمَّا جاوَزُوا تأمَّلت عينَه فإذا هو يفتَحُها ويُغمِضها ، فلمَّا بعدُوا عنه وأمِنَهم عدَا ، وأخذَ فى غير طريقهم فأذهَبَ الذى كان فى نفسى للثَّعلب ؛ إذ كان الثَّعلب ليس فيه إلاَّ الرَّوَغانُ والمكر ، وقد ساواه الكلبُ فى أجودِ حِيلِهِ .

---

(١) فى الأصل : « تحاير » .

(٢) تزكر : عظم . وفى ط : « وقد أتذكر انتفاخ بدنه فأتعجب من ذلك » وأثبت ما فى س .

(٣) ط : « إذا » .

(٤) فى الأصل : « أصطوانة » ، وإنما هى بالسين كما فى اللسان والقاموس .

(٥) فى الأصل : « تمرد » ووجهه ما أثبت .

(مقايسة بين الثعلب والكلب)

ومع الكلب بعدُ ماليس مَعَهُ ، إلاَّ أنْ يُفخَر بفروته[١] فى موضع انتفاع النّاس به ؛ فجعْر الكلب للذُّبحة أنفع منه ، إذ كان فى الذُّبحة الموت وليس يقوم مقامه شيءٌ . وجلد الثّعلب منه عِوَض[٢] .

(قول صاحب الديك فى الكلاب)

قال صاحب الديك : شِرارَ عِباد الله مَن قتلَ أولادَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم نجدْ شعراءَ النّاس شبّهوا أولئك القاتلين بشيءٍ سوى الكلاب . قال أبو نضلة الأبّار ، فى قتل سلم بن أحوز المازنىِّ ، صاحب شرطةِ نَصْرِ بن سيّار اللّيثى ، يحيى بنْ زَيدٍ[٣] وأصحابَه ، فقال :

ألم تر لَيثاً ما الذى خَتَمتْ بهِ ... لها الوَيْلُ فى سُلطانِها المتخاذلِ[٤]
كلابٌ تعاوَتْ لاهَدَى اللهُ سُبْلَها ... فجاءتْ بصَيدٍ لا يحلُّ لآكلِ[٥]
بنفسى وأهلى فَاطمىٌّ تقنَّصوا ... زَمانَ عَمًى مِنْ أمَّةٍ وتخاذُلِ
لقد كشفت للنّاس ليثٌ عن استِها ... وغابَ قَبِيلُ الحقِّ دُونَ القبائِلِ

---

(١) أى فروة الثعلب .

(٢) أى يستعاض عنه بجلد غيره .

(٣) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار على بنى مروان وقتل فى الجوزجان سنة ١٢٥ : أصابه سهم من رجال سلم بن أحوز فأرداه قتيلا ، فصلب بالجوزجان ، ولم يزل مصلوبا ، حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان ، فأنزله وصلى عليه ودفنه .

(٤) أراد بليث القبيلة .

(٥) يعنى قتلى العلويين .

قال صاحب الديك : وروى هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكونُوا ينْهَوْنَناَ عن شيءٍ من اللعب ونحنُ غِلمانٌ إلاَّ الكلاب .

(التقامر بالبيض)

وذكر محمَّد بن عجلان المدينىّ[1] عن زيد بن أسلم[2] ، أنّه كان لا يرى بأساً بالبيض الذى يتقامر بِهِ الفتيان ، أن يُهدَى إليه منه شيء أو يشتريَه فيأكله .

وهشام بن حسَّان[3] قال : سئل الحسن عن البيض يلعَب بِهِ الصِّبيان يشتريه الرجل فيأكله ، فلم يرَ بِهِ بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه ، والجوز الذى يلعب بِهِ الصِّبيان .

وحاتم بن إسماعيلَ الكوفىُّ قال : حدّثنا عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيّب ، أنّه لم يكن يرى بأسًا بالبيض الذى يلعب به الصِّبيان .

---

(١) ط : « محمد بن العجلان المدائنى » ، وهو تحريف ، وإنما هو مدينى . ذكره ابن حجر فى تقريب التهذيب وقال : « صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبى هريرة . . . مات سنة ثمان وأربعين » ، أى ومائة ، كما هو اصطلاح ابن حجر . وفى النسبة إلى مدينة رسول الله كلام ذكره ياقوت فى معجمه .

(٢) زيد بن أسلم العدوى مولى عمر ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المدنى ، ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدى القردوسى ، روى عن الحسن ومحمد بن سيرين وعكرمة وهشام بن عروة ، وعنه سعيد بن أبى عروبة والحمادان والسفيانان . توفى سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب .

(قتل الحيات والـكلاب)

قال : وحدَّثنى ابن جُريج قال ، وأخبرنى عبد الله بن عُبيد بن عمير ١٠٧
قال : أخبرنى أبو الطفيل أنّهُ سمع عليَّ بنَ أبى طالب يقول : اقتُلوا [من][١]
الحيَّات ذا الطُّفْيتين[٢] ، والـكلبَ الأسودَ البهيم ذا الغُرَّتين[٣] .
قال : والغُرَّةُ[٤] : حُوَّة تكون بعينيهِ[٥] .

(قول صاحب الـكلب فى صقاع الديك)

قال صاحب الـكلب : قد أخبرنى أبو حرب عن منصور القصَّاب ،
قال : سألت الحسن عن البيض الذى يتقامرون بِهِ ، فـكرههُ .

وما رأينا قطُّ أحَدًا يريد الادِّلاج ينتظر صُقَاعَ الدِّيك[٦] . وإنَّما
يوالى الدِّيك بين صياحه قُبيل الفجر ثمَّ مع الفجر إلى أنْ ينبسط النهار ؛
وفيما بين الفَجْر وامتدَادِ النهار لايحتاج النَّاس إلى الاستدلال بأَنْ يصوِّت
الديك[٧] . ولها فى الأسحار أيضاً بالليل الصَّيْحة والصَّيحتان ، وكذلك

---

(١) زيادة يقتضيها الـكلام .

(٢) الطفيتان : خطان أسودان فى ظهر الحية . وانظر ٦ : ٢٢٤ .

(٣) فى الأصل : « العزتين » ، والصواب ما أثبت ، كما فى النهاية لابن الأثير ، واللسان .

(٤) فى الأصل : « والعزة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى النهاية واللسان ، أن الغرتين نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

(٦) الادلاج : افتعال من ادلج بتشديد الدال ، أى سار من آخر الليل ، وهو المراد هنا . والإدلاج : إفعال من أدلج السير من أول الليل ، وليس مراداً . وصقاع الديك : صياحه .

(٧) فى الأصل : « لأن يصوت الديك » وصوابه ما أثبت .

الحمار . عَلَى أنّ الحمارَ أبعدُ صوتاً ، وأجدر أنْ ينبِّه كلَّ نائمٍ لحاجةٍ إن كانتْ له[١] . وما رأينا صاحبَ سَحُورٍ يستعمله[٢] ، وكذلك صاحب الأذان ، وما رأيناه يتّكل فى وقتِ أذانِه عَلَى صياحِ الدِّيك ، لأَنّ صورَةَ صوتِه ومقدارَ مَخرجِهِ فى السَّحَر الأكبر كصياحِه قبلَ الفجر . وصياحُهُ قبلَ الفجر ؛ كصياحِه وقد نوَّر الفجْرُ وقدْ أضاء النهار . ولو كان بين الصيحتين فرقٌ وعلامةٌ كانَ لعمرى ذلك دليلاً . ولـكِنَّهُ مَن سمع هُتافهُ وصُقاعَهُ فإنّما يفزع إلى مواضع الـكواكب، وإلى مطلع الفجر الكاذب والصادق .

والديك له عِدَّةُ أصواتٍ بالنَّهار لايغادر منها شيئاً ؛ ولتلك أوقاتٌ لايحتاج فيها النّاس إليهِ . وملو كُنا وعلماؤنا يستعملون بالنّهار الأَسْطُرلابات[٣] وبالليل البَنكامات[٤] ، ولهم بالنّهار سوى الأسطرلاباتِ[٥] خطوطٌ وظلٌّ يعرفون بِهِ مامَضى من النهار وما بقى . ورأيناهم يتفقّدُون المطالع والمجارِىَ . ورأينا أصحابَ البَساتين [و][٦] كلّ مَنْ كان بقُرب الرِّياض ، يعرفون ذلك بريح الأَزهار . ورأينا الرُّومَ وَنَصَارى القُرى يَعرفُون ذلك بحركاتِ الخنازير وبِبُكُورها وغدوِّهَا وَأصواتها ؛ ولذلك قالوا فى وَصف الرجل : له

---

(١) فى الأصل : « وأجدر على أن ينبه » الخ . والوجه حذف « على » .

(٢) أراد بصاحب السحور من يتـكفل إيقاظ الناس للسحور .

(٣) مر القول فىالأسطرلاب ص ٢٥٥ من هذا الجزء . وفى س : « الأصطرلاب » .

(٤) فى الأصل : « المنكابات » . وانظر الاستدراكات .

(٥) فى الأصل : « الأصطرلابات » .

(٦) زدتها لحاجة القول إليها .

وَثْبة الأسد، وروَغان الثعلب ، وانسلاب الذِّئب[1] وَجمْع الذرّة[2] وبُكور الخِنزير . والرَّاعي يعرف ذلك فى بكور الإبل وفى حنينها وغيرِ ذلك من أمرها .

وللحَمام أَوقاتُ صياحٍ ودُعاءٍ مع الصُّبح وقُبيلَ ذلك على نسَق واحد ، ولــكنَّ النَّاس إنَّما ذكروا ذلك فى الدِّيك والحمار ، لامتداد أصواتهما .

(هديل الحمام)

وهديلُ الحمامِ ودعاؤه لايجُوزُ بعيداً[3] ، إلاَّ ماكان من الوراشين[4] والفَواختِ فى رُءُوس النَّخل وأعالى الأشجار ، فلَعمرْى إنَّ ذلك لمـَا يُسمَع من موضعٍ صالح البعد . ١٠٨

(مايصيح من الطير مع الفجر والصبح)

وللعصافير والخطاطيفِ وعامَّة الطَّير ، ممَّا يصفِر أو يُصرصِر[5] ، وممَّا يهدِل مع الفجر إلى بُعيدِ ذلك — صِياحٌ كثير . ثمَّ الذى لايدع الصِّياح

---

(١) انسلاب الذئب : انفلاته وسرعة عدوه . وفى س : « استلاب الذئب » من السلب بمعنى النهب ، وهو الموافق لما فى الجزء الأول ص ٣٠٣ .

(٢) ط : « الذر » . والذرة : الواحدة من الذر ، وهن ضرب من النمل أحمر صغير .

(٣) لايجوز بعيداً : لاينتهى إلى مدى بعيد .

(٤) الوراشين : جمع ورشان ، وهو ضرب من الحمام . وفى ط : « الوارشين » وهو على الصواب فى س .

(٥) فى اللسان : « صرصر الطائر : صوت . وخص بعضهم به البازى والصقر » .

فى الأسحار مع الصبُّح أبداً الضُّوَع [١] ، والصَّدَى [٢] ، والهامَةَ ، والبُومةوهذا الشَّكلُ من الطَّير . وقد كتبْنا فى غير هـذا الموضعِ الأشعارَ فى ذلك [٣] .

قال : وقد يصيح مع الصُّبح البُوم ، والصدى [٢] والهام ، والضُّوَع [١] والخطاطيف ، والعصافير ، والحُمَّرُ [٤] فى ذلك الوقت أكثَرَ من الدِّيَكة .

قال الوليدُ بن يزيدَ فى ذلك :

سُلَيمى تِيكَ [٥] فى العـير ... قفى إنْ شئتِ أوْ سِيرِى

فلما أنْ دَنا الصُّبحُ ... بأصـواتِ العَصَافـيرِ

وقال كلثوم بن عمرو العَتّابىّ [٦] :

ياليلةً لى بحُوَّارِينَ ساهرةً ... حتَّى تكلَّمَ فى الصُّبْحِ العَصافيرُ [٧]

---

(١) ط : « الصوع » س : « الصوغ » ، وإنما هو « الضوع » ، وهو طائر ليلى من جنس البوم .

(٢) الصدى ، بالقصر : ذكر البوم . وفى الأصل : « الصداء » بالمد ، وهو تحريف ، وقد جاء على الصواب فى الصفحة التالية .

(٣) انظر ص ٢٩٩ — ٣٠٠ من هذا الجزء .

(٤) الحمر : ضرب من الطير كالعصفور . وفى الأصل : « الحمير » ، وهو تحريف لاوجه له .

(٥) ط : « تبك » والصواب فى س . و « تيك » بمعنى « تلك » .

(٦) كلثوم بن عمرو العتابى : شاعر مترسل بليغ مطبوع مقدم ، من شـعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . وهو من أحفاد أحفاد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . انظر الأغانى ١٢ : ٢ — ٩ وتاريخ بغداد ٦٩٦١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ — ٣١ . وفى ط : «كلثوم أبو عمرو العتابى »، وهى على الصواب فى س .

(٧) حوارين بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب ، وحصن من ناحية حمص . وفى ط : « فى حوران » وهى بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد أثبت رواية س . وقد استعمل الكلام فى معنى الصياح . مثله قول الآخر :

فصبحت والطير لم تكلم ... جابية حفت بسيل مفعم

فالعَصافير والخطاطيف والحُمَّر[١] والحمام والضُّوعان[٢] وأصناف البوم كلُّهاتقوم مَقام الديك . وقال ثَعْلبة بن صُعَير المازنىّ[٣] :

أُعُمَيْرَ مايُدريكِ أنْ رُبَ فِتْيةٍ بيضِ الوَجوهِ ذوى ندًى ومآثرِ[٤]

حَسَنِى الفُكاهةِ لاتذمُّ لحامُهم سَبْطِى الأكفِّ لدىالحروب مساعرِ[٥]

باكرْتُهُمْ بسِباء جَوْنٍ مُتْرَعٍ قَبْلَ الصَّباحِ وقَبْل لغوِ الطائرِ[٦]

(صوت الديك وما قيل فيه من الشعر)

قال : ويقال لصوت الدِّيَكة الدُّعاء ، والزقاء ، والهُتاف ، والصُّراخ ، والصُّتاع . وهو يهتِف ويَصقَع ويزْقُو ويصرُخ . وقال جِرانُ العَوْد[٧] :

---

(١) فى الأصل : « والحمير » . وانظر الصفحة السابقة .

(٢) فى الأصل : « الصوغان » ، وهو تحريف ، وأراد بالضوعان جمع الضوع : الطائر الليلى ؛ والقياس فى الجمع « ضيعان » كما فى اللسان والقاموس .

(٣) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة . والأبيات الآتية من قصيدة مفضلية (المفضليات ١٢٨) مطلعها :

هل عند عمرة من بتات مسافر ذى حاجة متروح أو باكر

(٤) قد خفف باء « رب » كما ترى . والرواية فى المفضليات : « أسمى مايدريك » والوجه رواية الجاحظ . « وعمير » تصغير ترخيم لـ « عمرة » .

(٥) فى الأصل : « حسن الفكاهة » والوجه ماأثبت من المفضليات . وفى ط : « لاتذم كما هم » وهو تحريف صوابه فى س ، والمفضليات ، وهذا كناية عن الكرم وطيب القرى . وفى الأصل : « سبط الأكف » وتصحيحه من المفضليات . والمساعر : جمع مسعر ، وهو الذى يوقد نار الحرب ويؤرثها . وفى المفضليات : « وفى الحروب مساعر » فيكون فى البيت إقواء .

(٦) سباء : شراء . جون مترع : يعنى زقا أسود ممتلئا خمراً . ويصح أن يكون السباء فى معنى الخمر نفسها ، فالسباء الخمر كما فى القاموس .

(٧) من قصيدة مطولة مثبتة فى ديوانه ١٣ — ٢٤ والأبيات الآتية فى ص ١٧ . وقبل هذه الأبيات ما يرتبط بمعناها :

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخفافها بالجندل الصم تقذف

وهن جنوح مصغيات كأنما براهن من جذب الأزمة علف

حمدت لنا حتى تمناك بعضنا وأنت امرؤ يعروك حمد فتعرف

رفيع العلا فى كل شرق ومغرب وقولك ذاك الآبد المتلقف

وفيك إذا لاقيتنا عجرفية مراراً وما نستيع من يتعجرف

تميلُ بك الدنيا ويَغْلبك الهوى   كما مَالَ خوَّارُ النَّقا المتقصف[1]
ونُلْغَى كأنَّا مَغْنَمٌ قد حويته   وترغَبُ عن جَزْلِ العَطاءِ وتَصْدفُ[2]
فموعِدُكَ الشَّطُّ الذى بينَ أهلِنا   وأهلِك حتَّى تسمَعَ الديكَ يهتِفُ

وقال الممزَّق العَبْدىُّ :

وقَدْ تَخِذَتْ رجلاىَ فى جَنْبِ غَرْزِها
نَسِيفاً كأُفحوصِ القَطَاةِ المطرِّقِ[3]
أُنيختْ بجوّ يصرُخ الديك عندَها   وباتَتْ بِقاعٍ كادِئ النبت سَمْلَقِ[4]

١٠٩ وقال لَبيد :

لَدُنْ أن دعا ديكُ الصَّباح بسُحرَةٍ   إلى قدر وِرْدِ الخامِس المتأوِّبِ

(طيور الليل)

ويقال للطائر الذى يخرجُ من وَكره باللَّيل البومة والصَّدَى والهامة والضُّوَع[5] والوَطواط والخُفَّاش ، وغُراب اللَّيل ، ويصيدُ بعضها الفأرَ[6]

---

(١) خوار النقا المتقصف : الرمل اللين السهل ، الذى ينهاث من لينه ونعومته . وفى الأصل : « جوان الفتى المتقصف » وهو تحريف أصلحته من الديوان .

(٢) فى الديوان : « ونلقى » ، قال العسكرى : « من اللقاء » . وفيه « وتسرف » موضع « وتصدف » ، ورواية الجاحظ هنا أشبه .

(٣) الغرز : ركاب الرحل من جلد . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبى البعير إذا انحص عنه الوبر . والقطاة المطرق : التى حان خروج بيضها . والأفحوص : مجثمها .

(٤) الجو : المنخفض من الأرض . وكدأ النبات : أصابه البرد فلبده فى الأرض ، أو أصابه العطش فأبطأ نبته . وفى الأصل : « كارى النبت » ، والوجه ماأثبت . والقاع السملق : الأرض المستوية الجرداء .

(٥) س : « الصوغ » ، وهو تصحيف .

(٦) فى الأصل : « يصيد بعضها والفأر » .

وسامَّ أبرصَ والقَطا وصِغارَ الحشرات ، وبعضُها يصيد البعوضَ والفَرَاش وما أشبَه ذلك . والبُوم يدخل بالليل على كل طائرٍ فى بيته ، ويُخرجه منه ويأ كُلُ فِراخه وبَيضَه . وهذه الأسماء مشتَرَكة .

(ماقيل من الشعر فى الهامة والصدى)

وقال خزيمة بن أسْلم :

فلا تَزْقُوَنْ لى هامةٌ فوقَ مَرْقَبٍ　　فإنَّ زُقاءَ الهامِ أخبَثُ خابِثِ[١]

وقال عَبد الله بن خازم[٢] أو غيره[٣] :

فإنْ تكُ هَامَةً بهَـرَاةَ تَزْقُو　　فَقَدْ أزْقَيْتَ بالمَرْوَينِ هَاما[٤]

وقال تَوْبَة بن الحميِّر[٥] :

ولو أنَّ ليلَى الأخْيَليَّةَ سَلّمتْ　　عَلَيَّ ودُونِى جَنْدَلٌ وَصفائحُ

لَسلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أوزَقا　　إليها صَدًى مِنْجَانبِ القَبْرِ صائحُ

---

(١) انظر مثل هذا البيت مع قرين له فى بلوغ الأرب (٢ : ٣١٢) .

(٢) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، ولى إمرتها لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . فى الأصل : « عبد الله بن حازم » ، مصحف . والبيت يقوله فى ابنه محمد الذى قتله شماس ابن دثار العطاردى بهراة . (المخصص ٨ : ١٦٢ والأمالى ٣ : ٣١) .

(٣) يروى البيت لابن عرادة ، كما فى الأمالى .

(٤) المروان يعنى بهما مرو الشاهجان ومرو الروذ بخراسان .

(٥) هو صاحب ليلى الأخيلية . كان بينهما حب مشهور ، ولما قتل رثته بمراث كثيرة جيدة . انظر لها الأغانى (١٠ : ٧١ — ٧٤) وحماسة البحترى (٤٢٣ — ٤٢٦) .

وقال الرَّاجز :

وِمَنْهَــل طامِسَــةٍ أَعْلامُه يَعْوِى بِهِ الذِّئْبُ وَيزْقُو هامُه

وأنشدنى فى الصَّدَى[1] :

تجشَّمتُ مِنْ جَرَّاكِ والبُومُ والصَّدَى
له صائح أنْ كنْتِ أسْرَيتِ مِنْ أَجْلى

وقال سُوَيد بن أبى كاهل[2] فى الضَّوَع[3] :

لَنْ يَضِرْنى غيْرَ أَنْ يَحْسُدَنى فَهْوَ يَزْقُو مِثْل مَا يزْقُو الضَّوَعْ

قال : فى قراءة ابن مسعود : ﴿إنْ كانتْ إلاّ زَقْيَةً وَاحِدةً[4]﴾ ﴿وَنفخَ فى الزَّقية﴾ يريد الصُّور .

وصَوْتُ الدجاجَةِ القوقأة ، تقول هى تقوقئ .

(شعر فى الدجاج)

وقال أعرابىٌّ :

أَلَيْسَ يَرَى عَيْنَىْ جُبَيرة زَوْجُها وَمحْجِرَهَا ، قامَتْ عليهِ النَّوائحُ
تنجَّبَها لا أ كْثَرَ الله خَيْرَه رُميصاءَقَدْشابَتْعليهاالمسائح[6]
لها أنْفَ خِنزِيرٍ وساقَا دَجَاجَةٍ ورُؤيتها تَرْحٌ من العَيْشِ تارِحُ

---

(١) فى الأصل : « الصداء » ، وهو تحريف نبهت عليه قريباً . ويبدو أن هنا سقطا بعد « وأنشدنى » .

(٢) سويد بن أبى كاهل اليشكرى : شاعر مخضرم ، ترجمته فى ابن سلام والأغانى ١١ : ١٦٥ والخزانة ٢ : ٥٤٦ والإصابة ٣ : ١٧٢ والشعراء ٣٨٤ وقصيدته هذه فى المفضليات ١٩١ .

(٣) س : « الصوغ » وهو تصحيف نبهت عليه . والبيت الآتى من قصيدة مفضلية

(٤) فى المفضليات : « لم يضرنى » .

(٥) أى صيحة واحدة . انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩ .

(٦) تنجبها : اختارها واصطفاها . وفى الأصل : « تجنبها » وهو عكس ما أريد . والرميصاء : التى رمصت عيناها ، أى ظهر بهما القذى . والمسائح : جمع مسيحة وهى الضفيرة ، أو شعر جانبى الرأس .

وقال العُجَير السَّلُولىّ :

لانَوْمَ إلاَّ غِرَارُ العَيْنِ ساهرةً حتَّى أُصيبَ بغيظ آلَ مَطلوبِ [١] ١١٠

إن تَهْجُرونى فقد بدَّلْتُ أيكتَكم ذَرْقَ الدجاج بحفّاز اليَعاقِيبِ [٢]

وقال أبو الأسود الدُّئِلىّ :

ألم تعلما يا ابنَى دَجاجةَ أَنَّنى أَغُشُّ إذا ما النُّصْحُ لم يُتَقَبَّلِ [٣]

(شعر فى هجاء الدجاج وهجاء من اتّخذها)

وقال صاحب الكلب : وسنروى فى الدَّجاج ونذكرُ كلَّ من هجاها وهَجا مَنِ اتَّخَذَها وأشبَهَها فى وجهٍ من الوجوه ، قال الراجز :

أقبَلْنَ من نِيرٍ ومن سُوَاجِ [٤] بالحىِّ قد ملّ من الإدْلاَجِ [٥]

فَهُمْ رَجاجٌ وعلى رَجَاجِ [٦] يمشُون أفْوَاجاً إلى أفْوَاجِ

---

(١) مطلوب : ماء كان لخثعم ، جنوبى مكة ، وكان العجير دل عبد الملك عليه فاتخذ ذلك الماء ضيعة . وقد يسمى هذا الموضع المعمل . ياقوت (مطلوب ، ومعمل) والأغانى (١١ : ١٤٦) .

(٢) ياقوت : الأيكة : جماعة الأراك، وذلك أنه نزع ووضع مكانه الفسيل . وذرق الدجاج : نجوه ، وفى الأصل « زرق » وصوابه ما أثبت من المعجم والأغانى . واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . يريد أن الدجاج حل موضع اليعاقيب لتحول تلك الأيكة إلى قرية .

(٣) فى ديوان الفرزدق ٧٠٧ : وقال الفرزدق لعوف بن القعقاع وأخيه :

ألم تعلما يا ابنى أمامة أننى أغش إذا ما النصح لم يتقبل

(٤) النير : جبل . وكذلك سواج . وفى الأصل : « من بر » وتصحيحه من اللسان (رجج ونير) ومعجم البلدان (سواج) حيث يوجد فيهما الرجز . وفى الدميرى (فروج) : « من بئر » محرفة .

(٥) يروى : « بالقوم قد ملوا » .

(٦) الرجاج بالفتح : الضعفاء من الناس والإبل . وفى ط : « فهم دجاج على دجاج » و س : « فهم دجاج وعلى دجاج » وهو تحريف عجيب ، وتصحيحه من اللسان (رجج). قال : أى ضعفوا من السير وضعفت رواحلهم .

* مَشْىَ الفَرارِيجِ إلى الدَّجاجِ[١] *

وقال عبد الله بن الحجّاج[٢] :

فإن يُعْرِضْ أبو العبَّاسِ عَنِّى ... ويركبْ بى عَرُوضاً عن عَرُوضِ[٣]

ويجعلْ ودَّهُ يوماً لغيرى ... ويُبْغِضْنى فإنِّى من بَغيضِ[٤]

فَنَصْرُ اللهِ يأسُو كلَّ جُرْحٍ ... ويَجْبُر كسْرَ ذى العَظْمِ المهيض[٥]

فِدًى لكَ مَنْ إذا ماجئْتُ يوماً ... تلقانى بجامعةٍ رَبُوض[٦]

لدى جَنْبِ الخِوان وذاك فُحشٌ ... وبِئْستْ خُبْزَةَ الشَّيخِ المريض[٧]

كأنِّى إذ فزِعت إلى أُحَيْحٍ ... فزِعْتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيوض[٨]

---

(١) « إلى» هنا بمعنى « مع » ، وبالأخيرة جاءت الرواية فى اللسان والدميرى .

(٢) عبد الله بن الحجاج : شاعر فاتك شجاع ، من معدودى فرسان مضر ، فكان من خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً ، خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أمنه ، وهو القائل :

رأيت بلاد الله وهى عريضة ... على الخائف المطرود كفة حابل

تؤدى إليه أن كل ثنيــة ... تيممها ترمى إليه بقاتل

الأغانى ١١ : ٢٤ — ٣٢ .

(٣) أبو العباس ، يعنى به الوليد بن عبد الملك ، وكان حبس عبد الله فقال قصيدته هذه فى الحبس .

(٤) يريد بغيض بن ريث بن غطفان ، وهو من أجداد عبد الله ، ولهذا البيت خبر فى الأغانى ١١ : ٢٧ .

(٥) المهيض : المكسور بعد أن كان جبر .

(٦) الجامعة الربوض : السلسلة الضخمة . وفى ط : « ريوص » و س : « ويوض » محرفتان . وهما على الصواب الذى أثبت فى الأغانى .

(٧) فى الأغانى : « دسست بخفة الشيخ المريض » ، صواب هذه « وبئست تحفة » .

(٨) أحيح هذا هو ابن خالد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان عبد الله قد لجأ إليه ، فسعى به إلى الوليد فأخذه من دار أحيح فحبسه . س : « إذ دخلت على أحيح » ، والوجه ماأثبت من ط والأغانى . ط : « مقوقية ربوض » ، والوجه ما كتبت من س والأغانى . وعنى بالمقوقية الإوزة .

إوَزَّة غَيْضةٍ لَقِحت كشافاً   لِفَقْحَتِهَا إذا بَرَكَتْ نَقِيضُ[1]

وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقِّص ابناً لها منه :

وُهبتُه من سَلْفَعٍ أَفُوكِ[2]   ومن هِبَلٍّ قَدْ عَسا حَنيكِ[3]

* أَشْهَبَ ذِى رأسٍ كرأسِ الدِّيكِ *

تريد بقولها « أشهب » أنّه شيخ وشعر جسده أبيض وأنّ لحيته حمراء .

وقد قال الشاعِرُ ، وهو الأعشى :

وبنى المنْذِرِ الأشاهِبِ بالحِيرَةِ   يَمْشُونَ غُدْوَةً كالسُّيوفِ ١١١

وإنما أراد الأعشى أنْ يعظِّم ويفخِّم[4] أمرَهم وشأنهم ، بأنْ يجعلهم شيوخا . وأمّا قولها : « ذى رأس كرأس الدِّيك » فإنَّما تعنى أنَّه مخضوبُ الرَّأس واللِّحية .

وقال الآخر[5] :

حَلَّتْ خُويلةُ فى حَىٍّ مجاوِرَةً   أهلَ المدائنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ

يقارِعُون رءُوس العُجْمِ ضَاحِيةً   منهم فَوَارِسُ لاعُزْلٌ ولا مِيلُ[6]

---

(١) أصله من لقحت الناقة كشافا : إذا حملت بعد نتاجها . والنقيض : الصوت. ورواية أبى الفرج : « لقحقحها إذا درجت » . والقحقح ، بضم القافين : العظم المطيف بالدبر .

(٢) السلفع : الشجاع الجرئ الجسور . وهو فى الأصل : « سلفك » ، وتصحيحه من اللسان (حنك) .

(٣) الهبل : الثقيل المسن الكبير . وفى الأصل : « هبتل » ، وصوابه فى اللسان . وعسا : كبر . والحنيك : الشيخ . وانظر هذا الجزء ص ٢٣٩ .

(٤) ط : « يفخر » ، س : « يفحم » وهما تحريف ما كتبت .

(٥) هو عبدة بن الطبيب من قصيدة له (فى المفضليات ١٣٥) مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول   أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٦) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ، وهو من لا ترس معه ، أو لا سيف ، أو لارمح ؛ أو الجبان .

قال ابن أحمر :

فى رأس خَلْقَاء من عَنْقَاءَ مُشْرِفَةٍ لايُبْتَغَى دُونَها سَهْلٌ ولا جَبَلُ [١]

إلَّا كمثلك فينا غير أنّ لنا شوقاً وذلك ممَّا كلّفت جَلَلُ

هَيهاتَ حَيٌّ غَدَوْا من ثَجْرَ مَنْزِلُهُمْ

حَيٌّ بنجرانَ صاحَ الدِّيكُ فاحتملوا [٢]

وقال :

أبَعدَ حُلولٍ بالرِّكاء وجَامِلٍ غداً سارحاً مِنْ حَوْلنا وتَنَشَّرا [٣]

تبدَّلْت إصطبلا وتَلاًّ وَجَرَّةً ودِيكًا إذاما آنَسَ الفَجْرَ فرفرا [٤]

وبستانَ ذى ثَوْرَينِ لا لِينَ عنده إذا ما طَغَى ناطُورُه وتَغَشْمَرا [٥]

وقال أوس بن حجَر :

كأنَّ هِرًّا جَنِيبًا عِنْدَ مَغْرِضِها والتفّ دِيكٌ بِرِجْليها وخِنْزِيرُ [٦]

---

(١) الخلقاء : الصخرة الملساء . والعنقاء : الأكمة فوق جبل مشرف .

(٢) ط : « هيهات حتى » و « حتى بنجران » وتصحيحه من س . وفى ط أيضاً : « من بحر » وفى س : « من تجر » ، وصوابهما « ثجر » بالثاء ، وهو ماء قرب نجران ، كما فى معجم البلدان والقاموس . ونجران : موضع من بلاد اليمن .

(٣) الركاء ، بالفتح أو بالكسر : اسم موضع . الجامل : الجمال . وتنشر : تفرق .

(٤) الفرفرة ، بالفاء : الصياح .

(٥) ذو الثورين ، أراد به الزارع . والناطور : حافظ الزرع والكرم والتمر . وتغشمر : بدا منه العنف والجفاء .

(٦) انظر هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٧ . وفى الأصل : « وألف ديك » ، وهو من عجيب التحريف .

وقال الحكَم بن عَبْدل :

مَرَرْتَ على بَغْلٍ تَزُفُّكَ تِسعةٌ[١] كأنَّك ديكٌ مائلُ الرَّأسِ أعوَرُ

تخيَّرتَ أثواباً لِزينةِ مَنْظَرٍ وأنتَ إلى وجهٍ يَزِينُك أفْقَرُ

وقال النَّمِر بن تَولب :

أَعِذْنى رَب مِنْ حَصَرٍ وعِيٍّ ومِنْ نَفسٍ أُعالِجُها عِلاجَا

ومن حاجاتِ نفْسى فاعصِمَنِّى فإنَّ لمُضْمَراتِ النَّفْسِ حَاجَا[٢]

وأنتَ وليُّها وبرِئتُ منها إليكَ وما قَضَيْتَ فلا خِلاجَا[٣]

وأنتَ وَهَبْتَها كُومًا جِلاداً أرجِّى النَّسْلَ منها والنِّتاجَا[٤]

وتأمرُنى رَبيعةُ كلَّ يومٍ لأشرِيَها وأقتَنِيَ الدَّجاجَا[٥]

وَما تُغْنِي الدَّجاجُ الضَّيفَ عنِّى وليس بنافِعِى إلَّا نِضَاجَا[٦] ١١٢

أَأُهْلِكُها وقد لاقَيتُ فيها مِرَارَ الطّعنِ وَالضَّرْبَ الشِّجَاجا[٧]

---

(١) ط : « تزفك نعسة »، وأثبت ما فى س وكتاب البغال للجاحظ . ورواية اللسان (زين) :

أجئت على بغل تزفك تسعة كأنك ديك مائل الزين أعور

والزين : العرف ، كما فى اللسان .

(٢) الحاج : جمع حاجة .

(٣) الخلاج هنا : بمعنى الاعتراض .

(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الكبار .

(٥) لأشريها : لأبيعها . وهى فى الأصل : « لأشربها » ، مصحفة . وفى الخزانة ٤ : ٣٧٦ بولاق : « لأهلكها »، بفتح لام التعليل ، لغة لبنى العنبر .

(٦) رواية اللسان : « ولاينفعنى إلا نضاجا » . والنضاج : جمع نضيج .

(٧) ط : « الشجاجا » .

وتَذْهَبَ باطلاً غَدَوَاتُ صُهْبَى على الأعداء تختلِجُ اختِلاجَا[١]
جَمُـوم الشدِّ شائـلةُ الذُّنابَى تخال بياضَ غُرَّتها سِراجَا[٢]
وشدِّى فى الـكريهة كلَّ يومٍ إذا الأصوات خالطت العَجَاجَا[٣]

وقال عبد الرحمن بن الحكم[٤] :

ولَلأَنْصارُ آكَلُ فى قُرَاهَا لُخبْثِ الأطْعِمَاتِ من الدَّجَاجِ[٥]

وقال الآخر[٦] لصاحبه :

آذيتَنا بديكك السَّــلَّاحِ فَنَجِّنا مِن مُنْتِنِ الأرْواحِ

وقالوا : « هو أسلح من حُبارَى » ساعة الخوف ، ومن « دجَاجَةٍ » ، ساعةَ الأمن .

وقال عقيل بن علَّفة :

وهَلْ أَشْهَدَنْ خَيلًا كأنَّ غُبارَهَا بأسفَلِ عِلْـكَدٍّ دَواخِنُ تَنْضُبِ[٧]
تَبيتُ عَلَى رَمْضٍ كَأنَّ عُيُونَهم فِقَاحُ الدَّجَاجِ فى الوَدِىِّ المعصبِ[٨]

---

(١) صهبى : فرس النمر بن تولب ، كما فى صحاح الجوهرى ولسان العرب والاقتضاب ٣٣١ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٧ والعمدة ٢ : ١٨٢ . وهى فى ط : « صحبى » محرفة ، وعلى الصواب فى س . وفى (صهبى) يقول النمر أيضاً :

لقد غدوت بصهبى وهى ملهبة إلهابها كضرام النار فى الشيح

(٢) قال ابن قتيبة فى أدب الـكاتب ٨٩ ، « ويستحب فى الخيل أن ترفع أذنابها فى العدو » . واستشهد بهذا البيت .

(٣) ط : « وشد » س : « وشدو » . والوجه ماأثبت .

(٤) انظر ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٣٢ .

(٥) فى الأصل : « فخبث » وتصحيحه من الجزء الأول ص ٢٣٣ .

(٦) هو أبو نواس كما مر فى ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٧) علـكد : موضع لم يذكره ياقوت وصاحبا القاموس واللسان . وفى س : « علـكيد » . والدواخن : جمع دخان ، وهو جمع شـاذ ، مثله عثان وعواثن . والتنضب : شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ، ودخانه أبيض فى مثل لون الغبار ، ولذلك شبهت الشعراء الغبار به . وقال النابغة الجعدى :

كأن الغبار الذى غادرت ضحيا دواخن من تنضب

اللسان (دخن) وسيبويه ٢ : ١٣٨ .

(٨) عنى بالرمض القلق . ط : « ربض » . والودى المعصب : صغار النخيل المتجمع .

(كلب الرفقة)

وقال صاحب الديك : حدَّث الأصمعىُّ قال : أخبرنى العَلاء بن أسلم قال : أردت الخروج إلى مكَّة المعظّمة ، شرَّفها الله تعالى ، فجاءنى هشامُ ابنُ عقبة — وهو أخو ذى الرُّمة — فقال لى : يا ابن أخى ، إنَّك تريد سفراً يحضُر الشّيطانُ فيهِ حُضُورًا لا يحضره فى غيره، فاتّقِ الله وصَلِّ الصَّلوات لوقتها فإنّك مصلِّيها لا محالة ، فصلِّها وهى تنفعك ، واعْلم أنّ لكلِّ رُفقةٍ كلباً ينبَحُ عليهم ، فإن كان نهبٌ شَرِكوه فيه ، وإن كان عارٌ تقلّده دونَهم فلا تكنْ كلبَ الرُّفقة[1] !!

وقد رووا شبهاً بذلك عن تبيع بن كعب[2] .

(أم كلبة)

وقال زيد الخيل :

يا نَصْرَ نَصْرَ بنى قُعَيْنٍ إنّما أنْتُمْ إماءٌ يَتَّبِعْنَ الأشْترَا[3]

---

(١) مثل هذا الخبر فى ثمار القلوب ٣١٥ . وقد عزا الميدانى المثل إلى لقمان الحكيم انظر الأمالى ٢ : ٢٣٤ .

(٢) هو ابن امرأة كعب الأحبار ، لا ابن كعب . ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٨٥٦ ، وهو كما فى القاموس تبيع بن عامر ابن امرأة كعب الأحبار .

(٣) فى الأصل : « نصر أبى قعين » ، وليس كذلك . وقعين : بطن من أسد . وفى اللسان : « وسئل بعض العلماء أى العرب أفصح ؟ فقال : نصر قعين » .

يَتْبَعْنَ فَضْلَةَ أَيْرِ كَلْبٍ مُنْعِظٍ   عضَّ الكلابُ بعَجْبِهِ فاسْتَثْفَرَا[1]

قال : فلمَّا قَدِم زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال « أَبْرَحَ فَتًى إنْ لَمْ تُدْرِكْهُ أُمُّ كَلْبَة[2] » ، يعني الحُمَّى .

(الكلب بين الهجاء والفخر)

وقال جرير في البَعِيث :

إذا أنتَ لاقَيت البَعِيثَ وجَدْتَه   أشَحَّ على الزَّادِ الخبيثِ من الكلب

١١٣ وقال صاحب الكلب : وقد قال عمرو بن مَعْدِ يكَرِب :

وقـــد كنتُ إذا ما الحـ   ـيُّ يوماً كَرِهُوا صُلْحِي

أَلُفُّ الخيـــلَ بالخيْلِ   وأكْفِي النَّبْحَ بالنَّبْح

(استعارات من اسم الكلب)

قال ومن الاستعارات من اسم الكلْب قولُ الرَّجل منهم ، إنْ أوْطَنَ نفسَهُ على شيء : قد ضَرَبت جَروَتي ، وضَرَبت عليه[3] . وقال أبو النَّجْم :

---

(١) استثفر الكلب : أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه .

(٢) أبرح فـتى : أي ما أعجبـه فتى . و « فتى » تمـيـيز . مثلـه قول الأعشى الخزانة ٣ : ٢٧٥ :

تقول ابنتي حين جد الرحيـ   ـل أبرحت ربا وأبرحت جارا

وانظر للخبر السيرة ٩٤٧ جوتنجن (وفد طيئ) والجزء الأول من الحيـوان ٣١٧ والأغاني ١٦ : ٤٧ — ٤٨ . والإصابة ٩١٣٤ وقد حم زيد منصرفه من عند الرسول ومات ببلده . الخزانة ٢ : ٤٤٨ بولاق .

(٣) الجروة بمعنى النفس ، كما في اللسان (جرا) وكما في أمثال الميداني ١ : ٣٨٣ . و « ضربت عليـه » يريد : « ضربت عليـه جروتي » . وفي الأصـل : « ضربت جروه وضربت عليه » وهـو تحريف . قال ابن بري : وأنشـد أبو عمرو :

حتّى إذا ما ابيضَّ جرو التّنْفُل[1] وبُدِّلتْ والدَّهْرُ ذو تَبَدُّلِ

وقال[2] :

من الحنْظَلِ العامِىِّ جروٌ مفلّقُ

وقال عُتبة الأعور[3] :

ذهبَ الذين أحبُّهم وبَقِيت فيمَنْ لا أُحِبهْ
إذْ لايزال كريمُ قو مى فيهمُ كلبٌ يسُبُّه

(احتقار العرب للصيد)

[قال صاحب الديك[4]] :

فخرتم علينا بصَيْد الـكلْب ، وهَجوتم[5] الديك إذْ كان ممَّا لايصيد ولا يُصاد به ، وقد وجدْنا العربَ يستذلُّون الصَّيدَ ويحقِرون الصَّيَّاد ، فمن ذلك قولُ عمرو بن معد يكرب :

= ضربت بأكناف اللوى عنك جروتى وعلقت أخرى لاتخون المواصلا

أى اطمأنت نفسى . ويقال أيضاً – كما فى اللسان – : ضرب جروة نفسه . قال الفرزدق :

فضربت جروتها وقلت لها اصبرى وشددت فى ضنك المقام إزارى

ويقال أيضاً : ألقى جروته ، بمعنى ماتقدم . اللسان والميدانى .

(١) التتفل : الثعلب ، أو نبات أخضر فيه خطبة ، أى غبرة ؛ وهو آخر مايجف من النبات . وهذا المعنى الأخير هو المراد . والجرو : الثمر ، واحدته جروة .

(٢) القائل هو النمر بن تولب . وانظر صدر البيت فى هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) عتبة الأعور ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك ، ٢٣٢ مصر ، قال : « عتبة الأعور الكوفى ، مقل » . ووجدت فى معجم المرزبانى ص ٢٦٥ « عتبة ابن أبى عاصم الحمصى الأعور ، هجا بنى عبد الكريم الطائى من أهل الشام ، فعارضه أبو تمام الطائى وهجاه ومدحهم » .

(٤) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٥) ط : « وهجرتم » وتصحيحه من س .

ابنى زيادٍ أنتمُ فى قَوْمِكُمْ ذَنَبٌ ونحنُ فروعُ أصل طَيِّبِ
نَصِلُ الخميس إلى الخميس وأنتمُ بالقَهْرِ بين مربِّق ومكلِّبِ[1]
لايحسَبَنَّ بنو طُليحَةَ حَرْبَنَا سَوْقَ الحمير بحانةٍ فالكَوْكَبِ[2]
حِيدٌ عن المعرُوفِ سَعْىُ أبيهمُ طَلَبُ الوُعول بوَفْضَةٍ وبأكلُبِ[3]
حتَّى يكهَّنَ بعْدَ شَيبٍ شامِلٍ ترحاً له من كاهن متكذِّبِ

(الاشتفاء بدماء الملوك والأشراف)

وأما قولُ زهير :

وإن يُقتلوا فَيُشْتَفَى بدمائهم وكانوا قَدِيماً مِنْ مَنَاياهمُ القتْلُ[4]

فهذا البيت نفسُه ليس يَدُلُّ على قولهم أنَّ كُلَّ مَن كان بهِ جُنُونٌ أو كلَبٌ ثمَّ حسَا من دمِ ملكٍ أو سيّدٍ كريم أفاقَ وبرئ .

(فرار الكلْبِ الكلبِ من الماء)

وقَدْ ضربُوا لصاحب الكلَب أمثالاً فى شدَّة طلبهِ الماء ، وفى شِدَّة فِرارِه منهُ إذا عاينه .

---

(١) الخميس : الجيش . والقهر : الذل . والمربق : أراد به الصائد بالربقة ، وهى العروة فى الحبل . والمكلب : الصائد بالكلاب .

(٢) لعل فى البيت تحريفا .

(٣) الوفضة : جعبة السهام إذا كانت من أدم .

(٤) يقول : هم أهل حروب فلا يموتون على فرشهم حتف أنوفهم .

وقالوا وقلتم : فالماءُ المطلوبُ إذا عايَنه من غير أن يمسَّه ، وهو الطالب له ولم يحرص عليه إلاَّ من حاجة إليه . فكيف صار إذا رآه صاح[1] ؟ !

قالوا : وقد يعترى النَّاظرَ إلى الماء ، والذى يديم التَّحديقَ إليه وهو يمشى على قنطرةٍ أو جُرُف أو جسْر الدُّوَارُ ؛ فإنَّه ربَّما رمى بنفسه من تلقاء نفسه إلى الماء ، وإن كان لا يحسن السباحة . وذلك إنَّما يكون على قدر ما يصادف ذلك من المِرَار[2] ، ومن الطِّباع . ١١٤

فممَّن فعل ذلك بنفسه أبو الجهجهاه محمَّد بن مسعود ، فكاد يموت حتى استُخرِج . ومنهم منصور بن إسماعيل التَّمار ، وجماعةٌ قد عُرفت حالُهم .

(مايعترى المختنق والممرور)

وهذا كما يعترى الذى يصيبه الأسَنُ[3] من البخار المختنق فى البئر إذا صار فيها ؛ فإنَّه [ربَّما][4] استقى واستخرِج وقد تغيَّر عقله . وأصحاب الرَّكايا[5] يرون أنَّ دواءه أن يُلقوا عليه دِثاراً ثقيلا ، وأن يزَمَّل تزميلاً[6] وإن كان فى تمُّوزَ وآب[7] ، ثم يحرس وإن كان قريباً من رأس البئر ؛ فإنَّه

---

(١) ضمير : « قالوا » عائد إلى العرب . وضمير « قلتم » راجع إلى أنصار الكلب وجملة « فكيف إذا رآه صاح ؟ ! » اعتراض عليهم من صاحب الديك . وضمير : « قالوا » الآتية لأنصار الكلب .

(٢) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن .

(٣) الأسن : مصدر أسن كفرح : دخل البئر فانتشق هواء فاسداً فغشى عليه .

(٤) التكملة من س .

(٥) الركايا : جمع ركية وهى البئر .

(٦) يزمل : يلف فى ثوب .

(٧) شهران من الشهور الرومية ، وفيهما يشتد الحر . انظر عجائب المخلوقات ٧٥ - ٧٦ .

إنْ لم يُحَلْ بينَه وبينَها طرَح نفسَهُ فى تلك البئر ، أتاها سعياً فى أوَّلِ ما يفتح عينَه ويرجعَ إليه اليَسيرُ من عقله ، حتَّى يُكفِىَ[١] نفسَه فيها من ذات نفسِه ، فى الموضع الذى قد لَقِىَ منه ما لقى ، وقد كان عنده معلوماً أنَّ القومَ لو تركوه طَرْفَةَ عينٍ لهلَك . هكذا كان عنده أيَّامَ صحَّةِ عقله ، فلمَّا فسد أراه الفسادُ أنَّ الرَّأى فى العَود إلى ذلك الموضع .

وكما يعترى الممرورَ[٢] حتَّى يرجُم النَّاس ؛ فإنَّ المِرَّة تصوِّر له أنَّ الذى رَجَمه قد كان يريدُ رجمَه ، فيرى أنَّ الصَّواب أن يبدأه بالرَّجْم . وعلى مثلِ ذلك تُريه المِرَّةُ أنَّ طرْحَه نفسَه فى النَّار أجودُ وأحزم .

وليس فى الأرض إنسانٌ يذبح نفسَه أو يختنق أو يتردَّى فى بئر ، أو يرمى نفسه من حالقٍ ، إلاَّ من خوف المـُثْلة أو التعذيب أو التعيير[٣] وتقريع الشامتين ، أو لأنّ به وجعاً شديداً فيحرِّكُ عليه المِرَّة فيحمَى لذلك بدنُه ويسخنُ جوفُه ، فيطير من ذلك شىءٌ إلى دِماغه أو قلبهِ ، فيوهمه ذلك أنّ الصَّواب فى قتلِ نفسه ، وأنّ ذلك هو الرَّاحة ، وأنّ الحزم مع الرَّاحة .

ولا يختار الخنقَ الوادعُ الرابح[٤] الرافه ، السليمُ العقلِ والطِّباع . وللغيظ ربَّما رَمى بنفسه فى هذه المهالك ، وقَذف بها[٥] فى هذه المهاوِى . وقد يعترى الذى يصعَد على مثل سنسيرة أو عَقرَقُوفَ[٦] أو خضراء

---

(١) مخفف « يكفئ » بمعنى يقلب .

(٢) الممرور : من غلبت عليه المرة ففسد عقله .

(٣) ط : « التعبير » ووجهه ماأثبت من س .

(٤) كذا .

(٥) فى الأصل : « به » والضمير للنفس .

(٦) عقرقوف : قرية بينها وبين بغداد أربعة فراسخ ، إلى جانبها تل عظيم يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة » . وفى الأصل : « عقرقوب » .

زوج[١] ، فإنّه يعتريه أن يرمى[٢] بنفسه ِن تلقاء نفسه ، فيرون عند ذلك أن يَصعَد إليه بعضُ المعاودين المجرّبين ، ولا يصنع شيئاً حتَّى يشُدَّ عينَيه[٣] ، ويحتال لإنزاله . فهذا المعنى عامٌّ فيمن[٤] كانت طبيعته تثور عندَ مثلِ هذه العلَّة . وما أكثر من لايعتريه ذلك .

وقد قال النّاسُ فى عذر هؤلاء ولأنّ فيهم[٥] ضروباً من الأقاويل . وإنّما تكلمنا على المغلوب . فأمَّا من كانت هذه العوارضُ لا تُفسِد عقلَه ، ولا تنقُضُ[٦] استطاعته ، فليس بيننا اختلافٌ فى أنّه ملوم . على أنّ إلزامَه اللائمةَ لا يكونُ إلاّ مِن بَعْدِ خُصومةٍ طويلة ، لا يصلُح ذكرُها فى هذا الباب .

١١٥

(لؤم الغراب وضعفه)

وقال صاحب الكلب[٧] : الغراب من لئام الطير وليس من كِرامها ، ومن بغاثها وليس من أحرارها ، ومن ذوات البراثنِ الضعيفة والأظْفار

---

(١) لم يذكره ياقوت .

(٢) ط : « يرميه » ، وصوابه من س .

(٣) ط : « حتى ليسد عينيه » ، وفى س : « حتى يسد عينيه » والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فن » وهو تحريف .

(٥) كذا . وفى س : « ولأن منهم » ولعل صواب ذلك : « ولهم فيهم ضروب من الأقاويل » .

(٦) فى الأصل : « تنقص » ، وما كتبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٧) سيتحدث صاحب الكلب عن الغراب ليبين أن الغراب مع لؤمه واتضاعه ، قد أمكنه أن يخدع الديك ويسخر منه . كما سيظهر ذلك فيما يأتى ص ٣١٩ . وليس الحديث فى الغراب مقصوداً لذاته .

الكليلة ، وليس من ذوات المخالب المعقَّفة والأظفار الجارحة[١] ، ومن ذوات المنــاقير وليس من ذوات المناسر[٢] . وهو مع أنّه[٣] قوىُّ النَّظَر[٤] . لا يتعاطى الصَّيد . وربَّما راوغَ العصفور ، ولا يَصيد الجرادةَ إلاّ أن يلقاها فى سُــدٍّ من الجراد[٥] . وهو فَسْلٌ إن أصاب جِيفةً نال منها وإلاّ مات هُزالا ، ويتقمّم كما يتقمم بهائم الطير وضعافُها ، وليس ببهيمةٍ لمكانِ أكْلِه الجِيف ، وليس بسَبع لعَجْزه عن الصَّيد .

(ألوان الغربان)

وهو مع ذلك يكون[٦] حالكَ السَّوادِ شديدَ الاحتراق ، ويكون مثلُه من النّاس الزِّنجَ فإنّهم شِرارُ الناس ، وأردأُ الخلق تركيباً ومزاجاً ، كَمَنْ بردت بلادُه فلم تطبخه[٧] الأرحام ، أو سخنت فأحرقته الأرحام . وإنما صارت عقولُ أهل بابَل وإقليمِها فوقَ العقول ، وجمالهم فوق الجمال[٨] لعلّةِ الاعتدال .

---

(١) ط : « الكلية » وتصحيحه من س . وفى س ، ط : « القصار » موضع « الأظفار » ولاوجه له . وأثبت ماتقتضيه المقابلة .

(٢) المناسر : جمع منسر ، كمنبر ، وهو المنقار لسباع الطير .

(٣) فى الأصل : « ذلك » ، وكذلك فى نهاية الأرب ١٠ : ٢١٠ حيث نقل النويرى عبارة الجاحظ .

(٤) فى الأصل : « البطن » ، وفى النهاية : « البدن » . وأثبت مافى هامش س ، حيث كتب « ن : النظر » ، إشارة إلى كلمة (نسخة) .

(٥) السد ، بالضم : جماعة الجراد تسد الأفق .

(٦) س : « ذلك أن يكون » وفى النهاية : « ذلك إما أن يكون » والأول تحريف ، والثانى تصرف من النويرى حيث أوجز النقل إيجازاً .

(٧) الدميرى حيث نقل كلام الجاحظ : « تنضجه » .

(٨) الدميرى : « وكمالهم فوق الكمال » .

والغراب إمَّا أن يكونَ شديدَ الاحتراق فلا يكون له معرفةٌ ولا جمال ، وإمَّا أن يكونَ أبقعَ فيكونَ اختلافُ تركيبه وتضادُّ أعضائهِ دليلاً على فسادِ أمْره . والبُقْع ألأَمُ من السُّود وأضْعَف .

(أنواع الغربان)

ومن الغِرْبان غُراب الليل ، وهو الذى ترك أخلاقَ الغِربان وتشبَّه بأَخلاق البوم .

ومنها غُراب البَينِ . وغراب البَينِ نوعان: أحدهما غِربانُ صِغارٌ معروفةٌ بالضَّعف واللُّؤم ، والآخَر : [كُلُّ غُرَابٍ يُتَشَاءَمُ به[1] . و] إنَّما لزمهُ هذا الاسمَ لأنَّ الغرابَ إذا بانَ أهْلُ الدَّارِ للنُّجعة ، وقَعَ فى مرابض[2] بيوتهم يلتمس[3] ويتقمَّم ، فيتشاءمون به ويتطيَّرون منه ؛ إذْ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمَّوه غراب البين . ثمَّ كرهوا إطلاق ذلك الاسم له مخافة الزَّجْر والطِّيَرَة[4] ، وعلموا أنّه نافذ البصر صافى العين — حتّى قالوا « أصفَى مِنْ عَيْنِ الغراب » ، كما قالوا : « أصفَى مِن[5] عين الدِّيك » —

(١) الزيادة من ثمار القلوب ٣٦٢ حيث نقل الثعالبى كلام الجاحظ .

(٢) فى النهاية : « مواضع » ، وكذلك فى الدميرى وثمار القلوب .

(٣) ط : « ويتملس » وتصحيحه من س وثمار القلوب . وفى النهاية : « يتلمس » ، وكذلك فى أمثال الميدانى (١ : ٣٤٩) حيث نقل عن الجاحظ ، ولو أنه لم يصرح بذلك .

(٤) الطيرة ، كعنبة : التشاؤم .

(٥) فى الأصل: « عن » .

فسمّوه الأعور [كنايةً [1]] ، كما كنَوا طيرةً عن الأعمى فكنوه أبا بَصِير [2] .
وبها اكتنى الأعشَى بعـد أنْ عمى . ولذلك سمَّوا الملدوغ [3] والمنهوش سليما ،
وقالوا للمهالك [4] من الفيافى : المفاوز . وهذا كثير .

والغِدْفان [5] جنس من الغِربان ، وهى لئام جدًّا .

(التشاؤم بالغراب)

[و] منْ أجْل تشاؤُمِهم بالغراب اشتقُّوا من اسمـه الغُربة ،
والاغتراب ، والغريب .

١١٦ وليس فى الأَرض بَـارحٌ ولاَ نَطيح [6] ، ولا قَعيد ، ولا أَعضب [7]
ولا شيءٌ مما يتشاءمون به إلاّ والغرابُ عندَهم أنكدُ منـهُ ، يرون أَنّ
صِيَاحَهُ [8] أكثر أخبارا ، وأَنّ الزَّجْر فيه أَعمُّ . وقال عنترة :

حَرِق الجناح كَأَنّ لَحيَىْ رأسِهِ جَلَمانِ ، بالأَخْبار هَشٌّ مُولَع [9]

---

(١) الزيادة من أمثال الميدانى .

(٢) فى الأصل : « كما كنوا عن الطير الأعمى بالبصير » وهو تحريف عجيب اعتمدت فى تصحيحه على مافى أمثال الميدانى (١ : ٣٥) .

(٣) ط : « الملد » ، وتصحيحه من س وأمثال الميدانى .

(٤) المهلكة : المفازة ، جمعها مهالك .

(٥) الغدفان ، بالكسر : جمع غداف بالضم ، وهو الأسود الضخم من الغربان .

(٦) البارح : مامر من الطير من ميامنك إلى مياسرك ، يقابله السانح . والنطيح : مايأتى إليك من أمامك من الطير والوحش .

(٧) القعيـد : ما أتى إليك من ورائك من ظبى ، أو طائر . والأعضب : المكسور القرن .

(٨) فى الأصل : « صاحبه » ، وهو على الصواب الذى أثبته فى أمثال الميدانى .

(٩) فى الأصل : « خرق الجناح » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٤) .

(التعاير بأكل لحم الغراب)

وهو عندهم عار ، وهم يتعايرون بأكل لحمه . ولو كان ذلك منهم لأنّه يأكل اللحوم ، ولأنّه سبع ، لكانت[1] الضَّوارِى والجوارحُ أحقَّ بذلك عندهم . وقد قال وَعْلَة الجَرْمى[2] :

فما بِالعار ماعَيَّرْتُمونا شِواءَ الناهِضاتِ مع الخبيص[3]
فما لَحْمُ الغُرابِ لنا بزادٍ ولا سَرَطانُ أنْهارِ البريص[4]

(فسق الغراب وتأويل رؤياه)

قال : والغِربانُ جنسٌ من الأجناس التى أُمر بقتلها فى الحِلِّ والحرم ، وسمِّيت بالفسق وهى فواسق ، اشتقَّ لها من اسم إبليس .

وقالوا : رأى [فلان][5] فيما يرى النَّائمُ أنه يُسقِطُ أعظمَ صومعةٍ بالمدينة غرابٌ . فقال سعيدُ بن المسيِّب : يتزوج أفسَقَ الفاسقين امرأةً من أهل المدينة . فلم يلبثوا إلاَّ أيَّاماً حتى كان ذلك .

---

(١) ط : « فكانت » ، وتصحيحه من س .

(٢) هو وعلة بن الحارث الجرمى . ذكره صاحب المؤتلف ص ١٩٧ . وفى العرب وعلة بن عبد الله الجرمى ، أحد فرسان قضاعة ، وله خبر فى يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧١) .

(٣) الناهضات : أرادبها الفراخ الناهضات ، وهى التى وفرت أجنحتها وقويت على الطيران وعنى الدجاج والحمام وما أشبهه ، وليس كما وهم بعضهم فزعم أنها جمع ناهضة بمعنى الأنثى من فرخ العقاب . فى ط : « سواء » وتصحيحه من س ونهاية الأرب (١٠ : ٢١١) . والخبيص : ضرب من الحلوى ، ذكر له البغدادى (فى كتاب الطبيخ ٧٣ — ٧٤) ست صنعات . وفى الأصل : « المبيض » ، وصوابه فى النهاية .

(٤) البريص : نهر دمشق . وفى الأصل : « البريض » محرفة ، صوابها فى النهاية ومعجم البلدان (البريص) واللسان (برص) .

(٥) الزيادة من س .

(غراب نوح)

وقالوا فى المثل : « لا يرجعُ فلانٌ حتَّى يرجعَ غرابُ نوح » ، وأهل البصرة يقولون : « حتَّى يرجِعَ نَشِيطٌ من مَرْو[1] » ، وأهل الكوفة يقولون : « حتَّى يرجِعَ مَصقَلة[2] من سِجِستان » . فهو مثلٌ فى كل موضع من المكروه .

(قبح فرخ الغراب وفرخ العقاب)

وزعم الأصمعىُّ عن خلفٍ الأحمر ، أنَّه قال : رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقبحَ ولا أسمجَ ولا أبغضَ ولا أقذرَ ولا أنتنَ منه . وزعم أنَّ فِراخ الغِربان أنتنُ من الهدهد — على أنَّ الهُدهدَ مَثَلٌ فى النَّتْن — فذكر عِظَمَ رأسٍ وصِغَر بدن ، وطولَ منقار وقِصرَ جناح ، و [أنَّه[3]] أمْرَطُ أسود ، وساقط النّفْس ، ومُنتِن الرِّيح .

---

(١) قال هذا المثل زياد ، وكان « نشيط » قد بنى له داراً وهرب إلى مرو قبل إتمامها ، وكلما قيل لزياد : تمم ، قال : حتى يرجع نشيط من مرو ! . وكان زياد لا يرضى إلا عمله . القاموس والميداني (١ : ١٩٨) .

(٢) فى الأصل : « مسمر » ، وهو تحريف صوابه فى ثمار القلوب ٣٠ حيث نقل الثعالبى كلام الجاحظ ، وكذا فى المعارف ١٧٧ ومعجم البلدان (رسم طبرستان) . وفى المعجم والمعارف (طبرستان) : ومصقلة هذا هو مصقلة بن هبيرة كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة فضرب الناس به مثلا . انظر المثل فى المراجع المتقدمة والحيوان (٥ : ٥٢٩) .

(٣) ليست بالأصل .

وصاحب المنطق يزعُم أنَّ رؤيَةَ فَرْخ العُقاب أمرٌ صعب ، وشيءٌ عسير .
ولست أحسنُ أنْ أقضيَ بينهما[١] .

والغِربان عندنا بالبَصرة أوابدُ غير قواطع ، وهى تُفرخ عندناَ فى رءوس النَّخل الشَّامخة ، والأشجار العالية .

(أسطورة خداع الغراب للديك)

فالغرابُ عند العرب مع هذا كلِّه ، قد خدع الدِّيك وتلعَّب به ، ورَهَنَه عند الخمَّار[٢] وتخلَّص من الغُرْم ، وأغلقه[٣] عند الخمَّار ، فصار له الغنم وعلى الدِّيكِ الغُرم ، ثم تركه ترْكًا ضُرب به المثل .

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه ، فالدِّيك[٤] هو المغبون والمخدوع والمسخور به ، ثمَّ كان المتلعِّب به أنْذلَ الطير وألأمَه .

وإن كان هذا القولُ منهم يجرى مَجرى الأمثال المضروبة ، فلولا أنَّ عُلْياَ الدِّيك فى قلوبهم[٥] دونَ محلِّ الغُراب — على لؤم الغراب ونذالته ومُوقه وقلّة معرفته — لَمَا وضعوه فى هذا الموضع . ١١٧

---

(١) أى بين خلف وصاحب المنطق .
(٢) انظر الصفحة الآتية ، ثم ٣ : ٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ٣٦٤ .
(٣) أغلقه كما يغلق الرهن : إذا لم يستطع فكاكه .
(٤) فى الأصل : « والديك » .
(٥) كذا فى ط . وفى س : « على الديك من قلوبهم » ، ولعل صوابهما « محل الديك فى قلوبهم » .

(دهاء أمية بن أبى الصَّلت)

فإن أردتمْ معرفةَ ذلك فانظروا فى أشعارهم المعروفة ، وأخبارهم الصحيحة ثمّ ابدءوا بقول أُميَّة بن أَبى الصَّلت ؛ فقد كان داهيةً من دواهى ثَقيف ، وثَقيفٌ من دُهاةِ العرب ، وقد بلغ من اقتداره فى نفسه أنَّه قد كان همَّ بادِّعاد النُّبوة ، وهو يعلم كيف الخصالُ التى يكون الرجل بها نبيًّا أو متنبِّياً إذا اجتمَعتْ له . نعمْ وحتَّى تَرَشَّحَ[1] لذلك بطلب الرِّوايات ، ودرْس الـكُتُب . وقد بَان[2] عنـدَ العرب علاّمةً ، ومعروفاً بالجوَلان فى البلاد ، راوِيةً[3] .

(حديث العرب فى الغراب والديك وطوق الحمامة)

وفى كثيرٍ من الروايات مِن[4] أحاديث العرب ، أَنّ الدِّيك كان نديمًا للغراب ، وأَنَّهما شربا الخمر عنـد خمَّارٍ ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ ليأتيَه بالثَّمنِ حين شرب ، ورَهن الدَّيك ، فخاس به[5] ، فبقى محبوساً .

---

(١) ترشح : تقوى ، من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشى .
(٢) بان بمعنى : برز ونبغ . وفى س : « كان » .
(٣) فى الأصل : « رواية » .
(٤) فى الأصل : « مع » .
(٥) خاس به : غدر به .

وأنَّ نوحا صلَّى الله عليه وسلم حينَ بقى فى اللُّجَّة أيّامًا بعث الغرابَ ، فوقع على جيفةٍ ولم يرجع ، ثمّ بعث الحمامة لتنظرَ هل ترى فى الأرض موضعًا يكون للسفينة مَرفأً ، واستجْعَلت على نوحٍ الطَّوق الذى فى عنقها[1] ، فرشاَها بذلك ــ أى فجعَلَ ذلك جُعْلاً لها .

وفى جميع ذلك يقول أميّة بن أبى الصَّلت .

بآيةِ قامَ ينْطِقُ كلُّ شىءٍ وخانَ أمانَةَ الدِّيكِ الغرابُ

يقول : حين تركه فى أيديهم وذهب وتركه .

والعامّة تضرب به المثل وتقول : « ما هُوَ إلاّ غرابُ نوح » .

ثمّ قال :

وأُرْسِلتِ الحمَامَةَ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ على المهالك لاتَهابُ

تَلمَّسُ هَلْ ترَى فى الأرضِ عيناً وغايته من المــاء العُبابُ[2]

فجاءَتْ بَعْدَ ما رَكَضَتْ بقِطْفٍ عليه الثَّأط والطين الكُبابُ[3]

فلما فرَّسُوا الآياتِ صَاغوا لها طَوْقًا كما عُقِدَ السِّخابُ[4]

---

(١) استجعل : طلب الجعالة – كسحابة – وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

(٢) كذا . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) : « وعاينه من المــاء العباب » ولعل صوابهما مافى الديوان ١٨ : « وغايته بها المــاء العباب » أى أن المــاء العباب غايته وانتهاؤه إلى الأرض . والعين هنا : الناحيــة . جاء فى اللسان : « والعين : الناحية » .

(٣) الركض هنا بمعنى الطيران . والثأط : الطين الأسود المنتن . وفى ط : « عليها الشاة » و س : « عليها الشاط » ، وأثبت ما فى اللسان والديوان ١٨ . وفى أصل نهاية الأرب : « عليها الناط » . والكباب ، بالضم : الطين اللازب .

(٤) السخاب ، بالكسر : القلادة . وفى ثمــار القلوب ٣٦٨ : « فلمــا فتشوا الآيات » .

إذا ماتت تورِّثه بنيها وإنْ تقْتل فليس لها استلاب[1]
كذِى الأفعَى يربِّيها لديه وذى الجِنِّيِّ أرسله يتابُ[2]
* فلا ربٌّ المنيـة يأمَنْها ولا الجِنِّيُّ أصبَح يُستَتابُ

الجِنّيّ : إبليس ؛ لذنوبه . والأفعى هى الحيَّة التى كلم إبليس آدمَ

١١٨ من جَوفها . ومَنْ لاعِلْمَ عندَه يروى أيضاً أنَّ إبليس قد دخل جوفَ الحمار مرَّة ؛ وذلك أنَّ نوحا لمَّا دخل السفينة تمنَّع الحمار بعسره ونَكَده ، وكان إبليسُ قد أخذَ بذَنَبه . وقال آخرون: بل كان فى جوفِه فلمَّا قال نوح للحمار: ادخل ياملعون ! ودخل الحمار ، دخَل إبليس معه ؛ إذْ كانَ فى جوفه . قال : فلمَّا رآه نوحٌ فى السفينة قال : يا ملعونمن أدخلك السَّفينة ؟ قال : أنتَ أمرتَنى . قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حينَ قلتَ ، ادخل ياملعون ، ولم يكن ثَمَّ ملعونٌ غيرى .

(شعر أمية فى الديك والغراب والحمامة)

قال أميَّة بن أبى الصَّلت :

هو أَبْدَى مِن كلّ ما يأْثُرُ النّا سُ أماثيلَ باقياتٍ سُفُورا[3]
خَلَقَ النَّخْلَ مُصْعِداتٍ تراها تقصف اليابساتِ والخضُّورا[4]

---

(١) أى فلا يستلب منها ذلك الطوق . وأجود من هذه الرواية المثبتة هنا ، وفى نهاية الأرب — رواية الثعالبى فى الثمـار : « فليس له استلاب » .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « تباب » .

(٣) فى الأصل : « هو أبدى كل » . والشعر من الخفيف .

(٤) كذا . وفى الديوان : « المخضورا » . وفى اللسـان : « والخضر والمخضور اسمان للرخص من الشجر إذا قطع وخضر » .

والتَّماسيح والتماثيل والأَ يِّلَ شتَّى والرِّيمَ واليَعْفُورا(١)
وصواراً من النَّواشطِ عِيناً ونَعَاماً خَواضباً وحَميرا(٢)
وأُسُوداً عـواديًا وفيولاً وذِياباً والوَحْشَ والخِـنْزِيرَا
ودُيوكًا تدعو الغرابَ لِصُلْحٍ وإوَزِّينَ أخرجتْ وصقُورَا(٣)

قال : ثم ذكر الحمامة فقال :

سمـع الله لابنِ آدمَ نُوحٍ ربُّنا ذُو الجـلال والإفْضالِ
حِينَ أوفَى بذى الحمامـة والنَّا س جميعاً فى فُلْـكِهِ كالعِيال
فأَتَتْهُ بالصِّدْقِ لمَّا رشَاها وبقِطْفٍ لما غـدا عِثْكالِ(٤)

ووصف فى هذه القصيدة أمرَ الحمامة والغراب صفةً ثانية ، وغيرَ ذلك ، وبدأ بذكر السفينة فقال :

تَرفَّعُ فى جَرْىٍ كأَنَّ أَطِيطَه صَريف مَحَالٍ تَستعيد الدَّواليا(٥)

---

(١) « التماثيل » لعلها « الثياتيل » : جمع ثيتل . وبدلها فى الديوان : « السنادل » وفى اللسان : « السندل : طائر يأكل البيش » . والبيش : نبات سام . والريم : الظبى الخالص البياض . واليعفور : الظبى لونه كلون العفر .

(٢) الصوار بضم الصاد وكسرها : قطيع بقر الوحش . والنواشط : التى تنشط من بلد إلى آخر . والعين : الواسعات العيون . والخواضب : جمع خاضب ، وهو من النعام الأحمر الساقين :

(٣) الإوزون : جمع إوزة ، وهو من نادر الجمع . وجاء مثل هذا فى قول القائل : (اللسان وزز ، دور) :

تلقّى الإوزين فى أكناف دارتها فوضى وبين يديها التين منثور

(٤) ومثـل هذه الرواية فى الديوان . وفى نهـاية الأرب ١٠ : ٢٧٨) : « لمـا بدا » .

(٥) ترفع : تترفع ، أى تسرع فى جريها . والأطيط : الصوت ، وكذلك الصريف . والمحال بالفتح : جمع محالة ، وهى المنجنون أو البكرة العظيمة . وفى الأصل : « يستعيد الدواليا » ، ووجهه بالتاء .

على ظَهْر جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ ... سرَاهُ وغَيمٍ ألبس الماءَ دَاجيا[1]

فصارتْ بها أيَّامَها ثُمَّ سَبْعَةً ... وستَّ ليالٍ دائباتٍ غَواطيا[2]

تشُقُّ بهم تهوى بأحسن إمرةٍ ... كأنَّ عليها هَادياً ونَوَاتِيا[3]

وكان لها الجُودِىُّ نَهيًا وغَايةً ... وأصبح عنــه مَوجُه متراخيا

[ثم قال][4] :

١١٩ وما كان أصحابُ الحمامةِ خيفة ... غَدَاةً غدَتْ منهم تضمُّ الخوافيا[5]

رسولًا لهم واللهِ يُحكِمُ أمرَه ... يُبِينُ لهم هل يُونَسُ التّربُ باديا[6]

فجاءتْ بقِطفٍ آيةً مستبِينَةً ... فأصبحَ منها موضِعُ الطِّين جاديا[7]

على خطْمِها واستوْهَبَتْ ثَمَّ طَوقَها ... وقالتْ ألا لاتجعلِ الطّوقَ حَاليا

ولا ذهَبًا ، إنِّى أخافُ نِبالَهم ... يخالونه مالى وليسَ بماليا[8]

وزِدْنى على طَوْقى من الحَلْىِ زينةً ... تُصيب إذا أتبعت طَوْقِى خِضابِيا

---

(١) الجون : أراد به البحر ، وجعله أسود لكثرة مائه . ط : « راجيا » وتصحيحه من س ، والديوان .

(٢) فى الأصل : « عواطيا » ، ولا وجه له . وفى اللسان (غطا) : « وغطاه الليل وغطاه — أى بالتشديد — : ألبسه ظلمته » .

(٣) الإمرة ، بالكسر : اسم من أمر عليهم إذا ولى . وفى الأصل : « أمره » وتصحيحه من الديوان . والنواتى ، مخفف النواتى : جمع نوتى ، وهو الملاح .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا فى نهاية الأرب والديوان . وفى ط : « جيفة » وفى س : « حيفة » .

(٦) كذا فى الأصل والديوان . ويونس : مخفف يؤنس : يرى . والرواية فى النهاية « برنس الترب » .

(٧) الجادى : الزعفران . والمعنى : صارلون خطمها كالزعفران . وفى الأصل : « جاريا » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٨) كذا فى الأصل والنهاية . وفى الديوان : « ولا ذاهبا » .

وزِدنى لطَرْف العَينِ منك بنعمةٍ وأرِّث إذا مامتُّ طَوقى حماميا[١]

يكون لأولادى جمالًا وزينةً ويهوين زينى زينة أن يرانيا[٢]

ثم عادَ أيضاً فى ذكر الدِّيك فقال :

[ولا غروْ إلّا الدِّيكُ مدمن خمرةٍ نديم غرابٍ لايملُّ الحوانيا][٣]

وَمَرْهَنُـــهُ عن الغُراب حبيبَهُ فأوفيت مرهونا وخلفا مُسَابِيا[٤]

أدل علىَّ الدِّيك إنّى كما ترى فأقبِلْ على شأْنى وهاكَ رِدائيا

أمنتك لاتلبَثْ من الدَّهر ساعةً ولا نِصفَها حتّى تئوب مآبيا[٥]

ولا تدركَنْك الشّمسُ عندَ طلوعها فأعلقَ فيهم أو يَطولَ ثَوَائيا[٦]

فردّ الغُرابُ والرداء يحوزه إلى الدِّيك وعدًا كاذبا وأمانيا

بأيَّةِ ذنبٍ أو بأيَّةِ حُجَّةٍ أدَعْكَ فلا تدعو علىَّ ولا لِيا

فإنِّى نذرتُ حَجَّةً لن أعوقها فلا تدعونِّى مرَّة من ورائيا[٧]

---

(١) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية : « لطرف الطين » وبها أيضاً : « وورث » كما فى الديوان . وهما لغتان .

(٢) هذه رواية الأصل والديوان . وفى النهاية : « وعنوان زينى زينة من ترابيا » .

(٣) زدت هذا البيت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٢ ، وقد نقل النويرى هذا البيت ومابعده من كتاب الحيوان . الحوالى : الحانات ، مفردها الحانية ، وهذه مثل الحانوت والحاناة .

(٤) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية :

ومرهنه عنـــد الغراب جبينه فأوفيت مرهونا وخان مسابيا !

(٥) فى الأصل : « ولاتصفها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٦) كذا فى الأصـــل والديوان . وفى النهاية : « فأغلق » ، من غلق الرهن إذا لم يفك وآل إلى المرتهن .

(٧) فى الأصل : « أن أعوقها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية . وفيهما : « دعوة » مكان « مرة » .

تطيَّرت منها والدُّعاءُ يَعُوقنى ... وأزْمَعْتُ حَجًّا أنْ أطير أماميا

فلا تيأسَنْ إنِّى مع الصُّبح باكرٌ ... أُوافى غداً نحوَ الحجيج الغواديا[1]

لحبِّ امرئٍ فاكهتُه قبلَ حَجَّتى ... وآثرْتُ عَمْداً شَأنَه قبلَ شانيا

هنالك ظنَّ الدِّيك إذ زال زَوْلُهُ ... وطالَ عليه اللَّيلُ ألّا مُفاديا[2]

فلما أضاءَ الصُّبحُ طرَّبَ صَرْخةً ... ألا يا غرابُ هل سمعتَ نِدائيا

على ودِّه لو كان ثَمَّ مجيبَه ... وكان له نَدْمانَ صِدقٍ مُوَاتيا[3]

وأمسى الغُرابُ يضرِبُ الأرضَ كلَّها ... عتيقاً وأضْحَى الدِّيكُ فى القِدِّ عانيا[4]

١٢٠ فذلك مِمّا أسْهَبَ الخمرُ لُبَّهُ ... ونادمَ نَدماناً من الطَّير عاديا[5]

---

(١) ط : « تبتئس » س : « ييأسن » ، وصوابهما ماأثبت من النهاية والديوان . وفى النهاية : « مع الصبح باكراً » .

(٢) زال زوله : فارقه شخصه ، من الذعر والفرق . والمعروف فى هذا : زال زويله وزواله ، كما فى القاموس واللسان وأمثال الميدانى ١ : ٢٩٦ . وفى ط : « زل دولة » و س : « زل دوله » ، وأثبت مافى النهاية .

(٣) رواية النويرى : « لو كان ثم يجيبه » وهما بمعنى . والندمان المواتى : النديم الموافق .

(٤) عتيقاً : طليقا حرا ، يقابله « عانيا » : أسيراً . والقد ، بالكسر : السير يقد من جلد غير مدبوغ .

(٥) أسهبه الخمر وأسهبته : ذهبت بلبه . والمعروف فى هذا الفعل أن يكون بالبناء للمفعول . والرواية فى النهاية « أسهت » . وفى س : « عاريا » مكان « عاديا » وفى نسخة من أصل نهاية الأرب : « غاويا » . هذا وأبيات هذه القصيدة كما رأيت بها كثير من التحريف والتصحيف ، وهى عزيزة فى المراجع . ولست تجد فى شواهد كتب اللغة والنحو منها إلا قدراً ضئيلا . وقد اجتهدت قدر الطاقة فى تخريج ما استطعت تخريجه ، وتصحيح ماقدرت على تصحيحه .

(ما يلقم فراخه وما يزقها)

قال : ومن الطَّير ما[1] يُلقِم فِراخه مثل العصفور ؛لأنَّ العصفور لا يزُقّ. وكذلك أشباه العصفور .

ومن الطير ما يَزُقُّ فراخَه ، مثلُ الحمام وما أشبه ذلك كبهائم الطير الخالصة ؛ لأنَّ الدَّجاجةَ تأْكل اللَّحم ، وتَلَغُ فى الدم ، وولدها حين يخرج من البيض يخرج كاسبًا مليحا ، كيساً بصيراً بما يُعيشه ويقُوته ، ولا يحتاج إلى تلقيم سباع الطيرِ والعصافيرِ لأولادها ؛ لأنَّ أولادها إذ لم ترضع[2] ولم تلقط الحبَّ كالفراريج أوّلَ ماتخرج من البيض ولم تزقَّها الآباءُ ولا الأُمهات كأجناس الحمام ــ فلا بدَّ لها من تلقيم .

(ماله طبيعة مشتركة من الطير)

والفَرُّوج مشترك الطبيعة ، قد أخذ من طبائع الجوارح نصيباً ، وهو أكْلُه للحم ، وحَسْوه للدَّم ، وأكلُه للديدان وما هو أقذر من الذُّباب . والعصفور أيضاً مشارِك الطِّباع ؛ لأنَّه يجمع بين أكل الحبوب واللُّحمان ، وبين لقْط الحبوب وصيدِ أجناسٍ كثيرة من الحيوان ، كالنمل إذا طار[3] ،

(١) فى الأصل : « من » .

(٢) فى الأصل : « إذا لم » ، وهو تحريف . وفى س : « ترتضع » .

(٣) يريد أنه يصيد النمل الطائر . وقد سبق الكلام فى طيران النمل فى الجزء الأول ص ٢٩ . وانظر الجزء الرابع ص ٣٢ ، ٣٥ ــ ٣٦ .

وكالجراد ، وغير ذلك . وليس فى الأرض رأسٌ أشبهُ برأس الحيَّة من العصفور .

(هداية العصفور)

والعصفور يتعالى ويطير ، ويهتدى ويستجيب . ولقد بلغنى أنّه قد رجع من قريبٍ من فرسخ . وهى تكون عندنا بالبصرة فى الدُّور ، فإذا أَمكنت الثمارُ[١] لم تَجِدْ منها إلاّ اليَسير ، فتَصير[٢] من القواطع إلى قاصى النَّخْل ؛ وذلك أنَّها إذا مرّت بعصافير القرى وقَدْ سبقتْ إلى ماهو إليها أَقرب ، جاوزَتْها إلى ماهو أَبْعَدُ ، ثمَّ تقرُبُ الأَيَّامَ الكثيرةَ إلى ماهو أبعد ، ثمَّ تقربُ الأَيَّامَ الكثيرةَ المقدار ، فى المسافة [إلى] أَكثَرَ ممَّا ذكرتُ من الفَرْسَخ أَضعافاً .

(تحنّن العصافير وتعطفها)

والعَصافير لا تقيم فى دُورِ الأمصار إذا شخص أهلها عنها ، إلاّ ما كان منها مقيماً على بَيض أَو فِراخ ؛ فإِنّه ليس فى الأَرض طائرٌ أحنَى[٣] عِلى ولده ولا أَشدُّ تعطفاً من عصفور . والذى يدلُّ على أَنّ فى طبعها من ذلك ما ليس

(١) أمكنت الثمار : نضجت وصار فى الإمكان أكلها .

(٢) ط : « فيصير » وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « أحن » ، والوجه ماأثبت من ٥ : ٢١٠ .

فى طبع سواها من الطَّير — الذى تجدُ من إسْعادِ[1] بَعضهِنَّ لبعض ، إذا دخلت الحيَّةُ إلى جُحر بعضهِن لتأكلَ فرخاً ، أَو تبتلعَ بيضاً ؛ فإنَّ لأَبوَى الفَرْخ عند ذلك صياحاً وقلقاً وطيراناً، وتدفيفاً وترنيقاً[2] فوق الجُحْرِ ودونَه وحوالَيه ، فلا يبقى عصفورٌ من حيثُ يسمع صياحَهما أَو يسمع أَصواتَهما إلاّ جئنَ أَرْسَالاً[3] مُسْعِدَاتٍ ، يصنَعن معهما كما يصنعان .

(حذر العصفور)

وليس فى الأرض أَصدقُ حَذَرًا منهُ . ويقال إنّه فى ذلك لأَكثر من العَقْعَق[4] والغراب . ١٢١

وخبَّرنى من يصيد العصافيرَ قال : ربما كان العصفور ساقطا على حائطِ سطح بحذائى ، فيغمُّنى صِياحُهُ وَحدَّةُ صوتِه ، فأصيح وَأُومِئُ إليه بيدى[5] ، وَأُشير كأَنّى أَرميه ، فما يطير . حتّى ربَّما أَهويت إلى الأرض كأَنى أَتنَاوَلُ شيئاً ، كلّ ذلك لا يتحرَّك له . فإنْ مسَّت يدى أَدنى حصَاة أَو نَواةٍ وَأَنَا أُرِيدُ رميهَا ، طَارَ قبل أَن تستمكن منها يدى .

---

(١) الإسعاد : الإعانة . وفى الأصل : « إشعار » ، والسياق يقتضى ماأثبت .

(٢) فى الأصل : « وترفيفا » صوابه من ٥ : ٢١١ . والترنيق : أن يخفق بجناحيه فى الهواء ولا يطير .

(٣) الرسل — بالتحريك — : الطائفة ، جمعها أرسال .

(٤) العقعق — كثعلب — طائر فى قدر الحمامة وشكل الغراب ، طويل الذنب ؛ وهو يخفى بيضه بورق الدلب .

(٥) فى الأصل : « فأصيح إليه وأومىُ بيدى » ، ووجهه ماأثبت .

(سفاد العصفور وأثره فى عمره)

وليس فى الطَّير أكثرُ عَددَ سِفادٍ من العصافير ، ولذلك يقال إنَّها أقصر الطَّير أعمارًا . ويقال إنّه ليس شىءٌ ممّا يألَفُ النَّاسَ ويعايشهم فى دُورِهم أقصرَ عمرًا منها . يعنون : من الخيل والبغال والحمير ، والبقر والغنم ، والكلاب والسَّنانير ، والخطاطِيفِ والزرازير ، والحمام والدَّجاج .

(نقزان العصفور)

ولا يقدر العصفورُ على المشى ، وليس عنده إلا النَّقَزَان[1] ، ولذلك يسمَّى النَّقَّاز ، وإنَّما يجمع رجليه ثمَّ يثِب ، وذلك فى جميع حركاته ، وفى جميع ذَهابه ومجيئه . فهى الصَّعْو ، والعصافير ، والنقاقيز[2] . وإن هو مشى هذه المشيةَ — التى هى نَقَزان — على سَطحٍ وإن ارتفع سَمْكه، فكأنَّك تسمع لوطئه وقْعَ حجرٍ ؛ لشدَّة وطئهِ ، ولصلابة مشيه . وهو ضدُّ الفيل ؛ لأنَّ إنساناً لو كان جالساً ومن خلف ظهره فيلٌ لما شعَرَ به ، لخفّة وقْع قوائمه ، مع سرعةِ مَشى وتمكينٍ فى الخطَا .

---

(١) النقزان : الوثب .

(٢) النقاقيز : جمع نقاز . وكلمة « فهى » تفيد المساواة فى إطلاق تلك الألفاظ على العصافير . لكن الصعو — كما ذكروا — ضرب من صغار العصافير . وفى ط : « فهى الصقور العصافير » ، وهو تحريف صوابه فى س .

(سبُعِية الرَّخم والنسر)

والرَّخَم والنَّسر سِباع ، وإنَّما قصَّر بها عدمُ السلاح . فأمَّا البدن والقوَّة ففوقَ جميعِ الجوارح ، ولكنّها فى معنى الدَّجاج ؛ لمكانِ البَرَاثِنِ ولعدم المخالب[1] .

(وفاء العصافير)

ولقد رأيتُ سِنَّورا وثب على فرْخ عصفورٍ فأخطأه[2] فتناولَ الفرخَ بعضُ الغِلمان فوضعه فى البيت ، فكان أبوه يجىء حتّى يطعمه ، فلمَّا قوىَ[3] وكاد يطير جعله فى قفص ، فرأيت أباه يجىء يتخرَّق السَّنانير وهى تَهُمُّ به ، حتَّى يدخل إليه من أعلى فتح الباب ، وهى تَهُمُّ بالوثوب والاختطاف له ، حتَّى يسقُط على القفص فينازعه ساعة ، فإذا لم يجدْ إلى الوصول سبيلا طارَ فسقط خارجاً من البيت ، ثمَّ لا يصبر حتَّى يعود . فكان ذلك دأبَه . فلمّا قوى فرخه أرسلوه معه فطارا جميعاً .

وعرفنا أنَّه الأبُ دونَ الأمِّ لسوادِ اللِّحية .

---

(١) النسر من سباع الطيور ، وليس من جوارحها ، فهو لايصيد إلا فى الندرة ، ولا مخالب له بل له أظفار ، ولايقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته كما تفعل العقاب بمخالبها . انظر معجم المعلوف ٢٦٠ . والرخمة تشبهه فى ذلك ، كما يفهم من صنيع الجاحظ . والمخلب هو ظفر الطائر الصائد .

(٢) ط : « فأخصاه » ، وصوابه فى س .

(٣) ط : « قرب » ، وتصحيحه من س .

(القول فى سماجة صوت الديك)

قال : والدليلُ على أنَّ صوت الدِّيك كريهٌ فى السَّماع ، غيرَ مطربٍ ، قولُ الشاعر [١] :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بسُحْرَةٍ فارتَاحَا   وأَمَلَّهُ دِيكُ الصَّبَـاحِ صِياحَا
أَوفَى على شُرَف [٢] الجِدَارِ بسُدْفةٍ   غَرِداً يصفِّقُ بالجَنَاحِ جَنَـاحَا

(صغر قدر الدجاج)

١٢٢ قال : ويدلُّ على صِغَر قدْر الدَّجاج عندهم قولُ بشَّارِ بْنِ بُردٍ الأعمى :

بجدِّك يا ابنَ أقْرَعَ نِلتَ مالاً   ألا إنَّ اللِّئامَ لهم جُدُودُ [٣]
فمن نذر الزِّيادة فى الهـدايا   أقمتَ دَجاجة فيمن يَزِيدُ [٤]

(أثر كثرة الدجاج فى عدد بيضها وفراريجها)

قال : وإذا كثر الدَّجاج فى دارٍ أو إصطبل أو قريَة ، لم يكن عددُ بيضِها وفراريجها على حسَب ما كان يبيض القليل منهنَّ ويُفرخه [٥] . يعرف ذلك تُجَّار الدَّجاج ومَن اتخذها للغَلَّة .

---

(١) هو أبو نواس . وهذه الخمرية فى ديوانه ٢٥٦ .

(٢) الشرف : جمع شرفة ، كغرفة ، وهو مايوضع فى أعلى القصر . وفى الأصل : « سعف » : ولا وجه له . وأثبت مافى الديوان .

(٣) الجد : الحظ ، جمعه جدود .

(٤) س : « فمن حدر الزيادة . . . » .

(٥) انظر تعليل هذه الظاهرة فى ص ٣٣٥ الآتية .

(رعى الدجاج فى مصر)

وهى بِمِصرَ تَرْعَى كما يَرْعَى الغنم ، ولها راعٍ وقيِّم .

(فراخ الدجاج وفراخ الحمام)

والموتُ إلى الدَّجاج سريعٌ جدًّا ، والعادة فى صِغار فراريجها خلاف ماعليها نتوُّ فراخ الحمام[١] ؛ لأنَّ الفرُّوج تتصدَّع عنه البَيضة فهو كيِّسٌ ظريف ، مليح مقبول ، مُحَبٌّ ، غنىٌّ بنفسه ، مكتفٍ بمعرفته ، بصيرٌ بموضع معيشته من لَقْط الحب ، ومن صَيْد الذُّباب وصغار الطير من الهوامّ . ويخرج كاسياً حتى كأنَّه من أولاد ذواتِ الأربع . ويخرج سريعَ الحركة شديدَ الصوت حديده[٢] ، يُدْعى بالنَّقْرفيُجيب ، ولا يقال له : قَرْ ، قَرْ ، ثلاثَ مرّات — حتى يَلقنَه . فإن استدبره مستدْبرٌ ودعاه عطفَ عليه ، وتتَّبع الذى يطعمه ويلاعبه ، وإن تباعد من مكانه الأوَّل . فهو آلفَ شىء . ثمَّ كلما مرَّت عليه الأيامَ ماق وحمق ، ونقص كيسه ، وأقبل قبحُه وأدبر مِلْحُه[٣] . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميعِ ما كان يُحَبُّ له إلى ضدِّ ذلك ، ويصير من حالة إلى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضِه وفراريجه[٤] ، وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشَّحم

(١) ط : « . . . فراريجها على ماعليها نتن فراخ الحمام » ، وأصلحته من س . والنتو : مخفف النتوء أى الظهور .

(٢) حديده : مرادف شديده . وفى الأصل : « حنينه » ، ولا وجه له .

(٣) الملح ، بالكسرة : الملاحة .

(٤) كذا .

حتى يلحقَ بأبيه ، وكذلك إن كانت أنثى ، لا تقبل السِّمن ، ولا تحمل اللَّحمَ حتَّى تكادَ تلحقُ بأُمِّها فى الجثّة .

والفرخ يخرج حارضاً[1] ساقِطاً ، أنقصَ مِن أنْ يقالَ له مائق ، وأقبحَ شيء . وهو فى ذلك عارى الجلد مختلف الأوصال[2] متفاوت[3] الأعضاء ، ضعيفُ الحوصَلة[4] ، عظيم المنقار . فكلّما مرَّت به الأيَّام زادت فى لحمه وشحْمه ، وفى معرفته وبصره ، حتى إذا بلغ خرجَ منه مِن الأُمور المحمودةِ ما عسى لو أنَّ واصفاً تتبَّع ذلك لملأَ منهُ الأجْلاد الكثيرة[5] . ثم إذا جَاز حدَّ الفِراخ إلى حَدِّ النواهض[6] ، إلى حَدِّ العُتّق والمخالب[7] ، قلَّ لحمُه وذهب شحمُه على حساب ذلك ينقص . فإذا تمّ وانتهى لم تكنْ فى الأرض دابَّةٌ ولا طائرٌ أقلَّ شحماً ولا أخبثَ لحماً منه ، ولا أجدرَ ألاَّ يقْبلَ شيئاً من السِّمَن ولو تخيّروا له فؤارَة[8] المسْمِنات وما يسمّن به — ما سمِن . ١٢٣

---

(١) الحارض : الضعيف المريض .

(٢) الأوصال : الأعضاء . وفى صفة الرسول الكريم أنه كان « فعم الأوصال » وفى اللسان : أى ممتلئ الأعضاء .

(٣) فى الأصل : « متقارب » .

(٤) فى الأصل : « ضعيف القوة » ! واعتمدت فى تصحيحه على ما سيأتى من مثل هذا الكلام فى ٣ : ١٥٢ .

(٥) مبالغة جاحظية .

(٦) الناهض : الفرخ الذى قد وفر جناحاه ونهض للطيران .

(٧) العتق : جمع عاتق ، وهو فوق الناهض ، حين ينبت له ريش شديد . و « المخالب » هكذا جاءت ، ولعلها « الجوازل » .

(٨) الفؤارة والفئرة والفيرة : حلبة وتمر يطبخ للنفساء . فى الأصل : « فوراة » محرفة .

(علة قلة البيض والفراخ إذا كثر الدجاج)

وسألت عن السَّبب الذى صار له الدَّجاجُ إذا كثُرن قلّ بيضهُنّ وفراخهنّ ، فزعموا أنَّها فى طباع النَّخْل ، فإن النَّخلَة إذا زَحَمت أختها ، بل إذا مسّ طرَفُ سعَفِها طرفَ سعفِ الأُخرى وجاورتْها ، [و][1] ضيَّقت عليها فى الهواء ، وكذلك أطراف العُروق فى الأرض — كان ذلك كرباً عليها وغمًّا .

قالوا : فتَدَانيها وتضاغُطُها ، وأنفاسها وأنفاسُ أبدانها ، يُحدث لها فساداً .

قال : وكما أنّ الحمامَ إذا كثُرت[2] فى الكُنَّة والشريحة[3] احتاجتْ إلى شمس وإلى ماء تغتسِل فيهِ فى بعض الأحايين، وإلى أن تكون بيوتُها مكنوسة[4] فى بعض الأوقات ومرشوشة ، وإلاَّ لم يكنْ لها كبيرُ بيض . على أنّه إذا كان لها [فى الصميمين[5]] الدِّفءُ فى الشتاءِ والكِنُّ فى الصيّف ، لم تُغادِر الدهْر كلَّه أنْ تبيض .

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « كثر » .

(٣) الكنة ، بالضم : جناح يخرج من حائط ، أو سقيفة فوق باب الدار ، أو رف فى البيت . والشريحة : بيت من قصب يتخذ للحمام . وفى الأصل : « الشريعة » ، وليس لها وجه .

(٤) ط : « مكنونة » ، وتصحيحه من س .

(٥) الصميمان يراد بهما الصيف والشتاء فى أشد حالتيهما . وهذه التكملة من س .

(فخر صاحب الديك بكثرة مااشتق من البيض)

قال صاحب الدِّيك : فخرتم للكلب بكثرة مااشتقّ للأشياء من اسم الكلب ، وقد اشتُقّ لأكثر من ذلك العدد من البيض ، فقالوا لقَلانس الحديد : بَيْضٌ ، وقالوا : فُلانٌ يَدْفع عن بَيضة الإسلام ، وقالوا : قال علىٌّ ابن أبى طالبٍ رضى الله عنه : أنا بَيضَةُ البَلَدِ . وفى موضع الذمِّ من قولهم[1] :

تأبى قضاعة أن تدرى لكم نَسَباً وابنا نزارٍ وأنتمْ بَيْضَةُ البَلَدِ

ويسمّى رأس الصَّوْمَعة والقُبّةِ بَيضة . ويقال للمجلِسِ إذا كان معمُورا غير ءطوّل بَيْضٌ جاثمة[2] ، ويقال للوعاءالذى يكون فيه الحِبْن[3] والخُرَاج[4] وهُوَ الذِى يجتمع فِيهِ القَيح — بيضة . وقال الأشتر بن عُبادة :

يكفُّ غُرُوبَها وَيَغضُّ منها وَراء القَوم خشية أن يلامُوا

مُظاهِرُ بَيْضَتَين على دِلَاصٍ بهِ من وَقْعةٍ أُخرى كِلَامُ

وقال النّابغة :

فَصَبّحَهُمْ مَلَمْلَمَةً رَدَاحاً كَأَنَّ رُؤوسهُمْ بَيْضُ النعام

---

(١) أى قول شاعرهم ، وهو الراعى كما فى الحيوان ٤ : ٣٣٦ واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة ٢ : ١٥٣ ، يهجو عدى بن الرقاع العاملى .

(٢) كذا .

(٣) الحبن ، بكسر الحاء : الدمل . وفى الأصل : « الجبن » ، وهو تصحيف .

(٤) الخراج ، كغراب ، ورم قرح يخرج بدابة أو غيرها من الحيوان .

وقَال العُجيرُ السَّلولى[١] :

إذا البَيْضَةُ الصَّمَّاء عضّت صفيحةً بِحِرْبَائِها صاحَتْ صِياحاً وصَلَّت[٢]

(شرط أبى عباد فى الخمر)

ولما أنشدوا أبا عبَّاد النَّمَرِىَّ[٣] قولَ ابنِ مَيَّادة ، وهو الرَّمَّاح :

ولقد غدَوْتُ على الفتَى فى رحله قبْلَ الصَّباحِ بمُتْرَعٍ نَشَّاجِ[٤]

جادَ القِلالُ له بدَرٍّ صبابة حمراءَ مثل سخينة الأوداجِ[٥] ١٢٤

حُبِسَتْ ثلاثةَ أحْرُسٍ فى دَارةٍ قَوْراءَ بَيْنَ جَوازِلٍ ودَجاجِ[٦]

تَدَعُ الغوىَّ كأنَّه فى نفسه مَلِكٌ يعصَّبُ رأسُهُ بالتَّاجِ[٧]

---

(١) العجير السلولى : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مقل . ويصح أن يقرأ اسمه بضم العين وفتحها . (الخزانة ٢ : ٢٩٨ بولاق) . وعده ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . وانظر الأغانى ١١ : ١٤٦ - ١٥٤ . وفى الأصل : « العجيز » ، محرفة .

(٢) يقول : إذا ضرب السيف مسمار تلك البيضة بدا لها صوت عال وصليل .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٩٣ .

(٤) المترع أراد به قدح الخمر . والنشاج : الذى يغلى مافيه من الخمر حتى يسمع صوته .

(٥) القلال : جمع قلة ، بالضم ، وهى الجرة العظيمة .

(٦) الأحرس : جمع حرس بالفتح ، وهو الدهر . وفى الأصل : « أخرس » وهو تصحيف . والدارة : الرملة المستديرة. والقوراء : الواسعة .

(٧) الغوى : الضال . وفى ط : « القوى » .

ويظَلُّ يحسِب كلَّ شيءٍ حولَه ... نُجبَ العراق نزَلْنَ بالأحْداجِ[1]

فحين سمعه أبو عبّاد يقول :

حُبست ثلاثَةَ أحْرُسٍ فى دَارةٍ ... فَوراءَ بَيْنَ جَوازل ودَجاجِ[2]

قال : لو وجدْتُ خمراً زيتيّة ذهبية[3] ، أصفى من عين الديك ، وعَين الغراب، ولعابِ الجُندب وماء المفاصل[4] ، وأحسنَ حمرةً من النّار ، ومن نَجِيع غزال[5] ، ومن فُوَّةِ الصَّبّاغ[6] — لَمَا شربتُها حتّى أعلمَ أنَّها من عصير الأرجل ، وأنَّها [من][7] نبات القرى ؛ ومالم تكدر فى الزِّقاق[8] ،

(١) النجب هنا: جمع نجيبة، وهى الناقة الكريمة . وهذه اللفظة مهملة من الأعجام فى س .

(٢) فى الأصل : « حسبت ثلاثة أخرس » وانظر الصفحة السابقة . والأحداج : جمع حدج بالكسر : مركب للنساء . والمعنى أنه يخال الشىء الدقيق عظيما ، مما لعبت برأسه الخمر ، مثله قوله :

وأخرى بالعقنقل ثم رحنا ... نرى العصفور أعظم من بعير

(٣) س : « لو وجدت حمراء . . . » و « زيتية » : لونها لون الزيت . ومنه قول أبى نواس (انظر أخبار أبى نواس ٢٠٨ ، ٢٢١) :

فجاء بها زيتية ذهبية ... فلم نستطع دون السجود لها صبرا

(٤) المفاصل هى منفصل الجبل من الرملة يكون بينها رضراض وحصى صغار ، فيصفو ماؤه ويرق . (٥) نجيع الغزال : دمه .

(٦) الفوة : جاء فى المعتمد نقلا عن كتاب ابن جزلة : « وتعرف بفوة الصباغين » . وفى تذكرة داود : « الفوة وتسمى عروق الصباغين » . وقد جاء هذا اللفظ فى كل من اللسان والقاموس بمادتى (ف وو) و (ف و ه) ، فعلى الأولى يكون منتهيا بتاء مثل قوة ، وحوة . وعلى الثانية يكون منتهيا بالهاء على وزن سكر . والحق أنه من المادة الأولى بدليل الاشتقاق منه ، تقول : ثوب مفوى : مصبوغ بها ، كما تقول شىء مقوى من القوة . وتقول أيضاً : أرض مفواة : ذات فوة ، أو كثيرة الفوة . وجاء فى صحاح الجوهرى من المادة الأولى فقط . والفوة ، كما قال أبو حنيفة : عروق ولها نبات يسمو دقيقا فى رأسه حب أحمر شديدة الحمرة ، كثير الماء ، يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالا مظاهرة ... كما تجر ثياب الفوة العرس

والصباغ : من يلون الثياب . وفى الأصل : « قوة الضباع » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت .

(٧) التكملة من س . (٨) س : « ومما لم تكدر فى الزقاق » .

وأنَّ العنكبوت قد نسَجَت عليها ، وأنَّها لم تصرْ كذلك إلاَّ وسْطَ دَسكرةٍ ، وفى قرية سَوادِيَّة[١] وحولَها دَجاجٌ وفراريج . وإن لم تـكنْ رقطاءَ أو فيها رُقْط فإنَّها لم تتمَّ كما أريد . وأعجَب من هذا أنِّى لا أنتفع بشُربها حتَّى يكون بائعُها على غير الإسلام ، ويكونَ شيخاً لايُفصح بالعربيَّة ، ويكونَ قميصُه متقطِّعاً[٢] بالقار . وأعجب من هذا أنَّ الذى لابدَّ منه أنْ يكون اسمه إنْ كان مجُوسيًّا شهريار ، ومازيار ، وَما أشبه ذلك ، مثل أدير ، واردان ، ويازان . فإن كان يهوديًّا فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباه ذلك . وإن كان نصرانيًّا فاسمه يُوشع وشِمعون وأشباه ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال حَمِسَ الشرُّ وأحْمَسَ إذا اشتدّ . ويقال قد احتَمَسَ الدِّيكان احتماساً، إذا اقتتلا اقتتالا شَدِيداً . ويقال وقَعَ الطائر يقَع وُقوعا . وكلُّ واقعٍ فمصدره الوقوع ، ومكانه موقَعَةٌ[٣] ، والجمع مواقع . وقال الرَّاجز[٤] :

كأنَّ متنيْهِ من النَّفِىِّ[٥] مواقعُ الطـير على الصُّفِىِّ

(١) سوادية : منسوبة إلى سواد العراق ، أى قراه .

(٢) أى ملوثا به فى مواضع مختلفة . س : « منقطا » .

(٣) فى الأصل : « موقعه » وتصحيحه من الأمالى ٢ : ٨ واللسان والقاموس (وقع ، وهى بفتح القاف وتكسر .

(٤) هو الأخيل كما فى اللسان (وقع ، صفى ، نفى) . يصف ساقيا يستقى ماء ملحا . (الأمالى ٢ : ٨) .

(٥) المتنان : مكتنفا الصلب . وفى ط : « متنيه » وصوابه فى س ، وما سبق من المراجع . وفى اللسان : (قال ابن سيده : كذا أنشده أبو على . وأنشده ابن دريد فى الجمهرة : « كأن متنى » ، قال : وهو الصحيح لقوله بعده :

* من طول إشرافى على الطوى *)

يقال صَفاً وصُفِيّ . والنّفِيُّ : مانفى الرِّشاء من الماء ، وما تَنفيه مشافرُ الإبل من المـاء المَـدِير[١] . فشبَّه مكانَه على ظهر الساقى والمستَقى بِذَرْق الطَّير علَى الصَّفا .

ويقال «وقع الشيءُ من يدى وُقوعا ، وسقط من يدى سُقوطا » . ويقال وقَع الربيع بالأرض ، ويقال سقَط . وقال الرّاعى :

وقْعَ الربيع وقَدْ تقاربَ خَطْوُهُ ورأى بعَقْوَتِهِ أزلَّ نَسُولا

(لؤم الفروج)

١٢٥ قال : وكان عِنْدَنا فرُّوجٌ ، وفى الدار سنانيرُ تُعابث الحمامَ وفراخه ، وكان الفرُّوج يهرُب منها إلى الحمام ، فجاءُونا[٢] بدُرَّاج ، فترك الحمامَ وصار مع الدُّرَّاج ، ثمَّ اشترينا فَروجاً كَسْكَرِيًّا[٣] للذّبح فجعلناه فى قفص ، فترك الدُّرّاج ولزم قُرْب القفَص ، فجئْنا بِدَجاجَةٍ فترك الدِّيك وصارمع الدَّجاجة ، فَذَكَرتُ قولَ الفِزْر [٤] عبد بنى فَزَارة — وكانت بأُذنِهِ خُربة[٥] — :

(١) الماء المدير : الذى به المدر ، وهو الطين اليابس .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « فجاءنا » !

(٣) سبق القول فى الدجاج الكسكرى ص ٢٤٨ .

(٤) ش : « العرز » وسائر النسخ : « الغرير » ، صوابه من رسائل الجاحظ ٥٤ ساسى .

(٥) الخربة ، بالضم : ثقب شحمة الأذن . فى الأصل : « ضربة » تحريف . قال ذوالرمة :

كأنــه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

إنَّ الوئام يتبرَّع فى جميع الطَّمْش[١] ، لايقرب العنزُ الضَّأن ماوجدت المعز ، وتنفر من المِخْلَب ولا تتأنّس بالخفّ . فجعلَها كما ترى تنفر ولا تأنس منزله

وكذلك حدّثنا الأصمعِيُّ قال : قلتُ للمنتَجِع بن نبهان — وكانت بأُذنِهِ خربة[٢] — أكان تميمٌ مسلماً ؟ قال : إن كان هو الذى سمَّى ابنَه زَيْدَ مناةَ فما كان مُسلِماً ، وَإلاَّ يكنْ هو الذى سمّاه فلا أدرى . ولم يقلْ : وإلاّ يكنْ هو سمّاه فقد كان مسلماً .

(الوئام)

والوئام : المشاكلة . وقالوا : تقول العرب : « لولا الوئام لهلك الأنام[٣] » . وقال بعضهم : تأويلُ ذلك : لولا أنَّ بعضَ الناس إذا رأى صاحبه قد صنَع خيراً فتشبَّه بِهِ لهلك الناس . وَقال الآخرون : إنّما ذهب إلى أُنسِ بَعْض الناس ببَعض ، كأنّه قال : إنّما يتعايشون عَلى مقادِير الأُنس الذى بينهم ؛ ولو عمَّتهم الوَحْشة عمّتهم الهَلَكة . وقال قَوم بن مَالك ، فى الوئام :

عَـلاَمَ أُوَائِم البخلاءَ فيها فأقعد لاأزُورُ ولاَ أُزارُ

(١) فى الأصل : « إن اللؤم يسرع فى جميع العطش » . صوابه من رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧ بتحقيقنا . والمراد بالطمش الخلق من إنسى ووحشى . والتبزع : التسرع .

(٢) فى الأصل : « ضربة » . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٣) ويروى : « لهلك اللئام » و : « لهلكت جذام » . قال الزمخشرى فى الأساس (وأم) : « أى لولا أن الكرام وأهل الخير يحكيهم غيرهم ويتشبهون بهم لكان الهلاك » . وانظر المثل فى الميدانى ٢ : ١١١ والمخصص ١٢ : ١٥١ .

وقال الأخْطل :

نازعته فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجاَجُ وحانتْ وقفة السَّارِى(١)

وقال جرير :

لَمَّا مَرِرْتُ على الدَّيرَينِ أرَّقنَى صَوْتُ الدَّجاجِ وقرْعٌ بالنواقيسِ(٢)

(شعر فى الديكة والدجاج)

قالوا : وقد وجدنا الدِّيَكةَ والدَّجاَجَ وأفعالَها، مذكوراتٍ فى مواضعَ كثيرة ، قال ذو الرُّمة :

كأنَّ أصواتَ من إيغالهنَّ بنا أواخرِ المَيْسِ أصواتُ الفَرَاريجِ(٣)

وقال الهذلى(٤) :

ومن أينها بعد إبدانها ومن شحم أَثْباجها الهابط(٥)

---

(١) ط : « وقعة السارى » .

(٢) هذا البيت من الشواهد المتنازعة فى كتب اللغة والأدب والنحو . والرواية المشهورة فيه : « لما تذكرت بالديرين » . وصاحب العقد يرى أنه أراد ديرا واحدا هو دير الوليد بالشام (العقد ٤ : ١٠) . وصاحب معجم البلدان يصرح بأنه أراد ديرين وهما « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق . وروى بيتاً آخر لجرير فى رثاء ولده ، وهو :

إلا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

(٣) قد فصل بين المتضايفين — وهما أصوات ، وأواخر — بالجار والمجرور . يريد : كأن أصوات أواخر الميس — بسبب إيغال هذه الإبل بنا — أصوات الفراريج . والميس : شجر تتخذ منه الرحال . وانظر الكلام على هذا البيت فى الخزانة ٤ : ٨٠ سلفية وكتاب سيبويه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ بولاق .

(٤) هو أسامة الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ١٩٥ وفى اللسان (هبط) .

(٥) كذا فى ط : واللسان (مادة هبط) . وفى س : « بعد إبدائها » . والأثباج : الأعالى .

تَصِيحُ جنادِبُهُ رُكَّداً صِياحَ المسامِيرِ فى الواسط[1]
فهو على كلِّ مستوفز سقوط الدَّجاجِ على الحائط

وقال مَرْوان بن محمد[2] : ١٢٦

ضيَّع ماوُرِّثَه راشدٌ مِن كيلَةِ الأكداسِ فى صفِّه[3]
غربَ كُدْسٍ قد علا رمسَه كالدِّيك إذ يعلو عَلَى رَفِّه

(بيضة الديك وبيضة العقر)

ويقال فى المثل للذى[4] يعطى عطيّةً لايعودُ فى مثلها : «كانَتْ بَيْضَة الدِّيك» . فإن كان معروف له قيل : « بَيْضة العُقْر[5] » .

(استطراد لغوى)

ويقال دجاجة بَيُوض فى دَجاجٍ بيضٍ وبُيُض ، بإسكان موضع العين من الفعل من لغة سفلى[6] مضر ، وضمِّ موضع العين من نظيره من الفعل مع الفاء من لغة أهل الحجاز .

---

(١) واسط الرحل : وسطه .

(٢) هو الشاعر المعروف بأبى الشمقمق . انظر ترجمته فى الجزء الأول ٢٢٥ .

(٣) الأكداس : جمع كدس بالضم ، وهو الحب المحصود المجموع . ط : « ضبع ماورثه راشد » .

(٤) فى الأصل : « الذى » .

(٥) أى فإن كان قد سبق معروف له قبل هذه المرة التى قطع فيها معروفه . قال أبو عبيد : يقال للبخيل يعطى مرة ثم لايعود : كانت بيضة الديك . فإن كان يعطى شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة : كانت بيضة العقر . انظر اللسان وأمثال الميدانى ١ : ٨٦ وثمار القلوب ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٦) فى الأصل : « سفل » .

ويقال عمد الجرح يَعمَد عَمَداً ، إذا عُصر[1] قبل أن ينضجَ فورِم ولم يُخرِج بَيضَته[2] ، وذلك الوِعاء والغِلاف الذى يجمع المِدَّة يسمّى بيضة . وإذا خرجَ ذلك بالعصر من موضع العَين فقد أفاق صاحبُه .

ويقال حضَن الطائر فهو يحضُن حِضاناً[3] .

(السفاد والضراب ونحوهما)

ويقال هو التَّسافُد[4] من الطير ، والتعاظل من السِّباع . ويقال قَمَط الحمام الحمامة وسفِدَها . ويقال قَعَا الفحلُ يقعو قَعْوا ، وهو إرساله بنفسه عليها فى ضرابه . والفحل من الخفِّ يَضرِب ، وهو القَعْو والضِّراب . ومن الظِّلف والحافر ينزو نزْوا ، وكذلك السنانير . والظليم يقعو ، وكلّ الطير يقعو قعوا . وأما الخفّ والظِّلف فإنّه يقعُو بعد التسنّم . وهو ضرابٌ[5] كلُّه ماخلا التسنُّم . وأما الظِّلف خاصَّة فهو قافط ، يقال قفَط يقفُط قفْطا . أو القفْط نزْوة واحدة . وليس فى الحافر إلاّ النَّزو .

(حضن الدجاج بيض الطاوس)

قال : ويُوضع بيضُ الطاوس تحتَ الدّجاجة ، وأكثرُ ذلك لأنَّ الذَّكر يعبَث بالأنثى إذا حَضَنت . قال : ولهذه العلَّة كثيرٌ من إناث

---

(١) ط : « أعصر » ، وتصحيحه من س .
(٢) فى اللسان : « ولم تخرج بيضته » .
(٣) وكذا حضنا ، وحضانة بالكسر ، وحضونا .
(٤) فى الأصل : « السافد » .
(٥) ط : «ضرابه» ، وأثبت ماق س .

طـير الوحش يهرِّبن بيضهُنَّ من ذكورتها ، ثمَّ لاتضعه بحيث يشعر به ذكورتهُنّ .

قال : ويُوضَع (١) تحتَ الدجاَجةِ بيضتان من بيض الطاوس ، لاتقوى على تسخينِ أكثرَ من ذلك . عَلَى أنَهم يتعهّدون الدّجاجة بجميع حوائجها خوفاً من أن تقوم عنه فيفسده الهواء .

(خصى ذكور الطير)

قال : وخَصَى (٢) ذكورِ أجناس الطَّير تكونُ فى أوان أوّل السفاد أعظم . وكُلَّما كانَ الطيرُ أعظم سِفاداً ، كانت خصيتُه أعظمَ ، مثلُ الدِّيك ، والقَبَج ، والحَجَل .

وخُصية العصفور أعظمَ من خُصيةِ مايساويه فى الجثَّة مرَّتين .

(بيض الدجاج)

قال : وكلُّ ما كان من الدَّجاَج أصغرَ جثَّةً يكونُ أكبر لبيضه (٣) . وبعض الدَّجاَج يكون يبيض بيضاً كثيراً ، وربما باض بَيضتين فى يومٍ واحد ؛ وإذا عرض له ذلك كان من أسباب موته

---

(١) ط : « ترضع » وتصحيحه من س .

(٢) فى الأصل : « وخصا » .

(٣) كذا بالأصل . وهو تحريف ، انظر لتصحيحه ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(شعر فى صفة الديك)

وقال آخر[١] فى صفة الديك :

ماذا يؤرِّقنى والنومُ يُعْجِبُنى
مِنْ صوتِ ذِى رَعَثاتٍ ساكِنِ الدَّار[٢]

كَأَنَّ حُمَّاضةً فى رأسِهِ نبتَتْ من آخر الليل قد همَّتْ بإثمارِ[٣]

وقال الطِرِمَّاح :

فياصبحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيلِ مُصْعِداً بِبَمّ ونَبِّهْ ذا العفاءِ الموشَّحِ[٤]

إذا صاحَ لم يُخذَلْ وَجاوَبَ صَوْتَهُ
حَمَاشُ الشَّوَى يَصْدَحْنَ منْ كُلِّ مَصْدَحِ[٥]

---

(١) البيتان فى اللسان (حمض) والحماسة ١٨٨٣ بشرح المرزوقى ومحاضرات الراغب ٢ : ٣٠١ بدون نسبة . والبيت الأول فى اللسان (رعث) منسوب إلى الأخطل .

(٢) فى اللسان : « ورعثة الديك : عثنونه ولحيته » .

(٣) قال أبو حنيفة : « الحماض من العشب ، وهو يطول طولا شديدا ، وله ورقة عظيمة وزهرة حمراء . وإذا دنا يبسه ابيضت زهرته ، والناس يأكلونه » . ورواية اللسان : « من آخر الصيف » ، ورواية الراغب : « من أول الضيف » .

(٤) سبق البيتان فى ص ٢٥٤ ، وفى الأصل : « غير الليل » محرف . وفى ط : « ينم » وتصحيحه من س والديوان . وفى الأصل : « وفيه ذا العفاء » ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) انظر ص ٢٥٤ . وفى س : « يصرخن من كل مصرخ » .

(حضن الحمام بيض الدجاج)

قال : والفرُّوج إذا خرج من بيضه عن حَضن الحمام ، كان أكيسَ له .

(بيض الطاوس)

وبيضُ الطَّاوس إذا لم تحضنه الأنثى التى باضته خرج الفرخ أقمأَ[١] وأصغر .

(بيض الدجاج)

قال : وإذا أُهْرِمَت[٢] الدَّجاجة فليس لأواخر ماتَبيض صُفْرة . وقد عايَنوا للبَيضَة الواحدة مُحَّتين ، خبّرنى بذلك جماعةٌ ممَّن يَتَعَرَّف[٣] الأُمور . وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلق من البيضة فرُّوج ولا فرخ ؛ لأنَّه ليس له طعام يغذوه ويُرْبِيه . [والبيض[٤]] إذا كان فيه محّتان وكان البياض وافراً – ولا يكون ذلك للمسِنَّات – فإذا [كان كذلك[٤]] خلق الله تعالى من البَياض فَرُّوجين ، وتربَّى الفَرُّوجان[٥] ، وتمَّ الخلق ؛ لأنَّ الفرْخ إنَّما يخلق من البَياض ، والصفرة غذاء الفروج .

---

(١) أقمأ : من القماءة ، بمعنى الصغر .

(٢) هى صحيحة . يقال : أهرمه الدهر وهرمه بالتشديد .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « يعرف » .

(٤) زدت هذا لحاجة الكلام إليه .

(٥) فى الأصل : « وهناك محتين (كذا) تربى الفروجان » .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قفَط الطائر يقفُط قفْطا ، وسفِد يسفَد سفاداً ، وهما واحد. ويكون السِّفاد للكلب والشاة . ويقال قَمط الحمام يقمُط قمطا .

ويقال ذَرق الطائر يذرُق ذرْقا ، وخزَق يخْزِق خَزْقا ، ويقال ذلك للإنسان. فإذا اشتقّ له من الحذقة نفسه ومن اسمه الذى هو اسمه[١] قيل خرئ ، وهو الخُرءُ والخراءُ[٢] .ويقال للحافر راث يرُوث ، وللمعْز والشاء[٣] : بعر يبعُر . ويقال للنَّعام: صام [يَصُوم]، وللطير : [نجا] ينجو[٤] واسم نَجْو النَّعام الصَّوم ، واسم نجو الطَّير العُرَّة . وقال الطِّرِمّاح :

فى شَــناَظِى أُقَنٍ بَيْنَهَا عُرَّة الطِّيرِ كَصَوْمِ النَّعامْ[٥]

ويقال للصبى عَقَى[٦] ، مأخوذ من العِـقْى.

ويقال لحمت الطير . ويقال ألحِم طائرَك إلحاماً[٧] ، أى أطعمْه لحما واتَّخذ له . ويقال هى لحُمة النَّسب . ويقال ألحمت الثوب إلحاما ، وألحمْت الطائر إلحاماً ، وهى لحمة الثَّوب ، ولحمة ، بالفتح والضمِّ .

---

(١) عبارة مبهمة . ومبلغ الظن أنها محرفة .

(٢) فى الأصل : « والخراة » .

(٣) فى الأصل : « والشاة »، ووجهه ما أثبت.

(٤) زدت الكلمتين السالفتين ليلتئم الكلام . و « ينجو » هى فى الأصل : « نجو » .

(٥) فى اللسان : « شناظى الجبال : أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدتها شنظوة » . و « الأقن » : حفر تكون بين الجبال ينبت فيها الشجر ، واحدها أقنة » و « عرة الطير : ذرقها » . وصدر البيت محرف فى س هكذا : « فى شناطى أمر بها » . وانظر ديوان الطرماح ٩٧ و اللسان (شنظ وأقن) .

(٦) فى الأصل : « عقىٌ » ، وتصحيحه من اللسان والقاموس .

(٧) فى الأصل : « لحم طائرك لحاما » .

(صفاء عين الديك)

ومن خصال الدِّيك المحمودةِ قولهم فى الشراب : « أصفَى مِنْ عَيْنِ الدِّيك » وإذا وصفوا عَين الحمام الفَقيع [1] بالحمرة ، أو عينَ الجرادِ قالوا : كأنَّها عينُ الدِّيك . وإذا قالوا : « أصفى من عين الغراب » فإنّما يريدون حِدَّته ونفاذَ البصر . ١٢٨

(ما قيل فى عين الديك)

وفى عين الديك يقول الأعشى :

وكأسٍ كعَينِ الدِّيكِ باكَرْت حَدَّها
بغـرتها إذ غابَ عنها بُغاتُها [2]

وقال آخر [3] :

وكأس كعين الديك باكرتُ حَدَّها
بفتيانِ صِدق والنّواقِيسَ تُضربُ

---

(١) الفقيع : جنس من الحمام أبيض .

(٢) فى ديوان الأعشى ٦٠ : « كماء النى ء » . وقالوا : حد الخمر : صلابتها . الصحاح واللسان . والمراد بالصلابة قوة تأثيرها . وانظر لوصف الخمر بالصلابة محاضرات الراغب ١ : ٣٢٨ . وفى الديوان : « إذا غاب عنى » .

(٣) هو الأعشى أيضا ، فى الصحاح واللسان . وانظر ديوانه ١٣٧ .

وقال آخر [١] :

قَدَّمَتهُ على عُقارٍ كَعين الدِّيـ ... ـك صفًّى زُلالَهَا الرَّاوُوق

وقال الآخر [٢] :

ثلاثَةَ أحوالٍ وشَهْرًا مُجَرَّما ... تضيء كَعيْنِ العُتْرُفَان المجاوِبِ

والعُتْرُفان من أسماء الديك ، وسماه بالمجاوب كما سمَّاه بالعُتْرُفان .

(وصف الماء الصافى)

وإذا وصفوا المَاءَ والشَّرابَ بالصَّافى قالوا ، كأنّه الدَّمع ، وكأنّه ماء قَطْر ، وكأنّه [ماء][٤] مَفْصِل ، وكأنّه لعاب الجندب . إلاّ أنّ هـذا الشاعر قال :

مطبقـةٌ ملآنة بابليّـــة ... كأنّ حُمَيَّاها عُيُونَ الجَنادِبِ[٥]

---

(١) هو عدى بن زيد العبادى كما فى الأغانى ٥ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ و ٦ : ١١٩ ، ١٢٨ . والرواية فيما عدا الموضع الثالث :

قدمته على عقار كعين الـ ... ـديك صفى سلافها الراووق

وفى الموضع الثالث :

قدمته على سلاف كريح الـ ... ـمسك صفى سلافها الراووق

وقبل البيت :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت ... قينة فى يمينها إبريق

(٢) هو عدى بن زيد العبادى كما فى اللسان (عترف) وحياة الحيوان ٢ : ١٥٧ برسم (عترفان) .

(٣) فى الأصل ، وكذا فى اللسان : « محرما » بالحاء ، وهو تصحيف ماأثبت . يقال حول مجرم ، وسنة مجرمة وشهر مجرم ، ويوم مجرم ، أى تام . انظر اللسان والقاموس . و (العترفان) شرحه الجاحظ .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) حميا الخمر : أثر إسكارها ، أو شدتها . فى ط : « حلياها » وتصحيحه من س .

وقال آخر[١] :

وَمَا قَرْقَفٌ من أَذْرِعاتٍ كأنَّها إذا سُكِبَتْ مِنْ دَنِّها ماءُ مَفْصِلِ[٢]

(المفاصل وماء المفاصل)

والمفاصل : ماءٌ بين السَّهل والجَبَل . وقال أبو ذُؤيب :

مَطافيلَ أبكارٍ حَدِيثٍ نِتاجُها تُشَابُ بمَاءٍ مِثْلِ ماءِ المَفَاصِلِ[٣]

وقال ابن نجيم[٤] : إنَّما عنَوا مفاصل فَقَارِ الجَمَل ؛ لأنّ لكلِّ مَفْصِل حُقًّا ، فيستنقع فيه مَاءٌ[٥] لاتجد مَاءً أبداً أصفى ولا أحسن منه وإن رقّ[٦] .

---

(١) هو كثير ، كما فى ثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . ياقوت .

(٣) المطافيل : جمع مطفل ، وهى ذات الولد . والأبكار : جمع بكر ، بالكسر ، وهى الناقة التى ولدت بطناً واحداً ، وولدها بكرها أيضاً . وقبل هذا البيت :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النخل أو ألبان عوذ مطافل

وانظر الحديث عنه فى البيان ١ : ٢٧٨ وأمالى المرتضى ١ : ١٨٧ وثمار القلوب ٤٤٦ والمخصص ٧ : ٢٨ .

(٤) هو يحيى بن نجيم ، قال الجاحظ فى شأنه (البيان ٤ : ٢٣) « وقد جلست إلى أبى عبيدة والأصمعى ويحيى بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر فى النسيب فأنشده » . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست (١٧٠ ليبسك ، ٢٤٢ مصر) مع أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب . وفى أصل الحيوان : « أبو نجيم » محرف .

(٥) ط : « ما » ، وأثبت مافى س .

(٦) س : « إن روق » ، والوجه ما أثبت من ط . وفى ط بعد هذا زيادة ليست فى س فحذفتها ، وهى : » ولاقول أصحابنا » .

(ثقوب بصر الكلب وسمعه)

وقال مَرَّةً قطربٌ ، وهو محمد بن المستنير[1] النحويُّ : « والله لَفلانٌ أبصرُ من كلب ، وأسمعُ من كلب ، وأشمُّ مِن كلب » ! . فقيل له : أنشدْنا فى ذلك ما يُشبِه قولَك . فأنشد قوله[2] :

يا ربَّة البَيتِ قومى غيرَ صاغرة   حُطِّى إليك رِحال القَوْم فَالقُرُبا[3]

١٢٩ فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أَنْدِيَةٍ   لايُبصِرُ الكلْبُ مِنْ ظَلْمَائها الطُّنُبا[4]

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ   حتَّى يجرَّ على خَيشُومِه الذَّنَبا[5]

---

(١) فى الأصل : « المنتشر » وصوابه ماأثبت . لازم محمد بن المستنير سيبويه ، وكان يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه فقال : « ما أنت إلا قطرب ليل ! » . وكان قطرب يرى رأى المعتزلة النظامية ، واتصل بأبى دلف العجلى وأدب ولده . توفى قطرب سنة ست ومائتين . بغية الوعاة ، ونزهة الألباء ١١٩ .

(٢) هو مرة بن محكان التميمى السعدى ، كما فى الحماسة ٢ : ٢٥٣ والأغانى ٢٠ : ١٠ ومعجم المرزبانى ٣٨٣ ، وكما سيأتى بعده .

(٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف أو جفن غمده . ورواية الحماسة :

* ضمى إليك رحال القوم والقربا *

وسئل أبو عبيدة عن معنى هذا الشطر فقال : « كان الضيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا إليهم رحله، وبقى سلاحه معه لايؤخذ ، خوفا من البيات . فقال مرة يخاطب امرأته : ضمى إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم؛ فإنهم عندى فى عز وأمن من الغارات . (الأغانى ٢٠ : ١٠) .

(٤) الأندية : جمع ندى . والطنب : حبل البيت .

(٥) أى لاينبح غير نبحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستدفئ به . ورواية الحماسة :

* حتى يلف على خيشومه الذنبا *

وأنشد هذا البيت فى ثُقوب بصره، والشِّعر لمرَّة بن مِحْكَان السعدىّ[١] :

ثمَّ أنشدَ فى ثُقوب السَّمع :

خَفِىّ السُّرَى لا يَسْمَعُ الكَلْبُ وَطْأَهُ
أتى دُونَ نَبْحِ الكلبِ والكلبُ دابب[٢]

(خصال القائد التركى)

قال أبو الحسن : قال نصْر بن سيَّارٍ اللَّيثى[٣] : كان عظماءُ التُّرْكِ يقولون للقائِد العظيم القِيادة : لابدَّ أن تكونَ فيه عشرُ خصالٍ من أخلاق

---

(١) مرة بن محكان : شاعر إسلامى مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان فى عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر . كان مرة شريفاً جوادا ، وكان أنهب ماله الناس فحبسه زياد ، فقال فى ذلك الأبيرد الرياحى :

حبست كريما أن يجود بماله ستعرف مافى قومه من مفاقم

وقتله مصعب بن الزبير . وذلك أن الحارث بن أبى ربيعة كان واليا على البصرة أيام ابن الزبير ، فخاصم إليه مرة بن محكان رجلا ، فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ يقول :

أحار تثبت فى القضاء فإنه إذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا
وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا
فإنى مما أدرك الأمر بالأنى وأقطع فى رأس الأمير المهندا

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال : أما والله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسى ، فأمر به فحبس ، ثم دس إليه من قتله (الأغانى ٢٠ : ١٠) والشعراء ٦٦٧ .

(٢) كذا . ولعلها « دائب » أى دائب النباح .

(٣) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ؛ وأقام بمرو ، وقد انتبه إلى استفحال الدعاوة العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام ، فلم يأبهوا للخطر ، وظل يكافح هو حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومس ، واستمر فى كفاحه إلى أن لحقه المرض فى مفازة بين الرى وهمذان ، ومات بساوة سنة ١٣١ .

الحيوان : سخاء الديك ، وتحنُّن الدجاجة ، وقلب الأسد ، وحملة الخنزير[1] وروَغان الثعلب ، وخَتْل الذئب ، [وصبر الكلب على الجراحة ، وحذَر الغراب ، وحِراسة الكُركىّ ، وهداية الحمام[2]] .

وقد كتبْنا هذا فى بابِ ما للدَّجاج والدِّيك ؛ لأنَّ صاحبَ هذا الكلامِ قسّم هذه الخصال ، فأعطى كلَّ جنسٍ منها خَصْلةً واحدة وأعطى جنس الدجَاج خَصلتين .

(بعض ماورد من الحديث والخبر فى الديك)

وعبَّاد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد قال : كان مكحولٌ يسافر بالدِّيك .

وعنه فى هذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّيكُ صدِيقى ، وصديق صديقى ، وعدُوُّ عدوِّ الله ، يحفَظ دارَه وأربَعَ دُور من حواليه » .

والمسيب بن شريك عن الأعمش نحسبه عن إبراهيم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَذْبَحُوا الدِّيك ؛ فإنَّ الشَّيْطَان يُفْرَحُ بِهِ[3] » .

---

(١) أصل معنى الحملة : الكرة فى الحرب . قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٢١ : « يضرب المثل بحرص الخنزير وقبحه وقذره ، وحملته ، وصعوبة صيده ، وشدة الخطر فى طرده » .

(٢) الزيادة من ثمار القلوب ٣٠٦ والإمتاع والمؤانسة ١ : ١٤٤ وجمهرة العسكرى ٨٥ والفخرى ٥١ حيث يوجد هذا النص . وبها تتم الخصال العشر .

(٣) يفرح به : يغم . وهذا الحرف من الأضداد : يقال أفرحه إذا سره ، وأفرحه إذا غمه وأثقل عليه .

(ريش جناح الطائر)

قال : وليس جناح إلاَّ وفيه عشرون ريشةً : فأربعٌ قوادم ، وأربعٌ مناكب ، وأربع أباهر ، وأربع كُلًى[1] ، وأربعٌ خَوَافٍ . ويقال : سبعٌ قوادم ، وسبعٌ خَوافٍ ، وسائره لقب .

(الكف والركبة لدى الإنسان وذوات الأربع)

قال : وكلٌّ شيء من ذوات الأربع فركبتاه فى يديه ، وركبتا الإنسانِ فى رجليه ، قال : والإنسان كفُّه فى يده ، والطائر كفه فى رِجله .

(أسنان الإنسان)

قال : وفى الفم ثَنِيَّتان ورَبَاعِيَتان ونابان وضاحكان وأربعةُ أَرحاءٍ سوى ضِرْس الحُكْم[2] . والنَّواجذ والعوارض سواء . ومثلها أسفل[3] .

---

(١) فى الأصل : « أربع أباهن وأربع طلى » ، وهو تحريف ماأثبت . انظر أدب الكاتب ١١٩ والمخصص ٨ : ١٣٠ ناقلا عن ابن قتيبة ، ومبادئ اللغة ١٦٩ ، واللسان (بهر) .

(٢) الحكم والحلم بمعنى ، وهذا هو الضرس المعروف بضرس العقل ، وجاء فى أدب الكاتب ١١٦ : « والناجذ: ضرس الحلم» .

(٣) أى مثل ماذكر .

(التفاؤل بالدجاجة)

قال صاحب الدِّيك : والدَّجَاجةُ يُتفاءَل بذِكرها ، ولذلك لمَّا ولد لسعيد بن العاص عَنْبَسَةُ بن سعيد ، قال لابنه يحيى : أيَّ شيء تَنْحَلُه[1] ؟ قال : دَجَاجةً بفراريجها ! يريد احتقاره بذلك ، إذ كان ابنَ أَمَةٍ ولم يكن ابنَ حرّة . فقال سعيد — أو قِيلَ له — : إن صدَق الطَّيْرُ لَيكونَنَّ أكثَرَهُمْ ولداً !

فهم[2] اليومَ أكثَرُهُمْ وَلَداً ، وهم بالكوفة والمدينة .

(شعر فى الدجاج)

وقال الشاعر[3] :

غدَوتُ بشَرْبَةٍ مِنْ ذات عِرْقٍ ... أبا الدَّهناءِ من حَلَب العصيرِ

١٣٠ وأُخرى بالعَقَنْقَل ثمَّ سِرْنا ... نرى العُصفورَ أعظمَ مِن بَعيرِ

كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُميرٍ ... أميرُ المؤمنين على السَّريرِ

كأَنَّ دَجَاجَهُمْ فى الدَّار رُقطاً ... بناتُ الرُّومِ فى قُمُصِ الحريرِ

فبتُّ أرى الكَوَاكبَ دانياتٍ ... يَنَلْنَ أنَامِلَ الرَّجُلِ القصيرِ

أُدافعهنَّ بالكَفَّينِ عنِّى ... وأمسَحُ جَانبَ القَمَرِ المُنيرِ

---

(١) نحله ينحله : أعطاه . والمصدر : النحل ، بالضم ، كقفل .

(٢) أى فأولاده . وانظر نهاية الأرب ٢ : ١٤٣ .

(٣) انظر الشعر ومراجعه فى هذا الجزء ص ٢٦٠ .

(نطق الدجَاج)

قال : ويوصف بالدُّعاءِ وبالمنطق ، قال لَبيد بن ربيعة :

وصدَّهُمْ مَنطِقُ الدَّجَاجِ عن القَصْـ ـد وضَرْبُ النَّـاقوس فاجتنبا

وقَال :

لَدُنْ أنْ دعا ديكُ الصباح بسُحْرةٍ إلى قَدر وِرد الخامِس المتأوِّبِ

(دعابة أعرابى ، وقسمته للدجاج)

قَال أبو الحسن : حدَّثنى أعرابىٌّ كان ينزل بالبَصْرة قال : قدِم أعرابىٌّ من البادية فأَنزلته ، وكان عندى دَجَاجٌ كثير ، ولى امرأةٌ وابنان وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بَادِرى واشوى لنا دَجَاجةً وقدِّميها إلينا نتغدَّاها[1] فلمَّا حضر الغــداء جلسنا جميعاً أنَا وامرأتى وابناى وابنتاى والأعرابىّ . قال : فدفعنا إليه الدَّجَاجة فقلنا له : اقسِمها بيننا ـــ نريد [بذلك[2]] أنْ نضحك منه ـــ فقال : لا أحسنُ القِسمة ، فإن رضيتم بقسمَتى قسمْتُها بينكم . قلنا : فإنَّا نرْضَى . فأخَذَ رأسَ الدَّجَاجة فقطعه[3] فناوَلَنيهِ وقال : الرَّأس للرّأس[4] . وقَطَعَ الجناحين وقال : الجنــاحان

---

(١) رفع هذا الفعل على الاستئناف ، وقد نقل النويرى فى نهاية الأرب هـــذه القصة ١٠ : ٢٢٣ وفيها : « نتغدها » بالجزم على جواب الأمر . وفى أخبار الظراف ٦٧ : « نتغدى بها » .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب .

(٣) فى الأصل : « فقطعها » والرأس مذكر . فالصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(٤) فى النهاية : « للرئيس » والرأس والرئيس بمعنى .

للابنين . ثمَّ قطع السَّاقين فقال : السَّاقان للابنتين . ثمَّ قطعَ الزِّمكَّى وقال : العجُز للعُجُز[١] . وقال : الزَّور للزَّائر[٢] قال : فأَخذَ الدَّجاجة بأَسْرها وسَخِر بنا . قال : فلما كان من الغد قلتُ لامرأتى : اشوى لنا خَمْسَ دَجاجَاتٍ . فلما حضر[٣] الغداءُ . قلت : اقسم بيننا . قَال : إنِّى أظنُّ أنَّكم وجَدْتم[٤] فى أنفسكم ! قلنا : لا ! لم نجد فى أنفسنا فاَقْسِم . قَال : أقسِمُ شفعاً أو وِتراً ، قلنا : اقسِم وِتراً . قالَ : أنت وامرأتك ودَجَاجة ثلاثة . ثمَّ رمى إلينا بدجاجة . ثُمَّ قَالَ : وابناك ودجاجة ثلاثة . ثمّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَال : وابنتاك ودجاجة ثلاثَة . ثمَّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَالَ : أنَا ودجاجتان ثلاَثَةً . وأخذ دَجاجتين وسخِر بنا . قَالَ : فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ماتنظرون ! لعلَّكم كرهتم قسمَتِى[٥] الوِتر لا يجىء إلاَّ هكذا ، فهل لكُمْ فى قِسمَة الشَّفع ؟ قلنا : نعم . فضمَّهنَّ إليه ، ثم قال : أنتَ وابناك ودجاجة أربعة . ورمى إلينا بدجَاجَة ، ثمَّ قال : والعجوز وابنتاها ودجَاجة أربعة ، ورمى إليهنَّ بدَجَاجةٍ ، ثمّ قالَ : أنَا ١٣١

---

(١) العجز : جمع عجوز . وفى نهاية الأرب : « للعجوز » . والزمكى : أصل الذنب .

(٢) هكذا جاء فى الأصل ونهاية الأرب . ومقتضى الكلام : ثم قطع الزور وقال . . . الخ .

(٣) فى الأصل : « حضرا » ، وتصحيحه من النهاية .

(٤) وجدتم هنا بمعنى غضبتم .

(٥) فى الأصل : « قسمة » ، وأثبت مافى نهاية الأرب .

وثلاث دَجَاجَات أربعة ، وضمَّ إليه الثَّلاَث ، ورفعَ يديه إلى السماء وقال :
اللهم لك الحمد ، أنتَ فَهَّمتنيها !

(قول صاحب الكلب فى كيس الفروج)

قال صاحب الكلب : [أمَّا قولهمْ[1]] : من أعظم مَفاخِرِ الدِّيك والدَّجَاج على سائر الحيوان ، أنَّ الفَرُّوج يخرُج من البيضة كاسيا يكفِى نفسه ، ثمَّ يجمع كيْس الخِلقة وكيْس المعرِفة ، وذلك كلُّه مع خُروجه من البيضة — فقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد العنكبوت يأخذُ فى النَّسج ساعةَ يُولد . وعملُ العنكبوتِ عملٌ شاقٌّ ولطيفٌ دقيق ، لا يبلغه الفَرُّوجُ ولا أبو الفرُّوج ! !

على أنّ ماَمدَحوا الفرُّوج به من خُروجه من البَيضة كاسياً ، قد شركه فى حاله غيرُ جِنسه . وكذلك ذَوات الأربَع كلها تُولد كواسِىَ كواسب ، كولد الشاء .

وفِراخ القَبَجِ والدُّرَّاجِ ، وفِراخ البطِّ الصِّينىِّ فى ذلك كلِّه لاحقةٌ بالفراريج ، وتزيدُ على ذلك أنَّها تزداد حُسناً كلَّما كبِرت . فقد سقط هذا الفخر .

---

(١) ليست بالأصل ، وزيادتها ضرورية .

(شعرٌ هزليٌّ فى الديك)

ومن الشِّعر الذى قيل فى الدِّيك ، ممَّا يُكتَب للهزْل وليس للجِدِّ والفائدة ، قولُ أبى الشَّمَقْمَق :

هَتَفَتْ أمُّ حُصَينٍ ثمَّ قالت : مَن يَنِيك
فتحتْ فَرْجاً رَحِيباً مِثلَ صَحراء العَتيكْ
فيه وَزٌّ فيه بَطٌّ فيه دُرّاجٌ ودِيكْ

(حديث صاحب الأهواز عن العرب)

قال : وممَّا فيه ذِكرُ الدَّجَاج وليس من شِكْل ما بَنَينا كلامَنا عليه ، ولكنَّه يُكتَب لما فيه من العجب . قال : قال الهامَرز . قال صاحب الأهواز[1] : ما رأينا قوماً أعجب من العَرَب ! أتيتُ الأحنفَ بنَ قيسٍ فكلَّمته فى حاجةٍ لى إلى ابن زياد ، وكنتُ قد ظلمت فى الخَراج ، فكلَّمه فأحسَنَ إلىّ وحطّ عنِّى ، فأهدَيْتُ إليه هدايا كثيرةً فغَضِب وقال : إنَّا لا نأخُذُ على مَعُونتِنا أجراً ! فلمَّا كنتُ فى بعضِ الطريق سقطَتْ من ردائى دَجاجةٌ فلحِقَنى رجلٌ منهم فقال : هذهِ سقطتْ من ردائك . فأمرتُ له بدِرْهَمٍ ، ثمَّ لحِقَنى بالأُبُلَّة[2] فقال : أنا صاحبُ الدَّجاَجة ! فأمرْتُ لَهُ

---

(١) فى القاموس : « الهامرز بفتح الميم من ملوك العجم » . فلعل وجه الكلام : « قال الهامرز صاحب الأهواز » . والأهواز : كورة بين البصرة وفارس .

(٢) الأبلة : بلد بالعراق على شاطىء دجلة .

بدراهم ؛ ثمَّ لحقنى بالأهواز فقال : أنا صاحب الدَّجاجة ! فقلت له : إن رأيتَ زادى بعد هذا كلِّه قد سقَط فلا تُعْلِمنى ، وهُوَ لك ! !

(جرو البطحاء)

قال صاحب الكلب : كان يقال لأبى العاصى بن الربيع بن عبد العُزَّى ابن عبد شمس[1] ، وهو زوج زَينبَ بنتِ رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم ولأخيه كنانة بن الرَّبيع[2] : جرْوُ البطحاء[3] .

(الموريانى وأسطورة البازى والديك)

قال صاحب الديك لصاحب الكلب : وسنضرب لك المثلَ الذى ضَرَبه الموريانىُّ[4] للدِّيك والبازى : وذلك أنَّ خلَّاد بن يزيدَ[5] الأرقط ١٣٢

---

(١) كان أبو العاصى قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان يكثر غشيانه فى منزله ، وزوجه زينب أكبر بناته ، ولم يسلم إلا بعد الهجرة . وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة . ومات فى خلافة أبى بكر سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، الإصابة (باب الكنى ٦٨٤) .

(٢) انظر خبرا طريفاً له فى السيرة ٤٦٦ – ٤٦٨ جوتنجن .

(٣) أى بطحاء مكة ، وهو مسيل واديها . وفى ط : « البطاء » وتصحيحه من س : والإصابة .

(٤) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبى أيوب ، ونسب إلى موريان : قرية من قرى الأهواز . كان أبو أيوب وزير المنصور العباسى بعد خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان فى أول أمره مقربا لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله. وتوفى سنة ١٥٤ . وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ – ٢١٦ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط : أحد الرواة للأخبار والقبائل والأشعار . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٧ ليبسك و ١٥٦ مصر . وفى ط : « زبد » ، وتصحيحه من س والفهرست .

قال : بينما أبو أيُّوب المورِيانىُّ جالسٌ فى أمْره ونهيه ، إذ أتاه رسولُ أبى جعفرٍ فانْتُقِـع لونُه[١] ، وطارت عصافيرُ رأسِه[٢] ، وأَذِن بيومِ بأسه[٣] ، وذعِر ذعرًا نقَضَ حُبْوته[٤] ، واستطار فؤاده[٥] ، ثمَّ عاد طلقَ الوجْه ، فتعجَّبنا من حالَيه وقلْنا لَهُ : إنَّك لطيفُ الخاصَّة قريبُ المنزلة ، فلِمَ ذهب بك الذُّعرُ واستفرَغك الوَجل[٦] ؟ فقال : سأَضرب لكم مثلاً مِن أمثال الناس .

زعموا أنَّ البازىَ قَال للديك : ما فى الأرض شىءٌ أقلُّ وفاءً منك ! قَال : وكيف ؟ قَال : أخذَكَ أهلكَ بيضةً فحضَنوك ، ثمَّ خرجتَ على أيديهم فأطعمُوك عَلَى أكفِّهم[٧] ، ونشأتَ بينهم ، حتَّى إذاكبرتَ صرتَ لا يدنو منك أحدٌ إلاَّ طرتَ هاهنا وهاهنا وضَجِجْتَ وَصِحت . وأُخِذتُ أنا من الجبال [مُسِنًّا[٨]] فعلَّمونى وألَّفونى[٩] ، ثمَّ يخلَّى عَنِّى فآخذ صيدى

---

(١) انتقع لونه وامتقع ، بالبناء للمجهول فيهما : تغير .

(٢) يضرب للمذعور ، أى كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه ، فلما ذعر طارت . الميدانى (١ : ٣٩٦) .

(٣) البأس : العذاب . وأذن به : علمه . وفى التنزيل العزيز : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » أى كونوا على علم .

(٤) أصل الحبوة أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ، وكذلك كانوا يفعلون فى جلوسهم ، ولا ينقضونها إلا لأمر هام .

(٥) ط : « فؤاه » ، وصوابه فى س . واستطار بمعنى انتزع . وفى اللسان : « استطار فلان سيفه : إذا انتزعه من غمده مسرعا » .

(٦) استفرغه الوجل : أخذ منه قواه وذهب بها . وفى ط : « استفزعك » وأثبت مافى س .

(٧) فى الدميرى وقد روى هذه القصة ١ : ١٦٢ : فيطعمونك بأكفهم » . وفى الوفيات ١ : ٢١٦ : « وأطعموك فى أكفهم » .

(٨) الزيادة من الوفيات . وفى الدميرى : وقد كبرت سنى » .

(٩) ألفه ، بالتشديد : جعله أليفا . وفى الوفيات : « وألفوا بى » ، محرفة . وفى الدميرى : « وأونس » .

فى الهواء فأَجىءُ بِهِ إلى صاحبى . فقال له الدِّيك : إنَّك لو رأيتَ من البُزاة فى سَفافيدهم مثلَ مارأيتُ من الدُّيُوك لكنتَ أنفرَ منِّى !

ولـكنَّـكم أنتمْ لو علمتم ما أعلَم ، لم تتعجَّبوا من خوْفى ، مع ماترونَ من تمكُّنِ حالى[١] .

(استجادة الخيل والـكلاب)

قال صاحب الكلب : ذكر محمَّد بن سلاَّمٍ عن سعيد بن صَخْر[٢] قال : أرسل مسلمَ بنَ عمرو[٣] ، ابنَ عَمٍّ لَهُ إلى الشَّام ومِصر يشترى لَهُ خيلاً ، فقال له : لاعلم لى بالخيل — وكان صاحبَ قنْص — قال : ألستَ صاحبَ كلاب ؟ قال : بلى . قال : فانْظرْ كلَّ شيءٍ تستحسنُهُ فى الكلب فاستعملْه فى الفَرَس . فقدِم بخيلٍ لم يكنْ فى العرَب مثلُها[٤] .

---

(١) الفقرة الأخيرة من كلام أبى أيوب . وقد سبق فى ترجمته أنه كان متمكن الحال لدى المنصور . وقد وقع ماكان يترقبه أبو أيوب ، فقد عذبه المنصور وأخذ أمواله ، كما مر .

(٢) سعيد بن صخر : أبو أحمد الدارمى ، روى عن حماد بن سلمة ، مجهول . وولده أحمد من كبار الحفاظ . روى عنه البخارى ومسلم ، لسان الميزان ٣ : ٣٤ .

(٣) مسلم بن عمرو : قائد عربى ، كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعى صاحب مصعب بن الزبير . أصيب مسلم بجراحات شديدة فى حرب « مسكن » التى كانت بين مصعب وبين عبد الملك بن مروان فى سنة ٧٢ هـ ومات بها . (انظر الأغانى ١٧ : ١٦١ — ١٦٤) . وقال يزيد بن الرقاع العاملى يذكره هو ، ومصعبا ، وابن الأشتر :

نحن قتلنا ابن الحوارى مصعبا أخا أسد والمذحجى اليمانيا
ومرت عقاب الموت منا لمسلم فأهوت له طير فأصبح ثاويا

(٤) انظر هذا الخبر فى العقد ١ : ٧٩ .

(حاجة الديك إلى الدجاجة)

قال محمَّد بن سلاّم . استأْذنَ رجلٌ عَلَى امرأةٍ فقالت له : مَالهُ من حاجةٍ[١] . قالت الجارية : يريدُ أن يذكر حاجة . قالت : لعلها حاجة الدِّيك إلى الدَّجاَجَة !

(هرب الكميت من السجن متنكرا بثياب زوجه)

محمَّد بن سلاّم عن سَلاّم أبى المنذر[٢] قَالَ : حبس خالدُ بن عبد الله[٣] الكميتَ بنَ زَيْد ، وكانت امرأتُه تختاف إليه فى ثيابٍ وهَيئة ، حتَّى عرَفها البوَّابُونَ ، فلبسَ يَوْماً ثيابَها وخرج عليهم . فسمَّى فى شِعره البوَّابينَ النَّوابحَ ، وسمَّى خالداً المـشْلِى[٤] :

---

(١) كذا .

(٢) هو سلام بن سليمان ، ويكنى أبا المنذر ، وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم (٣٠ ليبسك ، ٤٥ مصر) والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم فى عداد المجبرة ، وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » وروى خبرا له فى الإجبار : أنه أصاب غلامه على جاريته ، فقال له : ماهذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال له : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوّجه الجارية. ابن النديم (١٨٠ ليبسك و ٢٥٦ مصر) .

(٣) هو خالد بن عبد الله القسرى ، والخبر الآتى مفصل تفصيلا فى الأغانى ١٥ : ١١٤ — ١١٥ .

(٤) المشلى : الذى يغرى الكلاب بالصيد .

خرجت خروجَ القِدْحِ قدحِ ابنِ مُقْبِلٍ (١)

على الرَّغْم من تِلْكَ النَّوابحِ والمُشْلِي

عليَّ ثِيابُ الغانِياتِ وتحتَها صَريمةُ عَزْمٍ أشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ (٢)

(فتيا الحسن فى استبدال البيض)

قال : وأخبرنا خَشْرَم قال : سمعتُ فلاناً البقَّالَ يسأل الحسنَ (٣) قالَ : إنَّ الصبيان يأتُونَنى ببيضَتين مكسورتين ، يأْخذون منِّى صحيحةً واحدة . قال : ليس به بأْس .

(أرحام الكلاب)

محمّد بن سلاّم عن بعض أشياخه قال : قال مُصعَب بن الزُّبير على منبر مسجد البصرة ، لبعض بنى أبى بكْرة (٤) : إنما كانت أُمُّكم مثلَ الكلبة ، ينزُو عليها الأَعفر والأسودُ والأبقَع ، فتؤدى إلى كلٍّ كلب شِبْهَه . ١٣٣

---

(١) هو قدح من قداح الميسر ، كان لبنى عامر بن صعصعة ، لا يجعل فى القداح إلا خرج فائزا أبدا . انظر الميسر والقداح ص ٦٦ . وقال ابن قتيبة ص ٣١ فى الحديث عن الشعراء : « ولم أجد فيهم أحدا ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده » . والبيتان اللذان اشتهر بهما قدح ابن مقبل هما ، كما فى الأمالى ١ : ١٥ وثمار القلوب ١٧٣ :

غدا وهو مجدول وراح كأنه من المش والتقليب بالكف أفطح

خروج من الغمى إذا صك صكة بدا والعيون المستكفة تلمح

(٢) سل النصل : أخرجه . والنصل : حديدة السيف . وفى س : « صلة النصل » . وفى الأغانى :

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

(٣) هو الحسن البصرى .

(٤) هو نفيع بن الحارث ويقال ابن مسروح ، وقيل اسمه مسروح ، كان من فضلاء =

هذا فى هذا الموضع هِجاء ، وأصحابُ الكلاب يرون هذا من باب النَّجابة ، وأنَّ ذلك من صِحّة طِباع الأرحام ، حين لاتختلط النُّطَف فتجىء جوارحُ الأولاد مختلفةً مختلطة .

(من وصية عثمان الخياط للشطار)

وقال صاحب الكلب : فى وصيَّة عثمانَ الخيَّاطِ للشُّطَّار اللُّصوص : إيَّاكم إيَّاكم وحبَّ النِّساء وسماعَ ضربِ العود ، وشربَ الزَّبيب المطبوخ، وعليكم باتِّخاذ الغِلْمان ؛ فإنَّ غلامَك هذا أنفعُ لك من أخيك ، وأعونُ لك مِن ابنِ عمِّك ، وعليكم بنَبيذ التَّمر ، وضرب الطُّنْبور[١] ، وماكان عليه السلف واجعلوا النّقل باقلاّء ، وإن قدَرتم على الفُستقِ ، والرَّيحان شاهَسْفَرَم[٢] ،

= الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم شهرة . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة – أى خشبة مستديرة فى وسطها محز الحبل تدور على محور – لما قال رسول الله لأهل الحصن : أيما عبد نزل إلى فهو حر . فاشتهر لذلك بأبى بكرة . توفى أبو بكرة عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، فى خلافة عمر . الإصابة ٨٧٩٤ – وانظر ١٤٣ من باب الكنى والمعارف ١٢٥ والروض الأنف ٢ : ٣٠٤ – ٣٠٥ .

(١) الطنبور : آلة موسيقية .

(٢) شاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطانى . شفاء الغليل ١١٩ ، وجاء فى اللسان : شاهسفرم : ريحان الملك . قال أبو حنيفة : هى فارسية دخلت فى كلام العرب ، قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحنا فى كل دجن تغيما

وقد وصفه داود (فى تذكرته ١ : ٢١٢) بقوله : « وهو الأخضر الضارب إلى الصفرة ، الدقيق الورق » . وفى الأصل : « وشاهبتر » ، وهو تحريف ما أثبت .

وَإِن قدرتم على الياسمين (١) . ودَعوا لُبس العمائم وعليكم بالقِناع . والقَلَنْسوة كُفْر ، والخف شِرك واجعل لهوَك الحَمَامَ ، وهارِشِ الكلابَ وإيَّاك والكباشَ واللَّعِب بالصُّقورة والشَّواهين ، وإيَّاكم والفهودَ .

فلما انتهى إلى الديك قال : والدِّيكَ فإنَّ لَهُ صبراً ونجدة ، ورَوَغانا وتدبيراً ، وإعمالاً للسِّلاح ، وهو يبهر بهر الشُّجاع .

ثم قال : وعليكم بالنَّرد ودعوا الشِّطْرَنج لأهلها ، ولا تلعبوا فى النَّرْد إلا بالطويلتين . والوَدَعُ رأس مالٍ كبير ، وأوَّلُ منافعه الحذق باللَّقف .

ثمَّ حدَّثهم بحديث يزيد بن مسعود القَيسىّ .

(مايصيده الكلب الأسود البهيم)

وقال صاحب الديك : ذكر محمَّد بن سلاَّم عن يحيى بن النضر ، عن أبى أميّة عبد الكريم المعلِّم قال : كان الحسنُ بن إبراهيم يكرَهُ صيدَ الكلبِ الأسودِ البهيم .

(قصيدة ابن أبى كريمة فى الكلب والفهد)

وأنشد صاحبُ الكلب قولَ أحمد بن زياد بن أبى كريمة (٢) فى صفة صَيْدِ الكلب ، قصيدةً طويلةً أوَّلُهَـا :

---

(١) ط : « ثم إن قدرتم على الياسمين » ، س : « تم إن قدرتم على الياسمين » وكلمة « ثم » أو « تم » هى تحريف الميم الذى كان ينقص كلمة « شاهسفرم » فى الصفحة السابقة . وقد جعلت بدلها هنا حرف الواو ، ليتساوق القول .

(٢) ابن أبى كريمة من معاصرى الجاحظ . وانظر خبرين طريفين له مع الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

وغِبَّ غمامٍ مَزَّقتْ عن سمائه ... شاميَّةٌ حصَّاءُ جُون السَّحائبِ (١)
مُواجِهِ طَلَق لم يردِّدْ جَهامَـه ... تذاوُبَ أرْواح الصَّبا والجنائب (٢)
بعثْتُ وأثوابُ الدُّجى قد تقلَّصَتْ ... لغُرَّة مشهور من الصُّبح ثاقب (٣)
وقد لاح ناعِي الليل حتَّى كأنَّه ... لسَارى الدُّجَى فى الفجر قِنديلُ راهب (٤)
بهاليلَ لا يَثْنيهم عن عزيمةٍ ... وإنْ كان جَمَّ الرشْدِ، لوْمُ القرائب (٥)
بتَجْنِيب غضْفٍ كالقِداحِ لطيفةٍ ... مُشرَّطــةٍ آذانهــا بالمخَالبِ (٦)

---

(١) غب غمام : أى بعده . والشآمية : الريح الشمالية التى تهب من ناحية الشام . والحصاء : الصافية بلا غبار .

(٢) يقول : هـذا الغمام واجه هواء طلقا : لا حارا ولا باردا . وأن الرياح لم تتذأب أى لم تجئ من هنا ومن هنا ، فلذلك لم يتردد جهام هـذا الغام . وجاء البيت محرفاً على الوجه التالى – وأثبت صـوابه من نهاية الأرب ٩ : ٢٦٦ حيث توجد هذه القصيدة – :

مواجه طلق لم يرد رجامها ... تذاب بأرواح الصبا والجنائب

(٣) الغرة : أصلها البياض فى الجبهة . وعنى بها أول النهار ووجهه . والرواية فى النهاية : « بغرة » وماهنا أجزل . وفى س : « لعزة » وهو تحريف . والصبح المشهور : الظاهر الساطع . وفى الأصل : « مشهوب » ، ولا وجه له وتصحيحه من النهاية .

(٤) قنديل الراهب يعنى به أبدا ويتفقده ، فهو زاهر منير . وقد نظر ابن أبى كريمة إلى امرئ القيس فى قوله :

يضيء سناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط بالذبال المفتل

(٥) البهلول ، بالضم : العزيز الكريم ، جمعه بهاليل . وهذه معمول « بعثت » فى البيت الذى قبل السابق ، والقرائب : جمع قريبة . وهذه الرواية أجود من رواية : « الأقارب » فى نهاية الأرب . فإنما يلوم الرجل على عزمته الجريئة ، ويخشى عليه الخطار أهله من النساء .

(٦) الغضف : الكلاب المسترخية الآذان . وتجنيب الكلاب : أراد به قيادتها ، كما يجنب الرجل البعير : أى يقوده إلى جنبه . وتشريط الكلاب آذانها بالمخالب أمارة من أمارات فراهتها ونشاطها وقوتها فى العدو . ومثله قول أبى نواس فى ص ٢٩ من هذا الجزء :

* خرق أذنيه شبأ أظفاره *

وقوله فى ص ٣١ من هذا الجزء :

* منتشطا من أذنه سيورا *

وقوله فى ص ٣٣ :

* ينشط أذنيه بهن نشطا *

تخالُ سِياطاً فى صـلاها مَنُوطَةً ... طوال الهوادى كالقداح الشوازب (١) ١٣٤

إذا افترَشَتْ خَبتاً أثارتْ بمتنِه ... عجاجاً وبالـكَذَّان نارَ الحَباحِب (٢)

يفوتُ خُطاها الطَّرْفَ سَبقاً كأنَّها ... سهامُ مُغالٍ أو رُجومُ الكواكب (٣)

طِرادُ الهَوادى لاحَها كلُّ شَتْوَةٍ ... بطامسة الأرجاء مَرْتِ المسارب (٤)

تـكادُ من الأَحراج تنسَلُّ كُلَّما ... رأتْ شبَحاً لولا اعتراضُ المناكب (٥)

تسُوف وتُوفى كلَّ نَشْزٍ وفَدفدٍ ... مرابِضَ أبناءِ النِّفاق الأَرانبِ (٦)

كأنّ بها ذُعراً ، يُطِير قُلوبَها ... أنينُ المَـكاكِى أوصريرُ الجنادبِ (٧)

(١) منوطة فى صلاها : معلقة فى مغرز ذنبها ، ولعله عنى وجود حافز دائم يحفزها على العدو . وبالأصل : « من سلاها » وهو تحريف صوابه من النهاية . والهوادى : الأعناق . والشازب من قداح الميسر : الذى ضمر من كثرة المداولة والتقليب . وفى الأصل : « الشواذب » بالذال ، وتصويبه من نهاية الأرب .

(٢) الخبت : البطن الواسع من الأرض . وفى ط : « جبتا » وفى س : « جتنا » والأولى لاوجه لها . وليس للثانية معنى . والعجاج : الغبار . والـكذان ، بالفتح : حجارة فيها رخاوة . وفى الأصل : « بالـكدان » . ونار الحباحب : الشرر يحدث من تصادم الحجارة .

(٣) المغالى بالسهم : الرافع يده به يريد أقصى الغاية .

(٤) يقول : مطاردتها للهوادى ، أى أوائل الوحش ، قد غيرتها وأضمرتها . وطامسة الأرجاء : أراد فلاة متباعدة النواحى ، أو لاأثر بها لسالك لما يسفى عليها من الريح . ومرت المسارب : قفرة المسالك . وفى الأصل : « بطأمية الأرجاء » . وهو تحريف ، إذ أن الطمى إنمـا يكون مع الخصب . وهى على الصـواب الذى أثبت فى نهاية الأرب .

(٥) الأحراج : قلائد الـكلاب ، واحدها حرج بالـكسر . وفى الأصل : « الأخراج » وليس بشىء . و « تنسل » هى فى الأصل : « تسأل » وتصحيحه من النهاية .

(٦) تسوف المرابض : تشمها لتتعرف مابها . وتوفى النشز : أى تأتى المـكان المرتفع . والفدفد : الفلاة لاشىء بها . والنفاق: جمع نفق وهو الجحر .

(٧) المـكاكى : جمع مكاء ، بضم الميم وشد الـكاف ، طائر من القنابر ، له صفير حسن ، وتصعيد فى الجو وهبوط ، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر ، وهو من الطيور الجواثم التى تبنى أفاحيصها فى الأرض . انظر معجم المعلوف ١٤٧ - ١٤٨ وقد خففت الياء هنا للشعر .

تديرُ عيوناً رُكِّبت فى بَراطِلٍ كجُمرِ الغَضَى خُزْراً ذِرابُ الأنائبِ (١)

إذا مَا استُحِثت لم يُجِنّ طَريدَها لهنَّ ضَراءٌ أو مجارى المَذانبِ (٢)

وإن باصها صَلْتاً مدَى الطّرفِ أمسكَت عليه بدُون الجُهد سُبلَ المذاهبِ (٣)

تكادُ تَفَرَّى الأُهبُ عنها إذا انتحت

لنبْأة شَخْتِ الجِرْم عارى الرَّواجبِ (٤)

---

(١) البرطيل بالكسر : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرحى ، أو هو المعول . وجمعه براطيل ، وحذف الياء فى نحو ذلك هو مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع ٢ : ١٨٢ . شبه محاجر عيون هذه الكلاب فى شدتها بالبراطيل . وخزرا : جمع خزراء أى ضيقة صغيرة . وفى الأصل : « خزر » وإنما هى صفة « عيونا » . و « ذراب الأنائب » : حداد الأنياب ، و « ذراب » هى فى النسختين : « دواب » محرفة تصحيحها من النهاية . والأنائب أصلها « الأنابيب » حذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين ، ثم أبدلت الياء الباقية بهمزة وهى لغة شاذة . والرواية فى نهاية الأرب : « الأنايب » .

(٢) يقول : إذا أهيب بهذه الكلاب لتدرك الصيد ، فإن ذلك الصيد لا يمهل حتى يستتر بذلك الشجر الملتف ، أو بتلك المجارى . « يجن » هى فى الأصل : « يحن » محرفة . ويقال « جنه » من باب نصر ، و « أجنه » أيضا . و « المذانب » جمع مذنب – كمنبر – وهو المسيل ، أو المسيل فى الحضيض ، أو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وهى فى الأصل : « المقانب » ولا وجه له . وصوابه من نهاية الأرب .

(٣) باصها : سبقها ، يريد الصيد . صلتا : ركضا ، وأصل الصلت بمعنى الركض فى الخيل . مدى الطرف : غاية امتداد العين . وفى الأصل : « باصها صلت مدى الدهر » وتصحيحه من النهاية .

(٤) يقول : إذا سمعت هذه الكلاب صوتا خفيا من صاحبها ، كادت أن تشقق جلودها من شدة نشاطها . وقد أخذ هذا المعنى من ذى الرمة حيث يقول :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

والشخت : الضامر الدقيق لامن هزال . والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع ، وقيل غير ذلك . الواحدة راجبة أو رجبة بالضم . وعارية : ليس عليها لحم .

كأنّ غصونَ الخيزُرانِ مُتُونُها إذا هيَ جالَت في طِرادِ الثّعالب[١]
كواشرُ عن أنيابهنَّ كوالحٌ مُذَلّقة الآذان شوس الحواجب[٢]
كأنّ بناتِ القَفْرِ حينَ تفرّقتْ غَدَونَ عليها بالمنايا الشّواعبِ[٣]

ثم وصفَ الفهود :

بذلك أبغي الصّيدَ طوراً وتارة بمُخْطَفَةِ الأكْفالِ رُحْبِ التّرائب[٤]
مرقّقة الأَذنابِ نُمْرٍ ظهورُها مخطّطةِ الآماق غُلبِ الغَوارِبِ[٥]
مُدَنّرةٍ وُرْقٍ كأنّ عيونها حَواجِلُ تستَدْمى متونَ الرّواكب[٦]

---

(١) متونها : ظهورها ، مفرده متن .

(٢) كشر عن نابه : أبداه . وكوالح : عوابس . مذلقة : محددة . وفي س : « مذللة » .

(٣) بنات القفر : عنى بها الوحوش . وجاء في س : « غدوت عليها بالمنايا » ، ومثل هذه الرواية في الحيوان ٦ : ٤٧٥ . والشواعب : المفرقات .

(٤) في الأصل : « أبقي الصيد » وهو تحريف صوابه في النهاية . وفي الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « بذلك يبغي » ولها وجه . ومخطفة الأكفال : ضامرة الأعجاز صغيرتها . وأجود من هذه الرواية مافي الجزء السادس : « بمخطفة الأحشاء » . والترائب : عظام الصدر .

(٥) نمر : جمع أنمر ، وهو الذي فيه نمر ، بضم ففتح أي نكت بيضاء وسوداء . وفي ط : « ثم » وتصحيحه من س ونهاية الأرب والجزء السادس من الحيوان . والآماق : جمع موق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف . ومثل هذه الرواية في الجزء السادس . وفي النهاية : « الآذان » . وغلب الغوارب : غلاظها . والغارب : مابين العنق والظهر .

(٦) مدنرة : بها نكت كأنها الدنانير . وفي الأصل : « مذربة » وتصحيحه من مباهج الفكر . والورق : مفرده أورق ، وهو الذي في لونه سواد وبياض . والحواجل : جمع حوجلة ، وهي القارورة الصغيرة الواسعة الرأس ، قال العجاج :

كأن عينيه من الغئور قلتان في لحدى صفا منقور
صفران أو حوجلتا قارور

والرواكب : جمع راكب ، وهو رأس الجبل . وتستدمى : تتتبع . وإنما تتتبع لتتعرف الصيد ، وتبحث عنه . وفي الأصل : « تستدمى » ولا يصح إلا بتكلف وتعمل ؛ فإن معنى استدمى : استخرج من غريمه الدين في رفق .

إذا قلَّبتَها فى الفِجاج حسبتها سَنا ضَرَمٍ فى ظُلمةِ اللَّيل ثاقبِ (١)
مُوَلَّعة فطح الجِباهِ عوابسٍ تَخالُ على أشداقِها خطَّ كاتبِ (٢)
نَواصِب آذان لِطَافٍ كأنَّها مَداهنُ ، للإجْراسِ من كلِّ جانبِ (٣)
ذوات أشافٍ رُكِّبت فى أكُفِّها نَوَافِذَ فى صُمِّ الصُّخورِ نَواشِبِ (٤)
ذِراب بلا ترهيفِ قَينٍ كأنَّها تعقربُ أصداغِ المِلاحِ الكواعِبِ (٥)
١٣٥ فوارسُ مَالم تلق حَرْباً ، ورَجْلَةٌ إذا آنسَتْ بالبِيد شُهبَ الكتائبِ (٦)

---

(١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . ورواية نهاية الأرب : « فى الحجاج » وهو بكسر الحاء وفتحها : العظم المستدير حول العين .

(٢) المولعة : المستطيلة البلق ، وهو سواد وبياض ، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . و « فطح الجباه » : عريضتها . ومفرد « فطح » : أفطح . فى ط : « قبح » وفى س : « فتح » وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « قطع » وذلك كله تحريف ماأثبت . والرواية فى نهاية الأرب : « فطس الأنوف » .

(٣) المداهن : جمع مدهن بضم الميم والهاء ، وهو آلة الدهن أو قارورته ، وأراد هنا آلة الدهن . والإجراس : استماع الجرس ، بفتح الجيم ، وهو الصوت . وفى الأصل : « للأحراس » وليس بشىء . يقول : قد نصبت هـذه الفهود آذانها الصغيرة الشبيهة بالمداهن ، لتتسمع الأصوات من شتى الجوانب .

(٤) الأشافى : جمع إشفى ، وهى مثقب الإسكاف ، وقد عنى بها الأظافر ، وفى الأصل : « أثاف » جمع أثفية ، ولا وجه له هنا . والصخرة الصماء : الصلبة المصمتة .

(٥) القين : الحداد ، والترهيف : ترقيق الحد . والصدغ ، بالضم : الشعر المتدلى بين العين والأذن . وتعقرب الصدغ : تلويه وتعطفه .

(٦) رجلة : جمع راجل ، وهو الماشى على رجليه . قال أبو عمرو : وليس فى الكلام فعلة جاء جمعاً غير رجلة جمع راجل . وكمأة جمع كم‍ء . وفى الأصل : « رحله » وصوابه ما أثبت ، لتتم مقابلته لكلمة « فوارس » . ومما يحسن الإشارة إليه أن الفهود تركب الخيل ، جاء فى نهـاية الأرب ٩ : ٢٤٧ عند الكلام على الفهد : « وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبى سفيان » . ومثل ذلك عند الدميرى فى رسم (الفهد) ، ومحاضرة الأوائل للبنسوى ص ١٢١ . ولابن المعتز فى هـذا المعنى (انظـر الأوراق قسم أشـعار أولاد الخلفاء ص ٢١٥ وديوانه ٢ : ١٠٢) :

يلاحق الوثبة ممتـد النفس نعم الرديف زاننا فوق الفرس =

تَرَوٍّ وَتَسْكِينٌ يَكُونُ دَرِيئَةً لهنَّ بِذِى الأَسْرابِ فى كلّ لاحِبِ (١)
تضاءَلُ حتّى لاتـكادُ تُبِينُها عُيُونٌ لدى الصَّرَّاتِ غيرُ كواذبِ (٢)
حراصٌ يَفوت البرقَ أمكَثُ جَريِها ضِراءٌ مبلّاتٌ بطول التّجاربِ (٣)
تُوَسِّدُ أجْيادَ الفَرائِس أذرعا مرمّلةً تحـكى عناقَ الحَبائبِ (٤)

= ولأبى نواس فى صفة الفهد (الديوان ٢٢٣) :

فجاء يزكيه على سمنده

والسمند : الفرس ، كلمة فارسية .

وشهب الكتائب : عنى بها جماعة الوحش التى تتصيدها هذه الفهود . والكتيبة الشهباء : هى العظيمة الكثيرة السلاح .

(١) يقول : قد جعلن التروى وتسكين الجوارح دريئة لهن . وأصل الدريئة ماتستتر به من الصيد لتختله . و « بذى الأسراب » أى بتلك الطرق ، مفردها سرب بفتح السين وبكسرها . فى ط : « بذى الأسوار » ، ولا وجه له ، وأثبت مافى س . واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) يقول : هذه العيون التى لاتكذب صاحبها عند صرها وشدها ، لاتستطيع مع مابها من القوة والحدة أن تبصر هذه الفهود عند ماتتضاءل وتجتهد فى إخفاء أشخاصها . « الصرات » هى فى الأصل : « الضرات » . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « الصراب » والوجه فيهما ما كتبت .

(٣) يقول : إن سرعة البرق لاتدانى أبطأ جرية هذه الفهود . ضراء : معتادة الصيد ، واحدها ضرو بالكسر . والمبل ، بكسر الميم وفتح الباء : الثبت الجرىء .

(٤) يقول : هى تمسك بفرائسها بين أذرعها المرملة – أى الملطخة بالدم – وتضمها فلا تفلت منها ، وهى فى ذلك تحكى صنع المحب يعانق حبيبه ، فهو أشد التزام وأقوى ضم . (الفرائس) : هى فى الأصل : (الفوارس) وليس يكون منها أن تفعل ذلك بالفرسان . ولابن المعتز فى مثل المعنى الذى وجهنا به البيت ، يصف فهدة :

تضم الطريد إلى نحرها كضم المحبة من لايحب

أى أن طريدها لايحبها ولكنها تحبه فهى تضمه ، ومهما حاول الخلاص ضمته . و (مرملة) هى فى الأصل : « مزملة » بالزاى ، وليست تتجه ، وتصحيحها من نهاية الأرب ٩ : ٢٥٢ . وفى ط : « عتاق الجنائب » وهو تحريف ، صوابه فى س ونهاية الأرب .

(سهل بن هارون وديكه)

قال دِعْبلٌ الشاعر[1] : أقمنا عند سهل بن هارونَ فلم نبرحْ ، حتَّى كدنا نموتُ من الجوع ، فلما اضطررناه قال : ياغلام ، ويْلَكَ غدِّنا ! قال : فأُتِينا بقَصعةٍ فيهامرقٌ فيهِ لحمُ ديك [عاسٍ هرم[2]] ليس قبلَها ولا بعدَها غيرُها لاتحزُّ فيه السكين ، ولا تؤثِّر فيه الأضراس . فاطّلع فى القصعة وقلّب بصرَه فيها ، ثمّ أخذ قِطْعةَ خبزٍ يابس فقلَّب جميع مَافى القَصعة حتّى فقد الرأس من الدِّيك وحده ، [فبقى مطرِقاً ساعَةً[3]] ثمَّ رفع رأسه إلى الغلام فقال : أين الرَّأس ؟ فقال : رميتُ به . قال : ولم رميت به ؟ قال : لم أظنّك تأ كُله ! قال : ولأَىِّ شىءٍ ظَننتَ أنِّى لا آ كُلُه ؟ فوالله إنِّى لأَمقتُ مَن يرمى برجليهِ [فكيف من يرمى برأسه[4]] ؟ ! ثم قال لَهُ : لولم

---

(١) هو دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ، ولا ذو نباهة . وكان شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، وكان شيعيا ، وكان يتشطر ويصحب الشطار . وأخباره مسهبة فى الأغانى ١٨ : ٢٩ - ٦١ . ومن خير شعره الأبيات المشهورة :

أين الشباب وأية سلكا ... لا أين يطلب ضل بل هلكا

لاتعجبى ياسلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

ياليت شعرى كيف يومكما ... ياصاحبى إذا دمى سفكا

لاتأخذا بظلامتى أحدا ... قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

كان دعبل يتنقل فى البلاد ، وأقام ببغداد مدة ثم خرج منها هاربا من المعتصم لما هجاه ، وعاد إليها بعد ذلك . ولد سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفى سنة ست وأربعين ومائتين . تاريخ بغداد ٤٤٩٠ .

(٢) التكملة من عيون الأخبار ٣ : ٢٥٩ نقلا عن الجاحظ . والعاسى : الذى أسن حتى صلب وجف .

(٣) التكملة من عيون الأخبار .

(٤) من عيون الأخبار . وفى العقد الفريد ٤ : ٢١٧ مثل هذا المعنى .

أكرهْ مَاصنَعتَ إلاّ للطِّيَرةِ والفأل ، لـكَرهْتُه[١] ! الرأس رئيسٌ وفيهِ الحواسُّ[٢] ، ومنهُ يصدَح الديك ، ولولا صوتُه ماأرِيدَ ؛ وفيهِ فَرقُه[٣] الذى يُتبرّك به ، وعَينُهُ التى يضرب بها المثل ، يقال : « شرابٌ كعين الديك »[٤] ، ودِمَاغُه عجيب لوجَع الكلية ، ولم أرَ عَظما قَطُّ أهشَّ تحت الأَسنانِ من عَظْم رأسِهِ ، فهَلاّ إذْ ظننتَ أنِّى لا آكلُه ، ظننتَ أنّ العِيال يأْكُلُونه ؟ ! وإنْ كانَ بلَغَ من نُبْلِك أنّك لاتأْكله ، فإنّ عِنْدَنا من يأْكُلُه . أوَ ماعلمتَ أنّه خيرٌ من طَرَف الجَناحِ ، ومن السَّاق والعنق ! انظرْ أين هو ؟ قال : والله ما أدرى أينَ رميتُ بهِ ! قال : لـكنِّى أدرى أنّك رمَيت بهِ فى بطنك ، واللهُ حَسيبك !

كمل المصحف[٥] الثانى من كتاب الحيوان بحمد الله تعالى وحسن عونه

ويتلوه فى الثالث إن شاء الله ذكر الحمام[٦]

---

(١) أى لـكرهت ماصنعت .

(٢) فى عيون الأخبار وكذا فى العقد : « الحواس الخمس » وليس بشىء ، إذ أن فى الرأس أربعا من الحواس ، هن السمع والبصر والشم والذوق . وفى وفيات الأعيان ١ : ١٧٩ : « والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع » .

(٣) فرق الديك : انفراق عرفه ، وقد أسلف الجاحظ . فى ص ٢٠٧ من هذا الجزء كلاما فى التبرك بالديك الأفرق وانظر كذلك ص٢٥٩ . وفى ط : « وفيه قرنه » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى عيون الأخبار : « عرفه » .

(٤) أى فى الصفاء ، وقد سبق كلام الجاحظ فى هذا المثل ص ٣٤٩ .

(٥) هذا ماأثبت من س . وفى ط : « تم الجزء » .

(٦) هذا مافى س . وفى ط : » ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله أوله ذكر الحمام » .



تذييل واستدراك

صفحة سطر

١٤٠ ١١ مثل هذه العقيدة فاشٍ بين النساء إلى اليوم ، فهنّ يعتقدن أن المرأة إذا قامت أثناء الحيض بعمليــة حفظ الفواكه أو الخضراوات ، فإنّها تتلف . كمايعتقدن أنّ الحائض يتلف عجينها ولا يختمر . كما لوحظ أن الزّهرة تذبل بعد ساعات قليلة إذا قبضت عليها حائض أو تأبطتها بضع دقائق . وقد فسّرت هذه الظاهرة تفسيرا علميا ؛ إذ أن إفراز الحيض ، المكون من الزرنيخ ، والجليكوكين ، والليبوئيد ، وبعض الخمائر والفسفور ، والمغنزيا ، والكبريت ، والجير — له أثره الذى لا ينكر . انظر مجلة الرياضة البدنية ، ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

١٤٣ ٨ ش كليب بن أبي عهمة الظفرى . كذا فى الأغانى ومعاهد التنصيص . وقد عده ابن حجر فى الإصابة ٧٤٤٨ من الصحابة ، وجعل اسمه «كليب بن عميمة» . أما ابن الشجرى فى أماليه (١ : ١١١) فقد جعله «كليب بن عييمة » وقد ضبطه وذكر اشتقاقه فقال : «عييمة : منقول من محقر العيمة ، وهى شهوة اللبن : أومحقر العيمة ، بكسر العين ، وهى خيار المال» . فلعل هذا صوابه .

١٨١ ٨ قد استغل الشيعة مثل هذا الخبر فنسبوا مثله إلى عبد الله ابن جعفر . جاء فى معجم الأدباء (١٠ : ٢٤٨ — ٢٤٩) : «وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يابن رسول الله ، هذا

صفحة سطر

حكيم الكلبىّ ينشد الناس هجاءكم بالكوفة ! فقال : هل حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :

صَلَبنا لكم زيدًا على جِذْعِ نخلةٍ ولم نرَ مهديًّا على الجذع يُصْلَبُ

وَقِسْتم بعثمانٍ عليًّا سفاهة وعثمانُ خيرٌ من علىٍّ وأطيبُ

فرفع عبد الله يديه إلى السماء ، وهما ينتفضان رعدة فقال : اللهم إن كان كاذبا فسلط عليه كلبا ! فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله » .

٢٧١ ٨ السكينة معناها الاطمئنان . وجاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ لَهمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام فى بنى إسرائيل . والنبى هذا هو يوشع ، أو شمعون ، أو اشمويل . والملك : طالوت . والتابوت : صندوق التوراة ، قالوا : رفع بعد موسى إلى السماء ، ثم نزل من السماء تحمله الملائكة ، علامة على ملك طالوت . وكان بنو إسرائيل يحملونه فى حروبهم ليكسبهم طمأنينة . انظر الكشاف ، وتفسير الفخر . قدّمت هذا لألقى ضوءاً عَلَى الشعر ؛ فقد كان المختار اتخذ كرسيًّا قديم العهد ، غشّاه بالدّيباج ، وزيّنه بأنواع الزينة ، وقال : هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين عَلِىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فضعُوه فى حومة القتال وقاتلوا عنه ؛ فإن محلّه فيكم محل التابوت والسكينة فى بنى إسرائيل . انظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) وثمار القلوب ٧١ .

صفحة سطر

٢٧١ ٩ « فُتْنا » جمع فِتان بالكسر ، وأصل معناه غشاءٌ يجعل للرحل من أدم . وأما أمر الحمام ، فإنّ المختار لمّا وجّه إبراهيم بن الأَشتر لحرب عبيد الله بن زياد ، دفع إلى قوم من خاصّته حماماً بيضاً ضخاماً ، وقال لهم : إن رأيتُم الأمر علينا فأَرسلوها فى المعركة . وقال للناس ، إنى أجد فى محكم الكتابِ ، وفى اليقين والصَّواب ، أنّ اللهَ ممدُّكم بملائكةٍ غِضاب ، تأتى فى صور الحمام دون السحاب ! فلما التقت الفئتان وكادت الدائرة تكونُ عَلَى عسكر ابن الأشتر ، أرسلت الحمام البيض ، فتصايح النَّاس : الملائكة ! الملائكة ! فتراجعوا ، فأَسرع القتل فى أصحاب عبيد الله ، ثم انكشفوا ، ووضعُوا السيُوف فيهِم ثم أفنوهم . ثمار القلوب ٧١ . وانظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) . وكانَ البيت فى الأصل محرَّفا عَلَى الوجه الآتى :

وأن ليس كالتابوت فينا وأن سعت
سنام حواليه ، وفيهم زخارف

٢٩٤ ١٠ « المنكابات » فى شفاء الغليل « بنكام : لَفظ يونانى ، مايقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرّب عرَّبه أهل التوقيت ، وأرباب الأوضاع ، ووقع فى شعر المحدثين فى تشبيه الخصر :

* وخَصرهُ شُدَّ ببَنْكامِ * »

ثم قال : « وتقلبه العامة فتقول : منكاب ، وهو غلط » . فما ذكره الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، وقد وجدت فى العمدة (٢ : ٢٣١) وصفاً شعريا للبنكام ويفهم منه أنه آلة مائية ، لا رملية كما قال الخفاجى .

صفحة	سطر	
٣٦٦	٥	عثمان الخياط هذا زعيم عصابة للّصوص، كانت فى عصر الجاحظ . وإنّما سمّى خيّاطا لأنّه نقب على أحذق الناس وأبعدهم فى صناعة التلصّص ، وأخذ ما فى بيته وخرج ، وسدّ النّقب كأنّه خاطه ، فسمّى بذلك . ويظهر أنّه قد شاع فى هذا العصر اتّخاذ التلصص مهنةً لكسب العيش ، وجعل اللصوص لها نُظما ، وأنشئوا لأنفسهم ألقابا ومراتب مختلفة ، فمنهم العين ، والمؤْنىّ ، والشاغل والطرّار . فالعين : الذى يلزم الصيارف ، ويتأمّل كلَّ مالٍ محمول ، ويأتى السفن فيتعرَّف موضع الحرز ، ويأتى دار قوم فيطلب أن يتوضّأ ، فيتعرَّف خزائنهم والموضع الذى يقصدون منه . والمؤْنىّ : الذى يتولّى البيع والابتياع لهم ، ويجعل عند ذلك كأنّه أمير قرية ، أو زعيم محلّة . والشاغل : هو الذى يشغل القومَ عن اللصِّ والطرّارِ ، إذا ظفروا به ، يجىء اللصَّ فيضربه ما لا يضرب به السلطان ، ويقول : هذا والله صاحبى ، هو الذى ذهب بمالى ، ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم ، فإذا تشاغلوا عنه أفلتَه وتأسَّف مع القوم . والطرّار : الذى يقطع الهمايين ويشقها . والعجب أن تلك العصابات ، كانت فى أكثر أمرها تلتزم ضربًا من ضروب الشهامة والنُّبل ، ورووا عن عثمان الخيّاط أنه قال : « ما سرقت جارًا وإن كان عدوًّا ، ولا كريماً ، ولا كافأت غادرًا بغدره ! » . وكانوا يحسّنون لأنفسهم هذه الصناعة ، ويحتجّون لها . قال عثمان

صفحة سطر

الخيّاط : « لم تزل الأمم يسبى بعضُها بعضا ، ويسمُّون ذلك غزوا وما يأخذونه غنيمة ، وذلك من أطيب الكسب ! ! وأنتم فى أخذ مال الغَدَرَة والفجَرة أعذر ! فسمُّوا أنفسَكم غُزاةً ، كما سمّى الخوارجَ أنفسَهم شُراة ! ! » .

وقالوا : « اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشى ، والقاضى الذى يأكل أموال اليتامى ! » .

وتجد أخبار هؤلاء القوم ونوادرهم ، مسهبة مفصَّلة ، فى محاضرات الراغب (٢ : ٨١ — ٨٤) .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥
٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥



أبواب الكتاب